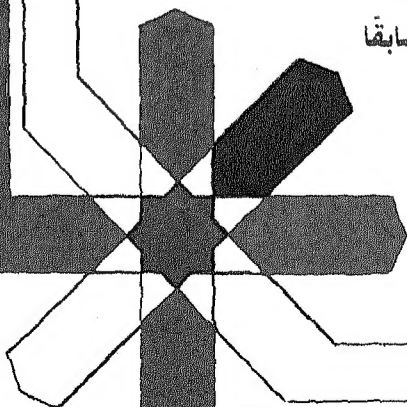


مَعَالِمُ الْمَدِينَةِ

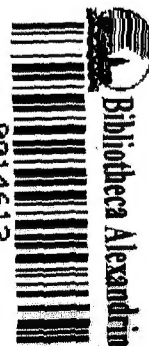
المجلد الأول

تأليف
مُرْتَضَى الْعَسْكَرِي
عميد كلية أصول الدين سابقاً



سنة مديوني
سنة

0014612



Bibliotheca Alexandrina

معالم الدنيا
١

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مَجَالِسُ الْمَدَرَسَاتِ

لِلْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ

مَجْلَدُ الْمَدَرَسَاتِ فِي الصَّحَائِفِ وَالْأَمَانَةِ

تأليف

السيد مَرْضَى الْعَسْكَرِي

عميد كلية أصول الدين - بغداد سابقاً

الطبعة الخامسة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

الإهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلام عليك يا إمام العصر ورحمة الله وبركاته
سيدي يا ابن رسول الله (ص) إليك أهدي هذا المجهود
الضئيل.

﴿ يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضرّ وجثنا ببضاعة مزجاة فأوف
لنا الكيل وتصدق علينا إنّ الله يجزي المتصدقين ﴾ .
أيها الجواد الكريم، اشفع لنا عند الله ليفغر لنا ذنوبنا ويكشف
عنا وعن قومنا الضرّ؛ إنه أرحم الراحمين .

صغير خدامكم
مرتضى العسكري

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ .

الزمر/ ١٧ - ١٨

مقدمة الطبعة الرابعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين
و السلام على أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، و على أصحابه البررة الميامين،
و بعد :

لما كان هذا الكتاب في بحوثه نسيج وحده، شأنه في ذلك شأن كتابي
« عبد الله بن سبأ » و « خمسون ومائة صحابي مختلق » ولم تُنسخ على منوال
سابق؛ كان لابد لبُحوث كلٍّ منها أن تتكامل تدريجياً، لذا صدر:
الجزء الأول منه :

في طبعته الأولى، عام	١٤٠٥	في	٢١٥	صفحة
وفي طبعته الثانية، عام	١٤٠٦	في	٣٧١	صفحة
وفي طبعته الثالثة، عام	١٤٠٩	في	٥١٩	صفحة
وفي طبعته الرابعة هذه، عام	١٤١٢	في	٦١٦	صفحة

و الجزء الثاني منه :

في طبعته الأولى، عام	١٤٠٥	في	٣٧٨	صفحة
وفي طبعته الثالثة، هذه عام	١٤١٢	في	٤٠٥	صفحة

ولو فسح الله تعالى في الأجل ، و شاء لي - عزّ اسمه - أن أستدرك على بعض بحوث هذا الكتاب بعد هذه الطبعة فسوف أُلحق المستدرك في طبعاته القادمة بآخر الكتاب ولا أُغير وضع البحوث عما هو عليه في هذه الطبعة إن شاء الله تعالى هذا و الكمال لله وحده .

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

مرتضى العسكري

نجل السيد محمد الحسيني

نجل السيد اسماعيل آل شيخ الإسلام

مخطط بحوث الكتاب

بحوث تمهيدية تبين منشأ الخلاف بين مدرستي الإمامة والخلافة وتنقسم بحوث الكتاب بعدها إلى قسمين:

القسم الأول - بحوث مصادر الشريعة الإسلامية لدى المدرستين وسبل الوصول إليها، وعليها تبنى العقيدة الإسلامية وأحكامها وتشمل البحوث الخمسة الآتية:

أولاً - بحوث المدرستين في الصحبة والصحابة.

ثانياً - بحوث المدرستين في الإمامة والخلافة، وهما من سبل الوصول إلى الشريعة الإسلامية وتكوين الرؤية الصحيحة للإسلام.

ثالثاً - بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية، وتنقسم إلى مجموعتين: أ - دراسة روايات المدرستين حول القرآن الكريم. ب - بحوثهما حول سنة الرسول (ص)، وبيان كيفية اتخاذ مدرسة الخلفاء الاجتهاد والعمل بالرأي من مصادر الشريعة الإسلامية في عداد كتاب الله وسنة رسوله (ص). وبها يتم بحث مصادر الشريعة الإسلامية وسبل الوصول إليها لدى مدرسة الخلفاء.

رابعاً - قيام الإمام الحسين (ع) ضد الانحراف عن سنة الرسول بسبب الاجتهاد والعمل بالرأي.

خامساً - تمكّن أئمة أهل البيت (ع) من إعادة سنّة الرسول إلى المجتمع بعد قيام الإمام الحسين (ع)، وتمكّن مدرستهم من نشر سنّة الرسول (ص) بعد ذلك. وبهذا يتمّ بحث مصادر الشريعة الإسلامية وسبل الوصول إليها لدى مدرسة أهل البيت، وتتمّ بذلك بحوث الأسس الفكرية لدى المدرستين. ويليهما في آخر الكتاب آراء القراء حول الكتاب .

بحوث تمهيدية

توطئة

من آثار الخلاف بين أبناء الأمة الإسلامية
بعض صفات الله ومنشأ الخلاف حولها
الخلاف في صفات الأنبياء ومنشؤها
الخلاف حول الاحتفال بذكرى الأنبياء
الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء
الخلاف في البكاء على الميت ومنشؤه
الخلاف في تأويل آيات من كتاب الله
مختصرة وخاتمة

- ١ -

توطئة

شرع الله للإنسان، بمقتضى ربوبيته، من الدِّين ما ينظم حياته ويسعده ويوصله إلى درجة الكمال الإنساني، وهده بواسطة أنبيائه إليه وسماه الإسلام^١. كما سنَّ لجميع مخلوقاته أنظمة تتناسب وفطرتهم وتوصلهم إلى درجة الكمال في وجودهم، وهدهم إلى السير بموجبها إلهامياً أو تسخيراً^٢.

وكان النوع الإنساني كلما توفي رسول من رسل الله في أمة منه، قام أصحاب الطول والسلطان من تلك الأمة بتحريف ما يخالف هوى أنفسهم من شريعة نبيهم أو كتابه، ثم ينسبون ما لديهم من الشريعة المحرفة إلى الله

- ١) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران/١٩. وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ آل عمران/٨٥.
- ٢) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاةً أَحْوَى﴾ الأعلى/١-٥.
- وقال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه/٥٠.
- وقال سبحانه: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...﴾ النحل/٦٨.
- وقال سبحانه: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْجُرَاتٍ بِأَمْرِ﴾ الأعراف/٥٤.

ورسوله^٣.

ثم يجدّد الله دين الإسلام بإرسال نبيّ جديد ينسخ بعض الشعائر والطقوس التي لامسها التحريف. ولما أرسل الله خاتم أنبيائه محمداً (ص) بالقرآن، أنزل فيه أصول الإسلام من عقائد وأحكام في آيات محكمة وأوحى إليه تفصيل ما أنزل في القرآن ليبين للناس ما نزل إليهم^٤، فعلمهم الرسول شرائع الإسلام من كيفية ركعات الصلاة وتعدادها، وما يمسون عنه في الصوم وشرائطه، والطواف وأشواطه وبدائته ونهايته، إلى غيرها من أحكام واجبة ومستحبة ومحترمة، فتكون منها لدى المسلمين الحديث النبوي الشريف. وكذلك جعل الله تجسيد الإسلام في سيرة رسول الله (ص) وأمر الناس باتباعه في قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ الأحزاب/٢١.

وسمّي مجموع الشريعة والحديث النبوي في الشرع الإسلامي بالسنة، وأمرنا الله ورسوله باتباع سنة الرسول (ص)^٥.

(٣) قال الله سبحانه: ﴿وإنّ منهم لفريقاً يلوّون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ آل عمران/٧٨ وقال: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ البقرة/٧٥.

وراجع الآيات: البقرة/٤٢ و ١٣٦ و ١٥٩ و ١٧٤، وآل عمران/١٨٧، والنساء/٤٦، والمائدة/١٣ - ١٥، ٤١، ٥٩ - ٦١.

(٤) قال سبحانه: ﴿وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ النحل/٤٤.

(٥) أمر الله في آية: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ بالافتداء بسيرة الرسول (ص)، وفي آية: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر/٧، أمر بالعمل بحديث الرسول (ص) و السنة عبارة عنها.

وهكذا أكمل الله تبليغ الإسلام إلينا في القرآن والسنة النبوية، وتوفي الرسول (ص) بعد أن أخبر أمته وحذرنا بأنه يجري في هذه الأمة ما جرى في الأمم السابقة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وأنه لودخل من الأمم السابقة أحدهم في جحر ضب لدخل من هذه الأمة أحدهم كذلك في جحر ضب^٦.

* * *

وكان من أمر التحريف في هذه الأمة أن الله سبحانه وتعالى حفظ القرآن من أن تناله يد التحريف وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

٦) تجد تفصيل الأحاديث الواردة في هذا الشأن في البحث الخامس من البحوث التمهيدية بالجزء الثاني من «خمسون ومائة صحابي مختلف». وراجع - أيضاً - نصوص الأحاديث في المصادر التالية:

أ - إكمال الدين للصدوق ص ٥٧٦، وروى المجلسي عنه في البحار ٣/٨، وفي تفسير الآية: ﴿لَتَرْكِبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبِقٍ﴾ في كل من مجمع البيان للطبرسي. وجلاء الأذهان لكازر.
ب - صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٧١/٢، ح ٣، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي (ص): «لَتَبْعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» - الحديث ١٧٦/٢، ح ١ و ٢.

وفتح الباري بشرح البخاري ١٧/٦٣ و ٦٤.

ج - صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٩/١٦ كتاب العلم.

د - صحيح الترمذي ٢٧/٩ - ٢٨ و ١٠/١٠٩.

هـ - سنن أبين ماجه ح ٣٩٩٤.

و - مسند الطيالسي ح ١٣٤٦ و ٢١٧٨.

ز - مسند أحمد ٣٢٧/٢ و ٣٦٧ و ٤٥٠ و ٥١١ و ٥٢٧ و ٨٤/٣ و ٩٤ و ١٢٥/٤ و ٢١٨/٥ و ٣٤٠.

ح - مجمع الزوائد ٢٦١/٧ عن الطبراني.

ط - كنز العمال ١٢٣/١١ عن الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک.

ي - في تفسير الآية: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ من سورة آل عمران في الدر المنثور للسيوطي عن المستدرک للحاكم.

لحافظون ﴿ الحجر/ ٩، وقال: ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ فصلت/ ٤٢.

وأما السنّة التي رويت لنا سيرةً وحديثاً في روايات كثيرة، فإنّ الله لم يحفظها من التحريف، كما يتّضح ذلك جلياً في اختلاف الروايات النبوية التي بأيدي جميع المسلمين اليوم، ولتعارض بعضها مع بعض. وأدى الاختلاف في الحديث الشريف إلى أن يهتم بعض العلماء بمعالجته، وألفوا كتباً مثل: تأويل مختلف الحديث، وبيان مشكل الحديث، وبيان مشكلات الآثار.

ومن جرّاء اختلاف الأحاديث، اختلف المسلمون في فهم القرآن وتشتت كلمتهم أبد الدهر. أضف إليه وجودهم في بيئات مختلفة، ومعاشرتهم أهل الآراء والملل والنحل الأخرى. كلّ ذلك أدى إلى اختلاف رؤيتهم للإسلام، وبادر بعضهم إلى تأويل الآيات الكريمة والصحيح ممّا بأيديهم من الحديث الشريف، وفقاً لرأيهم ورؤيتهم للإسلام. وأدى بهم ذلك إلى القطيعة في ما بينهم وعدم استماع بعضهم إلى آراء الآخرين، وإلى تكفير بعضهم بعضاً.

كان ذلكم عوامل التشويش الداخلي، كما كان ثمت عوامل خارجيّة عملت في الداخل بواسطة عملائها كالآتي ذكره:

عوامل التخريب الخارجي

من عوامل التخريب والتّحريف في مصادر الدراسات الإسلامية (كتب

٧) تأليف آبن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٨٠ هـ أو ٢٧٦ هـ).

٨) تأليف آبن فورك محمد بن الحسن (ت ٤٠٦ هـ).

٩) تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي المعروف بالطحاوي (ت ٣٣١ أو ٣٣٢ هـ).

الحديث والسيرة والتفسير وغيرها، عوامل التخريب الخارجي وهي :

أولاً - أخبار أهل الكتاب التي أنتشرت في مصادر الدراسات الإسلامية من قبل أمثال: كعب الأحبار وتميم الداري .

ثانياً - روايات وأخبار وضعتها زنادقة أمثال: ابن أبي العوجاء وسيف ابن عمر، وانتشرت في تلك المصادر^{١٠} .

ثالثاً - وأخيراً، عندما غزت قوى الكفر (المستعمرون) بلاد المسلمين، حاربت الإسلام بأفكك سلاح هدام، حين وظفت المبشرين من علماء اليهود والنصارى والمعروفين بأسم المستشرقين ليُمنعوا في طلب مواطن الضعف بمصادر الدراسات الإسلامية، ويحاربوا الإسلام بها. فأجتهد هؤلاء في وضع فهارس للمصادر الإسلامية وتنظيمها وتنسيقها ونشرها بكل إتقان، وأشرفوا بواسطتها على كل ما فيها، وألقتوا من شتى الكتب كل خبر موضوع ومدسوس يشوه الإسلام، مثل: أسطورة الغرائق، وغيرها، وألفوا مما التقطوا منها بأسلوب عصري بديع، كتباً مثل: (دائرة المعارف الإسلامية) و(محمد النبي السياسي)^{١١} .

وعمل الغزاة (المستعمرون) أخطر من ذلك في حربهم للإسلام، حين دفعوا إلى الواجهة في بلاد المسلمين تلاميذ أولئك وخريجي مدارسهم الفكرية ودعاة أفكارهم ومروجي حضارتهم، وسلطوا عليهم الأضواء وعرفوهم بأسم المصلحين للإسلام ومنوري الفكر والتقدميين، فاستورد هؤلاء نتيجة أفكار

١٠ درسنا انتشار أخبار أهل الكتاب في مصادر الدراسات الإسلامية في الجزء السادس من سلسلة (أثر الأئمة في إحياء السنة) وتخريب المستشرقين في الجزء الثالث والرابع منه، وتخريب الزنادقة في الجزء السادس منه، والبحوث التمهيدية من الجزء الأول من (خمسون ومائة صحابي مختلف). ودرسنا تحريف سيف منهم خاصة فيه وكذلك فعلنا في كتاب عبد الله بن سبأ. ١١ وشد من المستشرقين في كل عصر آحاد خضعوا للحق.

أولئك إلى بلاد الإسلام، ونشروها بشتى وسائل النشر وبأساء مختلفة وعناوين مشوقة للنفوس.

وكان من هؤلاء : السير سيّد أحمد مؤسس جامعة عليكره الإسلامية في الهند ، وأحمد لطفي السيّد أستاذ الجليل ، وقاسم أمين نصير المرأة في مصر . وكذلك فعلوا في العراق وإيران وغيرها من البلاد الإسلامية ^{١٢}.

وكان من الطبيعي أن تقوم بين هؤلاء وبين حفظة الفكر الإسلامي الأصيل حربٌ يعين فيها المستعمر وعملأؤه والمغرر بهم تلاميذ المستشرقين . وكان أفتك سلاح بأيدي هؤلاء ما تذرّعوا به في حرب الإسلام بأسم تعريف الإسلام وتاريخه وتعريف الشخصيات الإسلامية ، مثل ما فعل السير سيّد أحمد حين كتب تفسير القرآن حسب زعمه ، وجرجي زيدان في قصصه . وجلّ محاولات هؤلاء وأساتذتهم المستشرقين ترمي إلى شيء واحد وتستهدفه ، وهو ما قاله أحدهم : (لا يُقتل الدين إلّا بسيف الدين)!

وفي سبيل تحقيق هذه الخطة أخذوا يفسّرون القرآن ويشرحون الحديث النبوي الشريف ويكتبون سيرة الرسول (ص) وألأئمة ، يحاولون في كلّ ما يعملون أن يجردوا الجميع من الاتصال بالغيب ، وعرضها على أنها من طبيعة البشر ، ثمّ يلطّحون من طرف خفيّ ، وأحياناً يصرّحون جليّاً : أن كلّ فرد منهم وكلّ شيء من الإسلام كان متناسباً مع زمانه وكان تقدّميّاً في عصره

(١٢) هؤلاء وأمشالهم من دعاة الحضارة الغربية في البلاد الإسلامية ومهذبي الأعراف الإسلامية ومخالفني أحكامها. وقد ناقشنا بعض مانشرة هؤلاء من الفكر الغربي المستورد ، وأصدرنا الجزء الأوّل منه في العراق ، وأمتنعت دور النشر من نشره ، كما منعت الحكومة المارونية اللبنانية يومذاك من دخول الكتاب إلى لبنان ، فلم نتمكن من إصدار بقية أجزائه ، ووجدنا أفضل ما نشر في هذا الصدد كتاب (أجنحة المكر الثلاثة) تأليف عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، من سلسلة (أعداء الإسلام)، ولنا بعض المؤاخذات على الكتاب.

ونافعاً للبشر في حينه ، أمّا اليوم فنحن بحاجة إلى تطوير الإسلام وتجديده ليُطابق مقتضيات العصر وحاجة أهله .

وهؤلاء مع سلاحهم هذا، الخفي أثره على الكثير ، أضّر على الإسلام والمسلمين من بعض السياسيين العملاء للغزاة الكفرة في بلادنا والذين نصبوهم حكاماً لبلاد المسلمين ، بما قاموا به في الحرب الفكرية من تحريف لحقائق الإسلام باسم تعريف الإسلام أحياناً، والإسلام المتطور الملّبي لحاجات العصر تارةً أخرى .

من كلّ ما ذكرنا ، يظهر جلياً أنّ المسلمين في هذا اليوم وبعد كلّ ما مرّ على الإسلام من تيارات فكرية ، بحاجة شديدة إلى دراسات مستفيضة لأقوال الفرق الإسلامية وتمحيص مآلديها ، خلافاً لما يراه بعض المسلمين الغياري الذين يرون السكوت عن كلّ ذلك أولى ، حفظاً لوحدة المسلمين !

ولست أدري كيف يتم ذلك مع وجود الخوارج^{١٣} الذين بنيت أصول عقائدهم على تكفير عامة المسلمين وأنهم هم وحدهم المسلمون وما عداهم مشركون ، وعلى التبرّي من الخليفة عثمان والإمام عليّ وأمّ المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن كان معهم ، ثمّ لعن أولئك ولعن جميع المسلمين .

كيف يتم ذلك وفي المسلمين من تتوق نفسه إلى زيارة قبر الرسول الأكرم (ص) وقبور أئمة المسلمين والتبرّك بها والاستشفاع والتوسل بهم إلى الله ، وفيهم من يرى كلّ ذلك شركاً لله وخروجاً على الإسلام وبدعة محرمة ، وبذلك يرون أنّ جميع المسلمين بعد القرن الثالث الهجري إلى اليوم مشركون . وقد هدموا مساجد المسلمين التي بنيت في طريق غار حراء وأمثاله

(١٣) منتشرون في الجانِب الشرقي من جزيرة العرب وشمال أفريقيا.

من الأماكن المتبركة إلى جانب تهديمهم قبور أئمة المسلمين وأمهات المؤمنين وعمّ الرسول (ص) وآبن الرسول (ص) وصحابته وشهداء أحد ! ؟
ولا يفعل مثل ذلك مع اليهود وتوراتهم وبيعهم والنصارى وكنايسهم ، وفيها ما فيها من الصليبان وتماثيل عيسى ومريم (ع) وهم يعلنون أنّ عيسى ربهم وأنّ الله ثالث ثلاثة - معاذ الله - وإنّما يُعاهدون ولا يقال لهم : أنتم مشركون !

ثم إنّ المسائل المذكورة ونظائرها ليست مسائل تخصّ الفرد المسلم - مثل إسبال اليدين في الصّلاة ، الذي تراه مدرسة أهل البيت والمالكية ، خلافاً للأحناف والحنابلة الذين يرون وجوب التكتف ؛ ومثل الاختلاف في غسل الرجلين أو مسحهما في الوضوء ممّا يتيسّر للفرد المسلم أن يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه آجتهداً أو تقليداً ، ويستطيع الفرد الآخر المخالف له في الرأي أيضاً أن يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه ، ويمكن لهما مع ذلك أن يعيشا في وفاق في مجتمع إسلامي واحد - وإنّما هي ممّا يبنى المجتمع الإسلامي عليها ، فإمّا أن يبنى المجتمع على هذه العقيدة وتزول تلك ، وإمّا أن يبنى على تلك وتزول هذه .

وهي ليست بعد قضايا سياسية غير دينيّة يمكن التغاضي عنها حفظاً لوحدة المسلمين ، وإنّ نشر ملايين النسخ من أمثال كتاب (وجاء دور المجوس) بأسماء مستعارة وغير مستعارة ، وإنفاق بعض الحكومات على أمثالها ، لتنسب إلى أمة كبيرة من المسلمين الخروج عن الإسلام ، وإنفاقها ملايين الملايين في نشر دعايتها في آلاف المعاهد والمساجد والمدارس بجميع أقطار الأرض : أنّ ما عداهم من المسلمين مشركون ، إضافة إلى إفناد آلاف المبعوثين كذلك إلى جميع أقطار الأرض لنشر دعايتها من جانب واحد ، فإنّ كلّ ذلك لم يكن بدافع سياسي غير ديني .

كما أنها ليست من قضايا أوجدها الاستعمار لإيجاد التفرقة بين المسلمين ليحسن السكوت عليها ، بل هي قضايا كانت قائمة ومنتشرة في المجتمع الإسلامي منذ عصر إمام الحنابلة أحمد (ت : ٢٤٠ هـ) وعصر الشيخ ابن تيمية (ت : ٧٢٨ هـ) من أتباع مدرسته ، بل قبلهما وبعدهما إلى اليوم . وإنّ قتل مئات الألوف من المسلمين وإحراق مكباتهم في شتى العصور ومختلف البلاد خير دليل على ما نقول . فهي إذن مما يستفاد منها سياسياً من قبل تلك الحكومة أو ذلك الاستعمار ، متى ما شاءت تلك أو شاء هذا ، فيما إذا لم تعالج . ثمّ إنّها ، كما ذكرنا ، عقائد راسخة والسكوت عنها على مضض لن يحقق وحدة بين المسلمين ولا تقارباً ولا تفاهماً ، بل يعمّق الجرح ويوسّع شقّة الخلاف ويطيل أمدّها . ولزيد التوضيح وإقامة الدليل على ما بيّنت ، أذكر بعض مشاهداتي من آثار مسائل الخلاف بين أبناء الأمة الإسلامية في ما يأتي .

- ٢ -

من آثار الخلاف بعض ما شاهدت بين أبناء الأمة الإسلامية

إِعْتَمَدْتُ فِي مَا أَشْرْتُ أَنْفَاءً مِنْ تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضَهُمْ بَعْضاً،
وَمَا سَأَذْكُرُهُ مِنْهَا فِي مَا يَأْتِي، مَعَ أَنْوَاعٍ مِنْ أَسْتِدْلَالِهِمْ، إِضَافَةً إِلَى مَا وَرَدَ فِي
الْكَتَبِ الْمَطْبُوعَةِ، عَلَى مَشَاهِدَاتِي فِي أَسْفَارِي إِلَى الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَاجْتِمَاعِي
بِعُلَمَاءِ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ وَمُفَكِّرِيهِمْ وَأَبْنَاءِ شُعُوبِهِمْ، وَخَاصَّةً فِي سَفَرَاتِي الْعَشْرِ
لِحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

فِي السَّفَرَةِ الْأُولَى:

وَكَانَ مِمَّا رَأَيْتُ فِي سَفَرِي الْأَوَّلِ لِلْحَجِّ عَلَى عَهْدِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
آلِ سَعُودٍ: أَنَّ رَكْبَنَا - رَكْبَ الْحَاجِّ الْعِرَاقِيِّ - عِنْدَمَا بَلَغَ مَدِينَةَ الرِّمَاحِ مِنْ بِلَادِ
الْحُكُومَةِ السَّعُودِيَّةِ، مَكَّثْنَا فِيهَا أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَاعَةً، وَاشْتَرَكْنَا جَمِيعاً فِي آدَاءِ
الْفَرَائِضِ جَمَاعَةً بِمَسْجِدِهِمْ. وَلَمَّا دَنَتْ سَاعَةُ الرِّحِيلِ، أَجْتَمَعَ عَلَيْنَا لَفِيفٌ مِنْ
أَهَالِي الْمَدِينَةِ يَشَاهِدُونَ رَحِيلَنَا، فَحَضَرَ حَشْدُهُمْ مِنْ بَدَا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ مِنْ ذَوِي
مَعْرِفَتِهِمْ، وَخَطَبَ فِيهِمْ وَأَشَارَ إِلَى أَفْرَادِ الْحَاجِّ وَقَالَ:
هَؤُلَاءِ مُشْرِكُونَ. وَقَالَ أَيْضاً: هَؤُلَاءِ يَبْكُونَ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ. ثُمَّ
أَشَارَ إِلَيَّ وَقَالَ:

هذا مطوَّعهم لو يطيح بيدي أذبحوا وأطع دُمُو. فأنبري له أحد الحجاج
وقال:

لماذا نحن مشركون نحن حججنا بيت الله، زرنا قبر النبي . . . ؟! فإذا
به يرعد ويزبد ويقول له:

أشركت، لويجي أبو أبو سعود ما يحامي عنك. ويش محمد؛ محمد
رجلاً مثلي. (أي لا يستطيع الملك بسلطته ولا يستطيع جدّه سعود أن ينجيك
مني. وأي شيء كان محمداً، محمّد كان رجلاً مثلي وقد مات وانتهى أمره).
فارتعد الحاج العراقي وقال:

ماذا أقول ؟ ماذا أقول ؟ فقال له:

قل ما هو ضار إلا الله، ما هو نافع إلا الله. فردّد الحاج ما لقنه إياه.
فأنبري له حاج عراقي آخر وقال له:

محمد رجلاً مثلك ؟! فأكدّ قوله ثانية وقال:

محمد رجلاً مثلي، مات ! فقال له الحاج:

محمّد نزل عليه القرآن فهل ينزل عليك القرآن ؟ فلم يحر جواباً،
وبادرنا ركوب السيّارات وتحركت بنا.

وكان في ركبنا حاجّ يحمل جواز سفر سعوديّاً ويسكن العراق. فلما
بلغنا الحدود وشاهده موظّف الجوازات السعوديّ، أنتهره وقال له مستهزئاً
ومستنكراً:

تترك بلاد الإسلام وتسكن بلاد الشرك ؟!

فأخذ الحاجّ السعودي يتذلل له ويتخشّع له ويطلب جواز سفره، حتّى

أعاده إليه ! !

في السفارة الثانية :

كان علماء العراق يومذاك يحملون همّ إعامة الأحكام الإسلامية إلى المجتمع، يوقظون أبناء الأمة الإسلامية في سبيل المطالبة بها، في مساجدهم وأحتفالاتهم ومهرجاناتهم، ويعارضون السلطة في تشريعها قوانين مخالفة للأحكام الإسلامية. وكنا نتنصم أخبار تحركات المسلمين في هذا السبيل في أي مكان كان، نؤيد ثورة الجزائر على فرنسا ونُدعم الثورة الفلسطينية بكل ما أوتينا من حول وقوة، ونستطلع أخبار الثورة الأريترية على الأحباش، ونرى من لوازم نجاح المعركة في سبيل إعادة الأحكام الإسلامية توعية المسلمين في هذا السبيل ثم تكاتفهم وتعاونهم في هذا الصدد ونسيان مسائل الخلاف في ما بينهم.

ولما نشبت المعركة الإسلامية في إيران بين سلطة الطاغوت وعلماء المسلمين يومذاك بدءاً بمعركتهم من المدرسة الفيزية في الجامعة الإسلامية الكبرى بقم، في اليوم الخامس والعشرين من شوال سنة ١٣٨٢ هـ، استبشرنا بها خيراً، وحشدنا كل طاقاتنا لمساعدتها، وجندنا أنفسنا لخدمتها، فقام علماء العراق بكل ما أوتوا من حول وقوة بتأييدها، جزاهم الله جميعاً خيراً.

وكنّا ممّن أقام الحفلات التأسيسية، وأقمّت ثلاث ليالٍ حفلة تأسيسية كبرى في بغداد، أُلقيت فيها خطب توجيهية توضّح أبعاد المعركة الإسلامية في إيران وآثارها ومغزاها.

في مثل هذا الطرف سافرت إلى الحجّ وأنا أحمل معي شعاراً وأطروحة، شعاري الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين في سبيل إعادة حياة إسلامية في البلاد الإسلامية، وأطروحتي: النهضة الإسلامية المتمثلة بالنهضة الإسلامية التي بدت طلائعها في إيران من قبل علماء المسلمين. وكنت أبذل الجهد في شرح

دوافعها لقادة المسلمين ومفكرهم وأستنهاضهم لمساعدتها وبيان أن معركة المسلمين في سبيل إعادة الأحكام الإسلامية واحدة، وأنه إذا نجحت المعركة في أي بلد إسلامي، فإنه ستتشر آثارها إلى غيرها، ويعمّ المسلمين خيرها، وكلّي أمل ورجاء أنني سوف أجد أذنًا صاغية لما أعرض من مأساة المسلمين في إيران، مع بيان وحدة القضية ووحدة المصير.

اجتمعت في هذه السفرة بقيادة الإخوان المسلمين في سوريا وسعيد رمضان بمكة، ومحمد آدم رئيس الثورة الأريترية، في موقف عرفات، ومثقي الفلسطينيين في الأردن وبيت المقدس ومحرري الصحف الإسلامية وعلماء المسلمين وخطبائهم وقادة الحركات الإسلامية، أمثال أبي الحسن الندوي وأبي الأعلى المودودي رئيس الجماعة الإسلامية بباكستان يومذاك، إلى غيرهم. بدأت عملي في المدينة بالمساهمة في كتابة النشرات التي كانوا يعدّونها للتوزيع على الحجيج، فأجريتُ تعديلات على صيغ النشرات، شرحنا فيها أبعاد النهضة الإسلامية في إيران وبيّنا ظلم حكومة الطاغوت وعمالتها لدول الكفر، نستنهض فيها المسلمين لإعانة أبناء الأمة الإسلامية في إيران، ورجّحت توزيعها ليلة العيد على الحجاج في المشعر الحرام، غير أنني بوغت مساء السابع من ذي الحجة في مكة المكرمة بأن الشيخ المسؤول عن توزيعها وزّع بعضها في الحرم المكي الشريف فألقي القبض عليه وزجّ في السجن وحُجزت النشرات كافة. فاجتمعنا نحن علماء العراق وإيران يوم العيد بوليّ العهد فيصل، يومذاك، نطلب منه إطلاق سراح الموقوف والنشرات المحجوزة، فاغتنمت الفرصة وقلت: إن حكومتكم رفعت شعار تنفيذ أحكام القرآن في هذا البلد، وعليه يقتضي أن تعينوا المسلمين الذين يجاهدون في سبيل تطبيق أحكام القرآن في بلادهم ويصطلمون بحكومات بلادهم الذين يريدون تنفيذ أحكام الكفر، وأن تجعلوا من البلد الحرام ملجأً للمشردين منهم وتساعدوهم في شرح

ظلامتهم لإخوانهم الحجيح ، وذلك هو مصداق قوله تعالى :
﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ .

ثم ذكرت قيام علماء المسلمين في الجامعة الإسلامية الكبرى بقم وأسهب في شرح أبعاد النهضة الإسلامية الطالعة بإيران ، وواجب قادة المسلمين خاصة الحكومة السعودية تجاهها ، وختمت حديثي بشرح قضية العالم الذي وزع نشرات التظلم على المسلمين وتوقيفه ، وجرت حول ذلك بيننا مناقشات ، أدت إلى إطلاق سراح الموقوف .

ونشرت الصحف بعد أداء المناسك ورجوعنا إلى مكة دعوة للحضور في المسجد الهندلي بمكة مساء الجمعة للاستماع إلى خطبة الأستاذ المدودي . فحضرنا الاحتفال بعد صلاة العشاء وألقى الأستاذ المحاضر خطبة^١ ذكر فيها ثمانية أمور تلزم المسلمين لإعادة الحياة الإسلامية إلى المجتمع ، وتقدمت بعده خلف المذيع وخطبت معلقاً على خطابه وقلت :

إن المسلمين في نهضتهم اليوم بحاجة إلى ثلاثة أمور :

أولاً - إن المسلمين بعد مضي أربعة عشر قرناً من بعثة الرسول الأكرم (ص) و الظروف التي مرت عليهم بحاجة إلى دراسة موضوعية مستوعبة لكيفية استنباط الأحكام من مصادر الشريعة الإسلامية ودراية الحديث وفقه السنة وترك البقاء على تقليد العلماء السلف في كل ذلك .

ثانياً - إن الغزاة الكفرة لبلاد الإسلام - المستعمرين - استطاعوا أن يُشَتَّتُوا كلمة المسلمين وبذلك استطاعوا أن يقضوا على كل حركة إسلامية في أي مكان تظهر . ثم شرحت ثورة الجزائر ضد الفرنسيين ، والأريتريين ضد الأحباش ، وعلماء إيران ضد الطاغوت العميل ، وأسهب في الشرح

(١) كان قد أعدّها ليلقيها في ندوات رابطة العالم الإسلامي التي دعني للاشتراك في جلسات تأسيسها ، ولما لم يسمح له بذلك ألّفها في ذلك المسجد .

وَأَسْتَنْهَضْتُ هَمَمَ الْمُسْلِمِينَ لِمُسَاعَدَتِهِمْ .
وَذَكَرْتُ **ثَالِثًا** أَنَّنَا الْيَوْمَ بِحَاجَةٍ إِلَى إِيْمَانِ كَلِيمَانَ أَبِي ذَرٍّ وَعِمَارٍ وَسَمِيَّةَ ،
وَشَرَحْتُ مَا تَحَمَّلُوا مِنَ الْأَذَى عَلَى أَرْضِ مَكَّةَ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ
الْإِسْلَامِ .

* * *

وَفِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بَلَغَ عَمِيدُ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ
خَبَرَ لِقَاءَ أَتَيْ بِالْوُفُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَنَّ أَحَدَ عُلَمَاءِ بَغْدَادٍ مِنْ وَصْفِهِ كَذَا وَكَذَا فِي
الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، فَظَنَنْتِي مِنْ أَتْبَاعِ مَدْرَسَةِ الْخُلَفَاءِ وَرَغِبَ فِي أَنْ أَزُورَ الْجَامِعَةَ
الْإِسْلَامِيَّةَ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ جَدِيدَةً التَّاسِيْسِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْنَا مِنْ سَيَّارَاتِ الْجَامِعَةِ
مَا حَمَلْتَنَا إِلَيْهَا مَعَ بَعْضِ عُلَمَاءِ بَغْدَادٍ وَمُثَقِّفِيهَا وَوَجَهَاةِهَا ، وَكَانَ أَسَاتِذَتَهَا قَدْ
اجْتَمَعُوا فِي بَهْوٍ كَبِيرٍ بَأَنْتِظَارُنَا وَاسْتَقْبَلُونَا فِيهِ وَآحْتَشَدَ عَلَى نَوَافِذِ الْبَهْوِ فَرِيقٌ مِنْ
الطُّلَّابِ لِمُشَاهَدَتِنَا . وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِنَا الْمَقَامُ ، بَدَأَتْ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ
بِتَقْدِيمِ تَحَايَا عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِرَاقِ لَهُمْ وَتَهَانِيهِمْ بِتَأْسِيْسِهِمُ الْجَامِعَةَ
الْإِسْلَامِيَّةَ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ثُمَّ قُلْتُ :

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) لَمَّا حَلَّ بِهَذَا الْبَلَدِ الْمُبَارَكِ بَدَأَ بِعَقْدِ التَّآخِي بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَبَنَى عَلَى ذَلِكَ التَّآخِي مَجْتَمَعَهُ الْإِسْلَامِي
الْمَجِيدَ . وَأَنْتُمْ بِوُجُودِ طَلَبَةٍ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ دَوْلَةً عِنْدَكُمْ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ
تَقْتَدُوا بِهِ وَتَقْدِّمُوا هَذِهِ الْخِدْمَةَ الْجَلِيلَةَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ . وَالْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ
بِأَمْسٍ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا ، فَإِنَّهُمْ فِي شَتَّى أَصْقَاعِ الْأَرْضِ آبَتَلُوا بِالِاسْتِعْمَارِ الْغَازِي
الْكَافِرَ مِنْهُمْ مَنْ يَثْنُ تَحْتَ وَطْأَتِهِ مَبَاشَرَةً ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسِيْطُرُ عَمَلَاؤُهُ عَلَيْهِمْ
وَبَدَأُوا الْيَوْمَ بِجَاهِدُونَ الْاسْتِعْمَارَ وَعَمَلَاءَهُ . فَهَٰذَا الْجَزَائِرُ يَجَاهِدُ مُسْلِمُوها
فَرَنْسَا وَيَجْرِي عَلَيْهِمْ مَا يَجْرِي وَفِي أُرْتِيرِيَا يَجَاهِدُ ثَوَارُها هِيلَاسِيْلَاسِي
إِمْبَرَاطُورُ الْخُبْشَةِ وَيَجْرِي عَلَيْهِمْ مَا يَجْرِي وَعُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ فِي إِيْرَانَ يَجَاهِدُونَ

الطَّاغوت وسَيِّده المستعمر ويكافحون لطرْد أفسى استعمار كافر على وجه الأرض لإعادة الأحكام الإسلامية إلى البلد الإسلامي وجرى عليهم كذا وكذا... .

قلتُ هذا بعد أن أفضتُ في الحديث عن مآسي التفرقة بين المسلمين، وضربت الأمثال لذلك وأتممت الحديث، وجاء دور مضيبي الشيخ بن باز للحديث - وكان قد أنبئ بأنِّي من أتباع مدرسة أهل البيت، وكان ضريراً لا يبصر - فإذا به يتنحى ثم يقول بالحرف الواحد:

أنتم مشركون ! أسلموا، ثمَّ أطلبوا من المسلمين أن يتحدوا معكم .
فثار الهم في عروقي وأشرت معي في نقاش طويل وذكره خارج عن الصدق^٢.

* * *

استمعتُ في سفراتي إلى الحجِّ إلى خطباء الجمعة والجماعة في مكة والمدينة، وأشرت في النقاش أحياناً مع الخطباء بين صلاتي المغرب والعشاء بمسجد الخيف، وحضرت ندوات رابطة العالم الإسلامي بمكة مستمعاً واجتمعت في أسفاري بعلماء مصر وخاصة الأزهر الشريف وسائر بلاد المسلمين في لبنان وبلاد الخليج والهند وباكستان وكشمير وغيرها وطارحتهم الحديث. وسمعت أحياناً ما لا يصلح نقله اليوم وأدركت من خلال مطارحاتي مع مفكّري المسلمين وعلماهم وقادتهم - ولا ينبئك مثل خبير - أنه لن يتحقّق أيّ تقارب أو تفاهم بين المسلمين دون تدارس مسائل الخلاف والبحث عن منشئها ثم المبادرة إلى علاجها . وإذا كان لا بدّ لنا من معرفة منشأ

(٢) إننا أشرت إلى أحاديثي في هذه السّفرة ليعلم مدى إخلاصي للشعار الذي كنت أرفعه والأطروحة التي كنت أطرحها، وأحياناً كان الالم يعصر قلبي حين التحدّث والدمع ينحدر من عيني، وإذا بي أجابه تلك المجابهة الفظة من ذلك الشيخ .

الخلاف في مسائل الخلاف من أجل علاجها، فسنذكر في ما يأتي أمثلة منها،
ثم نختم البحوث بما ينبغي أن نعمله في سبيل علاج مسائل الخلاف بحوله
تعالى.
ونبدأ بذكر مسائل الخلاف حول بعض صفات الله عزّ اسمه.

- ٣ -

بعض صفات الله جل اسمه و منشأ الخلاف حولها

في المسلمين من يرى أن الله:

خلق آدم على صورته^١، وأن له أصابع^٢ وساقاً^٣ وقدماً.
وأنه يضع قدمه يوم القيامة على نار جهنم أو على جهنم فتقول: قط،
قط، قط.

- (١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام.
وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير،
ح ٢٨، وكتاب البر، باب النهي عن ضرب الوجه، ح ١١٥. ومسند أحمد ٢/٢٣٤ و ٢٥١،
و ٣٢٣ و ٣٦٥ و ٣٢٤ و ٤٦٢ و ٥٦٩.
- (٢) صحيح البخاري، تفسير سورة الزمر ٢/١٢٢. وكتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿لما
خلقت بيدي﴾ ١٨٦/٢ و باب ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ ١٩٢/٢. وصحيح مسلم، كتاب صفة
القيامة والجنة والنار، ح ١٩، ٢١، ٢٢.
- (٣) صحيح البخاري، تفسير قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ من سورة ن والقلم،
الآية ٤٣ وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ ١٨٩/٢.
- (٤) صحيح البخاري، تفسير سورة ق، وكتاب التوحيد، باب ﴿إن رحمة الله قريب من
المحسنين﴾ ١٩١/٢. والترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار.
وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها
الضعفاء، ح ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨.

وأن له مكاناً، وأنه ينتقل من مكان إلى مكان، وذلك لما رووا أن رسول الله قال:

كان ربنا قبل أن يخلق خلقه في عماء - أي ليس معه شيء - ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وما ثم خلق. عرشه على الماء.^٥
وأنه قال:

إن عرشه على سماواته كهكذا - وقال بأصابعه مثل القبة عليه - وإنه ليضط به أطيظ الرحل بالراكب.^٦

وأنه قال: ينزل الله في آخر الليل إلى السماء الدنيا فيقول: من يسألني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه...^٧
وأنه قال: ينزل في ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر...^٨

(٥) سنن أبين ماجة، المقدمة، باب في ما أنكرت الجهمية، ح ١٨٢. وسنن الترمذي، تفسير سورة هود، الحديث الأول وفيه: العماء - أي ليس معه شيء. ومسند أحمد ١١/٤ و ١٢.
(٦) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، ح ٤٧٢٦. وسنن أبين ماجة، المقدمة، باب في ما أنكرت الجهمية. وسنن الدارمي، كتاب الرقائق، باب في شأن الساعة ونزول الرب تعالى.

وراجع كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦ هـ) ومنهاج السنة لابن تيمية.
(٧) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، وكتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾. وكتاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل. وصحيح مسلم، كتاب الدعاء، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل. وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الرد على الجهمية، ح ٤٧٣٣. وسنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة، ٢/٢٣٣ و ٢٣٥. وكتاب الدعوات، باب حدثني الأنصاري، ١٣/٣٠. وسنن أبين ماجة، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل، ح ١٣٦٦. وسنن الدارمي، كتاب الصلاة، باب ينزل الله إلى السماء الدنيا. وموطأ مالك، كتاب القرآن، باب ٣٠. ومسند أحمد ٢/٢٦٤، ٢٦٧، ٢٨٢، ٤١٩، ٤٣٣، ٤٨٧، ٥٠٤، ٥٢١، ٣/٣٤ و ١٦/٤

(٨) سنن الترمذي، أبواب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان. وسنن أبين ماجة،

وأنه قال عن يوم القيامة:
يقال لجهنم: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الربّ
تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قطّ قطّ.
وفي رواية:
فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قطّ قطّ. فهناك تمتلئ
ويزوى بعضها إلى بعض^١.

حول رؤيته:
رووا أن رسول الله (ص) يرى ربه يوم القيامة. فقد قال (ص): يأتيني
المؤمنون للشفاعة بعد إباء الأنبياء من الشفاعة. فأنطلق فاستئذن على ربي،
فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً... إلى قوله: - ثم أشفع فيحد لي
حداً فأدخلهم الجنة، ثم أرجع، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً - الحديث^١.
وأنه قال:
إن الله تبارك وتعالى ينزل يوم القيامة إلى العباد ليقيضي بينهم^١.
وأنه قال:

→
كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان. ومسنند أحمد ٢/٤٣٣.
٩) كلنا الروایتين عن الصحابي أبي هريرة في تفسير سورة ق من صحيح البخاري ١٢٨/٣،
وفي باب ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ من كتاب التوحيد منه، ١٩١/٤.
وعن أنس حديث القدم في باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ سُبْحَانَ رَبِّكَ...﴾
من كتاب التوحيد منه، ١٢٩/٤.
وراجع سنن الترمذي، كتاب الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار، ٢٩/١٠.
ومسنند أحمد ٢/٣٩٦.
١٠) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي﴾ ١٨٥/٤
وفي باب قول الله تعالى: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ بتفصيل أوفى، راجع ١٩٠/٤ منه.
١١) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة ٢٢٩/٩.

إنكم سترون ربكم عياناً^{١٢}.

وإن المسلمين يرون ربهم يوم القيامة كما يرون القمر لا يضامون في رؤيته^{١٣}.

وإن الله يقول يومئذ:

من كان يعبد شيئاً فليتبّع. فمنهم من يتبّع الشمس ومنهم من يتبّع القمر، ومنهم من يتبّع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه...^{١٤}

وفي رواية:

حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: ... نحن نتنظر ربنا الذي نعبد. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً... فيقول: هل بينكم وبينه علامة فتعرفونه بها؟ فيقولون: الساق. فيكشف عن ساق (ثم يسجدون)^{١٥} ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل في صورته التي رأوه فيها أوّل مرّة، فقال: أنا

(١٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ١٨٨/٤.

(١٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾. وكتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر، وباب وقت العشاء إلى نصف الليل، وكتاب التفسير، باب سورة ق. وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما. والترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الربّ تبارك وتعالى، ١٨/١٠ و ٢٠.

(١٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية. وصحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ١٨٨/٤، وراجع تفسير سورة: ق منه.

(١٥) ما بين القوسين ملخص من لفظ الحديث في السجدة.

رَبِّكُمْ . فيقولون : أنت ربنا^{١٦} .

في الجنة

وأنه قال عن المؤمنين في الجنة :

ما بينهم وما بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن^{١٧} .

وأن أهل الجنة إذا دخلوها يقول الله تبارك وتعالى :

تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل^{١٨} .

وأن رسول الله (ص) قال :

بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ ، فإذا الرَّبُّ قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة !! قال : وذلك قول الله : ﴿ سلامٌ قولاً من ربِّ رحيم ﴾ . قال : فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ، ما داموا ينظرون إليه ، حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته^{١٩} .

١٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ، ح ٢٢٩ ، واللفظ منه . وصحيح البخاري في تفسير سورة النساء ، باب قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ ٨٠/٣ ، واللفظ فيه مختصر ، وكذلك في كتاب التوحيد منه ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ ١٨٩/٢ . لو تفضل الراءون ربهم ووصفوا لنا صورة ربهم التي رأوه عليها وساقه التي هي علامة بينهم وبين ربهم لكان ذلك فضلاً منهم كبيراً يشكرون عليه ويحمدون .

١٧) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ ١٩١/٢ . وفي صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ، ح ٢٩٦ .

١٨) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ، ح ٢٩٧ .

١٩) سنن أبن ماجه ، كتاب المقدمة ، باب في ما أنكرت الجهمية ، ح ١٨٤ .

وأنه قال:

... أكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيًا. ثم قرأ رسول الله (ص): ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَازِرَةٌ﴾^{٢٠}.
وأن رسول الله (ص) أخبر وقال: إن أهل الجنة يزورون الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله عز وجل محاضرة حتى أنه يقول للرجل منكم ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا؟ فيقول:

يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول:

بلى... ثم ننصرف إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا فيقلن:
أهلاً ومرحباً، لقد جئت وإن بك من الجمال والنور والطيب أفضل
فارقتنا عليه. فنقول:

إنا جالسنا اليوم ربنا عز وجل ويحقنا أن ننقلب بمثل ما أنقلبنا^{٢١}.

* * *

نكتفي بإيراد ما أوردنا من الأحاديث الكثيرة الوفيرة في صفات أعداء الله ورؤية العباد ربهم يوم القيامة، لأننا بصدد ضرب المثل لبيان الخلاف، ولسنا بصدد الإحصاء. وندرس في ما يأتي الخلاف حول هذه الأحاديث.

الخلاف على تأويل تلکم الأحاديث

في المسلمين من يؤمن بظواهر تلکم الأحاديث ويرى الإيمان به

(٢٠) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب رؤية الرب، ١٨/١٠ - ١٩.

(٢١) سنن أبين ماجة، كتاب الزهد، باب صفة أهل الجنة، ح ٤٣٣٦، ص ١٤٥١ -

وسنن الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة، ١٦/١٠ - ١٧.

باللّٰه ودليلاً على القول بتوحيده تعالى، ويسمّون من يؤوّلها إلى غير معنى الجسميّة بمعطلة الصفات، أي معطلة صفات اللّٰه .

وقد دوّن مسلم تلك الأحاديث في كتاب الإيمان من صحيحه والبخاري في كتاب التوحيد من صحيحه .

وألف ابن خزيمة كتاباً سمّاه : (التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّ وجلّ التي وصف بها نفسه في تنزيله وعلى لسان نبيّه، نقل الأخبار الصحيحة نقل العدل عن العدل من غير قطع في إسناد ولا جرح في ناقل الأخبار الثقات)^{٢٢} .

وهذا فهرس بعض أبواب الكتاب كما جاء في آخره :

أبواب كتاب ابن خزيمة

إثبات النفس للّٰه

إثبات الوجه للّٰه

باب ذكر صورة ربّنا جلّ وعلا

باب ذكر إثبات العين للّٰه جلّ وعلا

باب إثبات السّماع والرؤية للّٰه جلّ وعلا

باب إثبات اليد للمخالق البارئ جلّ وعلا

باب ذكر إثبات الرّجل للّٰه عزّ وجلّ

باب ذكر البيان أنّ اللّٰه عزّ وجلّ ينظر إليه جميع المؤمنين

باب ذكر البيان أن جميع المؤمنين يرون اللّٰه يوم القيامة مخلّياً به

(٢٢) هو الحافظ الكبير إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت : ٣١١ هـ) أستاذ البخاري ومسلم في الحديث، طبع الكتاب سنة ١٣٧٨ هـ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بميدان الأزهر في القاهرة. راجع ترجمة المؤلّف في مقدمة الكتاب .

وَأَلَّفَ الإمام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي (ت: ٢٨٠ هـ) كتاب:
الردّ على الجهميّة، ومن أبوابه:
باب استواء الرّبّ على العرش وارتفاعه إلى السماء وبينوته من الخلق
باب النزول ليلة النصف من شعبان
باب النزول يوم عرفة
باب نزول الرّبّ يوم القيامة للحساب
باب نزول الله لأهل الجنة
باب الرؤية^{٣٣}.

وَأَلَّفَ الذهبي كتاب (العلوّ العال للعلّيّ الغفار)^{٣٤} أورد فيه الآيات
والأحاديث التي يفهمون منها أنّ مكان الله في العلوّ المكاني، ثم ذكر أقوال
الصّحابة والتابعين والعلماء والمحدّثين في تأييد ذلك.

منشأ الخلاف حول بعض صفات الله ورؤيته

في المسلمين من درسنا آراءهم في صفات الله المذكورة. وفيهم من يتلو
في ردّ تلّكم الأقوال قول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾
الأنعام/١٠٣.

ويقول: إنّ قول الله: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاضِرًا إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرًا﴾، أي: إلى
أمر ربّها ناطرة، أي: منتظرة، وذلك مثل قوله تعالى في حكاية قول أولاد يعقوب
لأبيهم: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يوسف/٨٢. أي: وأسأل أهل

(٢٣) ط. ليدن، سنة ١٩٦٠ م.

(٢٤) الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّاز الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)،
نشر المكتبة السلفية في المدينة المنورة، باب الرحمة، ط: الثانية، سنة ١٣٨٨ هـ.

القرية، قدّر في تلك الآية (أمر) وفي هذه الآية (أهل)، وهكذا تؤوّل سائر الآيات التي ظاهرها يدلّ على أنّ الله تبارك وتعالى جسم. ويسمّون أهل تلك الأقوال بالمجسّمة والمشبّهة أي الذين يشبّهون ربّهم بمخلوقاته ويقولون إنه جسم.

ويروون عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) أنّه قال: من زعم أنّ الله فوق العرش فقد صيّر الله محمولاً ولزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوى منه. ومن زعم أنّ الله في شيء، أو على شيء، أو يخلو منه شيء، أو يشغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين؛ والله خالق كلّ شيء، لا يقاس بالقياس، ولا يشبه بالناس، لا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان^{٢٥}.

ويستشهدون بقول الإمام علي (ع): إنّ الله لا ينزل، ولا يحتاج أن ينزل؛ وإنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص وزيادة، وكلّ متحرّك يحتاج إلى من يحركه أو يتحرّك به، فأحذروا في صفاته من أن تقضوا له على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرّك، أو زوال أو استئزال، أو نهوض أو قعود^{٢٦}.

وقال الراوي للإمام عليّ بن موسى الرضا (ع):

(٢٥) الكافي، الجزء الأول، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي، ح ٧، وباب الحركة والانتقال، ح ٣ و ٩. والتوحيد للشيخ الصدوق، باب نفى المكان والزمان والحركة عنه تعالى، ح ٩ و ١٠ و ١٢، وباب ﴿وكانَ عرشُهُ على الماء﴾ ح ١١، وباب معنى ﴿الرحمنُ على العرشِ استوى﴾ ح ٥ و ٦ و ٧ و ٨. البحار للمجلسي، ط. الجديدة، كتاب التوحيد، باب نفى الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد، ح ٢٣، ٨٧/٣.

(٢٦) الكافي، كتاب التوحيد، باب الحركة والانتقال، ح ١. والتوحيد للصدوق، باب نفى المكان والزمان والحركة عنه تعالى، ح ١٨. والبحار للمجلسي، كتاب التوحيد، باب نفى الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى ح ٢٥، ٣١١/٣.

إنّا روينا أنّ الله عز وجلّ قسّم لموسى الكلام ولمحمد الرؤية. فقال أبو الحسن الرضا (ع): فمن المبلّغ عن الله عز وجلّ إلى الثقلين الجنّ والإنس: ﴿ لا تُدرکه الأبصار وهو يُدرک الأبصار ﴾ ولا يُحيطون به علماً ﴿ ليسَ كمثلِ شيءٍ ﴾ أليس محمداً (ص)؟ قال: بلى، قال: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله ويقول: ﴿ لا تُدرکه الأبصار. . . ﴾ - الآيات، ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر؟! أما تستحقون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون يأتي عن الله بشيء ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر.

قال الراوى: فإنّنه يقول: ﴿ ولقد رآه نزلةً أخرى ﴾ فقال أبو الحسن (ع): إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال: ﴿ ما كذب الفؤادُ ما رأى ﴾ يقول: ما كذب فؤاد محمد (ص) ما رأت عيناه. ثمّ أخبر بها رأى فقال: ﴿ لقد رأى من آيات ربّه الكُبرى ﴾ فأيات الله عز وجلّ غير الله، وقد قال: ﴿ ولا يُحيطونَ بهِ علماً ﴾ فإذا رآته الأبصار، فقد أحاطت به العلم، ووقعت المعرفة. فقال أبوقرّة: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن (ع): إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبت بها. . . ٢٧.

* * *

وهكذا بين أئمة أهل البيت (ع) تفسير الآيات التي فيها شبهة رؤية الله وتجسيمه، وكشفوا عن المقصود من الساق واليد والعرش ونظائرها في

٢٧) توحيد الصدوق، ط. طهران سنة ١٣٨٧ هـ، ص ١١١-١١٢. وأحاطت به العلم، أي: أحاطت به الأبصار علماً، وقد أوردنا الحديث موجزاً. والبحار، كتاب التوحيد، باب نفى الرؤية وتأويل الآيات، ح ١٤، ٣١/٤. والكافي، كتاب التوحيد، باب في إبطال الرؤية ح ٢

الآيات الكريمة ، وأنَّ الله خلق آدم على صورته في الحديث^{٢٨} وتركنا إيرادها لأننا لسنا بصدد إيراد أدلة المدرستين واستقصاء أدلتها في ما آرتأيا، بل أردنا أن نورد أمثلة مما ورد من الأحاديث المتعارضة في صفات الله لدى المدرستين، وأنَّ أحاديث كلِّ مدرسة تؤوّل آيات القرآن بآتجاهها الخاصّ، وأنّه هكذا نشأ الخلاف حول صفات الله.

ثمّ ندرس في ما يأتي منشأ الخلاف في بعض صفات الأنبياء بحوله تعالى.

(٢٨) يراجع بشأن صفات الله كتب: الكافي للشيخ الكليني، كتاب التوحيد. والتوحيد للشيخ الصدوق. وعميون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، الباب رقم: ١١، ما جاء عن الرضا من الأخبار في التوحيد.

- ٤ -

الخلافا في صفات الأنبياء وما خصّهم الله بها و منشؤها

يرى البعض حول صفات الأنبياء :
أنّ التبرّك بآثار الأنبياء و أخذ قبورهم محلاً للعبادة شرك .
و أنّ البناء على قبورهم في حدّ الشرك .
و أنّ الاحتفال بأيّام مواليدهم و مواليد الأولياء معصية و بدعة محرّمة .
و أنّ التوسّل إلى الله بغيره في حدّ الشرك ، و الاستشفاع برسول
الله (ص) بعد وفاته مخالف للشرع الإسلامي .
و يستدلّ مخالفوهم بما يأتي :

أ - التبرّك بآثار الأنبياء
يستدلّون على مشروعيّة التبرّك بآثار الأنبياء بما تواتر نقله في جميع كتب
الحديث أنّ الصّحابة تبرّكوا برسول الله (ص) و آثاره في حياة الرسول (ص)
بمباشرة ، و دعوته بذلك ، و تبرّكوا - أيضاً - بآثاره بعد وفاته ، و في ما يأتي
بعض ما يستدلّون به :

التبرك ببصاق النبي (ص)

في صحيح البخاري عن سهل بن سعد في باب ما قيل في لواء النبي (ص) من كتاب المغازي^١: إن رسول الله (ص) قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (ص) كلهم يرجون أن يعطاها فقال: أين علي؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. فأرسل فأتي به . . . ولفظه في كتاب الجهاد والسير^٢: فأمر فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء . . . الحديث.

وفي لفظ سلمة بن الأكوع بصحيح مسلم:

قال: فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله (ص) فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية - الحديث^٣.

التبرك بوضوء النبي (ص)

في صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله (ص) وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه. فأتني رسول

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٣٥/٣. وكتاب الجهاد والسير، الباب رقم: ١٠٢، ١٠٨/٢، وباب ما قيل في لواء النبي، ١١١/٢، وباب فضل من أسلم على يديه رجل، ١١٥/٢. وكتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب علي بن أبي طالب، ١٩٩/٢. وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (رض)، ح ٣٢ و ٣٤، وباب غزوة ذي قرد وغيرها، ح ١٣٢. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب، ١٧٢/١٣.

(٢) صحيح البخاري، باب دعاء النبي إلى الإسلام، ١٠٧/٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، ح ١٣٢.

اللَّهِ (ص) بوضوء فوضع رسول الله في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضَّأوا منه . فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضَّأوا من عند آخرهم^٤.

وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله أنه قال:

قد رأيته مع النبي (ص) وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة، فجعل في إناء فأتى النبي (ص) به، فأدخل يده فيه وفرَّج أصابعه ثم قال: حيَّ على أهل الوضوء، البركة من الله. فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه، فتوضَّأ الناس وشربوا. فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه فعلمت أنه بركة - فقيل لجابر: - كم كنتم يومئذ؟ قال: ألفاً وأربعمائة. وفي رواية: خمس عشر مائة^٥.

التبرُّك بنخامة النبي (ص)

روى البخاري في صلح الحديبية عن عروة بن مسعود قال عن رسول الله (ص) وأصحابه:

والله ما تنخَّم رسول الله (ص) نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلَّك بها وجهه وجلده، وأنه إذا توضَّأ كادوا يقتتلون على وضوئه^٦.

التبرُّك بشعر النبي (ص)

روى مسلم في صحيحه: أن رسول الله (ص) أتى منى وحلق رأسه

٤) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، ٣١/١.

٥) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، ٢١٩/٣. وسنن النسائي، كتاب الطهارة، باب الوضوء من الإناء ٢٥/١. ومسند أحمد ٤٠٢/١. وسنن الدارمي عن عبد الله بن عمر، المقدمة، باب ما أكرم الله النبي (ص) من تفجير الماء من بين أصابعه، ١٥/١.

٦) صحيح البخاري كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ٨٢/٢، وكتاب الوضوء منه، باب البزاق والمخاط ونحوه... ٣٨/١، وباب استعمال فضل وضوء الناس... ٣٣/١. ومسند أحمد ٣٢٩/٤، ٣٣٠.

بعد أن رمى ونحر، (ثم جعل يعطيه الناس).
وفي رواية أخرى: أنه دعا الخالق فحلقة فأعطاه أبا طلحة فقال: أقسمه
بين الناس.^٧

وروي أيضاً عن أنس قال:
لقد رأيت رسول الله (ص) والخلق يحلقه وأطاف به أصحابه. فما
يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل.^٨
وفي ترجمة خالد بأسد الغابة: أن خالد بن الوليد كان له الأثر المشهور
في قتال الفرس والروم، وافتتح دمشق، وكان في قلنسوته التي يقاتل بها شعر
من شعر رسول الله (ص) يستنصر به وبركته، فلا يزال منصوراً.
وفي ترجمته - أيضاً - بأسد الغابة والإصابة ومستدرک الحاكم - واللفظ
له :-

أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: أطلبوها. فلم
يجدوها. ثم طلبوها فوجدوها، وإذا قلنسوة خلقة، فقال خالد: إهتتم رسول
الله (ص) فحلق رأسه وأبتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته
فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النصر.^٩

٧) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق،
والابتداء في الخلق بالجانب الأيمن من رأس المخلوق، ح ٣٢٣ و ٣٢٦.
وراجع ح ٣٢٤ و ٣٢٥ منه في سنن أبي داود بكتاب المناسك، باب الخلق والتقصير
ح ١٩٨١، ٢٠٣/٢. وطبقات ابن سعد ١/١٣٥. ومسند أحمد ٣/١١١ و ١٣٣ و ١٣٧
و ١٤٦ و ٢٠٨ و ٢١٤ و ٢٣٩ و ٢٥٦ و ٢٨٧، و ٤٢/٤. ومغازي الواقدي ص ٤٢٩.
٨) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب قرب النبي (ص) من الناس وتبركهم به، ح ٧٤
ص ١٨١٢.

٩) المستدرک للحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد، ٣/٢٩٩. واللفظ
له وبترجمة خالد في أسد الغابة والإصابة. وموجز الخبر بمنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد
١٧٨/٥. وتاريخ ابن كثير ٧/١١٣.

وروى البخاري : أنه كان عند أم سلمة زوج النبي (ص) شيء من شعر النبي فإذا أصاب إنساناً عين أرسلوا إليها قدحاً من الماء تغمس الشعر فيه ، فيداوى من أصيب^{١٠} .

وفي صحيح البخاري وغيره :
قال عبيدة : لأن تكون عندي شعرة منه - أي النبي (ص) - أحب إليّ من الدنيا وما فيها^{١١} .

التبرّك بسهم النبي (ص)
روى البخاري في صلح الحديبية وقال :
نزل الرسول (ص) بجيشه في أقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرّضه الناس تبرّضاً ، فلم يلبسه الناس حتّى نزحوه وشكوا إلى رسول الله (ص) العطش ، فأنزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما يزال يجيش لهم بالريّ حتّى صدروا عنه^{١٢} .

التبرّك بموضع كفّ النبي (ص)
في ترجمة حنظلة من الإصابة و مسند أحمد ما موجهه :
قال حنظلة : دنا بي جدّي إلى النبي (ص) فقال :
إنّ لي بنين ذوي لحى ودون ذلك ، وإنّ ذا أصغرهم ، فادع الله له .

(١٠) أوردناه ملخصاً من صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب ما يذكر في انشيب ، ٢٧/٤ .
(١١) طبقات ابن سعد ٦٣/٦ . وصحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان ، ٣١/١ .

(١٢) صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، ٨١/٢ . وراجع كتاب المغازي منه ، باب غزوة الحديبية ، وراجع طبقات ابن سعد ٢٩/٣ ، وباب ذكر علامات بعد نزول الوحي ١/١ ق ١١٨/١ ، ومغازي الواقدي ص ٢٤٧ .

فمسح رأسه وقال :

بارك الله فيك أو بورك فيه . قال الراوي :

فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم وجهه أو البهيمة الوارمة الضرع فيتفل على يديه ويقول : بأسم الله ، ويضع يده على رأسه ويقول : على موضع كفّ رسول الله (ص) . فيمسحه عليه .
وقال الراوي : فيذهب الورم^{١٣} .

وفي لفظ الإصابة :

ويقول : بأسم الله ، ويضع يده على رأسه موضع كفّ رسول الله (ص) ، فيمسحه عليه . ثم يمسح موضع الورم ، فيذهب الورم .

* * *

كان أنتشار البركة من رسول الله (ص) إلى من حوله كآنتشار الضوء من الشمس والشمس من الزهر ، لا ينفك عنه أينما حلّ ، في صغره وكبره ، سفره وحضره ، ليله ونهاره ، سواء أكان في خباء حليلة السعدية رضيهاً ، أم في سفره إلى الشام تاجراً ، أم في خيمة أمّ معبد مهاجراً ، أم في المدينة قائداً وحاكماً . وما أوردناه أمثلة من أنواعها وليس من باب الإحصاء ، فإنّ إحصاءها لا يتيسر للباحث ، وفي ما أوردناه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وندرس بعد هذا فيما يأتي مسألة الاستشفاع برسول الله (ص) ثم ندرس منشأ الخلاف في جملة ميّزات رسول الله (ص) على سائر الناس إن شاء الله تعالى .

(١٣) مسند أحمد ٥/٦٨ ، وتفصيله بترجمة حنظلة بن حليم بن حنيفة التميمي في الإصابة وفي لفظه ، وأورد الخبر أيضاً بأسناد أخرى .

ب - الاستشفاع برسول الله (ص)

يستدلّ القائلون بمشروعية التوسّل برسول الله (ص) والاستشفاع به في كلّ زمان ، بأنّ ذلك وقع برضاً من الله قبل أن يخلق النبيّ (ص) وفي حياته وبعد وفاته ، وكذلك يقع يوم القيامة . وفي ما يأتي الدليل على ذلك :

أولاً - التوسّل بالنبيّ (ص) قبل أن يخلق

روى جماعة منهم الحاكم في المستدرک ، من حديث عمر بن الخطاب (رض) أنّ آدم لمّا اقترف الخطيئة قال :

يا ربّ أسألك بحقّ محمّد لمّا غفرت لي . فقال الله :

يا آدم وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه ؟ قال :

يا ربّ لأنك لمّا خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : « لا إله إلّا الله محمّد رسول الله » فعلمت أنّك لم تضيف إلى اسمك إلّا أحبّ الخلق إليك . فقال الله : صدقت يا آدم ، إنّه لأحبّ الخلق إليّ ، أدعني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمّد ما خلقتك .

وذكره الطبراني وزاد فيه : « وهو آخر الأنبياء من ذرّيتك »^{١٤}.

وأخرج المحدثون والمفسّرون في تفسير الآية : ﴿ ولَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة / ٨٩ : أنّ اليهود من أهل المدينة وخيبر إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من الأوس والخزرج

(١٤) مستدرک الحاكم، كتاب التاريخ في آخر كتاب البحث، ٦١٥/٢، ومجمع الزوائد ٢٥٣/٨ وتحقيق النصرة للمراغي (ت: ٨١٦ هـ)، ص ١١٣-١١٤ . وهو الذي نقله عن الطبراني .

وغيرها قبل أن يبعث النبي ، كانوا يستنصرون به عليهم ، ويستفتحون لما يجدون ذكره في التوراة ، فيدعون على الذين كفروا ويقولون : (اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إنا نصرتنا عليهم) أو يقولون : (اللهم ربنا أنصرنا عليهم بأسم نبيك . . .)^{١٥} فينصرون . فلما جاءهم كتاب من عند الله وهو القرآن مصدق لما معهم ، وهو التوراة والإنجيل ، وجاءهم ما عرفوا ، وهو محمد (ص) ولم يشكوا فيه ، كفروا به ، لأنه لم يكن من بني إسرائيل^{١٦} .

ثانياً - التوصل بالنبي (ص) في حياته

روى أحمد بن حنبل والترمذي وأبن ماجة والبيهقي عن عثمان بن حنيف : أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي (ص) فقال : ادع الله أن يعافيني . قال : إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك . قال : فأدعه . قال :

فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء :
«اللهم إني أسالك وأتوجه بنبيك محمد نبي الرحمة . يا محمد ، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضي لي . اللهم شفعه في»^{١٧} . صححه

(١٥) يظهر من الروايات أنهم كانوا يدعون بأمثال هذه الأدعية مما فيه التوصل بالنبي (ص) إلى الله جل أسمه .

(١٦) تواترت الروايات بالمضمون الذي أوردناه في كل من :

دلائل النبوة للبيهقي ص ٣٤٣ - ٣٤٥ . وتفسير الآية ٨٩ من سورة البقرة بتفسير محمد بن جرير الطبري ١/ ٣٢٤ - ٣٢٨ . وتفسير النيسابوري بهامشه ١/ ٣٣٣ . والحاكم بتفسير الآية ٨٩ من سورة البقرة من كتاب التفسير بمستدركه ٤/ ٢٦٣ . وتفسير السيوطي عن دلائل النبوة لأبي نعيم . وتفسير محمد بن عبد حميد . وتفسير أبي محمد عبد الرحمن بن أبي ، حاتم بن إدريس الرازي . وتفسير أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت : ٣١٠ هـ) .

(١٧) مسند أحمد ٤/ ١٣٨ . وسنن الترمذي ، كتاب الدعوات ١٣/ ٨٠ - ٨١ . وسنن أبين

البيهقي والترمذي .

ثالثاً - التوسّل بالنبيّ (ص) بعد وفاته

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عثمان بن حنيف :
 أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفّان (رض) في حاجة له ، فكان
 لا يلتفت إليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي ابن حنيف فشكا إليه ذلك . فقال
 عثمان بن حنيف : أتت الميضاة فتوضّأ ، ثمّ أتت المسجد فصلّ ركعتين ، ثمّ
 قل :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (ص) نَبِيِّ الرَّحْمَةِ .
 يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فَتَقْضِي حَاجَتِي » . وتذكر حاجتك .
 فأنطلق الرجل فصنع ما قال له . ثمّ أتى باب عثمان بن عفّان ، فجاءه
 البوّاب ، فأخذ بيده . فأدخله على عثمان ، فأجلسه معه على الطنفسة فقال :
 ما حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له . ثمّ قال له : ما ذكرت حاجتك حتّى
 كانت الساعة . وقال : ما كان لك من حاجة فأذكره^{١٨}

الاستشفاع بالعبّاس عمّ النبيّ (ص)

في صحيح البخاري : أنّ عمر بن الخطّاب (رض) كان إذا قحطوا
 استسقى بالعبّاس بن عبد المطلب فقال :



ماجة ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في صلاة الحاجة ح ١٣٨٥ ص ٤٤١ . وابن
 الأثير بسنده بترجمة عثمان بن حنيف من أسد الغابة . والبيهقي برواية صاحب كتاب تحقيق
 النصرة عنه . تحقيق النصرة ص ١١٤ .
 وأوردنا لفظ إمام الخنابلة أحمد لأن المنكرين للشفاعاة من أتباع الشيخين : ابن تيمية وابن
 عبد الوهاب هم من أتباع ابن حنبل .
 (١٨) تحقيق النصرة ص ١١٤ - ١١٥ ، رواه عن الطبراني في معجمه الكبير .

اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا
فأسقنا . قال : فيسقون^{١٩} .
كان الاستشفاع بالعباس لأنه عم رسول الله (ص) وليس لصفة أخرى
فيه .

* * *

مع وجود هذه الأحاديث من سنة الرسول (ص) لا ينبغي أن يكون ثمت
خلاف في مسألة صفات الأنبياء ، وخاصة خاتم الرسل ، المذكورة
وما فضلهم الله بها وخصهم على سائر الناس . وسنذكر في ما يأتي بعض
ما نراه سبباً للخلاف في صفات خاتم الرسل خاصة .

منشأ الخلاف حول صفات رسول الله (ص)
مع صراحة النصوص المتواترة المذكورة آنفاً حول بعض صفات الأنبياء ،
كيف نشأ الخلاف حولها ؟

الجواب أننا إذا أنعمنا النظر في روايات جمّة أخرى رويت في انتقاص
شأن الأنبياء ، وانتشرت في كتب الحديث ، واللاتي تنزل منزلة الأنبياء عن
مستوى سائر الناس ، وجدنا أنها هي التي تكون للمعتقد بصحتها رؤية خاصة
تناقض محتوى الأحاديث الأنفة . ولثلاً يطول بنا المقام ، نكتفي في ما يأتي
بالإشارة إلى بعض ما روي بشأن خاتم الأنبياء وأفضل المرسلين (ص) ففيه
كفاية لمن أراد أن يتدبر ويتبصر . منها :

١ - مارواه البخاري في صحيحه وقال :

إن رسول الله (ص) قبل أن ينزل عليه الوحي قدّم إلى زيد بن عمرو بن

(١٩) صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا .
وكتاب فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب العباس بن عبد المطلب ، ٢/٢٠٠ و ١/١٢٤ .
وسنن البيهقي ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الاستسقاء بمن ترجى بركة دعائه ، ٣/٣٥٢ .

نفيل سفرة فيها لحم ، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال : إني لا آكل إلا بما ذكر
أسم الله عليه^{٢٠} .

إذا فإن زيدا كان في الجاهلية أفضل من رسول الله يتجنب من أمر
الجاهلية ما لا يتجنبه رسول الله (ص) .

٢- روى البخاري ومسلم :

أن رسول الله (ص) لما جاءه جبرائيل بآيات : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي
خلق - إلى قوله - علم بالقلم ﴾ رجع النبي (ص) إلى بيته ترجف بوادره ، وقال
لخديجة : إني خشيت على نفسي . فقالت له خديجة : أبشر ، كلا فوالله
لا يخزيك الله أبداً . وأنطلقت به إلى ورقة بن نوفل ، وكان أمراً تنصر في
الجاهلية ، فأخبره رسول الله (ص) خبر ما رآه . فقال ورقة : هذا الناموس
الذي أنزل على موسى - الحديث^{٢١} .

إذا فإن ورقة النصراني كان أدري بالسوحي وجبرائيل من رسول
الله (ص) الذي خطب بالسوحي ، ومن كلام ورقة أطمأن النبي (ص)
بمصيره ، وإلا فإنه كان يريد أن يلقي بنفسه من حلق من جبل ، بحسب ما رواه
أبن سعد في طبقاته ، وقال الطبري : إن رسول الله (ص) قال : إن الأبعد

٢٠ البخاري ، كتاب الذبائح ، باب ما ذبح على النصب والأصنام ، ٣/٢٠٧ . ومسنند أحمد
٢/٦٩ و ٨٦ . وزيد بن عمرو بن نفيل كان أبن عم الخليفة عمرو والد زوجته ، ورد ذكره في ترجمة
ابنه سعيد في الاستيعاب ٢/٤ .

٢١ صحيح البخاري : باب بدء الوحي ، ٣/١ وتفسير سورة اقرأ . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان
باب بدء الوحي ، ح ٢٥٢ . ومسنند أحمد ٦/٢٢٣ و ٢٣٣ .

والبوادر : اللحمة بين المنكب والعنق تضطرب عند الفزع .
وقد لخصنا الخبر .

وناقشنا روايات بعثة النبي الواردة في كتب الحديث والسيرة والتفسير وذكرنا عللها في الجزء
الرابع من (أثر الامة في إحياء السنة) ، وهو سلسلة دراسات عن أثر أئمة أهل البيت (ع) في
إحياء السنة . وأوردنا الخبر الصحيح في ذلك ، والحمد لله .

- يعني نفسه - لشاعر أو مجنون لا تحدّث بها عني قريش أبداً^{٢٢}.

٣- روى البخاري ومسلم وقالوا :

إنّ رسول الله (ص) كان يغضب فيلعن ويسبّ ويؤذي من لا يستحقّها ، ودعا الله أن يجعلها لمن بدرت منه إليه زكاة و طهوراً^{٢٣}.

٤- ورويا أيضاً وقالوا :

إنّ بعض اليهود سحر رسول الله (ص) حتّى يخيّل إليه أنّه يفعل الشيء وما فعله^{٢٤}.

٥- روى مسلم :

أن رسول الله (ص) مرّ بقوم يلقحون النخل ، فقال:لولم تلقحوها لصلح . فتركوا تلقيحها فخرج شيصاً ، فقال : أنتم أعلم بأمور دنياكم^{٢٥}.

٦- ورويا أيضاً:

أنّ رسول الله (ص) آستمع إلى غناء جوار من الأنصار فنهرهنّ أبو بكر^{٢٦}.

٧- روى مسلم :

(٢٢) تاريخ الطبري ط. اوربا ١/١١٥٠.

(٢٣) صحيح البخاري كتاب الدعوات، باب قوا، النبيّ (ص): من آذيته. وصحيح مسلم كتاب البرّ والصلة، باب من لعنه النبيّ (ص) وليس له أهلاً.

(٢٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب الطبّ باب هل يستخرج السحر، وباب السحر، وكتاب الأدب، باب إن الله يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات، باب تكرير الدعاء. وصحيح مسلم باب السحر.

(٢٥) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب أمثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الناس. . . . وسنن أبن ماجة، باب تلقيح النخل.

(٢٦) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبيّ، باب مقدم النبيّ (ص) وأصحابه المدينة. وكتاب العيدين، باب سنّة العيدين لأهل الإسلام. وصحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في لعب يوم العيد.

أن رسول الله (ص) رفع عائشة على منكبه لتنظر إلى الحبشة الذين يلعبون في المسجد فنهرهم عمر^{٢٧}.

وفي رواية الترمذي:

إذ طلع فأنفض الناس ، فقال رسول الله (ص): إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فرّوا من عمر^{٢٨}.

وفي رواية:

أن جارية سوداء ضربت بالدف وغنت بين يدي رسول الله (ص) بعد رجوعه من إحدى غزواته ، فدخل عمر فألقت الدف تحت استها ، ثم قعدت عليها ، فقال رسول الله (ص): إن الشيطان ليخاف منك يا عمر^{٢٩}.

٨- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما :

عن عائشة أن النبي (ص) سمع رجلاً يقرأ في المسجد ، فقال : رحمه الله ، أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا^{٣٠}.

* * *

رأينا في ما مرّ أن زيد بن عمرو بن نفيل أبن عمّ الخليفة عمر كان أتقى لله من رسوله (ص)، يمتنع من أكل ما ذبح على الأنصاب والأصنام ، بينما يأكله رسول الله (ص).

(٢٧) صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، ح ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢.

(٢٨) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عمر.

(٢٩) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عمر. ومسنده أحمد ٣٥٣/٥.

وقد ناقشنا هذه الأحاديث وذكرنا عللها في الجزء ٢ و ٣ و ٤ و ٥ من كتاب أثر الأئمة في إحياء السنة.

(٣٠) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى ونكاحه. وصحيح مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب الأمر بتعهد القرآن، ح ٢٢٤. وسنن أبي داود، كتاب التطوع، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، ح ١٣٣١، وكتاب الحروف والقراءات الباب الأول، ح ٣٩٧٠.

وَأَنَّ ورقة بن نوفل النصراني يدرك أَنَّ الَّذِي جاء إلى رسول الله (ص) هو جبرائيل ورسول الله لم يعرفه ، وخشي أن يكون أصابه مس من الجن وَأَنَّ آيات سورة اقرأ هي من سجعهم .
وَأَنَّ سحر اليهود أثر في رسول الله (ص) فكان يرى أَنَّهُ يفعل الشيء وما فعله .

وَأَنَّهُ أسقط من القرآن آيات نسيها حتَّى قرأها بعض الصَّحابة .
وَأَنَّهُ أمر بعدم تلقيح النخل ليصلح ، فلمَّا أصبح شبيصاً قال لهم :
أنتم أعلم بأمور دنياكم مِنِّي .
وَأَنَّهُ أستمع إلى غناء جوار من الأنصار ، وكرهه أبو بكر ، وقال في شأن عمر : إِنَّ الشَّيْطَانَ ليفرّ منك .

* * *

إِنَّ تلكم الأحاديث وأمثالها تثبت أَنَّ رسول الله (ص) كان دون زيد في الجاهلية ، وبعد الإسلام كان ورقة النصراني أدري بالوحي وجبرئيل من رسول الله (ص) و أَنَّ أبا بكر وعمر كانا أكثر تجنباً للهو واللغو من رسول الله (ص) ، وأن الصحابيَّ الَّذِي قرأ من القرآن ما كان قد أسقطه الرسول (ص) منه كان أقوى ذاكرة من رسول الله (ص) ، وَأَنَّ رسول الله (ص) كسائر الناس لا يعصمه الله من عبث اليهود وسحرهم وَأَنَّهُ يغضب ويلعن ويسب من لا يستحق^{٣١} .

(٣١) لمَّا كانت أحاديث مدرسة الخلفاء تكون رؤية تنزّل من مستوى الرسول الأكرم (ص) عن مستوى الإنسان العادي وخاصّة في مثل الخبر المختلق في قصّة الغرائق التي بيّنا زيفها في الجزء الرابع من (أثر الأئمة في إحياء السنّة) ويمكن من خلالها إلقاء الشبهات في الوحي والقرآن ، أستند المستشرقون من مبشري النصارى في دراساتهم للإسلام إلى أحاديث مدرسة الخلفاء ، وتركوا أحاديث مدرسة أهل البيت ظهرياً .

ومن آمن بصحة الأحاديث المذكورة آنفاً ، تتكوّن له رؤية تناقض محتوى الأحاديث التي أشرنا إليها فيما خصّ الله به خاتم أنبيائه (ص) وميزه من سائر الناس بفضائل حمّة ، وحقّ للرجل (ذي المعرفة) من السعوديين إذن أن يقول : « محمد رجلاً مثلي ، مات » .

أضف إلى هذه الأحاديث التي كوّنّت رؤية تناقض تلك الفضائل ، ما فعله الخليفة الصحابيّ عمر بن الخطاب وأجتهاده في قطعه الشجرة التي بويح تحتها رسول الله (ص) ^{٣٢} . وتفصيل الخبر في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٩ / ١ .

وينقض جميع الأحاديث التي تنقص من منزلة رسول الله (ص) ما أخبر عنه الإمام عليّ (ع) عن رسول الله (ص) في خطبته القاصعة ، حيث قال :

ولقد قرن الله به - صلى الله عليه وآله - من لدن أن كان فطيماً ، أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره . ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه ، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالافتداء به . ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع يومئذ في الإسلام غير رسول الله - صلى الله عليه وآله - وأنا ثالثهما ؛ أرى نور الوحي والرسالة ، وأشمّ ريح النبوة . ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه - صلى الله عليه وآله - فقلت : يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ قال : هذا الشيطان أيس من عبادته ^{٣٣} .

ولست أدري كيف لم يكن الرسول (ص) يعرف نفسه كما ورد ذلك في

(٣٢) شفاء الصدور ص ٢٧ ، وهي شجرة بيعة الرضوان في صلح الحديبية .

(٣٣) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، الخطبة رقم : ١٩٢ .

خبره مع ورقة^{٣٤}، وكان على كتفه خاتم النبوة الذي يعرفه به كل من شاهده من أهل الكتاب.

وتنقصها أيضاً الروايات التي ذكرت دلائل النبوة التي صدرت منه وله قبل أن يبعث، مثل ما تمّ له في سفرته الأولى إلى الشام مع عمّه أبي طالب، والثانية في تجارة خديجة، وإخبار الرهبان بأمر بعثته، وتظليل سحابة له، ممّا علمه جميع من كان معه في السفرتين، وانتشرت أخبارهما في كتب الحديث والسير^{٣٥}.

وإخبار أهل الكتاب بظهوره قبل أن يبعث، وخبره في التوراة^{٣٦}، وتسليم الشجر والحجر عليه قبل بعثته^{٣٧}.

كيف كان لا يعرف نفسه وقد بشر به عيسى بن مريم (ع) كما أخبر تعالى

(٣٤) راجع صحيح البخاري: كتاب المناقب والمرضى والأدب. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة. وسنن أبي داود، كتاب اللباس. والترمذي: كتاب المناقب. ومسنند أحمد ٢/٢٢٣ و ٣/٢٣٢ و ٢٢٢ و ١٩٥/٤ و ٣٥/٥ و ٧٧ و ٨٢ و ٨٣ و ٩٠ و ٩٥ و ٩٨ و ١٠٤ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٤١ و ٣٥٤ و ٣٣٨ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٩/٦.

(٣٥) طبقات ابن سعد، ط. أوروبا ١/ق ١/١ و ٧٦/١ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٩ و ٨٣ و ١٠١ و ٧٣ و ١٠٠ منه، والجزء الثالث ق ١/١٥٣، وما رواه البخاري في آخر كتاب بدء الوحي من أخبار هرقل عن ظهوره. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء النبوة، ١٣/١٠٦. وسيرة ابن هشام ١/١٩٤ و ٢٠٣، وراجع أيضاً ص ٢٣١ و ٢٣٩ و ٢٥١ منه.

(٣٦) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق، ١٠/٢. وكتاب التفسير، باب تفسير سورة الفتح، وكتاب فضائل القرآن، الباب الأول. وطبقات ابن سعد، ط. أوروبا ١/١٢٣ و ١/ق ٢/١٧ و ٨٧ و ٨٩. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، الباب الأول. وسنن الدارمي، المقدمة، الباب الأول. ومسنند أحمد ٢/١٧٤ و ٣/٤٦٧. وطبقات ابن سعد ١/ق ١/٦٤ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٦ و ١٠٨ و ١١١.

(٣٧) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب نسب النبي، ح ٢، ص ١٧٨٢. ومسنند أحمد ٨/٨٩ و ٩٥ و ١٠٥. ومسنند الطيالسي، ح ٧٨١. وطبقات ابن سعد ٨/١٧٩.

وتسليم الشجر عليه في:

سنن الدارمي، المقدمة، الباب رقم ٣. وطبقات ابن سعد ٨/١٧٩.

عنه بقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ الصّف/ ٦ .
 كيف لا يعرف نفسه وأهل الكتاب كانوا ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
 أَبْنَاءَهُمْ﴾ البقرة/ ١٤٦ ، والأنعام / ٢٠ .
 يعرفون ﴿الرّسول النّبيّ الأميّ الَّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة
 والإنجيل﴾ الأعراف/ ١٥٧ .

* * *

سيأتي في بحوث مصادر الشريعة الإسلامية من هذا الكتاب محاولات
 السّلطات الإسلامية رفع مقام الخلافة في أنظار المسلمين على مقام النبوّة ،
 ونذكر هنا منها مثلاً واحداً من سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي والي الخليفة
 عبد الملك على العراق ، إذ خطب في الكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول
 الله (ص) بالمدينة ، فقال :

تَبَّأَ هُمْ ! إِنَّمَا يَطُوفُونَ بِأَعْوَادٍ وَرَمَّةٍ بِالْيَةِ ! هَلَّا طَافُوا بِقَصْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 عَبْدَ الْمَلِكِ ! أَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ خَلِيفَةَ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ رَسُولِهِ^{٣٨} . وسيأتي تفصيل
 ذلك في الجزء الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وإنّ الذي نجده من آتجاه بعض المسلمين في القرون المتأخرة من تهوين
 أمر الرسول (ص) إن هو إلّا نتيجة لتلك المحاولات مدى القرون ، سواء في
 ما رووا من روايات تحطّ من قدر رسول الله (ص)، أم ما أولوا من آيات القرآن
 وغير ذلك ممّا فعلوا في توجيه المسلمين إلى ما أرادوا . ومنها ما رأوا في الاحتفال
 بذكرى ميلاد الرسول (ص) ، كما سنذكره في ما يأتي .

(٣٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٤٢/١٥ . وراجع الكامل للمبرد ط . النهضة
 بمصر، ص ٢٢٢ .

- ٥ -

الخلاف حول الاحتفال بذكرى الأنبياء وذكرى عباد الله الصالحين

نكتفي في إيراد أقوال المانعين لإقامة المولد النبوي بإيراد فتوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية حيث قال :

لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول (ص) ولا غيره لأن ذلك من البدع المحدثنة في الدين

أما من يرى استحباب الاحتفال بذكرهم فإنه يستدل على صحة ذلك بأنَّ جُلَّ مناسك الحجِّ احتفال بذكرى الأنبياء والأولياء ، كما سندكر أمثلة منه فيما يأتي :

أ - مقام إبراهيم :

قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى . . . ﴾ البقرة/ ١٢٥ .

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٢/٣/ ١٩٨٤ في مقال تحت عنوان (حكم الاحتفال بالمولد النبوي وغيره من الموالد) .

وفي صحيح البخاري^٢ ما ملخصه :

أن إبراهيم وإسماعيل (ع) لما كانا بينان البيت ، جعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر ، فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة .
وفي رواية بعدها : حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ على نقل الحجارة ، فقام على حجر المقام ، فجعل يناوله الحجارة .

* * *

إنَّ الله سبحانه أمر الناس - كما هو واضح - أن يتبركوا بموطئ قدمي إبراهيم (ع) في بيته الحرام ويتخذوا منه مصلى ، أحياءً للذكرى إبراهيم وتخليداً ، وليس فيه شيء من أمر الشرك بالله جلَّ اسمه .

ب - الصفا والمروة :

قال الله سبحانه :

﴿ إِنَّ الصَّفاَ والمروةَ من شعائرِ الله فمن حجَّ البيتَ أو أعتَمَرَ فلا جناحَ عليه أن يطَّوِّفَ بهما ﴾ البقرة/ ١٥٨ .

وروى البخاري ما ملخصه :

أنَّ هاجر لما تركها إبراهيم (ع) مع أبنتها إسماعيل بمكة ونفذ ماؤها عطشت وعطش أبنتها وجعل يتلوَّى ، فأنطلقت إلى جبل الصفا كراهية أن تنظر إليه ، فقامت عليه تنظر هل ترى أحداً ، فلم ترَ أحداً ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي، سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً ، فلم ترَ أحداً ، فعلت ذلك سبع مرّات .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب يزفون النسلان في المشي ، ١٥٨/٢ و ١٥٩ .

قال ابن عباس : قال النبي (ص): فذلك سعي الناس بينهما - الحديث^٣.

* * *

جعل الله السعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج ، إحياءً للذكرى سعي هاجر بينهما واحتفالاً بعملها ، واستحباب الهرولة في محلّ الوادي الذي سعت فيه هاجر سعي الإنسان المجهود ، إحياءً للذكرى هرولتها هناك .

ج - رمي الجمار:

روى أحمد والطيالسي في مسنديهما عن رسول الله (ص) أنه قال :
إن جبريل ذهب بإبراهيم (ع) إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات ، فساخ . ثم أتى الجمرة الوسطى ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات ، فساخ . ثم أتى الجمرة القصوى ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات ، فساخ . . .^٤
هكذا جعل الله إحياء ذكرى رمي إبراهيم (ع) الشيطان والاحتفال بذكره من مناسك الحج .

د - الفدية :

قال الله سبحانه في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام :
﴿ فبشرناه بغلامٍ حلِيمٍ * فلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب يزفون النسلان في المشي ، ١٥٨/٢ ، وراجع معجم البلدان ، مادة : (ززم) ، وذكر تاريخ إسماعيل (ع) من تاريخ الطبري وآبن الأثير .
(٤) مسند أحمد ٣٠٦/١ ، وقريب منه في ١٢٧ . ومسند الطيالسي ح ٢٦٩٧ . وراجع مادة : (الكعبة) من معجم البلدان ؛ وتاريخ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من تاريخ الطبري وآبن الأثير وساخت قوائمه في الأرض : غاصت في الأرض .

المنام أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَى ، قَالَ يَا ابْنَ آفَعْلَ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ
اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ
صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُو الْبَلَاءُ الْمُبِينِ * وَفَدَيْنَاهُ
بَذَبِیحٍ عَظِيمٍ ﴿ الصَّافَات/ ١٠١ - ١٠٧ .

* * *

وكذلك جعل الله إحياء ذكرى فداء إبراهيم (ع) أبنه إسماعيل (ع)
 وإرسال الله الكبش فدية له والاحتفال بها من مناسك الحج ، وأمر الحاج
 بالفدية في منى اقتداءً بإبراهيم (ع) واحتفالاً بذكرى موقفه من طاعة الله .

* * *

في مقام إبراهيم (ع) ، انتشرت البركة من قدمي إبراهيم (ع) إلى موطن
 قدميه ، وأمر الله باتخاذ مسجداً في بيته الحرام ، وجعله الله من مناسك
 الحج إحياءً لذكره .
 وفي ما يأتي نذكر انتشار البركة من آدم (ع) أبي البشر .

إنتشار البركة من آدم (ع) والاحتفال بذكره

وفي بعض الأخبار أن الله جلَّ أسمه تاب على آدم (ع) عصر التاسع
 من ذي الحجة بعرفات ، ثم أفاض به جبرائيل عند المغيب إلى المشعر الحرام ،
 وبات فيه ليلة العاشر يدعو الله ويشكره على قبول توبته . ثم أفاض منه صباحاً
 إلى منى وحلق فيه رأسه يوم العاشر إماراً لقبول توبته وعتقه من الذنوب ،
 فجعل الله ذلك اليوم عيداً له ولذريته ، وجعل كل ما فعله آدم أبداً الدهر من
 مناسك الحج لذريته ، يقبل توبتهم عصر التاسع بعرفات ، ويذكرون الله ليلاً
 بالمشعر الحرام ، ويحلقون رؤوسهم يوم العاشر بمنى . ثم أضيف إلى هذه
 المناسك ما فعله بعد ذلك إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهاجروا وتمت بها

مناسك الحج للناس كما ذكرناه سابقاً .
 إذاء، فإن أعمال الحج كلها تبرك بتلك الأزمنة والأمكنة التي حل بها
 عباد الله الصالحون أولئك ، وكلها احتفال بذكرهم أبد الدهر .
 وفي ما يأتي نضرب مثلاً لانتشار الشؤم - أيضاً - إلى المكان من المكين .

انتشار الشؤم إلى المكان من المكين
 روى مسلم أن رسول الله (ص) عام تبوك نزل بالناس الحجر عند بيوت
 ثمود ، فاستسقى الناس من الآبار التي كان يشرب منها ثمود ، فعجنوا منها
 ونصبوا القدور باللحم . فأمرهم رسول الله (ص) فأهرقوا القدور وعلفوا
 العجين الإبل . ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها
 الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا ، قال : إني أخشى أن
 يصيبكم مثل ما أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم^٥ .
 وفي لفظ مسلم : ولا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا
 باكين ، حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم . ثم زجر وأسرع حتى خلفها .
 وفي لفظ البخاري : ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي .
 وفي رواية أخرى بمسند أحمد : وتقنع بردائه وهو على الرحل^٦ .

منشأ الشؤم والبركة في المكان
 من أين نشأ شؤم بلاد ثمود وآبار ثمود وانتشر منها إلى غيرها عدا أنه
 نشأ من قوم ثمود ، وانتشر منهم إلى بلادهم وآبارهم ، وبقي فيها إلى عصر

٥) أورده مسلم باختصار في صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق ، باب لا تدخلوا مساكن الذين
 ظلموا أنفسهم . . . ح ٤٠ ، واللفظ لمسند أحمد ١١٧/٢ . وصحيح البخاري ، كتاب المغازي
 باب نزول النبي (ص) الحجر . والطبري في خبر ثمود ، ط . أوربا ١/ ٢٥٠ .
 ٦) مسند أحمد ٦٦/٢ .

خاتم الأنبياء (ص)، وإلى ما شاء الله. ومن أين نشأ فضل بشر ناقة صالح (ع) عدا ما كان من شرب ناقة صالح (ع) منها، وانتشر الفضل منها إلى البئر، وبقي فيها إلى عصر خاتم الأنبياء (ص)، وإلى ما شاء الله. وليست ناقة صالح (ع) وبثرها بأكرم على الله من إسماعيل (ع) وبثره زمزم، بل كذلك جعل الله البركة في زمزم من بركة إسماعيل (ع) أبد الدهر. وكذلك شأن انتشار البركة مما يفيضه الله على عباده الصالحين في أزمنة خاصة مثل بركة يوم الجمعة.

بركة يوم الجمعة

في صحيح مسلم :

«أن الله خلق آدم يوم الجمعة، وأدخله الجنة يوم الجمعة...»^٧. هذا وغيره مما أفاضه الله على عباده الصالحين في يوم الجمعة، خلّد البركة في يوم الجمعة أبد الدهر.

البركة في شهر رمضان

وكذلك الشأن في بركة شهر رمضان؛ فقد قال سبحانه :

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ البقرة/ ١٨٥.

وقال سبحانه :

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر...﴾ القدر/ ١ - ٣.

إذاً فقد انتشرت البركة من ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن على خاتم

(٧) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، ح ١٧ و ١٨.

أنبياء الله (ص) إلى جميع أزمته شهر رمضان ، وتخلدت البركة في ذلك الشهر من تلك الليلة إلى أبد الدهر.

هكذا وجدنا انتشار البركة من الزمان المبارك والمكان المبارك بما بارك به على أصفياه ، وأمرنا الله بأن نفتدي بعمل أصفياه ، ونقلد أعمالهم في أزمته وأمكتها ، احتفالاً بذكرهم وإحياء لأمرهم ، ولتضمننا البركة التي عصمتهم . وما المانع الشرعي من القيام بالاحتفال بأعمالها من المناسبات الإسلامية كميلاد الرسول (ص) ، وليلة أسري به (ص) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ويوم بعثه (ص) الله رحمة للعالمين ؟

* * *

بعد انتهائنا من الإشارة إلى رجحان الاحتفال بذكرى أصفياء الله ، نؤكد أننا نقصد من الاحتفال بذكرى أصفياء الله - مثلاً - قراءة سيرة رسول الله (ص) الصحيحة غير المحرفة في ليلة ميلاده (ص) ، وإطعام الطعام في سبيل الله وإهداء ثوابه لرسول الله (ص) مع الاجتناب من القيام بأعمال ابتدعها بعض المتصوفة .

ونشير في ما يأتي إشارة عابرة إلى الخلاف حول مسألة البناء على القبور واتخاذها محلاً للعبادة .

- ٦ -

الخلافا حول البناء على قبور الأنبياء وأتخاذها محلاً للمعبادة

استدل قسم من المسلمين على تحريم البناء على القبور بروايات أممها
ما يأتي :

أ - عن عليّ قال : كان رسول الله (ص) في جنازة ، فقال :
أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلّا كسره ، ولا قبراً إلّا سواه ،
ولا صورة إلّا لطحها ؟ فقال (رجل) :
أنا يا رسول الله ، فأنطلق فهاب أهل المدينة ، فرجع . فقال عليّ :
أنا أنطلق يا رسول الله . قال :
فأنطلق . فأنطلق ، ثمّ رجع ، فقال :
يا رسول الله ، لم أدع بها وثناً إلّا كسرته ولا قبراً إلّا سويته ، ولا صورة
إلّا لطحتها .

وقد تكرّر ورود هذا الحديث في كتب الحديث واكتفينا بإيراد أتم لفظ
منه^١ .

١) مسند أحمد ٨٧/١ و ٨٩ و ٩٦ و ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٥٠ .
ومسند الطيالسي ، ح ٩٦ ، ١٥٥ .

علة الحديث :

أولاً - سنذكر في ما يأتي أنّ رسول الله (ص) زار قبر أمّه ، وبكى وأبكى من حوله . وكانت أمّه قد توفيت في السنة السادسة من عمره الشريف بالمدينة المنورة ، وعلى هذا فقد زار الرسول قبر أمّه بعد نيف وأربعين سنة ، حين هاجر إلى المدينة المنورة ، وأن أثر قبر أمّه عند ذلك كان مائلاً للعيان ، وإلاّ لما عرف قبرها . وإذا كان الحكم الإسلامي ، هو تسوية القبور فلم لم يأمر النبي (ص) بهدم قبر أمّه عند ذلك ؟

ثانياً - إنّ أهل المدينة بعد أن أسلم بعضهم أرسل لهم الرسول (ص) بادئ ذي بدء مصعب بن عمير ، يُعلّم من أسلم منهم ما ورد من الإسلام يوم ذاك . ولما وفدوا إلى الحجّ ، حضر المسلمون منهم العقبة وبايعوا رسول الله (ص) سرّاً ، ولم ينتشر الإسلام بينهم ، إلى أن هاجر الرسول (ص) إليهم ، وتبعه الإمام عليّ (ع) بعد ثلاث أو أكثر وقصة وروده المدينة بعد ذلك مشهورة .

وتدرّج الرسول (ص) في بسط حكمه على المدينة بعد أن عاهد يهود قريظة وبني النضير وبني قينقاع ، ودخل أهل المدينة كلّهم في الإسلام متدرّجاً . فمتى كان إرسال النبي (ص) الإمام عليّاً (ع) من تشييع جنازة إلى المدينة ليهدم الأصنام ويسوي القبور ويلطخ الصّور ، كالحاكم الذي لا رادّ لأمره ؟ أضف إليه أنّ محتوى الخبر أنّ المرسل الأول ذهب ، وهم في تشييع الجنازة ، ورجع خائباً ، ثم أرسل النبي (ص) الإمام عليّاً (ع) بعده وهم لا يزالون في تشييع الجنازة . فكيف يتمّ ذلك ؟!

ثالثاً - وفي بقية الحديث أنّ الإمام عليّاً (ع) قال لأبي الهياج الأسدي : أبعثك فيما بعثني رسول الله (ص) أمرني أن أسوي كلّ قبر وأطمس كلّ

صنم^٢.

ولا يكون إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي في أمر إلا في عصر خلافته ،
وعليه يتجه هذا السؤال : متى كان إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي ؟ أ في
عصر خلافته وبعد الفتوحات الإسلامية وبعد زمن الخلفاء الثلاثة أم قبله ؟
وإلى أي بلد بعث الإمام عليّ أبا الهياج لتهديم القبور وطمس الأصنام ؟
وأخيراً في كلا الخبرين أمر من الرسول (ص) والإمام عليّ (ع) - إن
صحّ الخبران - بتهديم قبور المشركين في بلد الشرك ، فكيف يدلّ ذلك على
انتشار هذا الحكم إلى قبور المسلمين ووجوب تهديمها ؟

ب - روى عن النبيّ (ص) أنّه قال : اللهم لا تجعل قبري وثناً ، لعن
الله قوماً آتخذوا قبور أنبيائهم مساجد^٣.
وفي الرواية الثانية شخّص الذين آتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال :
قاتل الله اليهود، آتخذوا قبور أنبيائهم مساجد^٤.

علّة الحديث :

إنّ بني إسرائيل بعد أن ساروا من مصر وعبروا البحر وجازوا التّيه
وبلغوا فلسطين ، أصبح لهم بيت عبادة وهو (بيت المقدس) ولم يكن لهم بيت
عبادة غيره . وفي عصر سليمان أصبح لسليمان الملك النّبّي بلاط يسمّى هيكل
سليمان . فأين كانت قبور أنبيائهم التي آتخذوها مساجد ؟ وكان بيت المقدس
وبلده تحت أنظار المسلمين والعرب قبل عصر رسول الله (ص) . وأمّا ما بقي
من قبور أنبيائهم مثل قبر الخليل وموسى بن عمران ، فلإنّ لم نر ولم نسمع ولم

(٢) مسند أحمد ١/٨٩ و ٩٦.

(٣) مسند أحمد ٢/٢٤٦.

(٤) مسند أحمد ٢/٢٨٥.

يكتب أحد أن اليهود آتخذوها وثناً . وعلى فرض أن قبراً آتخذ وثناً ، فإنه لا يصدق على احترام القبر وزيارة القبر ، فإن آتخاذه وثناً يعني أن يستقبل القبر كما تستقبل الكعبة في الصلوات . فأين هذا من ذلك ؟

* * *

ليس مورد الشك في كل ما ذكرناه ، وما سنذكره بعد هذا ، أحاديث رسول الله (ص) - معاذ الله - وإنما البحث يجري حول رواية الأحاديث الذين لم يعصمهم الله من الخطأ والسهو والنسيان .
كان ما ذكرناه أمثلة من أدلة من رأى الثناء على القبور مخالفاً للشرعة الإسلامية .

وفي ما يأتي أدلة من رأى ذلك موافقاً لها .

أدلة من رأى جواز آتخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة

يستدل من يرى صحة آتخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة بأن الطائفتين حول الكعبة يطوفون حول حجر إسماعيل (ع) ويتمسحون بجداره ، وفيه قبر إسماعيل (ع) وأمه هاجر ، كما أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية :
فقد ورد في سيرة أبين هشام (ت : ٢١٨ هـ) وتاريخ الطبري (ت : ٣١٠ هـ) وأبن الأثير (ت : ٦٣٠ هـ) وأبن كثير (ت : ٧٧٢ هـ) واللفظ لابن هشام : ودفن - إسماعيل - في الحجر مع أمه هاجر . وفي لفظ أبين الأثير : وأوصى إسماعيل أن يدفن عند قبر أمه في الحجر * .
وروى أبين سعد في طبقاته وقال :

٥) راجع ذكر خبر إسماعيل (ع) ولده في كل من سيرة أبين هشام ط . مصر ، سنة ١٣٥٥ هـ
٦/١ وتاريخ الطبري ط . أوربا ١/٣٥٢ . وتاريخ أبين الأثير ط . أوربا ١/٨٩ . وتاريخ أبين كثير ١٩٣/١ . ومادة : (حجر) من معجم البلدان .

إِنَّ إِسْمَاعِيلَ لَمَّا بَلَغَ عَشْرِينَ سَنَةً تَوَفَّيَتْ أُمُّهُ هَاجِرٌ وَهِيَ ابْنَةُ تِسْعِينَ سَنَةً ، فَدَفَنَهَا إِسْمَاعِيلُ فِي الْحَجَرِ . وَإِنَّ إِسْمَاعِيلَ تَوَفَّى بَعْدَ أَبِيهِ ، فَدَفَنَ فِي الْحَجَرِ مِمَّا يَلِي الْكَعْبَةَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ .
وفي رواية بعدها :

قبر إسماعيل تحت الميزاب بين الركن والبيت^٦ .
وفي الاكتفاء للكلاعي ما موجهه : دفن هاجر وإسماعيل وابنه نابت في الحجر^٧ .

وقد وصف ابن جبير قبري إسماعيل وأمه هاجر في رحلته وقال :
وتحت الميزاب في صحن الحجر ، بمقربة من جدار البيت الكريم ، قبر إسماعيل (ع) وعلامته رخامة خضراء مستطيلة قليلاً شكل محراب تتصل بها رخامة خضراء مستديرة ، وكلتاها غريبة المنظر ، فیهما نُكْتُتَ فتفتح عن لونها إلى الصفرة قليلاً كأنها تجزيع ، وهي أشبه الأشياء بالنُكْتُتِ التي تبقى في البندق من حل الذهب فيه . وإلى جانبه ممّا يلي الركن العراقي قبر أمه هاجر رضي الله عنها ، وعلامته رخامة خضراء سعتها مقدار شبر ونصف . يتبرك الناس بالصلاة في هذين الموضعين من الحجر ، وحق لهم ذلك لأنهما من البيت العتيق ، وقد أنطبقا على جسدين مقدسين مكرمين ، نورهما الله ، ونفع ببركتهما كل من صلى عليهما . وبين القبرين المقدسين سبعة أشبار^٨ .

٦) لخصنا روايات ابن سعد الثلاث من طبقاته ٢٥/١ ، ط . أوربا .

٧) الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء ص : ١١٩ ، تصحيح هنري ماسة ، مطبعة جول كريونل ، الجزائر ، ١٩٣١ م .

والكلاعي هو أبو الربيع ، سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي ، ولد سنة ٥٦٥ هـ ، وتوفي سنة ٦٣٣ هـ . اعتدنا ترجمته من مقدمة الكتاب .

٨) ابن جبير هو محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ، البلسني الأصل ، الغرناطي الاستيطان . ولد ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة ٥٢٠ أو سنة ٥٣٩ هـ ، وتوفي بالإسكندرية

كان هذا ما ورد في كتب مدرسة الخلفاء ، وورد في كتب حديث مدرسة
هل البيت كالاتي :
ورد في الكافي للكليني (ت : ٣٢٩ هـ) وكتاب من لايحضره الفقيه
وعلى الشرائع للصدوق (ت : ٣٨١ هـ) والوافي للفيض (ت : ١٠٨٩ هـ)
البحار للمجلسي (ت : ١١١١ هـ) واللفظ للأول : وفيه - أي في الحجر -
قبر هاجر وقبر إسماعيل (ع)¹.
وفيها أيضاً : وفيه - أي في الحجر - قبور أنبياء¹.
وورد أيضاً في الكافي والوافي والبحار : ودفن في الحجر ، ممّا يلي الركن



لبنة الأربعاء، التاسع أو السابع والعشرين لشعبان سنة ٦١٦ هـ. وكان أديباً بارعاً، شاعراً
مجيداً، سريّ النفس، كريم الأخلاق، من علماء الأندلس بالفقه والحديث.
ورحلة ابن جبير : كتاب وصف فيه ابن جبير رحلة قام بها للحجّ، استغرقت عامين وثلاثة
أشهر ونصفاً، من يوم الاثنين التاسع عشر لشهر شوال ٥٧٨ هـ، إلى يوم الخميس الثاني
والعشرين لمحرّم ٥٨١ هـ، وزار فيها مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية وغيرها.
ووصف هذا الرحالة المدن التي مرّ بها، والمنازل التي حلّ فيها من هذه الأقطار جميعاً.
وقد نقلنا ما أورده هنا من ط. دار مصر للطباعة، عام ١٣٧٤ هـ، تحقيق الدكتور حسين
نصار، ص ٦٣، ورجعنا إلى مقدمة الكتاب في ترجمة ابن جبير.
٩) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبنائهما البيت. . .
ح ١٤، ط. دارالكتب الإسلامية، طهران. ١٣٩١ هـ، ٢١٠/٤. وفقه من لايحضره الفقيه،
كتاب الحجّ، باب علل الحجّ، ح ٣، ط. دارالكتب الإسلامية، طهران ١٣٩٠ هـ،
١٢٥/٢-١٢٦، وباب نكت في حجّ الأنبياء والمرسلين ، ح ٨، ١٤٩/٢. والوافي، كتاب
الحجّ، باب حجّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . . . ط. الأولى، ٢٨/٨. والبحار، كتاب
النبوة، باب أحوال أولاد إبراهيم (ع) وأزواجه وبناء البيت، ح ٤١، ١٤٣/٥، وح ٥٤،
١٤٤/٥.
٢٠) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم (ع) . . . ح ١٥، ٢١٠/٤. والبحار عن
الصدوق، كتاب النبوة، باب أحوال أولاد إبراهيم (ع) ، ح ٤٠، ١٤٢/٥، ط. الأولى كمباني
وباب أخبار أولاد إبراهيم . . . ح : ٥٥، ١٤٤/٥. والوافي، كتاب الحجّ، باب حجّ
إبراهيم . . . ٢٨/٨.

الثالث ، عذارى بنات إسماعيل (ع) ١١ .

وروى أبو بكر الفقيه عن النبي (ص) أنه قال :

ما من نبيّ هرب من قومه إلّا هرب إلى الكعبة يعبد الله فيها حتّى يموت
وأنّ قبر هود وشعيب وصالح في ما بين زمزم والمقام ، وأنّ في الكعبة قبر
ثلاثمائة نبيّ ، وما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود قبر سبعين نبيّاً ١٢ .
ويستدلّون على صحّة البناء على القبر ، إضافة إلى ما سبق ، بأنّ قبور
رسول الله (ص) والخليفين أبي بكر وعمر في بناء مسقف منذ أن توفّوا إلى
يومنا الحاضر .

ويستدلّون أيضاً بقوله تعالى :

﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ البقرة/ ١٢٥ . وقوله تعالى في ما
أخبر عن قصّة أصحاب الكهف :

﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذنّ عليهم مسجداً ﴾ الكهف/ ٢١ .

* * *

إنّ الوهابيّين يسمّون المسلمين الذين يزورون قبور الأنبياء والصّحابة
والأئمة بالقبوريين . ومن الأخرى ، مع ما ذكرنا ، أن يسمّوا خاتم الأنبياء
(ص) وأصحابه والأنبياء من قبلهم الذين طافوا حول حجر إسماعيل (ع)
بالقبوريين ، لما في حجر إسماعيل من قبر هاجر وإسماعيل (ع) وولده وكذلك
أنبياء من قبلهم !!

* * *

(١١) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم... ح ١٦، ٢١٠/٤ . والوافي، كتاب
الحجّ، باب حجّ إبراهيم... ٢٨/٨ . والبحار، ح ٥٦، ١٤٢/٥ .
(١٢) مختصر كتاب البلدان، تأليف أبي بكر أحمد بن الفقيه الهمداني (ت: ٣٤٠ هـ) ط.
بريل بليدن سنة ١٣٠٢ هـ ص ١٧ .

هكذا كان اختلاف الأحاديث في بناء القبور، أو بالأحرى اختلاف فهم
الأحاديث، منشأ هذا الخلاف .
وفي ما يأتي نذكر الخلاف حول البكاء على الميت ومنشأه .

- ٧ -

الاختلاف في البكاء على الميت و منشؤه

كان البكاء على الميت ، وخاصة الشهيد ، من سنة الرسول (ص) فقد روى البخاري في صحيحه : أنَّ النبيَّ نعى زيدا وجعفرأ و آبن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم وقال :

أخذ الراية زيد ، فأصيب . ثم أخذ جعفر ، فأصيب . ثم أخذ ابن رواحة ، فأصيب ، - وعيناه تدرفان -^١ .

وفي ترجمة جعفر من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وخبر غزوة مؤتة من تاريخ الطبري وغيره ما ملخصه :

لما أصيب جعفر وأصحابه دخل رسول الله (ص) بيته وطلب بني جعفر ، فشتمهم ودمعت عيناه ، فقالت زوجته أسماء : بأبي وأمي ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم أصيبوا هذا اليوم . فقالت أسماء : فقامت أصبح وأجمع النساء ، ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول : واعمأه . فقال رسول الله (ص) على مثل جعفر فلتبك البواكي .

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب خالد بن الوليد ، ٢/ ٢٠٤ ط .

الخلبي بمصر .

بكاء الرسول (ص) على ابنه إبراهيم

في صحيح البخاري :

قال أنس : دخلنا مع رسول الله (ص) . . . وإبراهيم يجود بنفسه . فجعلت عينا رسول الله تذرطان ، فقال له عبدالرحمن بن عوف (رض) : وأنت يا رسول الله ! ؟ فقال : يا ابن عوف ، إنها رحمة . ثم أتبعها بأخرى فقال : إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون .
وفي سنن ابن ماجه :
فأنكب عليه وبكى^٢ .

بكاء الرسول (ص) على حفيده

في صحيح البخاري :

أن ابنة النبي (ص) أرسلت إليه : أن أبناً لي قبض فأتانا . فقام ومعه سعد بن عباد ورجال من أصحابه . فرُفِعَ إلى رسول الله (ص) ونفسه تتعقم^١ . ففاضت عيناه ، فقال سعد :
يا رسول الله ما هذا ؟ فقال :
هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده
الرحماء^٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب قول النبي (ص) : إنا بك لمحزونون ، ١/١٥٨ واللفظ له . وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب رحمته بالصبيان والعيال ، ح ٦٢ . وسنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في النظر إلى الميت ، ح ١٤٧٥ ، ١/٤٧٣ . وطبقات ابن سعد ، ط . أوربا ، ١/١ ق ٨٨ . ومسند أحمد ٣/١٩٤ .
(٣) تتعقم : أي تضطرب روحه لها صوت وحسرة كصوت الماء إذا ارتقى في القربة الخالية .

ندب الرسول (ص) إلى البكاء على عمه حمزة

في مغازي الواقدي وطبقات ابن سعد ما موجهه:
 لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بَعْدَ غَزْوَةِ أَحَدِ الْبُكَاءِ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ عَلَى قَتْلِهِمْ ، ذُرِفَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَبَكَى ، وَقَالَ : لَكِنْ ، حَمْزَةٌ لَا بَوَاقِي لَهُ . فَسَمِعَ ذَلِكَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ ، فَرَجَعَ إِلَى نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَسَاقَهُنَّ إِلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَبَكِينَ عَلَى حَمْزَةٍ . فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فَدَعَا لَهُنَّ وَرَدَّهُنَّ . فَلَمْ تَبْكِ أَمْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ عَلَى مَيِّتٍ ، إِلَّا بَدَأَتْ بِالْبُكَاءِ عَلَى حَمْزَةٍ ، ثُمَّ بَكَتْ عَلَى مَيِّتِهَا^٤.

بَكَى الرَّسُولُ (ص) عَلَى قَبْرِ أُمِّهِ وَأَبِئِى مِنْ حَوْلِهِ
 زَارَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبِئِى مِنْ حَوْلِهِ^٥.

أَمَرَ الرَّسُولُ (ص) بِإِرْسَالِ الطَّعَامِ لِأَهْلِ الْمَصَابِ
 لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ ، قَالَ النَّبِيُّ (ص) : أَصْنَعُوا لِأَهْلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا ،

صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب قول النبي (ص) : «يُعَذَّبُ الْمَيِّتُ بِبَعْضِ بَكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» وَاللَّفْظُ لَهُ . وَكِتَابُ الْمَرْضَى ، بِابِ عِيَادَةِ الصَّبِيَّانِ ، ٣/٤ . وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بِابِ الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ ، ح ١١ ، ص : ٦٣٦ . وَسَنَنُ أَبِي دَاوُدَ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بِابِ الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ ، ح ٣١٢٥ ، ١٩٣/٣ . وَسَنَنُ النَّسَائِيِّ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بِابِ الْأَمْرِ بِالْإِحْتِسَابِ وَالصَّبْرِ ، ٢٦٨٤/١ . وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ ٣٠٦/٢ وَ ٨٣/٣ وَ ٨٨ وَ ٨٩ .

٤) أوردناه من ترجمة حمزة في طبقات ابن سعد ط . دار صادر بيروت ١٣٧٧ هـ ، ١١/٣ . وَأَكْثَرُ تَفْصِيلًا مِنْهُ فِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٣١٥/١ - ٣١٧ . وَبَعْدَهُ إِمْتِنَاعُ الْأَسْبَاحِ ١٦٣/١ . وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ ٣٠/٢ . وَتَارِيخُ الطَّبْرِيِّ .

وَأوردته ابن عبد البر بإيجاز بترجمة حمزة من الاستيعاب ، وباختصار أيضاً . ابن الأثير بترجمته من أسد الغابة .

٥) سَنَنُ النَّسَائِيِّ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بِابِ زِيَارَةِ قَبْرِ الْمَشْرُوكِ ، ٢٦٧/١ . وَسَنَنُ أَبِي دَاوُدَ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بِابِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ، ح ٣٢٣٤ ، ٢١٨/٣ . وَسَنَنُ ابْنِ مَاجَةَ ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بِابِ مَا جَاءَ فِي زِيَارَةِ قُبُورِ الْمَشْرُوكِينَ ، ح ١٥٧٢ ، ٥٠١/١ .

فإنه قد جاءهم ما يشغلهم^٦.

عين الرسول (ص) أيام الحداد على الميت
تواتر عن النبي (ص) أنه عين حداد المرأة على غير زوجها ثلاثاً، وعلى
زوجها فكما قال الله: ﴿أربعة أشهر وعشراً﴾^٧ البقرة/ ٢٣٤.

منشأ الخلاف حول البكاء على الميت

مر في ما سبق أنّ رسول الله (ص) بكى على المتوفى قبل أن يتوفى
وبعده، خاصة الشهيد، وأنه أمر بالبكاء على الشهيد، وبكى على قبر أمه

(٦) سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ماجاء في الطعام يبعث إلى أهل الميت ح ١٦١٠
و١٦١١، ٥١٤/١. وفي سنن الترمذي ٢١٩/٤، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يصنع
لأهل الميت، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب صنة
الطعام لأهل الميت، ح ٣١٣٢، ١٩٥/٣، ومسند أحمد ٢٠٥/١ و٣٧٠/٦.

(٧) راجع البخاري، كتاب الجنائز، باب حداد المرأة على غير زوجها، ١٥٢/١، وكتاب
الطلاق باب تحذ المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، ١٨٩/٣، وباب ٦٨ الكحل للحادة
وباب القسط للحادة عند الطهر وباب تليس الحادة ثياب العصب وباب «والذين يتوفون منكم
ويلدرون أزواجاً» ١٨٩/٣ - ١٩٠. وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة
الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام، ح ١٤٨٦ و١٤٨٧، ١٤٩٠، ١٤٩١ ص ١١٢٢
و١١٢٥ و١١٢٦ و١١٢٧ و١١٢٨. وسنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب حداد المتوفى عنها
زوجها، ح ٢٢٩٩، ٢٩٠/٢، وباب فيما تجتنبه المعتدة في عدتها ح ٢٣٠٢، ٢٩١/٢. وسنن
الترمذي، كتاب الطلاق واللعان، باب ماجاء في عدة المتوفى عنها زوجها، ١٧١/٥ - ١٧٤.
وسنن النسائي، كتاب الطلاق، باب عدة المتوفى عنها زوجها، وباب الإحداد، وباب سقوط
الإحداد عن الكتابية المتوفى عنها زوجها، وباب ترك الزينة للحادة المسلمة دون اليهودية
والنصرانية، وباب ما تجتنب الحادة من الثياب المصبغة، وباب الخضاب للحادة. وسنن ابن
ماجة، كتاب الطلاق، باب هل تعد المرأة على غير زوجها، ح ٢٠٨٥ - ٢٠٨٧، ٣٧٤/١.
وسنن الدارمي، كتاب الطلاق، باب في إحداد المرأة على الزوج، ١٦٧/٢. وموطأ مالك، كتاب
الطلاق ح ١٠١، ١٠٥. وطبقات ابن سعد ٢٧/١ ق ٤/٢٨، ٢٨ و٧٠/٨. ومسند أحمد ٨/٥
و٣٧/٦، ١٨٢، ٢٢٩، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٦٩، ٤٠٨، ٤٢٦.
ومسند الطيالسي ح ١٥٨٧، ١٥٨٩، ١٥٩١.

وأبكى من حوله ، وأمر بصنع الطعام لأهل الميت ، وعين حداد المرأة على غير الزوج ثلاثاً .

إذن ، فالبكاء على المتوفى والحداد عليه وصنع الطعام لأهله ، من سنة الرسول (ص) فما هو منشأ الخلاف والنهي عن البكاء على الميت ؟ نرجع أيضاً إلى صحيح البخاري ومسلم فنجد حديث المنع عن البكاء من الخليفة عمر (رض) .

الخليفة عمر يروي أن رسول الله (ص) نهى عن البكاء ، وآم المؤمنين عائشة تستدرك عليه .

في صحيح البخاري ومسلم ، عن ابن عباس :

لما أن أصيب عمر دخل صهيب يبكي ويقول : وا أخاه ! وا صاحباه ! فقال عمر : يا صهيب ، أتبكي عليّ وقد قال رسول الله : « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » ؟ فقال ابن عباس : فلما مات عمر ، ذكرت ذلك لعائشة فقالت : رحم الله عمر ، والله ما حدث رسول الله (ص) : إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ، ولكن رسول الله (ص) قال : « إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه » ، وقالت : حسبكم القرآن : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ . قال ابن عباس (رض) عند ذلك : والله هو أضحك وأبكى ^٨ .

وفي صحيح مسلم : ذكر عند عائشة أن ابن عمر يرفع إلى النبي (ص) :

« إن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله عليه » فقالت :

٨ صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب قول النبي (ص) يعذب الميت ببكاء أهله عليه ، ١٥٥/١ - ١٥٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، ح ٢٢ ، ص ٦٤١ .

وَهَلْ^٩، إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص):

«إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ أَوْ بِذَنْبِهِ وَإِنْ أَهْلُهُ لَيَكُونُ عَلَيْهِ» .

وَفِي رَوَايَةٍ قَبْلَهُ:

ذَكَرَ عِنْدَ عَائِشَةَ قَوْلَ ابْنِ عَمْرٍ: الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعَ شَيْئاً فَلَمْ يَحْفَظْهُ . إِنَّمَا مَرَّتْ جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهُمْ يَكُونُ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

«أَنْتُمْ تَبْكُونَ وَإِنَّهُ لَيُعَذَّبُ» .^{١٠}

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ (ت: ٦٧٦ هـ) فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ رَوَايَاتِ النَّهْيِ عَنِ الْبُكَاءِ الْمَرْوُوعَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص): وَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ مِنْ رَوَايَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَأَنْكَرْتَ عَائِشَةَ وَنَسَبْتُهَا إِلَى النَّسِيَانِ وَالِاشْتِبَاهِ عَلَيْهِمَا، وَأَنْكَرْتَ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ (ص) قَالَ ذَلِكَ^{١١}.

وَيُظْهِرُ مِنَ الْحَدِيثِ الْآتِي أَنَّ مَنْشَأَ الْخِلَافِ كَانَ اجْتِهَادَ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ فِي النَّهْيِ عَنِ الْبُكَاءِ فِي مَقَابِلِ سُنَّةِ الرَّسُولِ (ص) بِالْبُكَاءِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ: مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ آلِ الرَّسُولِ (ص) فَاجْتَمَعَ النِّسَاءُ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ يَنْهَاهُنَّ وَيُطْرِدُهُنَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): دَعِهِنَّ يَا عُمَرُ فَإِنَّ الْعَيْنَ دَامِعَةٌ وَالْقَلْبَ مَصَابٍ وَالْعَهْدَ قَرِيبٌ^{١٢}.

(٩) وهل: بفتح الواو وفتح الهاء وكسرهما، أي غلط ونسي.

(١٠) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ح ٢٥ و ٢٦، ص ٦٤٢-٦٤٣ وح ٢٧، ص ٦٤٣. وقريب من لفظ الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، ٢٢٥/٤. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، ح ٣١٢٩، ١٩٤/٣.

(١١) شرح النووي بهامش صحيح مسلم ط. المطبعة المصرية ١٣٤٩ هـ، ٢٢٨/٦، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(١٢) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الرخصة في البكاء على الميت. وسنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في البكاء على الميت ح ١٥٨٧ ص: ٥٠٥. ومسند أحمد ١١٠/٢، ٢٧٣، ٣٣٣، ٤٠٨، ٤٤٤.

وفي صحيح البخاري: كان عمر (رض) يضرب فيه بالعصا، ويرمي بالحجارة، ويحشي بالتراب^{١٣}.

* * *

كان ذلك منشأ الخلاف في شأن البكاء على الميت، الأحاديث المتعارضة الواردة بشأنه في كتب الصحاح، ولعلّ أجتهد الخليفة عمر (رض) في المنع كان منشأ للأحاديث المروية في منع البكاء على الميت. فقد روى غير ما ذكرنا بعض الحديث في تأييد أجتهد الخليفة الصحابي عمر، ولا مجال في هذه العجالة لبيان علل تلك الأحاديث. وفي ما ذكرنا الكفاية في معرفة منشأ الخلاف في شأن البكاء والذي نحن بصدد.

* * *

إلى هنا استعرضنا أمثلة من مسائل الخلاف التي كان منشؤها اختلاف الأحاديث في كلّ منها. ونذكر بحوله تعالى في ما يأتي آيات من كتاب الله ممّا نشأ الخلاف حول تأويلها.

(١٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، ١/١٥٨. وقوله: «يضرب فيه» أي يضرب لأجل المنع من البكاء.

- ٨ -

آيات من كتاب الله نشأ الخلاف حول تأويلها

من أمثلة ما نشأ الخلاف حوله، خلاف في تأويل بعض آيات من كتاب الله المجيد نذكر أمثلة منها في ما يأتي :

دُعَاءُ غَيْرِ اللَّهِ وَحُكْمُ غَيْرِ اللَّهِ

أ - دُعَاءُ غَيْرِ اللَّهِ

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس المذهب الوهابي في كتابه (الأصول الثلاثة وأدلتها) ص ٤ منه :

إعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلّم هذه الثلاث مسائل والعمل بهنّ^١ :

الأولى - أن الله خلقنا

الثانية - أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^٢ الجن/ ٢٨ .

(١) كذا ورد في الأصل .

(٢) رسالة الأصول الثلاثة ط . مطبعة المدني، ٢٩٥ شارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ ورسالة الدين وشروطها أيضاً طبع فيها، وكذلك استدلّوا بقوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ

وقال في ص ٥ منه :

إن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وبذلك أمر جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ومعنى يعبدون يوحدوني. وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه - إلى قوله في ص ٨ منه - والدليل قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله...﴾.

وقال في ص ٤٦ منه :

القاعدة الرابعة: إن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة، والدليل قوله تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ العنكبوت/٦٥.

وقال في ص ٨ من رسالته (الدين وشروط الصلاة)^٣ ما ملخصه: العبادة لها أنواع كثيرة؛ منها الدعاء، الدليل قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله﴾. وورد في رسالة (شفاء الصدور) التي أصدرتها دار الافتاء العامة ردّاً على رسالة الجواب المشكور ص ٣:

رفعوا إلى خليفة زعماء دعوة التوحيد والذين أزاخوا غياهب الشرك عن هذه البلاد - أي عن مكة المكرمة والمدينة المنورة - وطهروها من أدراجه وقضوا على كل أثر له...^٤.

* * *



من دونه، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾ الإسراء/٥٦ وآيات أخرى نظيرها.
 (٣) رسالة الأصول الثلاثة ط. مطبعة المدني ٢٩٥ شارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٣٨٠ - ورسالة الدين وشروطها أيضاً طبع فيها بلا تاريخ.
 (٤) رسالة شفاء الصدور، ط. الأولى مؤسسة النور للطباعة والتجليد.

يقصدون بدعاء غير الله أو مع الله أن يقول المسلم مثلاً: (يارسول الله) للتوسل به إلى الله ، أو يدعو غيره من أولياء الله كذلك . وأدلتهم كلها تدور حول قوله تعالى: ﴿ لَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ ﴾ ونظائرها مما نهى الله عن الدعاء مع الله أو غير الله .

ب - حُكْم غير الله

حُكْم غير الله مثله كمثل دُعاء غير الله

وقال مخالفوهم: ما أشبه الليلة بالبارحة ! وما أشبه هذا الاستدلال بآستدلال الخوارج في تكفير من رضي بالتحكيم في صفين بأمثال قوله تعالى :

﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾^٥

يوسف/٦٧ . وقوله:

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حِكْماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ الأنعام/١١٤ .
وكان بداية ذلك في معركة صفين ، عندما أمر معاوية برفع كتاب الله على الرماح ودعوة جيش العراق إلى قبول حكم القرآن ، وأنخداع أكثرية قراء جيش العراق بذلك ، وإجبارهم الإمام علياً بترك القتال وقبول دعوة معاوية بالتحكيم ، ثم تعيين معاوية من قبله عمرو بن العاص حكماً ، وإجبار جيش العراق الإمام علياً على تعيين أبي موسى الأشعري حكماً من قبله . فلما اجتمع الحكماء وخذع عمرو بن العاص أبا موسى وقال له : نخلع عليك معاوية ونترك الأمر للناس ليختاروا لهم إماماً . وسبق أبو موسى عمراً بالكلام وقال : أنا أخلع عليك معاوية عن الأمر ليختار المسلمون لهم إماماً . ثم خطب بعده ابن العاص وقال : إنه خلع صاحبه كما رأيتم ، وأنا أنصب صاحبي للإمامة . فتنازعا وتسابها وأفترقا . بعد هذا أحس من قبل التحكيم من جيش العراق بخطئهم ونادوا بشعار: « لا حُكْم إِلَّا لِلَّهِ » وقالوا : إنا كفرنا بقبولنا
(٥) نكرر قولنا : بأننا لسنا بصدد إحصاء أدلة الطرفين في البحث ، وإنما نأتي بأمثلة منها .

التحكيم، وتبنا إلى الله، ويجب على الآخرين أن يعترفوا بالكفر، ثم يتوبوا مثلنا؛ ومن لم يفعل، فأولئك هم الكافرون.

وهكذا كفروا أولاً من أشرك في تلك الحوادث من عائشة وعثمان وعليّ وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن تبعهم؛ ثم شمل حكمهم بالكفر عامة المسلمين، وسمّوا أنفسهم بالشراة، ووضعوا سيوفهم قروناً طويلة على عواتقهم يقتلون بها المسلمين ويقتلون^٦.

وصدق رسول الله (ص) حيث أخبر عن الخوارج وقال: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد^٧. وفي أحاديث أخرى: لأقتلنهم قتل نود^٨.

جواب مخالفينهم في المسألتين

يقول في جواب هؤلاء وأولئك مخالفوهم بأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وإذا كان قد ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فقد ورد فيه أيضاً قوله تعالى:

﴿فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ

٦ راجع أخبار يوم صفين في تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير، ثم أخبار الخوارج فيها وفي غيرها من كتب التاريخ.

٧ كان ذلك عندما بعث ابن عم الرسول عليّ من اليمن بذهبية إلى الرسول فقسمها بين أربعة من المؤلفة قلوبهم، فتغضب قريش والأنصار، فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد ويدعونا قال: إنما أتألفهم. فأقبل رجل... محلق الرأس فقال: يا محمد، إتق الله! فقال النبي (ص): فمن يطيع الله إذا عصيته، أيامني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟ فليأوى، قال النبي (ص) إن من ضلّض هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام - الحديث. صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تُعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ...﴾ ١٨٨/٤. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح ١٢٣ ص ٧٤١.

٨ صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦.

يُفْهَرُوكُ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴿المائدة/ ٤٢﴾ .

فقد حَوَّلَ نَبِيَّهٖ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى أَمَرَ بِأَنْ يَتَّخِذُوا حَكَمًا مِنَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ﴾ النساء/ ٣٥ .

وَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ ، فَإِنَّ الْآيَةَ الْأُولَى عِنْدَمَا أُثْبِتَ (الْحَكْم) لِلَّهِ لَمْ تُثَبِّتْ لَهُ حَكَمًا مُحَدَّدًا مِثْلَ مَا لِلْقَضَاةِ فِي الْمَحَاكِمِ بِأَنْ لَهُمْ أَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِمَوْجِبِ الْقَوَانِينِ الْمَرْعِيَّةِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعَيِّنُوا حَاكِمًا مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِذِي سُلْطَةٍ أَعْلَى ، وَعَلَى هَذَا فَلَيْسَ لِلْقَضَاةِ (الْحَكْم) مُطْلَقًا ، وَإِنَّمَا لَهُمْ أَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ فَحَسَبَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَوْجِبِ حَكْمِهِ ، وَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لِغَيْرِهِ بِالْحَكْمِ ، أَيْ : لَهُ أَنْ يَعَيِّنَ حَاكِمًا عَلَى أَيِّ جِهَةٍ فِي مَلَكِهِ ، فَهَذَا الْحَكْمُ مُطْلَقًا . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ بِحَكْمِ اللَّهِ يَحْكُمُونَ ، حِينَ يَحْكُمُونَ ، وَكَذَلِكَ الْإِثْنَانِ اللَّذَانِ يَحْكُمَانِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ . إِذَا فَإِنَّ حَكْمَ أَوْلَئِكَ الْحُكَّامِ إِذَا حَكَمُوا بِمَوْجِبِ مَا أَمَرَ اللَّهُ ، لَيْسَ حَكْمٌ مَا سِوَى اللَّهِ ، وَلَا حَكْمٌ غَيْرَ اللَّهِ ، وَلَا حَكْمٌ دُونَ اللَّهِ ، وَلَا حَكْمٌ مَعَ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ حَكْمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَحَكْمٌ بِإِذْنِ اللَّهِ .

وَسَيَأْتِي جَوَابُهُمْ عَلَى دَعَاءِ غَيْرِ اللَّهِ فِي ذِكْرِ (دَعْوَةِ الرَّسُولِ) (ص) وَالتَّوَسَّلَ بِهِ إِلَى اللَّهِ (بَعِيدٌ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ الْآيَاتِ الْأُخْرَى الَّتِي تُثَبِّتُ بَعْضَ الصِّفَاتِ لِلَّهِ فَإِنَّهَا لَا تُثَبِّتُهَا لِلَّهِ مُحَدَّدَةً بِحَدٍّ ، وَإِنَّمَا تُثَبِّتُهَا لِلَّهِ مُطْلَقًا . مِثْلَ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْمَلِكِ لِلَّهِ تَعَالَى .

صفة الملك لله

لَا مَنَافَاةَ فِي إِثْبَاتِ صِفَةِ الْمَلِكِ لِلَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المائدة/ ١٨ ،

وقوله تعالى:

﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ الإسراء/ ١١١،
والفرقان/ ٢، وأمثالها.

وبين قوله تعالى:

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ النساء/ ٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٣٦ وآيات أخرى
مثلها، لأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ
تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران/ ٢٦.

إذاً فإن الله تعالى حين يُملِّك عبده لم يملك العبد عندئذ مع الله، ولم
يملك غير الله ولا سوى الله ولا دون الله، وإنما العبد وما يملك لمولاه، وإن
تملك العبد بإذن الله من أجل مصاديق (الملك لله)، أي: إن ملك الله ليس
محدوداً كملك عبده الذي يحدُّ بحدود مشيئة الله وإذن الله، ولا حول للعبد
أن يتصرف في ما خوله الله بأكثر مما حدّد الله له في التصرف من زمان ومكان
وسيطرة. وكذلك الشأن في صفة الخالقية.

الخالق والمحيي

كذلك شأن صفة (الخالق) و (المحيي)، فإنه سبحانه وتعالى ﴿خالق
كُلِّ شَيْءٍ﴾ الأنعام/ ١٠٢. و ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ فاطر/ ٣. وقال الله
تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الأعراف/ ٥٤. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي
يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ المؤمنون/ ٨٠. وقال: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾
الشورى/ ٩.

ولا منافاة بين هذا وبين أن يأذن لعيسى بن مريم (ع) أن يخلق ويحيي
كما قال سبحانه مخاطباً إياه: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ
فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى

بإذني ﴿ المائدة/ ١١٠ و قوله تعالى عن لسان عيسى : ﴿ أني أخلق لكم من
الطّين كهيئة الطّير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأُبرئ الأكمه والأبرص
وأحي الموتى بإذن الله ﴿ آل عمران/ ٤٩ .

فإنّ الله سبحانه حين يخلق ليس كالآلة الصّانعة لا يحول عن عمله
ولا يزول - جلّ عن ذلك - وليس كالبشر حين يعمل لا يستطيع أن يهب قدرة
العمل لغيره، بل إنّه قادر أن يخلق الحياة، إنساناً كان أو حيواناً، من طريق
اللقاح بين الزوجين، ويستطيع أن يخلقه بيديه دون أب ولا أمّ، مثل آدم،
ويقدر كذلك أن يأذن لعيسى فيخلق بإذنه، والخالق في كلّ ذلك هو الله
تعالى .

وكذلك شأن الإحياء، فإنّه قادر على أن يحيي الموتى بلا واسطة يوم
القيامة، وقادر على أن يهب الإحياء لرسوله عيسى بن مريم (ع) فيحيي الموتى
بإذنه، وقادر على أن يجعل الإحياء في ضرب بعض بقرة بني إسرائيل الصّفراء
بميتهم المقتول فيحيا المقتول ويخبرهم عن قاتله^٩ .

وإنّ عيسى بن مريم حين خلق الطّير وأحيا الموتى، كان الخلق
والإحياء بإذن الله، وعلى هذا فإنّ عيسى حين خلق الطّير وأحيا الموتى لم
يخلق مع الله، ولم يُحي مع الله، ولم يخلق ولم يُحي غير الله ولا دون
الله، وإنّا خلق وأحيا بإذن الله .

الوليّ والشفيع

وكذلك شأن صفة الوليّ والشفيع :

فإنّه لا منافاة في شأن الشفاعة بين قوله تعالى :

أ - ﴿ أم اتّخذوا من دون الله شفعاء قلّ أولو كانوا لا يملكون شيئاً

(٩) إشارة إلى الآيات ٦٧ - ٧٣ من سورة البقرة .

ولا يعقلون. قل لِلّٰهِ الشَّفَاعَةُ جميعاً له ملك السَّمَوَات والأَرْض ثمَّ إِلَيْهِ
ترجعون ﴿ الزمر/٤٣ ، ٤٤ .

ب - ﴿ مالكم مِن دونه مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾
السجدة/٤ .

ج - ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دونه وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ الأنعام/٥١ .

د - ﴿ وَذَكَرْ بِهِ أَن تَسَلِّ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ
وَلَا شَفِيعٌ ﴾ الأنعام/٧٠ .
وبين قوله تعالى :

أ - ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ يونس/٣ .

ب - ﴿ مِن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ البقرة/٢٥٥ .

ج - ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾
طه/١٠٩ .

د - ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ . . . ﴾ سبأ/٢٣ .

هـ - ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾
مريم/٨٧ .

و - ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ الأنبياء/٢٨ .

فإنَّه تعالى حين يأذن لعباده الصَّالِحِينَ أَن يَشْفَعُوا، كانت الشَّفَاعَةُ لِلَّهِ
فأذن لهم أَن يشفعوا. فالشفيع عندئذ ليس دون الله.
وكذلك شأن الولي :

فإنَّ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ
وَمَالِكُ مَن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ التوبة/١١٦ .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَالِكُ مَن دُونِ
اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة/١٠٧ .

وقوله: ﴿ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء . إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً ﴾ الكهف/ ١٠٢ .

هذه الأقوال لاتنافي قوله تعالى :

﴿ إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ المائدة/ ٥٥ .

لا منافاة بينهما وليس شركاً أن نقول : الله ولينا ورسوله ومن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة في الركوع من المؤمنين ، لأنّ الولاية لله وهو الذي أعطى هذه الولاية لهما كما أعطى للوالد الولاية على ولده .

* * *

في كلّ الصفات المذكورة صحّ أن يقال : الله ، هو الحاكم والمالك والشفيع والولي . . . وصحّ - أيضاً - أن يقال لمن منح من عبده هذه الصفات : المالك والحاكم والشفيع والولي . وإنّ أوضح مثال لما قلنا ، المورد الآتي .

من يتوفى الأنفس

قال تعالى : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ النحل/ ٢٨ .

وقال : ﴿ تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ﴾ النحل/ ٣٢ .

وقال : ﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ الأنعام/ ٦١ .

وقال : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم

ترجعون ﴾ السجدة/ ١١ .

وقال : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ الزمر/ ٤٢ .

فمن قال : إنّ الملائكة تتوفى الأنفس حين موتها بإذن الله ، لم يكذب ولم يشرك ، ومن قال : ملك الموت عزرائيل يتوفى الأنفس حين موتها بإذن الله ، لم يكذب ولم يشرك . ولا منافاة بين القولين وبين القول بأنّ الله يتوفى الأنفس

حين موتها، وفي كلّ هذه الحالات لم يتوفّ الأنفس غير الله ولا مع الله بل إنّ الله هو الذي توفّاها^{١٠}. وكذلك الشأن بالنسبة إلى الصفات الأخرى المذكورة سابقاً.

دعوة الرّسول (ص) و التوسّل به إلى الله

بناءً على ما بيّنا بأنّ كلّاً من الحاكم والمالك والشّفيع والخالق والمحيي والمميت والوليّ إذا كان بإذن الله فليس ثمت غير الله ولا دون الله ولا مع الله، بناءً على ذلك فإنّ دعوة النبيّ (ص) في التوسّل به إلى الله - أيضاً - إذا كان بإذن الله، فليس ثمت دعاء غير الله ولا دون الله ولا مع الله، وليس من مصاديق ما نهى الله عنه في قوله تعالى: ﴿ولا تدعوا مع الله أحداً﴾.

وقد مرّ بنا في الحديث المرويّ بمسند أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه ورواية البيهقي والتي صحّحوها بأن رسول الله (ص) علّم الصحابي الضرير أن يدعو بعد الصّلاة ويقول:

«اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه بنبيك محمد نبيّ الرحمة. يا محمد إنّي توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى لي. اللّهمّ فشّعه في»^{١١}.

فقضى الله حاجته وشفّع رسوله فيه وشافاه، وإنّ هذا النوع من التوسّل من مصاديق قوله تعالى:

﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ المائدة/٣٥.

﴿يبتغون إلى ربّهم الوسيلة﴾ الإسراء/٥٧.

* * *

(١٠) هذا الاستدلال مستفاد من قول الإمام عليّ، برواية الصدوق عنه في باب الردّ على الشّوية والزنادقة بكتاب التوحيد، ص: ٢٤١.

(١١) راجع مصادره في باب الاستشفاع برسول الله في حياته من هذه المقدّمة.

إلى هنا استعرضنا بعض مسائل الخلاف وأشرنا إلى ما كان ظاهراً من منشئها. وفي ما يلي ندرس الباعث الحقيقي لما نشأ من الخلاف وهما أمران:

أ - استكبار المخلوقين أبد الدهر.

ب - حاجة السلطة في هذه الأمة إلى إراءة حياة قدوات الإنسانية بما لا يناقض حياتها الغارقة في الشهوات. وفي ما يلي بيانها:

أ - الباعث الحقيقي الأول على ما نشأ من الخلاف

أولاً - في بدء الخليقة:

حكى الله سبحانه عما جرى من إبليس حين لم يسجد لآدم (ع) بقوله:

﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ﴾ قال أنا خير منه . . . ﴿ ص / ٧٥ و ٧٦ .

و ﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقت من صلصال من حمأ مسنون ﴾ الحجر/ ٣٣ .

إنَّ إبليس عبَدَ الله وحده لا شريك له عمر الملائكة، ثم لم يخضع لآدم صفيَّ الله في عصره وأستهان به فكان من أمره ما كان.

أمَّا الناس الذين استكبروا وأستهانوا بأنبياء الله وأصفياه بعد ذلك فإليكم أمثلة من أمرهم في ما يأتي:

ثانياً - في الأمم السابقة:

قال قوم نوح لنبيهم نوح:

﴿ ما نراك إلاّ بشراً مثلاًنا . . . وما نرى لكم علينا من فضل ﴾

هود/ ٢٧ .

وقالوا: ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾
المؤمنون/ ٢٤ .

وقال قوم نوح وعاد وthumbود لرسولهم :
﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا . . . ﴾ إبراهيم / ١٠ .
وقالوا لنبيهم :

﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾
المؤمنون/ ٣٣ .

وكان جواب الأنبياء لأممهم في هذا الاعتراض والاستهانة بهم ما أخبر
الله عنه وقال :

﴿ قالت لهم رُسُلُهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من
يشاء من عباده ﴾ إبراهيم / ١١ .

ثالثاً - في عصر خاتم الأنبياء (ص) :

روى ابن حجر في ترجمة ذي الخويصرة رأس الخوارج من الإصابة عن
أنس ، قال :

كان في عهد رسول الله (ص) رجل يعجبنا تعبده واجتهاده ، وقد ذكرناه
لرسول الله (ص) فلم يعرفه ، فوصفناه بصفته فلم يعرفه . فبينما نحن نذكره إذ
طلع الرجل علينا فقلنا : هو هذا . قال : إنكم لتخبروني عن رجل إن في وجهه
لسعة من الشيطان . فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم ، فقال له رسول
الله (ص) : أنشدك الله ، هل قلت حين وقفت على المجلس : « ما في القوم أحد
أفضل مني أو خير مني » ؟ قال : اللهم نعم ! ثم دخل يصلي فقال رسول
الله (ص) : من يقتل الرجل - الحديث . وفي آخر الحديث قال (ص) : لو قتل

ما اختلف من أمتي رجلا . . . ١٢ .

رابعاً - في عصرنا

قال الرجل (ذو المعرفة) من السعوديين :

(محمد رجلاً مثلي ، مات) .

وسبب هذا القول - أيضاً - هو الاستكبار كما كان شأن السابقين .

خلاصة البحث

إن إبليس لا يرى فضلاً لصفي الله ونبي آدم على نفسه فلا يخضع له ويقول عنه : إنه بشر .

وقوم نوح وعاد وشمود لا يرون لأنبيائهم من فضل عليهم ويقولون لأنبيائهم : إن أنتم إلا بشر مثلنا .

وذو الخويرة رأس الخوارج يقول لجمع فيهم رسول الله : ما في القوم أفضل مني أو خير مني . وكذلك الأمر في عصرنا .

إذاً فالباعث الأول للاستهانة بأصفياء الله هو الاستكبار .

(١٢) راجع ترجمة ذي الخويرة من الإصابة .

وذو الخويرة التميمي حرقوص بن زهير، أصل الخوارج قال لرسول الله عندما كان يقسم قسماً : يا رسول الله ، إعدل ! فقال له : ويحك من يعدل إذا لم أعدل ؟! وقال فيه : إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية . راجع ترجمة ذي الخويرة في أسد الغابة . وتفصيل قول رسول الله فيه وفي الخوارج وقتل الإمام علي إمامهم في صحيح مسلم ، باب ذكر الخوارج ، وباب التحريض على قتل الخوارج ، وباب الخوارج شرّ الخلق والخليقة .

والسفغة : قروح تخرج في الوجه والرأس ، ويكون المعنى أثر ضربة الشيطان في وجهه .

ب - الباعث الثاني لما نشأ من الخلاف

الباعث الثاني على الخلاف في الأمة الإسلامية مدى القرون، هو حاجة السُّلطات الحاكمة على المسلمين إلى إراءة حياة القدوات الإنسانية، من الأنبياء والأصفياء، بما لا يناقض حياتهم الغارقة في الشهوات والمنهمكة في أتباع هوى النفس.

وكان من أثر العاملين الأول والثاني، أن أُوتِ آيات من الذكر الحكيم إلى ما يبيّن صدور المعاصي من أنبياء الله وأصفياه، و وضعت روايات في انغماسهم في الملاهي والشهوات، وأحياناً استفادوا من الأخبار الإسرائيلية في ذلك مثل ما رواوا عن داوود وزوجة أوريا^{١٣}، إلى غيرها، والكثير من أمثالها التي رووها في سيرة الأنبياء؛ وقد مرّ بنا أمثلة ممّا رواوا في سيرة أفضل الأنبياء وخاتمهم محمد (ص). وفي هذا السبيل، سبيل تسوية الأنبياء والأوصياء بغيرهم من البشر، والقول بعدم وجود ميزة لهم عمّن سواهم، أولّوا آيات من الكتاب العزيز المصّرحة بمعجزات الأنبياء، مثل خلق عيسى (ع) من الطين طيراً بإذن الله ونظائره، ووضعت روايات تتفق وما يقولون به من عدم وجود ميزة لأصفياء الله عمّن سواهم من البشر.

وفي مقابل تلكم الأحاديث وتأويلات آيات كتاب الله، بدافع العاملين المذكورين آنفاً، نجد في كتب التفسير والحديث والسيرة أحاديث أخرى تدلّ على ميّزات أصفياء الله. فأمن بها طائفة من المسلمين، وأولّت آيات كتاب الله بما يوافق تلك الأحاديث. وأنتج ما ذكرناه رؤية خاصّة لصفات الله وصفات أنبيائه وعن العرش والكرسيّ وسائر المعارف الإسلامية تناقض

(١٣) راجع أخبار سيرة النبيّ داوود (ع) في تاريخ الطبريّ وغيره

رؤية الطائفة الأخرى . وكل طائفة آمنت بما لديها بما يبلغ بها إلى تكفير من يخالفها في الرأي . وإنّ ما وقع من التفرقة مدى القرون كان من أثر ما ذكرناه .
أما العلاج فسنذكره بحوله تعالى في الخاتمة الآتية .

- ٩ -

خلاصة وخاتمة

شرع الله للإنسان الإسلام نظاماً مناسباً لفطرته، وهداه بواسطة أنبيائه (ع) وكان كلما توفي نبي وغيّرت أمته شريعته، جدّد الله دينه بإرسال نبي جديد. وأقتضت حكمته ختم الشرائع بشريعة خاتمهم، فحفظ أصول الإسلام بحفظ القرآن من الزيادة والنقصان أبد الدهر، وجعل بيان الأحكام وشرحها في سنّة رسوله (ص) ولم يحفظها مثل القرآن من الزيادة والنقصان، ولم يعصم روايتها عن السهو والنسيان، ولم يعصم نسخ كتب الحديث من الخطأ والزلل. ومضى على رواية سنّة الرسول (ص) أربعة عشر قرناً وتداول المسلمون من روايات سنّة الرسول (ص) سيرة وحديثاً ما تعارض بعضه مع بعض الشيء الكثير، مع وجود المجلد والمفصل والعام والخاص فيها، والعوامل الخارجية المؤثرة في رواية الحديث، والتي أشرنا إليها سابقاً، فأختلفت اجتهادات المجتهدين في ترجيح بعضها على بعض، مضافاً إلى اجتهاداتهم الخاصة في مختلف معارف الإسلام وأحكامه. فتعصّب كل لأرائه، فتكوّنت لكل فرقة رؤية خاصّة للإسلام أولت بموجبها آيات متشابهات في كتاب الله

الكريم ، وحملت عليها آيات محكمات أخرى .

* * *

وهكذا أنقسم المسلمون إلى فرق ومذاهب ، ومضت عليهم قرون طويلة كَفَر خلالها المسلمون بعضهم بعضاً ، وقتلت كل فرقة من خالفها في الرأي أحياناً ، وهَدَمَت ديارهم فكيف يمكن توحيد كلمة المسلمين مع وجود هذه المفارقات ، ووجود مسائل الخلاف بينهم مما أوردنا أمثلة منها في ما سبق ؟ لا ، لن يتم التقارب بين المسلمين هكذا ، ومع بقائهم على تقليد اجتهادات السلف ، فلا بدّ للمسلمين من أن تبدي كل طائفة منهم ما لديها من رؤى للإسلام وتأويل للقرآن وحديث مرويّ واجتهادات للسلف نشأ منها الخلاف ، على شرط أن يتم ذلك بأسلوب الدعوة إلى الحقّ والبحث العلميّ الرصين ، دون الركون إلى السباب والشتائم والافتراء انتصاراً لرأيها وطائفتها - أعاذنا الله من ذلك - ثمّ الاستماع بتجرّد إلى مالدي الطوائف الأخرى كذلك ، والحقيقة بنت البحث .

والسبيل الصّحيح للوصول إلى ذلك ، أن يبادر علماء المسلمين إلى تلك الدراسات بتجرّد علميّ بحث ، ثمّ تعرض نتائج تلك الدراسات على الأندية العلمية الإسلامية الكبرى ، مثل الجامع الأزهر الشريف في القاهرة ، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، ورابطة العالم الإسلامي في مكّة المكرمة ، والجامع الإسلامي الكبرى في النجف الأشرف وقم وخراسان والقيروان والزيتونة ، لبحثها وتمحيصها . ثمّ لتشر بعد ذلك حكومات البلاد الإسلامية ما تتمخض عنه دراسات تلك الجامعات بين المسلمين كافة ليتسنى لجميع المسلمين من أراد منهم أن يفهم رأي غيره تفهماً واعياً لا لبس فيه ولا غموض ولا نبز ، وله بعد ذلك أن يتقبّل رأي غيره بقبول حسن ، أو يعذر أخاه المسلم في ما اتخذ له من رأي . وهكذا يتيسّر للمسلمين أن يتفهّم بعضهم بعضاً

ويتقاربوا ويوحدوا جهودهم في ما يصلح لهم^١.
ومن الضروري في هذا السبيل أن يبدأ بالبحث عن مصادر الشريعة
الإسلامية وكيفية أخذ المسلمين منها وسبل الوصول إلى السنة النبوية.
وللوصول إلى هذا الهدف الجليل قمت مستعيناً بالله تعالى بتأليف هذا
الكتاب وفق المنهج التالي.

منهج البحث في الكتاب :

أوردنا في ما سبق أمثلة من مسائل الخلاف ومنشأ الاختلاف ودوافعها
وبقي لنا دراسة جذور الخلاف والاختلاف. وسندرسها في أبواب القسم
الأول من هذا الكتاب ليدرسها المصلحون الغيارى على الإسلام والمسلمين
وينسّقوا جهودهم في ضوء معرفتها لتقريب أبناء الأمة الإسلامية وتوحيد

(١) لقد شرحت ضرورة القيام بدراسات مقارنة لسنة الرسول (ص) بتجرد علمي بحث لعلماء
المسلمين وكتّابهم ومفكرهم بمصر والحجاز والشام ولبنان والهند وباكستان والعراق وغيرها.
سواء في الجامعات الإسلامية والأندية العلمية بها أو في أجتاعي بالعلماء على انفراد، وآستعنت
الله وقمت منذ نيف وخمسين سنة بهذه الدراسات. ولما كانت أم المؤمنين عائشة أكثر من تحدثت
عن سيرة الرسول الاكرم (ص) بين أمهات المؤمنين وأهل البيت وجميع الصحابة، وكان أكثر
الباحثين مسلمين وغير مسلمين من المستشرقين وتلاميذهم يتعرفون على سيرة الرسول (ص) من
خلال الأحاديث المروية عنها، ولن تيسر دراسة سيرة الرسول دون الدراسة العلمية لمجموعة
الأحاديث المروية عنها بتجرد علمي بحث، لهذا اضطررت إلى دراسة أحاديثها دراسة مقارنة،
وطبعت الجزء الأول منها، ولما يطبع الجزء الثاني منها. ورأيت خلال دراساتي من الاختلاف
في أخبار السيرة وأخبار العصر الإسلامي الأول ما أكرهني على نشر بعض دراساتي بأسم
(خمسون ومائة صحابي مختلق) وقصدي من هذه التسمية أن أنبه العلماء إلى ما في أخبار العصر
الإسلامي الأول من عظيم الاختلاق، وطبع منها جزءان ترجم ليهما ثلاثة وتسعون صحابياً
مختلقاً وأكثر من سبعين راوياً للحديث مختلقين - أيضاً - أسندت إليهم روايات في الفتح والردة
وغير ذلك مختلفة جميعها. وكتبت مقدّمة لهذه الدراسة مجلدي عبد الله بن سبأ ونُشرا، وبقي
نشر المجلد الثالث من (خمسون ومائة صحابي مختلق) والثالث من عبد الله بن سبأ، وإلى
الله أشكو ما لا قيت من الإرجاف في هذا السبيل.

كلمتهم ضد أعداء الإسلام إن شاء الله تعالى .

و نقول في هذا الصدد: لَمَّا كان جميع طوائف المسلمين ينتهون إلى مدرستين^٢: مدرسة الإمامة ومدرسة الخلافة، بحثت في الكتاب:

أولاً - عن رأي المدرستين في الصحابة وعدالتهم، لأنهم من سبل الوصول إلى سنة الرسول (ص). وترى مدرسة الخلافة أنهم جميعاً عدول لا يتطرق الشك إلى عدالة أي واحد منهم، ويصح أخذ الحديث من جميعهم. وترى المدرسة الأخرى أن في الصحابة البر التقى الذي يؤخذ منه الحديث، وفيهم من وصمه الله في كتابه بالنفاق وقال: ﴿ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ التوبة/ ١٠١ .

هكذا درست أدلة الطرفين في هذا الباب بتجرد علمي، ثم بحثت عن رأي المدرستين في الإمامة والخلافة وأدلتها في ما آرتأتا، لأن الخلفاء الأربعة الأوائل لدى إحداهما من سبل الوصول إلى الشريعة الإسلامية وتروي في حقهم عن الرسول (ص) أنه قال: «خذوا بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وعصوا عليها بالنواجز»، ثم إنها تتخذ من آجتهاداتهم مصدراً للشريعة الإسلامية^٣.

وكذلك الأئمة الاثنا عشر لدى مدرسة أهل البيت (ع) فإنهم يرونهم من سبل الوصول إلى الشريعة الإسلامية ويأخذون منهم كل ما يروون عن الرسول (ص) من أحكام بلا ترديد. فلا بدّ مع هذا من تمحيص أدلة الطرفين في هذا السبيل .

ثانياً - درست بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية بكل أمانة

(٢) سيأتي بيانه في بداية البحوث ، إن شاء الله تعالى .

(٣) يأتي بحث نقد الحديث ودراسة مواقفهم من اجتهادات مجتهد مدرسة الخلفاء في الجزء الثاني في باب: بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية ، إن شاء الله تعالى .

علمية ، وختمت البحوث بذكر بعض أنواع نشاط المدرستين الثقافي والسياسي والاجتماعي وآثارها في المجتمع الإسلامي .

ثالثاً - أوردت في الأخير بعض ما افترى به على مدرسة أهل البيت (ع) وحاولت القيام بتمحيصه .

و أسأل الله أن يوفقني للبحث عن روايات المدرستين حول القرآن الكريم بمنه تعالى .

وها هي البحوث أعرضها على الملأ الإسلامي الكريم راجياً أن ينظروا فيها بتجرد علمي ، وينبهوني على أخطائي في سبيل نشر المعرفة الإسلامية وتيسير التقارب والتفاهم بين المسلمين ، إن شاء الله تعالى .

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ . يوسف / ١٠٨ .

القسم الأول

بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية

توطئة

في تاريخ الفكر الإسلامي نجد أنقساماً بيناً بعد وفاة النبي (ص) بين مدرستين متعارضتين، مدرسة السلطة الحاكمة بعد الرسول حتى آخر الخلفاء العثمانيين ، ومدرسة أئمة أهل البيت (ع) حتى الإمام الثاني عشر^١. ولم يزل الخلاف قائماً بين خريجي المدرستين وأتباعهما من المسلمين، ولا يزال كذلك حتى عصرنا الحاضر، وإلى ما شاء الله .

وفي ما يلي من هذا البحث نسمي المدرسة الأولى بمدرسة الخلفاء والأخرى بمدرسة أهل البيت . ونبدأ بذكر منشأ الخلاف بينهما، ثم نورد أمثلة من وجوه الخلاف ، إن شاء الله تعالى .

منشأ الخلاف :

تتفق المدرستان في القرآن الكريم، وتلتزمان بما أحله وحرّمه وفرضه

١) إنها حدّدتنا مدرسة السلطة الحاكمة بآخر الخلفاء العثمانيين ، ومدرسة أهل البيت بالإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، لأن مدرسة الخلفاء تلتزم بشرعية حكومة الخلفاء بعد النبي وتسميهم بخلفاء النبي، وتلتزم مدرسة أهل البيت بأحقية الأئمة الاثني عشر في الحكم وتسميهم أوصياء النبي . ولهذا سمينا الأولى بمدرسة الخلفاء، والثانية بمدرسة أهل البيت .

ونذب إليه، وتختلفان في تأويله وخاصة متشابه آياته أشد الاختلاف. ثم
تختلفان في الأمور الثلاثة التالية:

أ - في الصحابة.

ب - في الإمامة والخلافة، وهما من سبل الوصول إلى مصادر الشريعة
الإسلامية.

ج - في مصادر الشريعة الإسلامية بعد القرآن.

وسندرس بحوث المدرستين في كل منها بعد دراسة المصطلحات الواردة
في بابه في أول الباب. ونبدأ هنا بدراسة المصطلحات المشتركة في جميع أبواب
الكتاب أولاً، ثم بدراسة كيفية تدوين معاجم اللغة العربية ثانياً.

اللغة العربية و المصطلحات الإسلامية

أولاً - تعريف المصطلحات و هي :

أ - لغة العرب .

ب - المصطلح الشرعيّ أو المصطلح الإسلامي .

ج - مصطلح المتشرّعة أو مصطلح المسلمين .

د - الحقيقة والمجاز .

ونسَمّي الأول أحياناً بـ (تسمية العرب) ، والثاني بـ (تسمية الشارع)

و الثالث بـ (تسمية المسلمين) ونقول :

أ - لغة العرب

إنّما نتحدّث عن لغة العرب ، لأنّ القرآن نزل بلغتهم ، فنقول :

إنّ جلّ الألفاظ العربيّة التي نستعملها اليوم ، كانت شائعة في معانيها

قبل الإسلام وبعد الإسلام حتّى اليوم ، مثل : الأكل والنوم والليل والنهار .

ومن تلكم الألفاظ ما ورد في لغة العرب في معان متعدّدة ، مثل لفظ :

(غنم) الذي كان في البدء بمعنى كسب الغنم ، ثمّ استعمل أيضاً في لغة

العرب بمعنى الفوز بالشيء بلا مشقّة ، ثمّ استعمل في الإسلام في الفوز

بالشيء مطلقاً ، سواء أكان الفوز بمشقة أم دون مشقة .
وقد يرد لفظ عند قبيلة بمعنى، وعند أخرى بمعنى آخر ، مثل :
(الأثلب) فإنه في لغة أهل الحجاز: الحجر، وفي لغة تميم : التراب^١ .
وفي عصرنا يستعمل لفظ : (المبسوط) ويراد به عند العراقيين :
المضروب ، ولدى الشاميين واللبنانيين : المسرور ، وفي مثل هذه الحالة يجب
أن نقول مثلاً : (الأثلب) في لغة تميم بمعنى كذا ، وفي لغة الحجازيين بمعنى
كذا ، وكذلك الأمر في (المبسوط) .

ب - المصطلح الشرعي أو «المصطلح الإسلامي»

عندما بعث الله خاتم أنبيائه (ص) استعمل بعض الألفاظ العربية في
غير معانيها الشائعة لدى العرب ، مثل : (الصلاة) التي كانت تستعمل في
مطلق (الدعاء) واستعملها رسول الله (ص) في عبادة خاصة لها قراءات خاصة
مقارنة بأفعال خاصة من قيام وركوع وسجود ، مما لم تكن معروفة لدى
العرب . وهذا ما نسميه بـ (المصطلح الشرعي أو الإسلامي) سواء في ذلك
أغبر المعنى اللغوي للفظ مثل (الصلاة) أم جاء الشارع الإسلامي بلفظ جديد
في معنى جديد ، مثل : (الرحمن) صفة لله تعالى .
ويعرف (المصطلح الشرعي) بورود اللفظ في معناه في القرآن الكريم أو
الحديث النبوي الشريف ، وبدون ذلك لا يوجد المصطلح الشرعي .
إذاً فالمصطلح الشرعي : ما استعمله الشارع في معنى خاص وبلغ
الرسول (ص) ذلك .

(١) تهذيب اللغة للأزهري ، ط . القاهرة ، سنة ١٣٨٤ هـ ، ٩١/١٥ .

ج - مصطلح المتشرعة أو «تسمية المسلمين»

من الألفاظ ما هي شائعة في معان خاصة بها لدى المسلمين عامة مثل :
(الاجتهاد) و (المجتهد) الشائعين لدى عامة المسلمين في الفقه والفقيه ، وكان
اللفظان في لغة العرب بمعنى بذل الجهد في طلب الأمر^٢ ، وبذل الجهد ،
وآستعملا بنفس المعنى اللغوي في حديث الرسول (ص) كما روي عن رسول
الله (ص) أنه قال :

«فضل العالم على المجتهد مائة درجة» ، أي على المجتهد في العبادة^٣.

وفي ما روي عن سيرته (ص) وقيل :

كان رسول الله يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره^٤.

ولم يرد (الاجتهاد) و (المجتهد) بمعنى : الفقه والفقيه ، في القرآن
الكريم ولا الحديث النبوي الشريف ، ونسَمي هذا النوع من التسمية
بـ (عرف المتشرعة) و (تسمية المسلمين) .

ومن هذا النوع من التسمية ما لا يكون شائعاً لدى عامة المسلمين ، بل
يكون شائعاً لدى بعضهم ، مثل كلمة : (صوم زكرياً) المستعمل لدى بعض
المسلمين في الصوم مع الالتزام بالصمت والامتناع عن التكلم . وهذا النوع
من المصطلح ينبغي أن نسَميه بأسم البلد الشائع فيه ، فنقول : هذا اصطلاح
المسلمين من أهل بغداد ، أو اصطلاح المسلمين في القاهرة مثلاً ، ولا يصح أن
نسَميه بـ (اصطلاح المسلمين) أو (عرف المتشرعة) أو (تسمية المسلمين) مطلقاً

(٢) مادة : (جهد) من نهاية اللغة لابن الاثير.

(٣) مقدمة سنن الدارمي ، باب فضل العلم والعالم ، ح ٣٢ ، ١٠٠/١ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الاعتكاف ، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان ،
ح ١١٧٥ .

وبدون تقييد.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى التسمية الشائعة لدى أهل مذهب من المذاهب الإسلامية أولدى فرقة تنتمي إلى الإسلام.

مثل: (الشاري) و(المشرك) لدى الخوارج؛ فـ (الشاري) عندهم بمشابة المجاهد عند كافة المسلمين، و(المشرك) عندهم: جميع المسلمين وكل من لا ينتمي إلى الخوارج.

ومثل (الرافضي) الذي ينز به بعض أتباع مدرسة الخلفاء بعض أتباع مدرسة أهل البيت (ع).

و(الناصبي) عند أتباع مدرسة أهل البيت (ع) الذي يسمون به: كل من يبغض الأئمة من أهل البيت (ع).

وفي مثل هذه الحالة، نسمي الأول بـ (أصطلاح الخوارج) والثاني بـ (أصطلاح مدرسة الخلفاء) والثالث بـ (أصطلاح مدرسة أهل البيت).

وبناءً على ما ذكرنا، فإذا ورد لفظ (الناصبي) لدى أتباع مدرسة الخلفاء لا ينبغي أن نفهم منه أعداء أهل البيت (ع). وكذلك إذا ورد لفظ (الشاري) عند غير الخوارج لا نفهم منه ما أصطلح عليه الخوارج.

د - الحقيقة والمجاز

إذا شاع استعمال اللفظ في معناه، بحيث لم يتبادر إلى ذهن السامع عند استماع الكلمة غير ذلك المعنى، مثل لفظ: (الأسد) الذي يفهم منه: الحيوان المفترس، لا غيره. ومثل لفظ: (الصلاة) التي لا يفهم منها لدى المسلمين غير: القيام بالأعمال الخاصة المقرونة بأذكار خاصة.

في مثل هذه الحالة، يوصف (الأسد) بأنه حقيقة في الحيوان المفترس، و(الصلاة) بأنها حقيقة في الأعمال المخصوصة، ويسمى الأول بـ (الحقيقة

اللغوية) والثاني بـ (الحقيقة الشرعية).

وقد يستعمل لفظ (الأسد) ويقصد به: الرجل الشجاع ، ويقال: رأيت أسداً يتكلم في المسجد. وهذا الاستعمال يسمّى استعمالاً مجازياً ويقال: استعمل (الأسد) مجازاً في الرجل الشجاع. ولا بدّ عند ذلك من وجود قرينة في الكلام أو في المقام ، تدلّ على أنّه لم يقصد من (الأسد) المعنى الحقيقي ، مثل قولك هنا: (يتكلم في المسجد) فإنّ الأسد لا يتكلم ، وهذه قرينة على أنّ القائل لم يقصد الحيوان المفترس ، وإنّما قصد رجلاً شجاعاً.

ثانياً - كيفية تأليف مجاميع اللغة العربيّة

عندما قام علماء اللغة العربيّة بتدوين اللغة العربيّة في القرنين الثاني والثالث الهجريّين، سجّلوا أمام كلّ لفظ ما وجدوا له من معنى ، منذ العصر الجاهليّ إلى زمانهم ، سواء أكان ذلك المعنى شائعاً عند أهل اللغة أم في الشرع الإسلامي ، أو لدى المسلمين، غير أنّ فقهاء المسلمين بذلوا جهداً مشكوراً مدى القرون في تحديد المصطلحات الإسلاميّة الفقهيّة وتعريفها ، مثل مصطلح الصلاة والصّوم والحجّ وغيرها ، فأصبحت المصطلحات الإسلاميّة الفقهيّة معروفة لدى جميع المسلمين. ولما لم يبذل نظير ذلك الجهد في تعريف المصطلحات الإسلاميّة غير الفقهيّة، أصبح بعض المصطلحات غير معروف لدى المسلمين، أهى من نوع الاصطلاح الشرعيّ ؟ أم من نوع تسمية المسلمين واصطلاح المتشرّعة. وأدّى ذلك إلى اللبس والغموض في إدراك المفاهيم الإسلاميّة، وأحياناً في معرفة بعض الأحكام الشرعية، نظير ما وقع في لفظي الصحابيّ ، والصحابة ، كما سندرسهما في ما يأتي.

البحث الأول

بحوث المدرستين حول الصّحبة والصّحابة

تعريف الصحابي لدى المدرستين
عدالة الصحابة لدى المدرستين
خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

الفصل الأول

تعريف الصحابي لدى المدرستين

تعريف الصحابي في مدرسة الخلفاء

تعريف الصحابي بمدرسة أهل البيت(ع)

ضابطتهم لمعرفة الصحابي

مناقشة ضابطة معرفة الصحابي

تعريف الصحابي لدى المدرستين

تعريف الصحابي في مدرسة الخلفاء

قال ابن حجر في مقدمة الإصابة، الفصل الأول في تعريف الصحابي: الصحابي من لقي النبي (ص) مؤمناً به، ومات على الإسلام. فيدخل في من لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى^١.

وذكر في (ضابط يستفاد من معرفته صحبة جمع كثير) وقال: (إنهم كانوا في الفتوح لا يؤثرون إلا الصحابة).

(وأنه لم يبق بمكة ولا الطائف أحد في سنة عشر إلا أسلم وشهد مع النبي حجة الوداع) و(أنه لم يبق في الأوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي (ص) إلا دخل في الإسلام) و(مات النبي (ص) وأحد منهم يظهر

(١) الإصابة ١٠/١.

وهذا القول بمدرسة الخلفاء هو مصدر الشهيد الثاني حين قال في كتابه الدراية؛ الباب الرابع في بعض المصطلحات في أسماء الرجال وطبقاتهم: (الصحابي من لقي النبي مؤمناً به ومات على الإسلام).

الكفر^٢.

وإذا راجع باحث أجزاء كتابنا (خمسون ومائة صحابيٍّ مختلق) يرى مدى تسامحهم في ذلك ومبلغ ضرره على الحديث.

تعريف الصحابيِّ بمدرسة أهل البيت (ع)

إن مدرسة أهل البيت ترى أنَّ تعريف الصحابي : هو ما ورد في قواميس اللغة العربية كما لآتي :

الصاحب وجمعه : صَحب، وأصحاب، وصِحاب، وصَحابَة^٣ و(الصاحب : المعاشرة والملازم^٤)، (ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته^٥)، (وإنَّ المصاحبة تقتضي طول لبثه^٦).^٧

وبما أنَّ الصُّحبة تكون بين اثنين، يتَّضح لنا أنَّه لا بدَّ أن يضاف لفظ (الصاحب) وجمعه (الصَّحب و...) إلى أسمٍ ما في الكلام، وكذلك ورد في القرآن في قوله تعالى : ﴿ يا صاحبي السجن ﴾ و﴿ أصحاب موسى ﴾، وكان يقال في عصر الرسول (ص) : (صاحب رسول الله) و(أصحاب رسول الله) مضافاً إلى رسول الله (ص) كما كان يقال : (أصحاب بيعة الشجرة) و(أصحاب الصفة) مضافاً إلى غيره، ولم يكن لفظ الصاحب والأصحاب يوم ذاك أسماً لأصحاب الرسول (ص) ولكنَّ المسلمين من أصحاب مدرسة الخلافة تدرَّجوا بعد ذلك في تسمية أصحاب رسول الله (ص) بالصحابيِّ والأصحاب، وعلى هذا فإنَّ هذه التسمية من نوع (تسمية المسلمين) و(مصطلح المتشرعة).

(٢) المصدر السابق ص ١٦ وقبله ص ١٣ . (٣) راجع لسان العرب، مادة : (صحب).
(٤) و(٥) مفردات الراغب، مادة : (صحب).

كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصحابي .

ضابطتهم لمعرفة الصحابي

ذكر مترجمو الصحابة بمدرسة الخلفاء ضابطة لمعرفة الصحابي، كما نقلها ابن حجر في الإصابة وقال:

ومما جاء عن الأئمة من الأقوال المجملة في الصفة التي يعرف بها كون الرجل صحابياً وإن لم يرد التنصيص على ذلك، ما أورده ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق لا بأس به: أنهم كانوا في الفتوح لا يؤثرون إلا الصحابة^٨.
و الرواية التي جاءت من طريق لا بأس به بهذا الصدد هي التي رواها الطبري وابن عساكر بسندهما، عن سيف، عن أبي عثمان، عن خالد وعبادة، قال فيها:

وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك^٩.
وفي رواية أخرى عند الطبري عن سيف قال:

إن الخليفة عمر كان لا يعدل أن يؤمر الصحابة إذا وجد من يجزي عنه في حربه. فإن لم يجد ففي التابعين بإحسان، ولا يطمع من أنبعث في الردة في الرئاسة...^{١٠}.

مناقشة ضابطة معرفة الصحابي

إن مصدر الروایتين هو سيف المتهم بالوضع والزندقه^{١١}.
وسيف يروي الضابطة عن أبي عثمان، وأبو عثمان الذي يروي عن

(٨) الإصابة ١٣/١.

(٩) الطبري ط. أوربا، ٢١٥١/١.

(١٠) الطبري ط. أوربا، ٢٤٥٧/١ - ٢٤٥٨.

(١١) راجع ترجمة سيف في أول الجزء الأول من كتاب عبد الله بن نسا.

خالد وعبادة في روايات سيف، تخيَّله سيف: يزيد بن أسيد الغساني، وهذا الاسم من مختلقات سيف من الرواة^{١٢}.

ومهما تكن حال الرواة الذين رَووا أمثال هذه الروايات، وكائنين من كانوا، فإنَّ الواقع التاريخيَّ يناقض ما ذكروا؛ فقد روى صاحب الأغاني وقال:

أسلم امرؤ القيس على يد عمر وولاه قبل أن يصلي لله ركعة واحدة^{١٣}.
وتفصيل الخبر في رواية بعدها عن عوف بن خارجة المري قال:
والله إنِّي لعند عمر بن الخطاب (رض) في خلافته، إذ أقبل رجل أفحج^{١٤} أجلىح أمر يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر، فحيَّاه بتحيةة الخلافة.

فقال له عمر: فمن أنت ؟

قال: أنا امرؤ نصراني، أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي.

فعرفه عمر، فقال له: فما تريد ؟

قال: الإسلام.

فعرضه عليه عمر، فقبله. ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من قضاة^{١٥}. فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه - الحديث^{١٦}.

(١٢) راجع مخطوطة (رواة مختلقون) للمؤلف وكتاب عبد الله بن سبأ ط. بيروت سنة ١٤٠٣ هـ / ١١٧.

(١٣) الأغاني ط. ساسي، ١٥٨/١٤.

(١٤) الأفحج: من تدانت صدور قدميه وتباعد عقباه. والأجلىح: الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه. والأمر: قليل الشعر.

(١٥) قضاة: قبائل كبيرة، منهم قبائل حيدان وبهراء وبلى وجهينة، ترجمتهم في جمهرة أنساب ابن حزم ص ٤٤٠ - ٤٦٠. وكانت ديارهم في الشحر ثم في نجران ثم في الشام، فكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق، راجع مادة قضاة، معجم قبائل العرب ٩٥٧/٣.
(١٦) الأغاني ط. ساسي ١٥٧/١٤، وأوجزه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٤.

ويخالفه - أيضاً - ما في قصّة تأمير علقمة بن علاثة الكلبي بعد
 ارتداده ، وقصّته كما في الأغاني والإصابة^{١٧} بترجمته ما يلي :
 أسلم علقمة على عهد رسول الله وأدرك صحبته . ثمّ ارتدّ على عهد
 أبي بكر . فبعث أبو بكر إليه خالدًا ففرّ منه .
 قالوا : ثمّ رجع فأسلم .

وفي الإصابة :

شرب الخمر على عهد عمر ، فحدّه ، فارتدّ ولحق بالروم . فأكرمه ملك
 الروم ، قال له : أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل . فغضب وقال : لا أراني أعرف
 إلّا بعامر^{١٨} . فرجع وأسلم .

وفي الأغاني والإصابة - واللفظ للأول - :

لما قدم علقمة بن علاثة المدينة وكان قد ارتدّ عن الإسلام ، وكان
 لخالد بن الوليد صديقاً ، فلقيه عمر بن الخطاب (رض) في المسجد في جوف
 الليل ، وكان عمر (رض) يشبه بخالد ، فسلم عليه وظنّ أنه خالد .

فقال له : عزلك ؟

قال : كان ذلك .

١٧) ترجمته في الإصابة ٢/٢٩٦ - ٢٩٨ ، والأغاني ط . ساسي ١٥/٥٦ ، وقصة تنافر علقمة
 وعامر في الأغاني ١٥/٥٠ - ٥٥ ، وفي جمهرة أبن حزم ص ٢٨٢ .

١٨) وقعت منافرة بين علقمة وعامر ذكرها الأخباريون ، قال في الأغاني ط . ساسي ١٥/٥٠ :
 أنّ علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول ، فبصر به عامر ، فقال : لم أر كالיום حورة رجل أقيح
 فقال علقمة : أما والله ما وثبت على جاراتها ولا تنازل كنانها ، يعرض بعامر

فقال عامر : والله لانا أكرم منك حسباً وأثبت منك نسباً .

فقال علقمة : لانا خير منك ليلاً ونهاراً .

فقال عامر : لانا أحبّ إلى نساءك - إلى آخر القصّة في الأغاني ، وترجمة علقمة في الإصابة .

قال المؤلف :

ولذلك أنف علقمة من أن يكرم لأنه ابن عمّ عامر ويشتهر ذلك عنه .

قال : والله ما هو إلا نفاسة عليك وحسداً لك .
فقال له عمر : فما عندك معونة على ذلك ؟
قال : معاذ الله ، إنَّ لعمر علينا سمعاً وطاعة وما نخرج إلى خلافه .
فلما أصبح عمر (رض) أذن للناس ، فدخل خالد وعلقمة . فجلس
علقمة إلى جنب خالد ، فألتفت عمر إلى علقمة فقال له :
إيه يا علقمة ، أنت القائل لخالد ما قلت ؟
فألتفت علقمة إلى خالد ، فقال :
يا أبا سليبان أفعلتها ؟
قال : ويحك ! والله ما لقيتك قبل ما ترى ، وإنِّي أراك لقيت الرجل .
قال : أراه والله .
ثم التفت إلى عمر (رض) فقال :
يا أمير المؤمنين ! ما سمعت إلا خيراً .
قال : أجل ، فهل لك أن أوليك حوران^{١٩} ؟
قال : نعم .
فولاه إياها فمات بها ، فقال الخطيئة يرثيه - الحديث .
وزاد في الإصابة :
فقال عمر : لأن يكون من ورائي على مثل رأيك أحب إليَّ من كذا
وكذا .

* * *

كان ما نقلناه هو الواقع التاريخي غير أن علماء مدرسة الخلفاء استندوا
إلى ما رووا و اكتشفوا ممّا رووا ضابطة لمعرفة صحابة رسول الله (ص) وأدخلوا

١٩) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع . معجم البلدان ٢/٣٥٨ .

في عداد الصّحابة مختلقات سيف بن عمر المتّهم بالزندقة ممّا درسناه في كتابنا
(خمسون ومائة صحابيّ مختلق).

* * *

بعد دراسة رأي المدرستين في تعريف الصحابيّ ، ندرس في ما يأتي
أمر عدالة الصّحابة لدى المدرستين.

الفصل الثاني

عدالة الصحابة لدى المدرستين

رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة

رأي مدرسة أهل البيت(ع) في عدالة الصحابة

ضابطة لمعرفة المؤمن و المنافق

رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة

تري مدرسة الخلفاء أنَّ الصحابة كلهم عدول، وترجع إلى جميعهم في أخذ معالم دينها.

قال إمام أهل الجرح والتعديل الحافظ أبو حاتم الرازي^١ في مقدمة كتابه: فأما أصحاب رسول الله (ص) فهم الذين شهدوا الوحي والتَّزِيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عزَّ وجلَّ لصحبة نبيه (ص) ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلاماً وقُدوة، فحفظوا عنه (ص) ما بلغهم عن الله عزَّ وجلَّ، وما سنَّ وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده، بمعاينة رسول الله (ص) ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقَّفهم منه واستنباطهم عنه؛ فشرفهم الله عزَّ وجلَّ بما منَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع

(١) هو أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧ هـ، وكتابه هذا (تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل) ط. حيدرآباد سنة ١٣٧١ هـ، نقلنا ما أورده من ص ٧ - ٩ منه.

القدوة ، فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والفخر واللمز،
وسمّاهم عدول الأمة، فقال عزّ ذكره في محكم كتابه : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة
وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ﴾ البقرة/ ١٤٣ . ففسّر النبي (ص) عن الله
عزّ ذكره قوله : ﴿ وسطاً ﴾ قال : عدلاً . فكانوا عدول الأمة ، وأئمة الهدى ،
وحجج الدين ، ونقله الكتاب والسنة .

ونذب الله عزّ وجلّ إلى التمسك بهديهم والجري على منهاجهم
والسلوك لسبيلهم والافتداء بهم ، فقال : ﴿ ومن يشاقق الرسول . . . ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوّله ما تولى . . ﴾ الآية ، النساء/ ١١٥ .

وجدنا النبي (ص) قد حضّ على التبليغ عنه في أخبار كثيرة ووجدناه
يخاطب أصحابه فيها ، منها أن دعا لهم فقال : «نضر الله امرأً سمع مقالتي
فحفظها وعاما حتى يبلغها غيره» . وقال (ص) في خطبته : «فليبلغ الشاهد
منكم الغائب» وقال : «بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عني ولا حرج» .

ثم تفرقت الصحابة - رضى الله عنهم - في النواحي والأمصار والثغور،
وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام ، فبث كل واحد منهم
في ناحيته والبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله (ص)^٢ وأفتوا في
ما سلوا عنه ممّا حضرهم من جواب رسول الله (ص) عن نظائرها من
المسائل ، وجردوا أنفسهم مع تقدمه حسن النية والقربة إلى الله تقدّس اسمه
لتعليم الناس الفرائض والأحكام والسنن الحلال والحرام ، حتى قبضهم الله
عزّ وجلّ . رضوان الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين .

(٢) ترى مدرسة أهل البيت أنّ المقصود من كل ذلك: المؤمنون منهم ، كما نصّت الآية عليه ،
وسمّاهم مزيد بيانه إن شاء الله تعالى .

(٣) سترى في ما يأتي إن شاء الله أنّ مدرسة الخلافة منعت نشر حديث الرسول وخاصة كتابته
إلى رأس المائة من الهجرة!

وقال ابن عبد البر في مقدمة كتابه: الاستيعاب^٤:
 (ثبتت عدالة جميعهم). ثم أخذ بإيراد آيات وأحاديث وردت في حق
 المؤمنين منهم نظير ما أوردناه من الرازي.
 وقال ابن الاثير في مقدمته لكتاب أسد الغابة^٥:

(... إن السنن التي عليها مدار تفصيل الأحكام ومعرفة الحلال
 والحرام إلى غير ذلك من أمور الدين، إنما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدھا
 ورواتها، وأولهم والمقدم عليهم أصحاب رسول الله (ص) فإذا جهلهم
 الإنسان كان بغيرهم أشدَّ جهلاً وأعظم إنكاراً، فينبغي أن يعرفوا بأنسابهم
 وأحوالهم...)

والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل،
 فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح (...).

وقال الحافظ ابن حجر في الفصل الثالث، في بيان حال الصحابة من
 العدالة، من مقدمة الإصابة^٦:

(اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ
 من المبتدعة...).

وروى عن أبي زرعة أنه قال:
 (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله (ص) فاعلم أنه

٤) الاستيعاب في أسماء الأصحاب للحافظ المحدث أبي عمر يوسف بن عبد الله بن
 محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ).

٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري
 المعروف بابن الاثير (ت: ٦٣٠ هـ)، ٣/١.

٦) الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكتاني
 العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ). وقد رجعنا إلى ط. المكتبة التجارية
 سنة ١٣٥٨ هـ بمصر، ١٧/١ - ٢٢.

زنديق، وذلك أَنَّ الرسول حقّ ، والقرآن حقّ ، وما جاء به حقّ ، وإنّما أدّى ذلك إلينا كلّ الصّحابة ، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة^٧ .
كان هذا رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصّحابة ، وفي ما يلي رأي مدرسة أهل البيت (ع) في ذلك .

رأي مدرسة أهل البيت (ع) في عدالة الصّحابة

ترى مدرسة أهل البيت تبعاً للقرآن الكريم : أَنَّ في الصّحابة مؤمنين أثنى عليهم الله في القرآن الكريم وقال في بيعة الشجرة مثلاً : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السّكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ الفتح / ١٨ . فقد خصّ الله الثناء بالمؤمنين ممّن حضروا بيعة الشجرة ولم يشمل المنافقين الذين حضروها مثل عبد الله بن أبيّ وأوس بن خولى^٨ .

وكذلك تبعاً للقرآن ترى فيهم منافقين ذمهم الله في آيات كثيرة مثل قوله تعالى :

﴿ وممّن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النّفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرّتين ثم يرّدون إلى عذاب عظيم ﴾ التوبة / ١٠١ .

(٧) الإصابة ١٨/١ . وأبوزرعة : هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد . قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٥٣٦/٢ الترجمة ١٤٧٩ : إمام حافظ ثقة مشهور من الطبقة الحادية عشرة من الرواة . مات سنة أربع وستين ومائتين ، وروى عنه من أصحاب الصحاح مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة .

أقول : لست أدري ماذا يقول الإمام أبوزرعة في حقّ المنافقين من أصحاب رسول الله (ص) .
(٨) راجع خبر بيعة الشجرة = بيعة الرضوان في مغازي الواقدي ص ٦٠٤ . وإمتاع الاسماع للمقرئزي ص ٢٩١ .

و فيهم من أخبر الله عنهم بالإفك، أي من رموا فراش رسول الله (ص) بالإفك^٩ - نعوذ بالله من هذا القول - وفيهم من أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً آنفَضُوا إليها وتركوك قائماً ﴾ الجمعة / ١١ . وكان ذلك عندما كان رسول الله قائماً في مسجده يخطب خطبة الجمعة .

و فيهم من قصد اغتيال رسول الله في عقبة هرشى عند رجوعه من غزوة تبوك^{١٠}، أو من حجة الوداع^{١١} .

وإن التشرف بصحبة النبي (ص) ليس أكثر امتيازاً من التشرف بالزواج بالنبي (ص)، فإن مصاحبتهم له كانت من أعلى درجات الصحبة، وقد قال الله تعالى في شأنهم:

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ . . . ﴾ الاحزاب / ٣٠ - ٣٢ .

وقال في آئتين منهن:

﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: -

٩) إشارة إلى قصة الإفك التي نزلت في شأنها الآيات ١١ - ١٧ من سورة النور في براءة أم المؤمنين عائشة عما رُميت به كما روتها هي، أو في براءة مارية عما رُميت به على قول غيرها، كما في الجزء الثاني من أحاديث أم المؤمنين عائشة .

١٠) مسند أحمد ٥/٣٩٠ و ٤٥٣ . وراجع صحيح مسلم ٨/١٢٢ - ١٢٣، باب صفات المنافقين . ومجمع الزوائد ١/١١٠ و ١٩٥/٦ . ومغازي الواقدي ٣/١٠٣٢ . وإمتاع الأسباع للمقرئ ص ٤٧٧، وفي تفسير، ﴿ وَهُمْوَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ الآية ٧٤ من سورة التوبة بتفسير الدر المنثور للسيوطي ٣/٢٥٨ - ٢٥٩ .

١١) ورد في أحاديث الشيعة أن ذلك كان عند مرجعه من حجة الوداع وبمناسبة واقعة غدهم بآرض الجحفة . راجع البحار، ط . المكتبة الإسلامية بطهران سنة ١٣٩٢ هـ، ٢٨/٩٧

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَةَ نُوحٍ وَأَمْرَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ . . . وَمَرِيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ . . .) التحريم من أول السورة إلى آخرها .

ومنهم من أخبر عنهم الرسول (ص) في قوله عن يوم القيامة :

«وإنه يُجاء برجال من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصيحابي . فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ المائدة/ ١١٧ . فيقال : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»^{١٢}

وفي رواية :

«ليردن عليّ ناس من أصحابي الخوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني ، فأقول : أصحابي . فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك»^{١٣} .

وفي صحيح مسلم :

ليردن عليّ الخوض رجال مِمَّنْ صاحِبَنِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُمْ وُفِعُوا إِلَيَّ ائْتَلَجُوا دُونِي ، فَلَأَقُولَنَّ : أَيُّ رَبِّ أَصِيحَابِي . فَلْيَقَالَنَّ لِي : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ»^{١٤} .

(١٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة المائدة ، باب وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني ، وكتاب الأنبياء ، باب وآخذ الله إبراهيم خليلاً . والترمذي ، أبواب صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الحشر ، وتفسير سورة طه .

(١٣) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب في الخوض ، ٩٥/٢ ، وراجع كتاب الفتن ، باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ . . . ﴾ الأنفال/ ٢٥ . منه . وآبن ماجة ، كتاب المناسك ، باب الخطبة يوم النحر ، ح ٥٨٣٠ . وراجع مسند أحمد ٢٥٣/١ و ٢٨/٣ و ٤٨/٥ .

(١٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ، ١٨٠٠/٢ ح ٢٠ .

ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق

لَمَّا كَانَ فِي الصَّحَابَةِ مَنْافِقُونَ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَقَدْ أَخْبَرَ نَبِيِّهِ بَأَنَّ عَلِيًّا لَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغُضُهُ إِلَّا مَنْافِقٌ، كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ (ع) ١٥ وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلَمَةَ ١٦ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ١٧، وَأَبُو ذَرٍّ الْغَفَّارِيُّ ١٨،

١٥) الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي هَمٍّ الرَّسُولُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: وَلَدَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، كَمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ٢٨٣/٣، وَالْمَالِكِيُّ فِي الْفَصُولِ الْمَهْمَةِ. وَأَبْنُ الْمَغَازِلِيِّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٢٨٣ هـ) فِي الْمَنَاقِبِ، ح ٣ ص ٧. وَالشَّيْبَانِيُّ فِي نُورِ الْأَبْصَارِ ص ٩٦. وَكَانَتْ وَلادَتَهُ فِي ١٣ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ مِنْ عَامِ الْفِيلِ. وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ سَنَةَ ٣٥ هـ. وَضَرَبَهُ ابْنُ مَلْجَمِ الْمُرَادِيِّ لَيْلَةَ التَّاسِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٤٠ لِلْهِجْرَةِ فِي مَحْرَابِ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ، وَتَوَفَّى فِي يَوْمِ ٢١ مِنْهُ. رَوَى عَنْهُ أَصْحَابُ الصَّحَاحِ ٥٣٦ حَدِيثًا. رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ وَأَسَدِ الْغَابَةِ وَالْإِصَابَةِ وَص ٢٧٦ مِنْ جَوَامِعِ السَّيْرِ.

وَرَوَايَتُهُ فِي الْمَنَاقِبِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ٦١/١، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ حُبَّ الْأَنْصَارِ وَعَلِيٍّ مِنَ الْإِيمَانِ وَبَغْضُهُمْ مِنَ عِلَامَاتِ النِّفَاقِ. وَصَحِيحُ التِّرْمِذِيِّ ١٣/١٧٧، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيٍّ. وَسَنَّ ابْنُ مَاجَةَ الْبَابَ الْحَادِيَ عَشَرَ مِنْ مَقْدَمَتِهِ. وَسَنَّ النَّسَائِيُّ ٢/٢٧١، بَابُ عِلَامَةِ الْمُؤْمِنِ وَبَابُ عِلَامَةِ الْمَنَاقِبِ كِتَابُ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعُهُ وَخَصَائِصُ النَّسَائِيِّ ص ٣٨. وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ ١/٨٤ وَ ٩٥ وَ ١٢٨. وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٢/٢٥٥ وَ ٨/٤١٧، وَ ١٦/٤٢٦. وَحُلِيَّةُ الْأَوَّلِيَاءِ لِأَبِي نَعِيمٍ ٤/١٨٥ وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ ٢/١٩٨. وَتَارِيخُ ابْنِ كَثِيرٍ ٧/٣٥٤، وَبَتَرْجُمَتِهِ فِي كُلِّ مِنَ الْإِسْتِيعَابِ ٢/٤٦١ وَأَسَدِ الْغَابَةِ ٤/٢٩٢. وَكَنْزُ الْعَمَالِ ١٥/١٥٥. وَالرِّيَاضُ النَّضْرَةُ ٢/٢٨٤. وَالْمَنَاقِبُ لِابْنِ الْمَغَازِلِيِّ، ح ٢٢٥، ص ١٩٠.

١٦) أُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ ابْنَةُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْقُرَشِيِّ الْمَخْزُومِي: كَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) عِنْدَ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيِّ، أَسْلَمًا قَدِيمًا وَهَاجِرًا إِلَى الْحَبَشَةِ ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَلَمَّا جَرَحَ أَبُو سَلَمَةَ بِأَحَدٍ وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَكَانَتْ مَصِيبَةً، وَتَوَفَّيَتْ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِينَ. رَوَى عَنْهَا أَصْحَابُ الصَّحَاحِ ٣٧٨ حَدِيثًا. رَاجِعْ تَرْجُمَتَهَا وَتَرْجُمَةَ زَوْجِهَا بِأَسَدِ الْغَابَةِ، وَجَوَامِعِ السَّيْرِ، ص ٢٧٦، وَتَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ، ٢/٦١٧.

وَحَدِيثُهَا فِي شَأْنِ الْمَنَاقِبِ فِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ ١٣/١٦٨. وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ ٦/٢٩٢. وَالْإِسْتِيعَابَ ٢/٤٦٠، بِطَرِيقٍ مُتَعَدِّدَةٍ. وَتَارِيخُ ابْنِ كَثِيرٍ ٧/٣٥٤. وَكَنْزُ الْعَمَالِ ط. الْأَوَّلَى ٦/١٥٨.

١٧) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمِّ النَّبِيِّ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَدَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ بِالطَّائِفِ، وَرَوَى عَنْهُ أَصْحَابُ الصَّحَاحِ ١٦٦٠ حَدِيثًا. تَرْجُمَتُهُ بِأَسَدِ الْغَابَةِ وَالْإِصَابَةِ وَجَوَامِعِ السَّيْرِ ص ٢٧٦.

١٨) أَبُو ذَرٍّ جَنْدَبُ أَوْ بَرِيدُ بْنُ جَنْادَةَ أَوْ عَبْدُ اللَّهِ أَوْ السَّكَنُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ: تَقَدَّمَ إِسْلَامُهُ وَتَأَخَّرَتْ

وأنس بن مالك^{١٩}، وعمران بن حصين^{٢٠}. وكان ذلك شائعاً ومشهوراً في عصر رسول الله (ص):

قال أبو ذر: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلّي بن أبي طالب^{٢١}.

وقال أبوسعيد الخدري: إنّنا كنّا لنعرف المنافقين - نحن معاصر الأنصار- ببغضهم عليّ بن أبي طالب^{٢٢}.

وقال عبد الله بن عباس: إنّنا كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) ببغضهم عليّ بن أبي طالب^{٢٣}.

هجرته، فشهد ما بعد بدر من غزوات رسول الله. توفّي منفياً بالربذة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٨١ حديثاً. ترجمته في التقريب ٢/ ٤٢٠. وجوامع السيرة ص ٢٧٧. والجزء الثاني من عبد الله بن سبأ.

١٩) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي: روى هو أنه خدم النبي عشر سنين، كان يخلق ذراعيه بخلوق للعبة بياض كانت به، وكان ذلك من دعاء الإمام عليّ عليه لكتفائه الشهادة بحديث الغدير أن يضربه الله ببصاء لا توارىها العمامة، أشار إليه في الأعلام النفيسة ص ١٢٢، وتفصيله بشرح نهج البلاغة ٤/ ٣٨٨، وتوفي في البصرة بعد التسعين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٢٨٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة. والتقريب. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وروايته في شأن المنافقين بكنز العمال ط. الأولى ٧/ ١٤٠.

٢٠) أبو نجيد عمران بن حصين الخزاعي الكعبي: أسلم عام خيبر، وصحب الرسول وقضى بالكوفة، وتوفّي بالبصرة سنة ٥٢. روى عنه أصحاب الصحاح ١٨٠ حديثاً. وروايته بشأن المنافقين بكنز العمال، ط. الأولى ٧/ ١٤٠. ترجمته في التقريب ٢/ ٧٢. وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

٢١) مستدرک الصحيحين ٣/ ١٢٩ وكنز العمال ١٥/ ٩١

٢٢) أبوسعيد سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الخدري: شهد الخندق وما بعدها. مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل: سنة أربع وسبعين. وروى عنه أصحاب الصحاح ١١٧٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة ٢/ ٢٨٩، والتقريب ١/ ٢٨٩. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وحديثه في شأن المنافقين في صحيح الترمذي ١٣/ ١٦٧. وحلية أبي نعيم ٦/ ٢٨٤. ٢٣) في تاريخ بغداد ٣/ ١٥٣، قال: كانوا عند ابن مسعود فتلا ابن عباس: ﴿يعجب الزرع ليعيظ بهم الكفار﴾ الفتح ٢٩. قال: علي بن أبي طالب. ثم قال: إنّنا كنّا نعرف - الحديث.

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب^{٢٤}.
لهذا كلّ ولقول رسول الله (ص) في حقّ الإمام عليّ (ع):
«اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^{٢٥}.
فهم يحتاطون في أخذ معالم دينهم من صحابيّ عاديّ عليّاً ولم يواله،
حذراً من أن يكون الصحابيّ من المنافقين الذين لا يعلمهم إلّا الله.

٢٤) جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي: صحابيّ أبين صحابيّ، شهد بيعة العقبة مع أبيه، وشهد ١٧ غزوة مع النبيّ وصفين مع الإمام عليّ، ومات بالمدينة بعد السبعين. روى عنه أصحاب الصحاح ١٥٣٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة ٢٥٦/١ - ٢٥٧. والتقريب ١٢٢/١. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وروايته في شأن المنافقين في الاستيعاب ٢/٢٦٤. والرياض النضرة ٢/٢٨٤. وفي تاريخ الذهبي ٢/١٩٨. ولفظه: (ما كنّا نعرف منافقي هذه الأمة). وفي مجمع الزوائد ٩/١٣٣. ولفظه: (ما كنّا نعرف منافقين معشر الأنصار...).
٢٥) سنن الترمذي ١٣/١٦٥ باب مناقب عليّ. وسنن أبين ماجه باب فضل عليّ، الحديث المرقم ١١٦. وخصائص النسائي ص ٤ و ٣٠. ومسند أحمد ١/٨٤ و ٨٨ و ١١٨ و ١١٩ و ١٥٢ و ٣٣٠ و ٢٨١/٤ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٣٠٧/٥ و ٣٤٧ و ٣٥٠ و ٣٥٨ و ٣٦١ و ٣٦٦ و ٤١٩ و ٥٦٨. ومستدرك الصحيحين ٢/١٢٩ و ٩/٣. والرياض النضرة ٢/٢٢٢ - ٢٢٥. وتاريخ بغداد ٧/٣٧٧ و ٨/٢٩٠ و ١٢/٣٤٣. ومصادر أخرى كثيرة.

الفصل الثالث

خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

الصحابي وعدائه في مدرسة الخلفاء

الصحابي في مدرسة أهل البيت (ع)

الصَّحَابِيُّ وَعِدَالته فِي مدرسة الخلافة

ترى مدرسة الخلفاء أنّ الصحابيَّ من لَقِيَ النبيَّ (ص) مؤمناً به، ولو ساعة من نهار، ومات على الإسلام.

وأنّه لم يبقَ بمكّة والطائف أحدٌ سنة عشر إلّا أسلم وشهد مع النبي (ص) حجّة الوداع.

وأنّه لم يبقَ في الأوس والخزرج أحد في آخر عهد النبيَّ (ص) إلّا دخل في الإسلام.

وأنّهم (كانوا في الفتوح لا يؤمّرون إلّا الصحابة) وبهذه القاعدة عدّوا جمعاً في عداد الصّحابة مَن برهنّا في كتابنا (خمسون ومائة صحابيٍّ مختلف) أنّهم مختلفون ولم يكن لهم وجود في التاريخ.

وترى أنّ جميع الصّحابة عدول لا يتطرق إليهم الجرح، ومن أنتقص أحداً منهم فهو من الزنادقة، ثمّ يلتزمون بصحّة كلّ ما رواه من سُمّي في اصطلاحهم بالصحابيِّ، ويأخذون من جميعهم معالم دينهم.

الصحابي في مدرسة أهل البيت (ع)

تري مدرسة أهل البيت (ع) أن لفظ الصحابي ليس مصطلحاً شرعياً، وإنشأ شأنه شأن سائر مفردات اللغة العربية، و(الصاحب) في لغة العرب بمعنى الملازم والمعاشر ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته، والصُّحبة نسبة بين آئنين، ولذلك لا يستعمل الصاحب وجمعه الأصحاب والصحابة في الكلام إلا مضافاً، كما ورد في القرآن الكريم ﴿يا صاحبي السجن﴾ و﴿أصحاب موسى﴾. وكذلك كان يستعمل في عصر الرسول (ص) ويقال: صاحب رسول الله، وأصحاب رسول الله، مضافاً إلى رسول الله (ص) أو مضافاً إلى غيره، مثل قولهم (أصحاب الصُّفة) لمن كانوا يسكنون صُفَّة مسجد الرسول (ص) ثم استعمل الصحابي بعد رسول الله (ص) بلا مضاف إليه وقصد به أصحاب رسول الله (ص) وصار اسماً لهم، وعلى هذا فإن (الصحابي) و(الصحابة) من اصطلاح المشرعة وتسمية المسلمين وليس اصطلاحاً شرعياً.

أما عدالتهم؛ فإن مدرسة أهل البيت ترى، تبعاً للقرآن الكريم، أن في الصحابة منافقين مردوا على النفاق، ورموا فراش رسول الله (ص) بالإفك، وحاولوا اغتيال رسول الله (ص) وأخبر عنهم الرسول أنهم يوم القيامة يختلجون دون رسول الله (ص) فينادي: أصيحابي أصيحابي، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. وأن منهم مؤمنين أننى الله عليهم والرسول (ص) في أحاديثه، وأنهم المقصودون في ما ورد من الثناء في القرآن والحديث، وقد عيّن النبي (ص) العلامة الفارقة بين المؤمن والمنافق: حُب الإمام علي وبغضه، ومن ثم فإنهم

ينظرون في حال الراوي فإن كان مَمَّن قاتل الإمام عليّاً أو الأئمة من أهل البيت (ع) وعاداهم فإنهم لا يلتزمون بأخذ ما يروي أمثال هؤلاء ، صحابياً كان أو غير صحابي .

* * *

كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصحابي وعدالته . وفي ما يأتي بحوثهما في الإمامة والخلافة .

البحث الثاني

بحوث المدرستين في الإمامة

- الواقع التاريخي لقيام الخلافة في صدر الاسلام .
- بحوث مدرسة الخلفاء في الإمامة .
- بحوث مدرسه أهل البيت (ع) في الإمامة .
- خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين .

الفصل الأول

الواقع التاريخي لقيام الخلافة في صدر الإسلام

- أمر كتابة وصية رسول الله (ص).
- موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول.
- السقيفة وبيعة أبي بكر.
- دفن رسول الله (ص) ومن حضر دفنه.
- التحصن بدار فاطمه عليها السلام.
- من تخلف عن بيعة الخليفة أبي بكر.
- استحلاف عمر وبيعته.
- الشورى وبيعة عثمان.
- الإمام علي (ع) يعلم بأن الخلافة زويت عنه.
- بيعة الإمام (ع).

ينبغي لنا قبل الشروع في دراسة رأي المدرستين في الإمامة والخلافة ، أن ندرس الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام ، فنقول :
 بُدئ الخلاف في أمر الحكم في الإسلام يوم وفاة رسول الله (ص). فقد كان رسول الله (ص) عقد لواء بيده لمولاه وأبن مولاه أسامة بن زيد لحرب الروم ، وأمره على جيش لم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا أنتدب فيه ، فيهم أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد . . . فعسكر بالجرف - موضع على ثلاثة أميال من المدينة - فتكلم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين ! فغضب رسول الله (ص) غضباً شديداً ، وخرج معصباً ، عليه قطيفة ، فصعد المنبر وقال :

« ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ؟ ولقد طعنتم في إمارة أبيه قبله . وأيم الله إن كان للإمارة خليفاً ، وإنَّ أبنه من بعده خليق للإمارة » .
 ثم نزل . وجاءه الذين يخرجون مع أسامة يودّعونهم ويمضون إلى المعسكر .
 وثقل رسول الله (ص) ، وجعل يقول :
 « أنفلوا بعث أسامة » .

فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله (ص) وجعه .
وفي يوم الاثنين أمر أسامة الجيش بالرحيل ، فجاءهم الخبر أن رسول
الله (ص) يموت . فأقبل أسامة وعمر وأبو عبيدة إلى المدينة^١ .

أمر كتابة وصية رسول الله (ص)

روى ابن عباس وقال :
لما حضر النبي (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال :
«هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» .
قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله ، فحسبنا كتاب
الله . واختلف أهل البيت ، فمنهم من يقول ما قال عمر . فلما أكثروا اللغط
والاختلاف قال :
«قوموا عني ، لا ينبغي عندي التنازع»^٢ .
وفي رواية :
بكى ابن عباس حتى خضب دمه الحصباء فقال : اشتد برسول
الله (ص) وجعه ، فقال :
«أتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» . فتنزعوا
ولا ينبغي عند نبي التنازع فقالوا : هجر رسول الله (ص) . . .^٣ .

(١) أوردتها ملخصة من طبقات ابن سعد ط . بيروت ، ١٩٠ / ٢ - ١٩٢ . وراجع بقية مصادره
في باب بحث أسامة من عبد الله بن سبأ الجزء الأول .
(٢) البخاري ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم ، ٢٣-٢٢ / ١ .
(٣) البخاري ، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد ، ١٢٠ / ٢ . وكتاب الجزية ، باب إخراج
اليهود من جزيرة العرب . وفي صحيح مسلم ، كتاب الوصية ، باب ترك الوصية . وراجع سائر
مصادر الخبر ونصوصه في أول خبر السقيفة في حديث غير سيف من كتاب عبد الله بن سبأ
ط . الخامسة ، بيروت ، سنة ١٤٠٣ هـ ، ٩٨ / ١ - ١٠٢ .

وفي رواية :

فكان آبن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم^٤.

موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول (ص)

توفي رسول الله (ص) نصف النهار يوم الاثنين وأبو بكر غائب بالسَّحْج، وعمر حاضر، فاستأذن عمر ودخل عليه مع المغيرة بن شعبة، وكشف الثوب عن وجهه، وقال عمر:

واغشياه، ما أشدَّ غشي رسول الله (ص).

فقال المغيرة: مات والله رسول الله (ص).

فقال عمر: كذبت، ما مات رسول الله (ص)، ولكنك رجل تحوسك

فتنة، ولن يموت رسول الله حتى يُفني المنافقين^٥.

أخذ عمر يقول: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله توفي، إنّ رسول الله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربّه، كما ذهب موسى عن قومه، وغاب أربعين ليلة. والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجل من يزعمون أنّه مات^٦.

من قال إنه مات، علوت رأسه بسيفي، وإنّما ارتفع إلى السماء^٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف، وباب قول المريض: قوموا عني، من كتاب المرضي. وفي باب مرض النبي من كتاب المغازي، وبآخر باب ترك الوصية من كتاب الوصية من صحيح مسلم. وسائر مصادره في كتاب عبد الله بن سبأ ١٠١/١.

(٥) مسند أحمد ٢١٩/٦. وسائر مصادره في عبد الله بن سبأ ١٠٢/١ - ١٠٣.

(٦) تاريخ الطبري ط. أوربا، ١٨١٨/١.

(٧) تاريخ أبي الفداء ١٦٤/١.

فتلى عليه في المسجد:

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾^٨.

وقال العباس بن عبد المطلب: إنّ رسول الله قد مات وإنّي رأيت في وجهه ما لم أزل أعرفه في وجوه بني عبد المطلب عند الموت، وقال: هل عند أحدكم عهد من رسول الله (ص) في وفاته فليحدّثنا؟ قالوا: لا. فقال: أشهدوا أيّها الناس أنّ أحداً لا يشهد على رسول الله بعهد عهد إليه في وفاته...^٩.

فما زال عمر يتكلّم حتّى أزيّد شدقه^{١٠}، حتّى جاء الخليفة أبوبكر من السّنع وتلا: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرّسل - الآية﴾. فقال عمر: هذا في كتاب الله؟ قال: نعم. فسكت عمر^{١١}.

السّقيفة وبيعة أبي بكر

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وتبعهم جماعة من المهاجرين،

٨) رواه ابن سعد في طبقاته ٢/٢ ق ٥٧، وفي كنز العمال ٥٣/٤ ح ١٠٩٢. وابن كثير في ٥ / ٢٤٣ من تاريخه. ورواه الأميني في غديره عن شرح المواهب للزرقاني ٢٨١/٨. وراجع ابن ماجه ح ٦٢٧. والآية: ١٤٤ من سورة آل عمران.

٩) رواه ابن سعد في طبقاته ٢/٢ ق ٥٧. وابن كثير في تاريخه ٢٤٣/٥. وفي السيرة الحلبية ٣٩٠/٣ - ٣٩١. وكنز العمال ٥٣/٤ ح ١٠٩٢. والتمهيد للباقلاني ص ١٩٢ - ١٩٣.

١٠) أنساب الأشراف ٥٦٧/١، وابن سعد ٢/٢ ق ٥٣. وكنز العمال ٥٣/٤. وتاريخ الخميس ١٨٥/٢. والسيرة الحلبية ٣٩٢/٣.

١١) الطبقات لابن سعد ٢/٢ ق ٥٤. والطبري ١٨١٧/١ - ١٨١٨. وابن كثير ٢٤٣/٥. والسيرة الحلبية ٣٩٢/٣. وابن ماجه، ح ١٦٢٧. وإنّ هذه الآية التي قرأها على عمر هي التي كان ابن أمّ مكتوم قد قرأها عليه قبل ذلك. وكان التشكيك في موت الرسول يوم وفاته من خصائص الخليفة عمر بن الخطاب، فإنّ أصحاب السير والمؤرخين لم يذكروا هذا التشكيك عن غيره.

ولم يبق حول رسول الله إلا أقاربه، وهم تولّوا غسله وتكفينه وهم: عليّ، والعبّاس، وأبناء الفضل وقثم، وأسامة بن زيد، وصالح مولى رسول الله، وأوس بن خولى الأنصاري^{١٢}.

السقيفة برواية الخليفة عمر

قال: إنّه كان من خبرنا حين توفّي الله نبيّه، أنّ الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليّ والزبير ومن معهما، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار. فانطلقنا حتّى أتيناهم، فإذا رجل مزمل، فقالوا: هذا سعد بن عبادة يوعك، فلمّا جلسنا قليلاً، تشهّد خطيبهم فأثنى على الله، ثمّ قال: أمّا بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط... فأردت أن أتكلّم، فقال أبو بكر: على رسلك. فتكلّم هو، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل؛ قال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة، فلم أكره ممّا قال غيرها، فقال قائل من الأنصار: أنا جديّلها المحكّك وعذيقها المرجب، ممّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. فكثّر اللّغط وارتفعت الأصوات، حتّى فرقت من الاختلاف فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثمّ بايعته الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة - إلى قوله - فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه، تغرة أن يقتلا^{١٣}.

(١٢) راجع النصّ لابن سعد في الطبقات ٢/٢ ق ٧٠. وفي البدء والتاريخ قريب منه. وكثر العمال ٥٤/٤ و ٦٠، وهذه عبارته: (ولي دفنه وإجناته أربعة من الناس) ثم ذكر ما أورده. والعقد الفريد ٦١/٣. وقريب منه نصّ الذهبي في تاريخه ٣٢١/١ و ٣٢٤ و ٣٢٦.
(١٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبل من الزّنا، ١٢٠/٤.

روى الطبري^{١٤} في ذكر خبر السقيفة وبيعة أبي بكر وقال:

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وتركوا جنازة الرسول يغسله أهله، فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد، سعد بن عباد. وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض... .

فحمد الله وأثنى عليه، وذكر سابقة الأنصار في الدين وفضيلتهم في الإسلام، وإعزازهم للنبي وأصحابه وجهادهم لأعدائه، حتى استقامت العرب، وتوفي الرسول وهو عنهم راض، وقال: استبدؤا بهذا الأمر دون الناس. فأجابوه بأجمعهم أن قد وقفت في الرأي، وأصبحت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نوليكَ هذا الأمر. ثم إنهم تراءوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأوّلون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده ؟ فقالت طائفة منهم: فلإننا نقول إذا: منّا أمير ومنكم أمير. فقال سعد بن عباد: هذا أول الوهن^{١٥}.

سمع أبو بكر وعمر بذلك، فأسرعا إلى السقيفة مع أبي عبيدة بن الجراح وأنحاز معهم أسيد بن حضير^{١٦} وعويم بن ساعدة^{١٧} وعاصم بن

(١٤) نقلنا هذا الخبر ملخصاً من تاريخ الطبري في ذكره حوادث بعد وفاة الرسول، وما كان من غير الطبري أشرنا إليه في الهامش. وقد أوردنا تفصيل الخبر في كتاب عبد الله بن سبأ الجزء ١.

(١٥) الطبري في ذكره لحوادث سنة ١١ هـ، ٣٥٦/٢، وط. أوربا ١/١٨٣٨، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري. وأبن الاثير ٢/١٢٥. وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة ٥/١، قريب منه. وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة في الجزء الثاني من شرح آبن أبي الحديد في خطبة (ومن كلام له في معنى الأنصار)

(١٦) ورد اسمه في سيرة آبن هشام ٣٣٥/٢، وأسيد بن حضير بن سبأ بن هتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، شهد العقبة الثانية وكان ممتن ثبت في أحد، وشهد جميع مشاهد النبي، وكان أبو بكر لا يقدم أحداً من الأنصار عليه. توفي سنة ٢٠ أو ٢١ هـ فحمل عمر نعشه بنفسه. روى عنه أصحاب الصحاح ١٨ حديثاً. ترجمته في الاستيعاب ٣١/١-٣٣. والإصابة ٦٤/١. وجوامع السيرة ص ٢٨٣.

(١٧) عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن

عَدِيّ^{١٨} من بني الْعَجْلَان^{١٩}.

تكلّم أبو بكر - بعد أن منع عمر عن الكلام - فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر سابقة المهاجرين في التصديق بالرّسول دون جميع العرب، وقال: (فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم). ثم ذكر فضيلة الأنصار، وقال: (فليس بعد المهاجرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء).

فقام الحُباب بن المنذر^{٢٠} وقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإنّ الناس في فيثكم وفي ظلّكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، ويتنقض عليكم أمركم. فإنّ أبى هؤلاء إلّا ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع اثنان في قرن... والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم. ولنا بذلك على من أبى الحجّة



عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي: شهد العقبة وبدراً وما بعدها، وتوفي في خلافة عمرو وبتّرجمته في النبلاء: أنّه كان أخا الخليفة عمر. وقال عمر على قبره: «لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول: أنا خير من صاحب هذا القبر». الاستيعاب ١٧٠/٣ والإصابة ٢٥/٣ وأسّد الغابة ١٥٨/٤.

(١٨) عاصم بن عدي بن الجعد بن العجلان بن حارثة بن ضُبَيْعَة بن حرام البلويّ العجلاني، حليف الأنصار وكان سيد بني عَجْلَان. شهد أحداً وما بعدها. توفي سنة ٢٥ هجرية. الاستيعاب ١٣٣/٣. والإصابة ٢٣٧/٢. وأسّد الغابة ٧٥/٣.

(١٩) سيرة ابن هشام ٣٣٩/٤.

(٢٠) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، شهد بدرأ وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر. الاستيعاب بهامش الإصابة ٣٥٣/١. والإصابة ٣٠٢/١. وأسّد الغابة ٣٦٤/١. ونسبه في جمهرة أبْن حزم ص ٣٥٩.

الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته^{٢١} إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورّط في هلكة.

فقام الحجاب بن السّمندر وقال: يامعشر الأنصار، املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصبيكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتهم، فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسياكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. أنا جُنَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ^{٢٢} وَعَلَيْقُهَا الْمَرْجَبُ^{٢٣}. أما والله لو شئتم لتُعِيدَها جَذَعَةً^{٢٤}.
قال عمر: إذا يقتلك الله.

قال: بل إِيَّاكَ يقتل.

فقال أبو عُبَيْدَة: يا معشر الأنصار، إنكم كنتم أوّل من نصر وآزر، فلا تكونوا أوّل من بدّل وغَيّر.

فقام بشير بن سعد الخزرجيّ أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار، إنا والله لئن كنّا أوّل فُضِيلَة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربّنا وطاعة نبيّنا والكبح لأنفسنا؛ فما ينبغي لنا أن نستطيل على النّاس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً، فإنّ الله وليّ النعمة

(٢١) لَمَّا سَمِعَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ هَذَا الْاِحْتِجَاجَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ قَالَ: احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَصْأَعُوا الثَّمَرَةَ، النَّهْجُ وَشَرْحُهُ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ، ط. الأولى، ٢/٢.

(٢٢) جُدَيْلُهَا، تَصْغِيرُ الْجَدَلِ: أَصْلُ الشَّجَرَةِ. وَالْمَحْكُ: عَوْدُ يَنْصَبُ فِي مَبَارِكِ الْإِبِلِ لِتَتَمَرَسَ بِهِ الْإِبِلُ الْجَرِي، أَيْ قَدْ جَرَبَتْهُ الْأُمُورُ وَلِي رَأْيٍ وَعِلْمٍ يُشْتَفَى بِهِمَا كَمَا تَشْتَفَى هَذِهِ الْإِبِلُ الْجَرِي بِالْجَدَلِ وَصَفَرَهُ عَلَى جِهَةِ الْمَدْحِ.

(٢٣) عَزِيقٌ: تَصْغِيرُ الْعَذْقِ، وَهِيَ: النَّخْلَةُ. وَالْمَرْجَبُ. مَا جَعَلَ لَهُ رَجَبَةً، وَهِيَ: دَعَاةُ تَبْتَنِي مِنَ الْحَجَارَةِ حَوْلَ النَّخْلَةِ الْكَرِيمَةِ إِذَا طَالَتْ وَتَخَوَّفُوا عَلَيْهَا أَنْ تَنْقَرُ فِي الرِّيحِ الْعَوَاصِفِ.
(٢٤) أَعَدَّتْ الْأَمْرَ جَذَعاً، أَيْ جَدِيداً. كَمَا بَدَأَ، وَإِذَا أَطْفَأَتْ حَرْبَ بَيْنِ قَوْمٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ شِئْتُمْ أَعَدْنَاهَا جَذَعَةً، أَيْ: أَوَّلَ مَا يَبْتَدَأُ فِيهَا.

علينا بذلك، ألا إنَّ محمّداً (ص) من قريش، وقومه أحقُّ به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمر أبداً. فاتقوا الله، ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.

فقال أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأَيُّهما شئتُم فبايعوا. فقالا: والله لا نتولّى هذا الأمر عليك - الخ^{٢٥}.

«وقام عبد الرحمن بن عوف، وتكلّم فقال: يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعليّ. وقام المنذر ابن الأرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، وإنّ فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد - يعني عليّ بن أبي طالب -^{٢٦}.
(فقال الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلّا عليّاً)^{٢٧}.

(قال عمر: فكثّر اللّغط وارتفعت الأصوات حتّى تخوّفت الاختلاف فقلت: ابسط يدك لأبايعك^{٢٨}. فلمّا ذهباً لبايعاه، سبقها إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحُباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عَقَقْتَ عَقاق^{٢٩} ! أنفست على ابن عمك الإمارة ؟ فقال: لا والله، ولكنّي كرهت أن أنازع قوماً حقّاً جعله الله لهم. ولمّا رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عباد، قال بعضهم لبعض - وفيهم أُسَيْد

(٢٥) لم نسجّل هنا بقيّة الحوار وتعليقنا عليه طلباً للاختصار.
(٢٦) رواه اليعقوبي بعد ذكر ماتقدم في تاريخه ١٠٣/٢. والموفقيات للزبير بن بكار ص ٥٧٩.

(٢٧) في رواية الطبري ٢٠٨/٣ (وط. أوربا ١٨١٨/١) عن إبراهيم، وابن الأثير ١٢٣/٢: «أن الأنصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبابكر».

(٢٨) عن سيرة ابن هشام ٣٣٦/٤. وجميع من روى حديث الفتنة. راجع بعده حديث الفتنة في ذكر رأي عمر في بيعة أبي بكر.

(٢٩) الطبري ط. أوربا ١٨٤٢/١. وفي رواية ابن أبي الحديد: عَقَقَ عَقاق.

أبن حُضير وكان أحد النُقباء - : واللّه لئن وليّتها الخُزرج عليكم مرّة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر^{٣٠}.

فقاموا إليه فبايعوه، فأنكسر على سعد بن عبادَة وعلى الخُزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم . . . فأقبل الناس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطؤون سعد بن عبادَة.

فقال أناس من أصحاب سعد: اتّقوا سعداً لا تطؤوه.

فقال عمر: اقتلوه، قتله اللّه.

ثمّ قام على رأسه فقال: لقد همّمتُ أن أطأكَ حتّى تنذُرَ عُضوك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: واللّه لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفيّك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر! الرفق ها هنا أبلغ.

فأعرض عنه عمر^{٣١}.

وقال سعد: أما واللّه لو أنّ بي قوّة ماء أقوى على النهوض لسمعت منّي في أقطارها وسككها زيّراً يُجحرّك وأصحابك. أما واللّه إذاً لالحقنك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع. احملوني من هذا المكان. فحملوه فأدخلوه في داره^{٣٢}.

وروى أبو بكر الجوهري: أنّ عمر كان يومئذ - يعني يوم بويع أبو بكر -

(٣٠) وفي رواية أبي بكر في سقيفته: لتأراأت الأوس أنّ رئيساً من رؤساء الخُزرج قد بايع، قام أسيد بن حضير - وهو رئيس الأوس - فبايع حسداً لسعد ومنافسة له أن يلي الأمر. راجع شرح النهج ٢/٢ في شرحه (ومن كلام له في معنى الانصار).

(٣١) إن هذا الموقف يوضح بجلاء جماع سياسة الخليفتين من شدّة ولين.

(٣٢) الطبري ٣/ ٤٥٥ - ٤٥٩، وط. أوروبا ١/ ١٨٤٣. (وتندر عضوك) كذا ورد ويعني تسقط أعضاؤك.

محتجزاً يهرول بين يدي أبي بكر ويقول: ألا إنَّ الناس قد بايعوا
أبا بكر - الخ^{٣٣}.

بايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العباس وعليّ
التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله (ص).
فقال عليّ: ما هذا؟

قال العباس: ما رثي مثل هذا قطَّ ! ! أما قلت لك^{٣٤}؟

النذير

وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال:
يا معشر بني هاشم! بويع أبو بكر.
فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن
أولى بمحمّد.

فقال العباس: فعلوها وربُّ الكعبة!
وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ عليّاً هو صاحب الأمر
بعد رسول الله (ص)^{٣٥}.

وكان المهاجرون والأنصار لا يشكّون في عليّ.
روى الطبري: أنّ (أسلم) أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك
فبايعوا أبا بكر فكان عمر يقول:

(٣٣) في كتابه السقيفة، راجع ابن أبي الحديد ١/١٣٣. وفي ص ٧٤ منه بلفظ آخر.

(٣٤) ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٤/٢٥٨. وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن
أبي الحديد عنه في ١/١٣٢، و يروي تفصيله في ص ٧٤ منه. والزبير بن بكار في الموفقيات ص
٥٧٧ - ٥٨٠ و ٥٨٣ و ٥٩٢. كما يروي عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢/٢ - ١٦، في
شرحه: (ومن كلام له في معنى الأنصار).
(٣٥) الموفقيات للزبير بن بكار، ص ٥٨٠.

(ما هو إلا أن رأيتُ أسلم فأيقنت بالنصر)^{٣٦}.
فلما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفُّه زفاً إلى مسجد رسول
الله (ص) فصعد على المنبر - منبر رسول الله (ص) - فبايعه الناس حتى أمسى ،
وشُغِلُوا عن دفن رسول الله حتى كانت ليلة الثلاثاء^{٣٧}.

اليَّعة العامة

ولما بويع أبو بكر في السقيفة وكان في الغد، جلس أبو بكر على المنبر،
فقام عمر فتكلّم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه . . . ، وذكر أن قوله
بالأمس لم يكن من كتاب الله ولا عهداً من رسوله ولكنه كان يرى أن الرسول
سيدبر أمرهم ويكون آخرهم . ثم قال :
وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله . فإن اعتصمتم به
هداكم الله لما كان هداه له . وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب
رسول الله (ص) ثاني اثنين إذ هما في الغار؛ فقوموا فبايعوه .
فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة .
وفي البخاري : (وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة
بني ساعدة، وكانت بيعة أبي بكر العامة على المنبر) . قال أنس بن مالك :
(سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ : إصعد المنبر . فلم يزل به حتى صعد
المنبر فبايعه الناس عامة) .

ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
(أما بعد، أيها الناس، فإنني قد وُلْتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن

٣٦) الطبري ٢/٤٥٨، وط. أوربا، ١/١٨٤٣. وفي رواية ابن الأثير ٢/٢٢٤ : (وجاءت
أسلم فبايعت) . وقال الزبير بن بكار في الموفقيات برواية النهج ٦/٢٨٧ . « فقوي بهم أبو بكر » ولم
يعيناً متى جاءت أسلم، ويقوى الظن أن يكون ذلك يوم الثلاثاء . وقال المفيد في كتابه « الجمل » :
إن القبيلة كانت قد جاءت لثمنار من المدينة، (الجمل ص ٤٣) .
٣٧) الموفقيات ص ٥٧٨ . والرياض النضرة ١/١٦٤ . وتاريخ الخميس ١/١٨٨ .

أحسنّت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني - إلى قوله :- أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم ، يرحمكم الله (٣٨) .

بعد بيعة أبي بكر العامة

(توفي رسول الله يوم الاثنين حين زاغت الشمس فشغل الناس عن دفنه) (٣٩) .

شُغِلَ الناس عن رسول الله بقيّة يوم الاثنين حتّى عصر الثلاثاء :

أولاً : بخطب السقيفة .

ثم : بيعة أبي بكر الأولى ثم بيعته العامّة وخطبته وخطبة عمر حتّى صلّى

بهم .

قالوا : (فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله يوم الثلاثاء) (٤٠) .

(ثم دخل الناس يصلّون عليه) (٤١) . (وصلّى على رسول الله بغير إمام . يدخل عليه

المسلمون زمراً زمراً يصلّون عليه) (٤٢) .

(٣٨) ابن هشام ، ٣٤٠/٤ . والطبري ، ٢٠٣/٣ (وط . أوربا ١/١٨٢٩) . وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢٣٤/٢ . والرياض النضرة ١٦٧/١ . وآبن كثير ٢٤٨/٥ . والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٤٧ . وكنز العمال ١٢٩/٣ ، ح ٢٢٥٣ . والحليّة ٣٩٧/٣ . وذكر البخاري في صحيحه ص ١٦٥ من ج ٤ كتاب البيعة عن أنس ، خطبة عمر باختلاف يسير .

ومن ذكر خطبة أبي بكر فقط ، أبو بكر الجوهري في كتابه : السقيفة حسب رواية آبن أبي الحديد عنه ، ١٣٤/١ . وصفوة الصفوة ٩٨/١ .

(٣٩) طبقات آبن سعد ٢/٢ ق ٧٨/٢ ، ط . ليدن .

(٤٠) سيرة آبن هشام ٣٤٣/٤ . والطبري : ٤٥٠/٢ (وط . أوربا ١/١٨٣٠) . وآبن الأثير ١٢٥/٢ . وآبن كثير ٢٤٨/٥ . والحليّة ٣٩٢/٣ و٣٩٤ . وهذا الأخير لم يعين اليوم الذي أنتهوا فيه من بيعة أبي بكر وأقبلوا على جهاز رسول الله .

(٤١) ابن هشام ٣٤٣/٤ .

(٤٢) طبقات آبن سعد ٢/٢ ق ٧٠/٢ . والكامل لابن الأثير ج ٢ في ذكر حوادث سنة ١١ هـ .

دفن رسول الله (ص) ومن حضر دفته

(وَلِيّ) وضع رسول الله في قبره هؤلاء الرهط الذين غسلوه: العباس، وعليّ والفضل وصالح مولا. وخلق أصحاب رسول الله بين رسول الله وأهله، فُولُوا إجنانه^{٤٣}.

(ودخل القبر عليّ، والفضل وقثم أبنا العباس، وشقران مولا - ويقال: أسامة بن زيد - وهم تولّوا غسله وتكفينه وأمره كله^{٤٤}). (وإنّ أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبي^{٤٥}).

وقالت عائشة: (ما علمنا بدفن الرسول حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل، ليلة الأربعاء^{٤٦}).

(ولم يَلِهْ إِلَّا أقاربه ولقد سمعت بنو غنم صريف المساحي حين حضر وإتّهم لفي بيوتهم^{٤٧}).

وقال شيوخ الأنصار من بني غنم: (سمعنا صوت المساحي آخر الليل^{٤٨}).

٤٣) النص لابن سعد في الطبقات ٢/٢ ق/٧٠. وفي البدء والتاريخ قريب منه، وكنز العمال ٤/٥٢ و ٦٠ وهذه عبارته: (ولي دفته وإجنانه أربعة من الناس) ثم ذكر ما أورده.

٤٤) العقد الفريد ٣/٦١. وقريب منه نصّ الذهبي في تاريخه ١/٣٢١ و ٣٢٤ و ٣٢٦. ٤٥) كنز العمال ٣/١٤٠.

٤٦) ابن هشام ٤/٣٤٤. والطبري: ٢/٤٥٢ و ٤٥٥ (وط. أوربا ١/١٨٣٣ و ١٨٣٧). وآبن كثير ٥/٢٧٠. وآبن الأثير في أسد الغابة ١/٣٤، في ترجمة الرسول. وقد ورد في روايات أخرى أنّ سماعهم صريف المساحي كان ليلة الثلاثاء كما في طبقات آبن سعد ٢/٧٨. وتاريخ الخميس ١/١٩١. والذهبي في تاريخه ١/٣٢٧، والأصحّ أن ذلك كان ليلة الأربعاء. وفي مسند أحمد ٦/٦٢: في آخر ليلة الأربعاء، وفي ص ٢٤٢ منه وص ٢٧٤: (ما علمنا أين يدفن حتى سمعنا...).

٤٧ و ٤٨) طبقات ابن سعد ٢/٢ ق/ ٧٨.

بعد دفن الرسول (ص)

اندحر سعد ومرشحوه ، وبقي عليّ وجماعته - بعد أن أصبحوا أقلية - يتناحرون وحزب أبي بكر الظافر وكلّ يجتهد في جلب الأنصار لحوزته . قال الزبير بن بكار في الموفقيات : لما بويع أبو بكر وأستقرّ أمره ، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولأَمَ بعضهم بعضاً ، وذكروا عليّ بن أبي طالب وهتفوا بأسمه^{٤٩} .

قال يعقوبي^{٥٠} :

وتخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع عليّ بن أبي طالب ، منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو^{٥١} ، وسلمان الفارسيّ ، وأبوذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب^{٥٢} ،

(٤٩) الموفقيات ص ٥٨٣ .

(٥٠) في تاريخه ١٢٤/٢ - ١٢٥ . والسقيفة لأبي بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ١٣/٢ ، والتفصيل في ٧٤/١ منه . ولفظ قريب منه في الإمامة والسياسة ١٤/١ .

(٥١) المقداد بن الأسود الكندي : هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني . أصاب دماً في قومه ، فلحق بخضرموت ، فحالف كندة ، وتزوج امرأة ، فولدت له المقداد . فلما كبر المقداد ، وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي ، فضرب رجله بالسيف ، وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه الأسود ، فصار يقال له : المقداد بن الأسود الكندي . فلما نزلت : ﴿ ادعوهم لأبائهم ﴾ الأحزاب/٥ . قيل له : المقداد بن عمرو . وقال الرسول : « إن الله عزوجل أمرني بحب أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم . » ف قيل : من هم ؟ فقال : « عليّ والمقداد وسلمان وأبوذر » . توفي سنة ٣٣ هـ . الاستيعاب بهامش الإصابة ٢/٣٥١ . والإصابة ٣/٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٥٢) أبو عمرو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي : كان ممن استصغره الرسول يوم بدر وردّه . وغزا مع الرسول ١٤ غزوة وشهد مع عليّ الجمل وصفين والنهران . سكن الكوفة وآبى بها داراً وتوفي بها في إمارة مصعب بن الزبير . الاستيعاب بهامش الإصابة ١/١٣٣ - ١٤٤ . والإصابة ١/١٤٦

وأبي بن كعب^{٥٣}، فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح ، والمغيرة بن شعبة
فقال: ما الرأي ؟

قالوا^{٥٤}: الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب (وتكون لكم حجة)^{٥٥} على عليّ إذا مال معكم .

فانطلق أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة بن الجراح ، والمغيرة ، حتى دخلوا على العباس ليلاً^{٥٦}، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا نَبِيًّا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلِيًّا. فَمَنْ عَلَيْهِمْ بَكُونُهُ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ حَتَّى آخَرِهِ لِمَا عِنْدَهُ ، فَخَلَى عَلَى النَّاسِ أُمُورَهُمْ^{٥٧} لِيُخْتَارُوا لِنَفْسِهِمْ فِي مَصْلَحَتِهِمْ مُشْفِقِينَ^{٥٨}. فَاخْتَارُونِي عَلَيْهِمْ وَالْيَا وَلِأُمُورِهِمْ رَاعِيًّا. فَوَلَّيْتُ ذَلِكَ وَمَا أَخَافُ بَعُونَ اللَّهَ وَتَسْدِيدَهُ وَهَذَا ، وَلَا حَيْرَةً ، وَلَا جُبْنَ ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ . وَمَا أَنْفَكُ يَبْلُغُنِي عَنْ طَاعَنِ يَقُولُ الْخِلَافَ عَلَى عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ يَتَّخِذُكُمْ لُجَأً ، فَتَكُونُوا حَصْنَهُ الْمُنِيعَ ، وَخُطْبَهُ الْبَدِيعَ ، فَلَمَّا دَخَلْتُمْ مَعَ النَّاسِ فِيهَا أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا صَرَفْتُمُوهُمْ عَمَّا مَالُوا إِلَيْهِ . وَلَقَدْ جِئْتُكَ وَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَجْعَلَ لَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ نَصِيبًا يَكُونُ لَكَ

(٥٣) أبي بن كعب بن قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار: وهو تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر. شهد العقبة الثانية وبايع النبي فيها وشهد بدرًا وما بعدها، وكان من كتّاب النبي. مات في آخر خلافة عمر أو صدر خلافة عثمان. الاستيعاب ٢٧/١ - ٣٠. والإصابة ٣١/١ - ٣٢.

(٥٤) في نصّ الجوهري أنّ قاتل هذا الرأي هو المغيرة بن شعبة، وهذا هو الأقرب إلى الصواب.

(٥٥) هذه الزيادة في نسخة الإمامة والسياسة ١٤/١.

(٥٦) في رواية ابن أبي الحديد أن ذلك كان في الليلة الثانية بعد وفاة النبي.

(٥٧) إن ضمير (هم) موجود في رواية ابن أبي الحديد.

(٥٨) في نسخة الإمامة والسياسة وابن أبي الحديد ٧٤/١: (متفقين) وهو الأشبه بالصواب.

ويكون لمن بعدك من عقبك ، إذ كنتَ عم رسول الله ، وإن كان الناس قد رأوا مكالك ومكان صاحبك (فعدّلوا الأمر عنكم)^{٥٩} على رسلكم بني هاشم فإن رسول الله منا ومنكم .

فقال عمر بن الخطاب : وأخرى إننا لم نأتكم لحاجة إليكم ، ولكن كرهاً أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم ، فانظروا لأنفسكم !

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال : إنّ الله بعث محمداً كما وصفت نبياً ، وللمؤمنين ولياً ، فمن على أمته به ، حتى قبضه الله إليه واختار له ما عنده ، فخلّى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبيين الحق لا مائلين بزيغ الهوى . فإن كنتَ برسول الله طلبتَ ، فحقنا أخذتَ ، وإن كنتَ بالمؤمنين أخذتَ فنحن منهم . فما تقدّمنا في أمرك قرطاً ، ولا خللنا وسطاً ، ولا برحنا سخطاً ، وإن كان هذا الأمر واجب لك بالمؤمنين ، فما وجب إذ كنّا كارهين . ما أبعد قولك من أنّهم طعنوا عليك من قولك أنّهم اختاروك ومالوا إليك ؛ وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلّى على الناس أمورهم ليختاروا فأختاروك . فأما ما قلت : إنك تجعله لي ، فإن كان حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم^{٦٠} فيه ، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض وعلى رسلك ، فإن رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها . فخرجوا من عنده .

التحصن بدار فاطمة(ع)

قال عمر بن الخطاب : (وإنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه أن علياً

(٥٩) الزيادة في نسخة ابن أبي الحديد والإمامة والسياسة .
(٦٠) في نسخة الجوهري والإمامة والسياسة : فإن يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه .

- والزبير ومن معها تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة^{٦١}.
- وذكر المؤرّخون في عداد من تخلّف عن بيعة أبي بكر وتحصّن بدار فاطمة مع عليّ والزبير كلّاً من:
- (١) العباس بن عبد المطلب .
 - (٢) عتبة بن أبي لهب .
 - (٣) سلمان الفارسي .
 - (٤) أبوذر الغفاري .
 - (٥) عمّار بن ياسر .
 - (٦) المقداد بن الأسود .
 - (٧) البراء بن عازب .
 - (٨) أبيّ بن كعب .
 - (٩) سعد بن أبي وقاص^{٦٢} .
 - (١٠) طلحة بن عبيد الله .
- وجماعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين والأنصار^{٦٣}.
- وقد تواتر حديث تخلّف عليّ ومن معه عن بيعة أبي بكر وتحصّنهم بدار فاطمة في كتب السير ، والتواريخ ، والصّحاح والمسانيد ، والأدب ، والكلام ، والتراجم ، غير أنهم لمّا كرهوا ما جرى بين المتحصّنين والحزب الظافر لم يفصحوا ببيان حوادثها إلّا ما ورد ذكره عفوّاً . ومن ذلك ما رواه
- (٦١) مسند أحمد ٥٥/١ ، والطبري ٢/٤٦٦ (ط . أوروبا ١/١٨٢٢) . وآبن الأثير ٢/١٢٤ . وآبن كثير ٥/٢٤٦ . وصفوة الصّفوة ١/٩٧ ، وآبن أبي الحديد ١/١٢٣ ، وتاريخ السيوطي في مبايعة أبي بكر ص ٤٥ ، وآبن هشام ٤/٣٣٨ ، وتيسير الوصول ٢/٤١ .
- (٦٢) أبو اسحق سعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب القرشي ، وكان سابع سبعة سبقوا إلى الإسلام . شهد بدرًا وما بعدها ، وهو أول من رمى بسهم في الإسلام ، وكان رأس من فتح العراق وكوّف الكوفة ، وليلها لعمر وعينه في السنة أصحاب الشورى ، وأعتزل الناس بعد مقتل عثمان . ومات بمسكنه في العقيق في خلافة معاوية ، وحُمل إلى المدينة ودفن بالبقيع . الاستيعاب ٢/١٨ - ٢٥ . والإصابة ٢/٣٠ - ٣٢ .
- (٦٣) صرّحت المصادر الآتية بالإضافة إلى المصادر المذكورة آنفًا أنّ هؤلاء كانوا قد تخلّفوا عن بيعة أبي بكر واجتمعوا بدار فاطمة . ومن هذه المصادر ما ذكرت أسم بعضهم وأنهم اجتمعوا ليبياعوا عليّاً . الرياض النضرة ١/١٦٧ . وتاريخ الخميس ١/١٨٨ . وآبن عبد ربّه ٣/٦٤ . وتاريخ أبي الفداء ١/١٥٦ . وآبن شحنة بهامش الكامل ١١٢ . والجوهري حسب رواية آبن أبي الحديد ١/١٣٠ - ١٣٤ . والحلية ٣/٣٩٤ و٣٩٧ .

البلاذري وقال : بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى عليّ - رضي الله عنهم - حين قعد عن بيعته وقال : اثنتي به بأعنف العنف . فلما أتاها جرى بينهما كلام ، فقال : آحلب حَلْباً لك شطره ؛ والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤثرك غداً - الحديث^{٦٤} .

قال أبو بكر في مرض موته : (أما إنّي لا آسي على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتھن ، وددت أنّي تركتھن - إلى قوله - : فأما الثلاث التي فعلتها فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء ، وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب)^{٦٥} .
وفي اليعقوبي : (وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال ولو كان أغلق على حرب)^{٦٦} .
وقد عدّ المؤرّخون في الرجال الذين أدخلوا بيت فاطمة بنت رسول الله كلاً من :

(١) عمر بن الخطاب . (٢) خالد بن الوليد^{٦٧} .

٦٤) أنساب الأشراف ١/٥٨٧ .

٦٥) الطبري ٢/٦١٩ (وط . أوربا ١/٢١٤٠) عند ذكره وفاة أبي بكر . ومروج الذهب ١/٤١٤ ، وأبن عبد ربه ٣/٦٩ عند ذكره استخلاف أبي بكر لعمر . والكنز ٣/١٣٥ . ومنتخب الكنز ٢/١٧١ . والإمامة والسياسة ١/١٨ ، والكمال للمبرّد حسب رواية ابن أبي الحديد ١/١٣٠ - ١٣١ . وقد ذكر أبو عبيد في الأموال ص ١٣١ قول أبي بكر هكذا : (أما الثلاث التي فعلتها فوددت أنّي لم أكن فعلت كذا وكذا - لحلة ذكرها - قال أبو عبيد : لا أريد ذكرها) . انتهى .
وأبو بكر الجوهري برواية النهج ٩/١٣٠ . ولسان الميزان ٤/١٨٩ . وراجع ترجمة أبي بكر في ابن عساکر و مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي . وتاريخ الذهبي ١/٣٨٨ .
٦٦) تاريخ اليعقوبي ٢/١١٥ .

٦٧) أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي ، وأمه : لبابة بنت الحارث بن الحزن الهلالية أخت ميمونة زوجة النبي ، وكانت إليه أعتة الخيل في الجاهلية . هاجر بعد الحديبية وشهد فتح مكة ، وأمره أبو بكر على الجيوش ، وكان يقال له : سيف الله ، وتوفي بجمص أوبالمدينة . سنة ٢١ أو ٢٢ هـ . الاستيعاب ١/٤٠٥ - ٤٠٨ .

- (٣) عبدالرحمن بن عوف .
 (٤) ثابت بن قيس بن شماس^{٦٨} .
 (٥) زياد بن لييد^{٦٩} .
 (٦) محمد بن مسلمة^{٧٠} .
 (٧) زيد بن ثابت^{٧١} .
 (٨) سلمة بن سلامة بن وقش^{٧٢} .
 (٩) سلمة بن أسلم^{٧٣} .
 (١٠) أسيد بن حضير^{٧٤} .

وقد ذكروا في كيفية كشف بيت فاطمة وما جرى للمتحصنين وهؤلاء الرجال وقالوا :

إنه (غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم علي بن أبي

٦٨) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن أمروئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الحزرج الأنصاري : شهد أحداً وما بعدها، وقتل مع خالد في اليمامة . الاستيعاب ١٩٣/١ . والإصابة ١٩٧/١ .

٦٩) زياد بن لييد بن ثعلبة بن سينان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة الأنصاري من بني بياضة بن عامر بن زريق، مهاجري أنصاري : خرج إلى رسول الله بمكة وأقام معه حتى هاجر معه إلى المدينة . شهد العقبة وبدراً وما بعدها . مات في أول خلافة معاوية . الاستيعاب ٥٤٥/١ ، والإصابة ٥٤٠/١ . في نسبه بجمهرة ابن حزم ص ٣٥٦ سقط (بياضة) .

٧٠) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الحزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : شهد بدرأ وما بعدها، وكان ممن لم يبايع علي بن أبي طالب ولم يشهد معه حروبه، وتوفي سنة ٤٣ أو ٤٦ أو ٤٧ هـ . الاستيعاب ٣١٥/٣ . والإصابة ٣٦٣/٣ - ٣٦٤ . ونسبه في جمهرة ابن حزم ص ٣٤١ .

٧١) راجع أنساب الأشراف ٥٨٥/١ .

٧٢) أبو عوف سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري ، وأمه : سلمى بنت سلمة بن خالد بن عدي الأنصارية . شهد العقبة الأولى والآخره، ثم شهد بدرأ وما بعدها . توفي بالمدينة سنة ٤٥ هـ . الاستيعاب ٨٤/٢ . والإصابة ٦٣/٢ .

٧٣) أبوسعيد، سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الحزرج بن عمرو بن عدي بن مالك بن الأوس الأنصاري . شهد بدرأ وما بعدها، وقتل يوم جسر أبي عبيد سنة ١٤ هـ . الاستيعاب، الترجمة رقم ٢٤٥٥، ٨٣/٢ ، والإصابة ٦١/٢ .

٧٤) الطبري ٢/٢٤٣ و ٢/٢٤٤ ، وأبو بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ١٣٠ - ١٣٤ ، و ١١٩/٢ .

وأسيد بن حضير، مرّت ترجمته في الهامش رقم (١٦) من هذا البحث .

طالب والزبير ، فدخلوا بيت فاطمة ومعها السلاح^{٧٥} ، (فبلغ أبا بكر وعمر أنّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع عليّ بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله)^{٧٦} ، (وانهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً)^{٧٧} .
فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة ، وقال له : إن أبوا فقاتلهم .

فأقبل بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار ، فلقيتهم فاطمة فقالت : يا آبن الخطاب أجتت لتحرق دارنا ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة !^{٧٨} .

وفي أنساب الأشراف :

فتلقته فاطمة على الباب ، فقالت فاطمة : يا آبن الخطاب أترأك محرقاً عليّ بابي ؟ قال : نعم . . .^{٧٩} .

وإلى هذا أشار عروة بن الزبير حين كان يعتذر عن أخيه عبد الله بن الزبير فيما جرى له مع (بني هاشم وحصره إيّاهم في الشعب وجمعه الخطب لإحراقهم . . . ليدخلوا في طاعته كما أرهب بنو هاشم وجمع لهم الخطب لتحريقهم إذ هم أبوا البيعة في ما سلف^{٨٠}) يعني ما سلف لبني هاشم من قضية

(٧٥) الرياض النضرة ٢١٨/١ ط. مصر الثانية سنة ١٣٧٢ ، وأبو بكر الجوهري برواية آبن أبي الحديد ١٣٢/١ ، و٢٩٣/٦ ، وتاريخ الخميس ١٦٩/٢ ط. مؤسسة شعبان - بيروت (ب. ت) .

(٧٦) اليعقوبي ١٢٦/٢

(٧٧) ابن أبي الحديد ١٣٢/١ ، وابن شحنة بهامش الكامل ١١٣/١١ لفظ : «ومالوا مع علي بن أبي طالب» .

(٧٨) آبن عبد ربه ، ٦٤/٣ ، وأبوالفداء ، ١٥٦/١ .

(٧٩) أنساب الأشراف ٥٨٦/١ . وراجع كنز العمال ١٤٠/٣ . والرياض النضرة ، ١٦٧/١ ، وأبو بكر الجوهري برواية آبن أبي الحديد ، ١٣٢/١ ، وج ٦ في الصفحة الثانية منه ، والخميس ١٧٨/١ ، وأبو بكر الجوهري برواية آبن أبي الحديد ١٣٢/١ ، وتاريخ آبن شحنة ص ١١٣ بهامش الكامل ١١٣/١١ .

(٨٠) مروج الذهب ١٠٠/٢ . وأورده آبن أبي الحديد ٢٠/٤٨١ ط. إيران ، عند شرحه قول

الخطب والنار عند امتناعهم عن بيعة أبي بكر.

وفي هذا يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم :

وقولة لعلي قائلها عمر أكرم بسامعها أعظم بمُلقِها
حرقت دارك لا أبقي عليك بها إن لم تباع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحميها^{٨١}

وقال اليعقوبي :

فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار - إلى قوله - : وكسر سيفه - أي
سيف علي - ودخلوا الدار^{٨٢}.

وقال الطبري :

أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من
المهاجرين فخرج عليه الزبير مصلاً بالسيف ، فعثر فسقط السيف من يده ،
فوثبوا عليه فأخذوه^{٨٣}.

وقال أبو بكر الجوهري

وعلي يقول : «أنا عبد الله وأخو رسول الله» حتى انتهوا به إلى أبي
بكر ، ف قيل له : بايع ، فقال : أنا أحق بهذا الأمر منكم ، لا أبايكم ،
وأنتم أولى بالبيعة لي . أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، واحتججتم عليهم
بالقربة من رسول الله ، فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة ، وأنا أحتج
عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار ، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من

علي (ع) : « الزبير منا حتى نشأ ابنه » .

(٨١) ديوان حافظ إبراهيم ط. المصرية .

(٨٢) اليعقوبي ١٢٦/٢ .

(٨٣) الطبري ٤٤٣/٢ و ٤٤٤ و ٤٤٦ (وط. أوربا ١/١٨١٨ و ١٨٢٠ و ١٨٢٢) وقد أورده
العقاد في عبقرية عمر ص ١٧٣ . وذكر كسر سيف الزبير المحب الطبري في الرياض النضرة
١٦٧/١ . والخميس ١٨٨/١ . وأبن أبي الحديد ١٢٢/١ و ١٣٢ و ١٣٤ و ٥٨ ، و ٢/٢ - ٥ .
وكنز العمال ١٢٨/٣ .

أنفسكم ، وأعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم ، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون . فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تباع . فقال له علي: إخلب يا عمر حَلْباً لك شطره ؛ اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غداً . لا والله ، لا أقبل قولك ولا أتابعه ، فقال له أبو بكر: فإن لم تباعني لم أكرهك .

فقال له أبو عبيدة: يا أبا الحسن إنك حدث السن وهؤلاء مشيخة قريش قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمر، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشدّ احتمالاً له وأضطلاعاً به ، فسلم له هذا الأمر وأرض به ؛ فإنك إن تعش ويطل عمرك فانت لهذا الأمر لخليق وعليه حقيق في فضلك وقربتك وسابقتك وجهادك .

فقال علي: يا معشر المهاجرين ، الله الله ، لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه . فوالله يا معشر المهاجرين ، لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم أما كان منا القارئ لكتاب الله ، الفقيه لدين الله ، العالم بالسنة ، المضطلع بأمر الرعية ؟ والله إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً .

فقال بشير بن سعد: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك آثان ، ولكنهم قد بايعوا . وأنصرف علي إلى منزله ولم يبايع . رواه أبو بكر الجوهري كما في شرح النهج ٢/٢ - ٥ . وروى أبو بكر الجوهري أيضاً وقال:

ورأت فاطمة ما صنع بهما - أي بعلي والزبير - فقامت على باب الحجرة وقالت: يا أبا بكر ، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله ، والله

لا أكلم عمر حتى ألقى الله^{٨٤}

وفي رواية أخرى :

وخرجت فاطمة تبكي وتصيح فَنَهَنَتْ من الناس^{٨٥}.

وقال اليعقوبي :

فخرجت فاطمة ، فقالت : والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن

إلى الله . فخرجوا وخرج من كان في الدار^{٨٦}.

وقال المسعودي :

لما بويع أبو بكر في السقيفة وجددت له البيعة يوم الثلاثاء ، خرج

عليّ فقال : أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقاً !

فقال أبو بكر : بلى ولكنني خشيت الفتنة^{٨٧}.

وقال اليعقوبي :

وآجتماع جماعة إلى عليّ بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة ، فقال

لهم : اغدوا عليّ محلّقين الرؤوس . فلم يغد إلا ثلاثة نفر^{٨٨}.

ثم إن علياً حمل فاطمة على حمار ، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار

يسألهم النصرة ، وتسألهم فاطمة الانتصار له ؛ فكانوا يقولون :

يا بنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو كان آبن عمك

سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به . فقال عليّ :

أفكنت أترك رسول الله (ص) ميتاً في بيته لم أجهزه وأخرج إلى الناس

أنازعهم في سلطانه ؟ ! فقالت فاطمة :

٨٤) برواية ابن أبي الحديد ١/١٣٤ ، و ٢/٢ - ٥ .

٨٥) السقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١/١٣٤ .

٨٦) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٦ .

٨٧) مروج الذهب ١/٤١٤ . والإمامة والسياسة ١/١٢ - ١٤ مع اختلاف .

٨٨) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٦ ، وفي شرح النهج ٢/٤ .

ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه^{٨٩}

ولقد أشار معاوية إلى هذا وإلى ما نقلناه عن اليعقوبي قبله في كتابه إلى عليّ :

وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي ابنك الحسن والحسين يوم بويع أبوبكر الصديق ، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك ، ومشيت إليهم بآمراتك ، وأدلت إليهم بآبنيك ، وآستنصرتهم على صاحب رسول الله ، فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة ، ولعمرى لو كنت محققاً لأجابوك ، ولكنك أدعيت باطلاً ، وقلت ما لا يعرف ، ورمت ما لا يدرك . ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حرّكك وهيّجك : لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم^{٩٠}.

وروى معمر عن الزهري عن أم المؤمنين عائشة في حديثها عما جرى بين فاطمة وأبي بكر حول ميراث النبي (ص) قالت :
فهجرته فاطمة ، فلم تُكَلِّمه حتى تُوفيت وعاشت بعد النبي (ص) ستة أشهر . فلما تُوفيت دفنها زوجها ، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها . وكان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما تُوفيت فاطمة أنصرفت وجوه الناس عن عليّ . ومكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله (ص) ثم تُوفيت . قال معمر :

فقال رجل للزهري : أفلم يبايعه عليّ ستة أشهر ؟

(٨٩) أبوبكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد ٥/٦ - ٢٨ ، ط . المصرية وآبن قتيبة ١٢/١ .

(٩٠) ابن أبي الحديد ٦٧/٢ . وصفيّان لنصر بن مزاحم ص ١٨٢ .

قال : لا^{٩١}، ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه عليّ . فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضَرَعَ إلى مصالحة أبي بكر - الحديث^{٩٢} .
وقال البلاذري :
لما آرتدت العرب ، مشى عُثمان إلى عليّ فقال : يا آبن عمّ ، أنّه لا يخرج أحد إلى قتال هذا العدو ، وأنت لم تباع . فلم يزل به حتى مشى إلى أبي بكر فبايعه . فسُرّ المسلمون ، وجدّ الناس في القتال وقطعت البعث^{٩٣} .
ضرع عليّ إلى مصالحة أبي بكر بعد وفاة فاطمة وانصراف وجوه الناس عنه ، غير أنّه بقي يشكو ممّا جرى عليه بعد وفاة النبيّ حتّى في أيام خلافته . وذكر شكواه في خطبته المشهورة بالشَّقَشَقِيَّة التي سنوردها في آخر هذا الباب .

(٩١) في تيسير الوصول ٤٦/٢ : (قال : لا والله ولا أحد من بني هاشم) .
(٩٢) قد أوردت هذا الحديث مختصراً من كلّ من الطبري ٤٤٨/٢ (وط . أوربا ١٨٢٥/١) .
و صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة حبر ، ٣٨/٣ . وصحيح مسلم ٧٢/١ ،
و ١٥٣/٥ ، باب قول رسول الله : «نحن لا نورت» ما تركناه صدقة» ، وأبن كثير
٢٨٥/٥ - ٢٨٦ ، وأبن عبد ربه ٦٤/٣ . وقد أورده أبن الأثير ١٢٦/٢ مختصراً . والكنجي في
كفاية الطالب ص ٢٢٥ - ٢٢٦ . وأبن أبي الحديد ١٢٢/١ . والمسعودي ٤١٤/٢ من مروج
الذهب . وفي التنبيه والإشراف له ص ٢٥٠ : (ولم يبايع علي حتى توفيت فاطمة) . والصواعق
١٢/١ . وتاريخ الخميس ١٩٣/١ . وفي الإمامة والسياسة ١٤/١ : أن بيعة علي كانت بعد وفاة
فاطمة وأنها قد بقيت بعد أبيها ٧٥ يوماً . وفي الاستيعاب ٢٤٤/٢ : أن عليّاً لم يبايعه إلّا بعد موت
فاطمة . وأبو الفداء ١٥٦/١ . والبده والتاريخ ٦٦/٥ . وأنساب الأشراف ٥٨٦/١ . وفي أسد
الغابة ٢٢٢/٣ بترجمة أبي بكر : (كانت بيعتهم بعد ستة أشهر على الأصح) . وقال اليعقوبي
١٢٦/٢ (لم يبايع علي إلّا بعد ستة أشهر) وفي الغدير ١٠٢/٣ عن الفصل لابن حزم ص ٩٦ - ٩٧ «وجدنا
عليّاً رضي الله عنه تأخر عن البيعة ستة أشهر» .
(٩٣) أنساب الأشراف ٥٨٧/١ .

من تخلف عن بيعة الخليفة أبي بكر

أ - فروة بن عمرو

قال الزبير بن بكار في الموفقيات : (كان فروة بن عمرو ممن تخلف عن بيعة أبي بكر، وكان ممن جاهد مع رسول الله (ص) وقاد فرسين في سبيل الله . وكان يتصدق من نخله بألف وسق في كل عام ، وكان سيّداً . وهو من أصحاب عليّ ، وممن شهد معه يوم الجمل . وذكر الزبير بن بكار بعد ذلك عتاب فروة لبعض الأنصار الذين ساعدوا أبا بكر في بيعته^{٩٤} .

ب - خالد بن سعيد الأموي

كان عاملاً لرسول الله على صنعاء اليمن (فلما مات رسول الله رجع هو وأخوه أبان وعمر عن عمالتهم ، فقال أبو بكر: ما لكم رجعتن عن عمالتكم ؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله (ص)، ارجعوا إلى أعمالكم . فقالوا : نحن بنو أحيحة ، لا نعمل لأحد بعد رسول الله)^{٩٥} . وتأخر خالد وأخوه أبان عن بيعة أبي بكر، فقال لبني هاشم : إنكم

(٩٤) الموفقيات ص ٥٩٠ .

وفروة بن عمرو الأنصاري البياضي : شهد العقبة وبدراً وما بعدهما مع رسول الله (ص) . أسد الغابة ١٧٨/٤ .

(٩٥) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس : أسلم قديماً فكان ثالثاً أو رابعاً وقيل كان خامساً ، وقال ابن قتيبة في المعارف ص ١٢٨ : (أسلم قبل إسلام أبي بكر) . وابن أبي الحديد ١٣/٢ . وكان ممن هاجر إلى الحبشة وأستعمله رسول الله مع أخويه على صدقات مذبح وأستعمله على صنعاء اليمن . ثم رجعوا بعد وفاة النبي ثم مضوا جميعاً إلى الشام فقتلوا هناك ، وأستشهد خالد بأجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ . الاستيعاب ٣٩٨/١ - ٤٠٠ . والإصابة ٤٠٦/١ . وأسد الغابة ٨٢/٢ . وراجع ابن أبي الحديد ١٣/٦ و ١٦ .

لَطَوَالِ الشَّجَرِ طَبِيبُ الثَّمَرِ نَحْنُ نَبِيعٌ لَكُمْ^{٩٦}.

و (تَرْيُصُ بَيْعَتَهُ شَهْرَيْنِ يَقُولُ : قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ص) ثُمَّ لَمْ يَعْزِلْنِي حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ لَقِيَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَعِثَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَقَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ، لَقَدْ طَبِيتُمْ نَفْسًا عَنْ أَمْرِكُمْ يَلِيهِ غَيْرُكُمْ ، فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَحْفَلْهَا عَلَيْهِ ، وَأَمَّا عُمَرُ فَأَضْطَظَّهَا عَلَيْهِ)^{٩٧}.

(وَأَتَى عَلِيًّا فَقَالَ : هَلُمَّ أَبَايَعُكَ ، فَوَاللَّهِ مَا فِي النَّاسِ أَحَدٌ أَوْلَى بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ مِنْكَ)^{٩٨} ، (فَلَمَّا بَايَعَ بَنُو هَاشِمٍ أَبَا بَكْرٍ بَايَعَهُ خَالِدُ)^{٩٩}.

(ثُمَّ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ الْجَنْوُدَ إِلَى الشَّامِ وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ آسْتَعْمَلَ عَلَى رِبْعِ مِنْهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ ، فَأَخَذَ عُمَرَ يَقُولُ : أَتَوُفِّرُهُ وَقَدْ صَنَعَ مَا صَنَعَ وَقَالَ مَا قَالَ ؟ فَلَمْ يَزَلْ بِأَبِي بَكْرٍ حَتَّى عَزَلَهُ ، وَأَمْرُ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ)^{١٠٠}.

ج - سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ^{١٠١}.

ذَكَرُوا (إِنَّ سَعْدًا تَرَكَ أَيَّامًا ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ أَنْ أَقْبَلَ فَبَايَعَ ، فَقَدْ بَايَعَ النَّاسَ

(٩٦) أَسَدُ الْغَابَةِ ٨٢/٢ ، وَأَبْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ١٣٥/٢ ، ط. الْمَصْرِيةُ الْأُولَى.
(٩٧) الطَّبْرِيُّ ٥٨٦/٢ (ط. أَوْرِبَا ٢٠٧٩/١). وَتَهْدِيبُ تَارِيخِ أَبِي عَسَاكِرِ ٥١/٥. وَفِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ ٥٨٨/١ ذَكَرَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ تَأَخَّرَ عَنِ الْبَيْعَةِ.
(٩٨) الْيَعْقُوبِيُّ ١٢٦/٢.
(٩٩) أَسَدُ الْغَابَةِ ٨٢/٢. وَرَاجِعُ تَفْصِيلِ ذَلِكَ فِي أَبِي أَبِي الْحَدِيدِ ١٣٥/١ نَقْلًا عَنْ سَقِيفَةِ أَبِي بَكْرٍ الْجَوْهَرِيِّ.

(١٠٠) الطَّبْرِيُّ ٥٨٦/٢ (و.ط. أَوْرِبَا ٢٠٧٩/١). وَتَهْدِيبُ تَارِيخِ أَبِي عَسَاكِرِ ٥١/٥. وَفِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ ٥٨٨/١ ذَكَرَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ تَأَخَّرَ عَنِ الْبَيْعَةِ.
(١٠١) سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ بْنُ دُلَيْمٍ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ أَبِي خَزِيمَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ طَرِيفٍ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ سَاعِلَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ الْخَزْرَجِ الْأَنْصَارِيِّ : شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَمَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ عِدًّا بِدَرٍّ ، فَإِنَّهُ اخْتَلَفَ فِي أَنَّهُ هَلْ شَهِدَهَا أَمْ لَمْ يَشْهَدَهَا. كَانَ جَوَادًا سَخِيًّا ، وَكَانَتْ رَايَةَ الْأَنْصَارِ بِيَدِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَلَسِيَّا نَادَى : (الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تَسْبِيْ الْحَرَمَةِ) نَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ اللِّوَاءَ مِنْهُ وَأَعْطَاهُ لِابْنِهِ قَيْسٍ. وَلَمْ يَبَايِعْ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى قَتَلَ بِسَهْمَيْنِ فِي الشَّامِ سَنَةَ ١٥ هـ. وَدُفِنَ بِحَوَارِينَ ، نَسَبُهُ فِي جَمْعَةِ أَبِي حَزَمٍ ص ٦٥. وَخَبَرُهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ ٢٣/٢ - ٣٧. وَالْإِصَابَةُ ٢٧/٢ - ٢٨.

وبايع قومك ، فقال : أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل وأخضب
سنان رمحي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن
أطاعني من قومي فلا أفعل . وأيم الله لو أن الجن أجمعت لكم مع الإنس
ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي^{١١٢} .

فلما أتى أبو بكر بذلك ، قال عمر : لا تدعه حتى يبايع .

فقال له بشير بن سعد : إنه قد لجأ وأبى ، وليس بمبايعكم حتى
يقتل ، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته ،
فاتركوه فليس تركه بضاركم ، إنما هو رجل واحد .

فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد ، وأستنصحوه لما بدا لهم منه ، فكان
سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجتمع معهم ولا يحج ولا يفيض معهم
بإفاضتهم - إلخ . (فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر وولي عمر)^{١١٣} .

ولما ولي عمر الخلافة لقيه في بعض طرق المدينة .

فقال له : إيه يا سعد ! ؟

فقال له : إيه يا عمر ! ؟

فقال له عمر : أنت صاحب المقالة ؟

قال سعد : نعم ، أنا ذلك ، وقد أفضى إليك هذا الأمر ، كان والله
صاحبك أحب إلينا منك وقد أصبحت والله كارهاً لجوارك .

فقال عمر : من كره جوار جارٍ تحوّل عنه .

فقال سعد : ما أنا غير مستسرّ بذلك ، وأنا متحوّل إلى جوار من هو

(١٠٢) الطبري ٣/٤٥٩ . وآبن الأثير ٢/١٢٦ . أورد الرواية إلى : فاتركوه . وكثر العمال
٣/١٣٤ ، ح ٢٢٩٦ . والإمامة والسياسة ١/١٠ ، والسيرة الحلبية ٤/٣٩٧ ، بعده : (لا يسلم
على من لقي منهم) . والطبري ط . أوربا ١/١٨٤٤ .
(١٠٣) الرياض النضرة ١/١٦٨ ، مضافاً إلى سائر المصادر .

خير منك .

فلم يلبث إلّا قليلاً حتّى خرج إلى الشّام في أوّل خلافة عمر - (الخ) ١٠٤ .
وفي رواية البلاذري : أنّ سعد بن عبادَةَ لم يبايع أبا بكر وخرج إلى الشّام
فبعث عمر رجلاً وقال : أدعُه إلى البيعة وآحتل له ، فإن أبى فآستعن الله
عليه . فقدم الرجل الشّام فوجد سعداً في حائط بحّارين ١٠٥ فدعاه إلى البيعة .
فقال : لا أبايع قُرشياً أبداً .

قال : فلاني أقاتلك .

قال : وإن قاتلتني .

قال : أفخرج أنت ممّا دخلت فيه الأمة ؟

قال : أمّا من البيعة فإني خارج . فرماه بسهم فقتله ١٠٦ .

وفي تبصرة العوام : أنّهم أرسلوا محمّد بن مسلمة الأنصاريّ فرماه
بسهم .

وقيل : إن خالداً كان في الشّام يومذاك ، فأعانه على ذلك ١٠٧ .

قال المسعودي : (وخرج سعد بن عبادَةَ ولم يبايع ، فصار إلى الشّام
فقتل هناك سنة ١٥ هـ) ١٠٨ .

وفي رواية ابن عبد ربّه : (رمي سعد بن عبادَةَ بسهم فوجد دفيناً في
جسده فمات ، فبكته الجنّ فقالت :

- ١٠٤) طبقات ابن سعد ٣/٢ ق ١٤٥ . وابن عساكر ٦/٩٠ بترجمة سعد من تهديده ، وكنز
العالم ٣/١٣٣ ، برقم ٢٢٩٦ . والحلبية ٣/٣٩٧ .
١٠٥) من قرى حلب معروفة . معجم البلدان .
١٠٦) أنساب الأشراف ١/٥٨٩ . والعقد الفريد ٣/٦٤ - ٦٥ باختلاف يسير .
١٠٧) تبصرة العوام ط . المجلس بطهران ص ٣٢ .
١٠٨) مروج الذهب ٢/٣٠١ و ٣٠٤ .

وَقَتَلْنَا سَيْدَ الْخَزْرَجِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ

وَرَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ فَلَمْ نُخْطِئْ فُؤَادَهُ^{١٠٩}

وروى ابن سعد : (أنه جلس يبول في نفق فاقْتَتِلَ فمات من ساعته ووجدوه قد أخضر جلدته)^{١١٠} .

وفي أسد الغابة^{١١١} : (لم يبايع سعد أبا بكر ولا عمر ، وسار إلى الشام فأقام بحوران إلى أن مات سنة ١٥ هـ ، ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً على مغتسله وقد أخضر جسدته ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول من بشر ولا يرون أحداً . . .) إلخ .

هكذا انتهت حياة سعد بن عبادة . ولما كان قتل سعد بن عبادة من الحوادث التي كره المؤرخون وقوعها ، أغفل جمع منهم ذكرها^{١١٢} وأهمل قسم منهم بيان كيفيتها ونسبها إلى الجح^{١١٣} ، غير أنهم لم يكشفوا عن منشأ العداء بين الجح وسعد بن عبادة ، ولماذا فوّقت سهمها إلى فؤاد سعد دون سائر الصحابة ، فلو أنهم أكملوا الأسطورة وقالوا : إن صلحاء الجح كرهت امتناع سعد عن البيعة فرمته بسهمين فما أخطأ فؤاده لكانت أسطورتهم تامة .

من روى أن سعداً لم يبايع :

(١) ابن سعد في الطبقات . (٢) ابن جرير في تاريخه . (٣) البلاذري في ج ١ من أنسابه . (٤) ابن عبد البر في الاستيعاب . (٥) ابن عبد ربه في العقد الفريد . (٦) ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ٩/١ . (٧) المسعودي في

(١٠٩) العقد الفريد ٢٥٩/٤ - ٢٦٠ .

(١١٠) الطبقات ٣/٢ - ١٤٥ . وأبو حنيفة الدينوري في المعارف ص ١١٣ .

(١١١) في ترجمة سعد . والاستيعاب ٣٧/٢ .

(١١٢) كابن جرير وابن كثير وابن الأثير في تواريخهم .

(١١٣) كمحب الدين الطبري في الرياض النضرة . وابن عبد البر في الاستيعاب .

مروج الذهب . (٨) ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٢٨/٢ . (٩) محب الدين الطبري في الرياض النضرة ١ / ١٦٨ . (١٠) ابن الأثير في أسد الغابة ٢٢٢/٣ . (١١) تاريخ الخميس . (١٢) علي بن برهان الدين في السيرة الحلبية ٣ / ٣٩٦ ، ٣٩٧ . (١٣) أبوبكر الجوهري ، برواية ابن أبي الحديد عنه .

كان ما ذكرناه خلاصة من خبر استخلاف أبي بكر وبيعه ، أوردناه ملخصاً من كتاب عبد الله بن سبأ الجزء الأول .
وفي ما يلي خبر استخلاف عمر وبيعه .

استخلاف عمر وبيعه

دعا أبوبكر عثمان خالياً^{١١٤} فقال :

أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبوبكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ، أما بعد .

قال : ثم أغمي عليه فذهب عنه ، فكتب عثمان :

أما بعد فلاني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً . ثم أفاق أبوبكر فقال : اقرأ علي . فقرأ عليه ، فكبر أبوبكر وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن أفتلت نفسي في غشيتي ؟ قال : نعم . قال : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله . وأقرأها أبوبكر (رض) من هذا الموضع .

وذكر قبل ذلك عن عمر أنه كان جالساً والناس معه وبيده جريدة ومعه شديد مولى لأبي بكر معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر ، وعمر يقول : (أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله إنه يقول إنني لم

(١١٤) دعاه خالياً : انفرد به في خلوة .

الكم نصحاً^{١١٥}.

كم من الفرق بين موقف أبي حفص هذا وموقفه من كتابة وصية الرسول (ص) ؟ ١

الشورى وبيعة عثمان

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد :

لبما طعن الخليفة عمر قيل له : لو استخلفت . فقال :

لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لا ستخلفته ، فإن سألتني رأيي قلت : نبيك يقول : إنه أمين هذه الأمة . ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لا ستخلفته ، فإن سألتني رأيي قلت : سمعت نبيك يقول : إن سالم ليحب الله حباً لو لم يخف الله ما عصاه^{١١٦}.

وإنهم قالوا له : يا أمير المؤمنين ، لو عهدت . فقال : لقد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أولي رجلاً أمركم أرجو أن يحملكم على الحق - وأشار إلى علي - ثم رأيت أن لا أتحمّلها حياً وميتاً . . . إلخ .

وروى البلاذري في أنساب الأشراف^{١١٧} قال عمر : أدعوا لي علياً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص . فلم يكلم أحداً منهم غير علي وعثمان ، فقال : يا علي ، لعل هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النبي (ص) وصهرك وما أنالك الله من الفقه والعلم ، فإن وليت هذا الأمر فأتق الله فيه . ثم دعا عثمان وقال : يا عثمان ، لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنتك ، فإن وليت هذا الأمر فأتق الله

(١١٥) تاريخ الطبري ط . أوربا ١/٢١٣٨ .

(١١٦) العقد الفريد ٢/٢٧٤ ، أوردها ملخصاً .

(١١٧) أنساب الأشراف ١٦/٥ .

ولا تحمل آل أبي معيط على رقاب الناس . ثم قال : ادعوا لي صُهييًّا ، فدُعي ، فقال : صلُّ بالناس ثلاثاً ، وليخل هؤلاء النفر في بيت ، فإذا اجتمعوا على رجل منهم ، فمن خالفهم فاضربوا رأسه . فلما خرجوا من عند عمر قال : إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق^{١١٨} .

وفي الرياض النضرة ط ٢ بمصر ١٣٧٣ هـ ، ٩٥/٢ .

(لله دَرهم إن ولّوها الأصيلح كيف يحملهم على الحق وإن كان السيف على عنقه . قال محمد بن كعب : فقلت : أتعلم ذلك منه ولا تولّيه ؟ فقال : إن تركتهم فقد تركهم من هو خير مني) .

روى البلاذري في أنساب الأشراف ١٧/٥ عن الواقدي بسنده ، قال : (ذكر عمر من يستخلف فليل : أين أنت عن عثمان ؟ قال : لو فعلت لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس . قيل : الزبير ؟ قال : مؤمن الرضى ، كافر الغضب . قيل : طلحة ؟ قال : أنفه في السماء وأسته في الماء . قيل : سعد ؟ قال : صاحب مقنب^{١١٩} ، قرية له كثير . قيل : عبد الرحمن ؟ قال : بحسبه أن يجري على أهل بيته) .

وروى البلاذري في ج ١٨/٥ من أنساب الأشراف : أن عمر بن الخطاب أمر صهييًّا مولى عبد الله بن جُدعان حين طعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار . فلما دخلوا عليه قال : إني جعلت أمركم شورى إلى ستة نفر من المهاجرين الأولين الذين قبض رسول الله (ص) وهو عنهم راضٍ ليختاروا أحدهم لإمامتكم - وسماهم ، ثم قال لأبي طلحة زيد بن سهل

(١١٨) وفريب منه ما في طبقات ابن سعد ج ٣ ق ١ ص ٢٤٧ . وراجع ترجمة عمر من الاستيعاب ومنتخب الكثر ج ٤ ص ٤٢٩ .

(١١٩) المقنب : جماعة من الخيل تجتمع للغارة .

الحزرجي : اختر خمسين رجلاً من الأنصار يكونوا معك ، فإذا توفيت فاستحِث هؤلاء نفر حتى يختاروا لأنفسهم وللأمة أحدهم ولا يتأخروا عن أمرهم فوق ثلاث . وأمر صهيياً أن يصلي بالناس إلى أن يتفقوا على إمام . وكان طلحة بن عبيد الله غائباً في ماله بالسراة^{١٢٠} ، فقال عمر : إن قدم طلحة في الثلاثة الأيام ، وإلا فلا تنتظروه بعدها وأبرموا الأمر وأصرموه ، وبايعوا من تتفقون عليه ، فمن خالف عليكم فأضربوا عنقه . قال : فبعثوا إلى طلحة رسولاً يستحثونه ويستعجلونه بالقدوم ، فلم يرد المدينة إلا بعد وفاة عمر والبيعة لعثمان . فجلس في بيته وقال : أعلسى مثلي يُفقات ! فأتاه عثمان ، فقال له طلحة : إن رددت أتردّه ؟ قال : نعم . قال : فآتي أمضيته . فبايعه . وقريب منه ما في العقد الفريد ٧٣/٣ .

وروى في ص ٢٠ منه ، قال :

فقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح : ما زلت خائفاً لأن ينتقض هذا الأمر حتى كان من طلحة ما كان ، فوصلته رَجَم ولم يزل عثمان مكرماً لطلحة حتى حُصِر فكان أشد الناس عليه .

وروى البلاذري في ١٨/٥ من كتابه أنساب الأشراف بسند آبن سعد

قال :

(قال عمر : ليتبع الأقل الأكثر ، فمن خالفكم فأضربوا عنقه) .

وروى في ص ١٩ منه : عن أبي مخنف أنه قال :

(أمر عمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً ، فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل ، رجعوا في الشورى ، فإن اجتمع أربعة على واحد وأباه واحد ، كانوا مع الأربعة ، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة كانوا مع الثلاثة

(١٢٠) السراة : الجبل الذي فيه طرف الطائف ويقال لأماكن أخرى . معجم البلدان .

السّدين فيهم أبْن عوف إذ كان الثّقة في دينه ورأيه، المأمون للاختيار على المسلمين) . وقريب منه ما في العِدِّ الفريد ٧٤/٣ .

وروى أيضاً عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أنَّ عمر قال : (إنَّ أجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فأتبعوا صنف عبد الرَّحمن بن عوف وأسمعوا وأطيعوا) وأخرجه أبْن سعد في الطبقات ٣/١ ق ٤٣ .

وفي تاريخ اليعقوبي ١٦٠/٢ : وروى البلاذري في أنساب الأشراف ١٥/٥ أنَّ عمر قال :

(إنَّ رجالاً يقولون إنَّ بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ، وإنَّ بيعة عمر كانت عن غير مشورة والأمر بعدي شوري ، فإذا أجتمع رأي أربعة فليُتبع الاثنان الأربعة ، وإذا أجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فأتبعوا رأي عبد الرَّحمن بن عوف فأسمعوا وأطيعوا وإنَّ صفق عبد الرَّحمن بإحدى يديه على الأخرى فأتبعوه) .

وروى المتقي في كنز العمال ١٦٠/٣ ، عن محمّد بن جُبَيْر عن أبيه ، أنَّ عمر قال :

(إنَّ ضرب عبد الرَّحمن بن عوف إحدى يديه على الأخرى فبايعوه) . وعن أسلم أنَّ عمر بن الخطاب قال :

(بايعوا لمن بايع له عبد الرَّحمن بن عوف ، فمن أبى فأضربوا عنقه) . ومن كلّ هذا يظهر أنَّ الخليفة كان قد جعل أمر الترشيع بيد عبد الرَّحمن بن عوف ، وبُيِّت معه أن يشترط في البيعة العمل بسيرة الشيخين ، وهم يعلمون أنَّ الإمام عليّاً يابى أن يجعل العمل بسيرة الشيخين في عداد العمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص) وأنَّ عثمان يوافق على ذلك ، فيبايع عثمان بالخلافة ، ويخالفهم الإمام علي فيعرض على السيف . والدليل على ما قلنا بالإضافة إلى ما سبق ، ما رواه أبْن سعد في طبقاته

عن سعيد بن العاص ما خلاصته : أنَّ سعيد بن العاص أتى الخليفة عمر يستزيده في الأرض ليوَسِّع داره ، فَوَعده الخليفة بعد صلاة الغداة وذهب معه حينئذ إلى داره . قال سعيد :

(فزادني وخطَّ لي برجليه فقلتُ : يا أمير المؤمنين زدني فإنه نبئت لي نابتة من ولد وأهل . فقال : حسبك وأختبئ عندك ، إنه سيلي الأمر من بعدي من يصل رحمك ويقضي حاجتك . قال : فمكثت خلافة عمر بن الخطاب حتَّى استخلف عثمان وأخذها عن شوري ورضى فوصلني وأحسن وقضى حاجتي وأشركني في أمانته) ١٢١ .

إذا فالخليفة عمر قد أنبأ سعيد بن العاص أنه سيلي بعده ذورحم سعيد وهو عثمان وطلب منه أن يخبئ الأمر عنده؛ ويتَّضح من هذه المحاورة أنَّ أمر تولية عثمان الخلافة كان قد بُتَّ فيه في حياة الخليفة عمر ، وتعيين الستة في الشورى كان من أجل تمرير هذا الأمر بصورة مرضية لدى الجميع .

أما تعريض الإمام علي للقتل فمما يدلُّ عليه بالإضافة إلى ما مرَّ ما رواه ابن سعد أيضاً بترجمة سعيد بن العاص : أنَّ عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص : (مالي أراك معرضاً كأنك ترى أنني قتلت أباك ؟ ما أنا قتلته ولكنَّه قتله علي بن أبي طالب) ١٢٢ وكان قد قتله ببدر .

أليس في هذا القول تحريش على الإمام علي وإثارة للضغائن عليه .

الإمام علي (ع) يعلم بأنَّ الخلافة زويت عنه
كان الإمام علي يعلم بأنَّ الخلافة زويت عنه وإنَّما اشترك معهم في

(١٢١) بترجمة سعيد بن العاص من الطَّبقات ، ط . أوروبا ٢٠/٥ - ٢٢ .
(١٢٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن أبيحبة بن أمية : توفي رسول الله (ص) وهو ابن تسع سنين أو نحوه طبقات ابن سعد ٢٠/٥ - ٢٢ .

الشورى كي لا يقال: هو الذي زهد في الخلافة . ويدلّ على أنه كان يعلم ما بيّث له، الحديث الآتي :

روى البلاذري في ١٩/٥ من كتابه أنساب الأشراف :

إنّ عليّاً شكّا إلى عمّه العباس ما سمع من قول عمر : كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، وقال : واللّه لقد ذهب الأمر منّا . فقال العباس : وكيف قلت ذلك يا ابن أخي ؟ فقال : إنّ سعداً لا يخالف ابن عمّه عبد الرحمن وعبد الرحمن نظير عثمان وصهره فأحدهما لا يخالف صاحبه لا محالة ، وإن كان الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذ كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين . وقال ابن الكلبي : عبد الرحمن بن عوف زوج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وأمّها أروى بنت كُرَيْز وأروى أمّ عثمان فلذلك قال صهره . وقريب منه ما في العقد الفريد ٧٤/٣ .

وروى في ص ٢١ منه عن أبي مخنف قال :

لما دفن عمر أمسك أصحاب الشورى وأبو طلحة يؤمّهم فلم يحدثوا شيئاً، فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوشهم للمناظرة في دار المال، وكان دفن عمر يوم الأحد وهو الرابع من يوم طعين، وصلى عليه صهيب بن سنان . قال : فلما رأى عبد الرحمن تناجي القوم وتناظرهم وأنّ كلّ واحد منهم يدفع صاحبه عنها، قال لهم : يا هؤلاء أنا أخرج نفسي وسعداً على أن أختار يا معشر الأربعة أحدكم، فقد طال التناجي وتطلّع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم، واحتاج من أقام الانتظار ذلك من أهل البلدان الرجوع إلى أوطانهم، فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلّا عليّاً فإنه قال : أنظر.

وأناهم أبو طلحة فأخبره عبد الرحمن بما عرض وبإجابة القوم إياه إلّا عليّاً فأقبل أبو طلحة على عليّ ، فقال : يا أبا الحسن إنّ أبا محمّد ثقة لك وللمسلمين، فما بالك تخالف وقد عدل الأمر عن نفسه، فلن يتحمّل المأثم

لغيره؟ فاحلف عليّ عبد الرحمن بن عوف أن لا يميل إلى هوى وأن يؤثر الحق وأن يجتهد للأمة، وأن لا يُحابي ذا قرابة، فحلف له، فقال: اختر مسدداً. وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المسور بن مخرمة.

ثم إنَّ عبد الرحمن أحلف رجلاً رجلاً منهم بالأيمان المغلظة، وأخذ عليهم الموائيق والعهود أنهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلاً وأن يكونوا معه على من يनावيه، فحلفوا على ذلك، ثم أخذ بيد عليّ فقال له: عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتك أن لا تحمل بني عبد المطلب على رقاب الناس، ولتسير بسيرة رسول الله (ص) لا تحول عنها ولا تقصر في شيء منها، فقال عليّ: لا أحمل عهد الله وميثاقه على ما لا أدركه ولا يدركه أحد. من ذا يطيق سيرة رسول الله (ص) ولكني أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد مني، وبما يمكنني وبقدر علمي. فأرسل عبد الرحمن يده. ثم أحلف عثمان وأخذ عليه العهود والموائيق أن لا يحمل بني أمية على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئاً من ذلك، فحلف له. فقال عليّ: قد أعطاك أبو عبد الله الرضا فشأنك فبايعه. ثم إنَّ عبد الرحمن عاد إلى عليّ فأخذ بيده وعرض عليه أن يحلف بمثل تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر، فقال عليّ: عليّ الاجتهاد، وعثمان يقول: نعم، عليّ عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ على أنبيائه أن لا أخالف سيرة رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر في شيء ولا أقصر عنها. فبايعه عبد الرحمن وصافحه وبايعه أصحاب الشورى، وكان عليّ قائماً، فقعد، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلا ضربت عنقك. ولم يكن مع أحد يومئذ سيف، فيقال: إنَّ عليّاً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورى، فقالوا: بايع وإلا جاهدناك، فأقبل معهم يمشي حتى بايع عثمان) اهـ.

في هذا الخبر حذف من أول قول عبد الرحمن (وسيرة الشيخين) ونقل

أول كلام الإمام عليّ بتصرف وحذف آخره؛ وتام الخبر في الرواية الآتية:
 في تاريخ اليعقوبي ١٦٢/١: أن عبد الرحمن خلا بعليّ بن أبي طالب، فقال: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت. فخلا بعثمان فقال له: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. ثم خلا بعليّ فقال له مثل مقالته الأولى، فأجابه مثل الجواب الأول؛ ثم خلا بعثمان فقال له مثل المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثم خلا بعليّ فقال له مثل المقالة الأولى، فقال: إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما إلى إجيري^{١٢٣} أحد، أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني. فخلا بعثمان فأعاد عليه القول، فأجابه بذلك الجواب، وصدق على يده.

وفي ذكر حوادث سنة ٢٣ من تاريخ الطبري ٢٩٧/٣، وكذلك ابن الأثير ٣٧/٣، قال الإمام عليّ لعبد الرحمن لما بايع عثمان في اليوم الثالث: «حبوته حبة دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم في شأن». وكذلك ورد في العقد الفريد ٧٦/٣، في العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم برقم: ٥.

بيعة الإمام علي (ع)

قتل عثمان وعاد إلى المسلمين أمرهم وأنحلوا من كل بيعة سابقة

(١٢٣) الإجيري بالكسر والتشديد: العادة والطريقة.

توثقهم، فتهافتوا على ابن أبي طالب يطلبون يده للبيعة؛ قال الطبري^{١٢٤}:
فأتاه أصحاب رسول الله (ص) فقالوا:
إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحق بهذا
الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله (ص).
فقال: لا تفعلوا فإنني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً.
فقالوا: لاء والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.
قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضى
المسلمين. . . .

وروى بسند آخر وقال:
اجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً فقالوا:
يا أبا الحسن، هلم نبايعك.
فقال: لا حاجة لي في أمركم. أنا معكم فمن آخرتهم فقد رضيت به،
فاختاروا.
فقالوا: والله ما نختار غيرك.

قال: فآختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان (رض) مراراً ثم أتوه في آخر ذلك،
فقالوا له:

إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة وقد طال الأمر.
فقال لهم: إنكم قد آختلفتُم إليّ وأتيتم وإني قاتل لكم قولاً إن قبلتموه
قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لي فيه.
قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله. فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس

١٢٤ السري ١٥٢/٥ - ١٥٣، وط. أوروبا ٣٠٦٦/١. وراجع الكنز ١٦١/٣ ح ٢٢٧١
لأنه يروي تفصيل بيعة علي ومجيء طلحة والزبير إليه وأمتناعه عن البيعة. . . . وكذلك حكاه
ابن أعثم بالتفصيل في ص ١٦٠ - ١٦١ من تاريخه.

إليه .

فقال : إني قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتكم إلا أن أكون عليكم . ألا وإنه ليس لي أمر دونكم ، ألا إن مفاتيح مالكم معي . ألا وإنه ليس لي أن أخذ منه درهماً دونكم . رضيتم ؟

قالو: نعم .

قال : اللهم أشهد عليهم . ثم بايعهم على ذلك .

وروى البلاذري^{١٢٥} وقال :

وخرج عليّ فأتى منزله ، وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى عليّ ، أصحاب النبيّ وغيرهم ، وهم يقولون : (إنّ أمير المؤمنين عليّ) حتّى دخلوا داره ، فقالوا له : نبايعك ، فمدّ يدك فإنّه لا بدّ من أمير . فقال عليّ : ليس ذلك إليكم إنّما ذلك إلى أهل بدر ، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة . فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا أتى عليّاً ، فقالوا : ما نرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منك فلما رأى عليّ ذلك صعد المنبر ، وكان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحة بيده ، وكانت إصبع طلحة شلاء فتطير منها عليّ . وقال : ما أخلقه أن ينكث .

روى الطبري^{١٢٦} : (أنّ حبيب بن ذؤيب نظر إلى طلحة حين بايع فقال : أوّل من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتمّ هذا الأمر . . .) انتهى .

* * *

بعد دراسة الواقع التاريخي في إقامة الحكم في صدر الإسلام ، ندرس في ما يأتي رأي المدرستين في الخلافة والإمامة ونبدأ بذكر آراء مدرسة الخلافة .

(١٢٥) الأنساب ٧٠/٥ . وقد روى الحاكم في المستدرک ١١٤/٣ تشاؤم علي من بيعة طلحة .
(١٢٦) الطبري ١٥٣/٥ وط . اوربا ٣٠٦٨/١ .

الفصل الثاني

بحوث مدرسة الخلفاء في الإمامة

رأي مدرسة الخلافة وما استدلوا به
آراء أتباع مدرسة الخلفاء
وجوب طاعة الإمام وإن خالف الرسول (ص)
استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة
مصطلحات بحث الإمامة والخلافة
دراسة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة
الأول: مناقشة الاستدلال بالشورى
الاستدلال بالشورى بكتاب الله وسنة رسوله
(ص)
الثاني: مناقشة الاستدلال بالبيعة
الثالث: مناقشة الاستدلال بعمل الصحابة
مناقشة الاستدلال بالشورى والبيعة وعمل
الأصحاب

الرابع: مناقشة الاستدلال بأن الخلافة تقام بالقهر
والغلبة
إطاعة الإمام الجائر المخالف لسنة الرسول (ص)
خلاصة البحث

رأي مدرسة الخلافة وما استدلّوا به

أولاً - قال الخليفة أبوبكر^١:

لن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً
وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : (عمر وأبي عبيدة) فبايعوا أيهما
شئتم^٢.

ثانياً - قال الخليفة عمر بن الخطاب^٣:

فلا يغترنّ أمرؤ أن يقول إنّها كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت ، ألا

(١) أبوبكر، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر القرشي التيمي، وأمه: أمّ الخير سلمى أوليل بنت صخر التيمي. ولد بعد الفيل بستين أو ثلاث. صاحب الرسول (ص) في هجرته إلى المدينة وسكن (سُج) خارج المدينة وكان يحلب للحيّ أغنامهم حتّى ولي الخلافة. إنتقل إلى المدينة بعد ستّة أشهر من ذلك، وتوفيّ سنة ثلاث عشرة. وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٢ حديثاً. راجع ترجمته بأسد الغابة وفي تاريخ ابن الأثير ١٦٣/٢ في ذكر بعض أخباره. وجوامع السيرة ص: ٢٧٨.

(٢) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الجبل ١٢٠/٤.

(٣) أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، وأمه: حنتمة بنت هاشم أو هشام بن المغيرة المخزومي. أسلم بعد نيف وخمسين بمكّة وشهد بدرأ وما بعدها. إستخلفه أبوبكر في مرض موته، وتوفي من طعنة أبي لؤلؤة إياه، ودفن هلال محرم سنة ٢٤ هـ إلى جنب

وإنها قد كانت كذلك ، ولكنَّ الله وقى شرَّها ، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يُبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا^٤.

آراء أتباع مدرسة الخلفاء :

قال أفضى القضاة الماوردي (ت : ٤٥٠ هـ) في الأحكام السلطانية^٥ والإمام علامة الزمان القاضي أبويعلی (ت : ٤٥٨ هـ) في الأحكام السلطانية^٦ ، كلاهما ، قالا في كتابيهما :

الإمامة تنعقد من وجهين : أحدهما بآختيار أهل الحلِّ والعقد ، والثاني بعهد الإمام من قبل .

فأمَّا أنعقادها بآختيار أهل الحلِّ والعقد ، فقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتى ، فقالت طائفة :

أبي بكر . روى عنه أصحاب الصحاح ٥٣٧ حديثاً . ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة وجوامع السيرة ص : ٢٧٦ .

٤) البخاري ، كتاب الحدود ، باب رجم الحبلى ١٢٠ / ٤ . و(التغرة) : مصدر غررته : إذا ألقىته في الغرر وهي من التغرير ، كالتعلة من التعليل ، والمقصود أن الذي يبايع آخر دون مشورة من المسلمين ، فإنها قد غررا بالمسلمين وجزاء المبايع والمبايع له أن يقتلا . (راجع معاجم اللغة) .

٥) الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي ، ط . الثانية سنة ١٣٥٦ هـ ، ص ٧ - ١١ . والماوردي نسبة إلى (بيع ماء الورد) كان من وجوه فقهاء الشافعية ، له مصنفات كثيرة .

٦) الأحكام السلطانية للشيخ أبي يعلى محمد بن الحسن الفراء الحنبلي ط . الأولى بمصر سنة ١٣٥٦ هـ ، ص : ٧ - ١١ .

وإنما اعتمدنا عليهما أكثر من غيرهما من كتب مدرسة الخلفاء ، لأنَّ هذا النوع من الكتب مثل كتاب الخراج لأبي يوسف ، إنما ألَّف لتدوين الأحكام التي تخصَّ شؤون الحكم على رأي مدرسة الخلفاء ومن أجل العمل به ، خلافاً للكتب التي دُوِّنت في مقام المناظرة وليس للعمل بها . وكلَّ ما نوردته في ما يلي من كلا الكتابين وما انفرد به أحدهما ذكرنا ذلك في الهامش .

لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ليكون الرضا به عاماً والتسليم لإمامته إجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر (رض) على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها.

وقالت طائفة أخرى :

أقل من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة استدلالاً بأمرين: أحدهما، أن بيعة أبي بكر (رض) انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثم تابعهم الناس فيها ، وهم عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح^٧ ، وأسيد بن حضير ، وبشير بن سعد ، وسالم مولى أبي حذيفة (رض). والثاني ، أن عمر (رض) جعل الشورى في ستة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة. وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة.

وقال آخرون من علماء الكوفة :

تنعقد بثلاثة يتولأها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصح عقد النكاح بولي وشاهدين.

٧) أبو عبيدة، عامر بن عبد الله بن الجراح : كان حَقَّاراً للقبور بمكة شهد بدرأ وما بعدها ومات بطاعون عمواس - كورة قرب بيت المقدس - سنة ١٨ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ١٤ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص: ٢٨٤ ، وطبقات ابن سعد، ط. أوربا ٧٤/٢/٢.

وأسيد بن حضير: مرّت ترجمته في ص ١٥٢ ، الهامش رقم (١٦).
وبشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي : يقال أول من بايع أبا بكر ، وكان حاسداً لسعد بن عباد ، وقتل يوم عين التمر مع خالد. أخرج حديثه النسائي في سننه . راجع عبد الله بن سبأ ٩٦/١ . والتقريب ١٠٣/١ . وأسد الغابة .

وأسيد بن عبد الله ، سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة الأموي : كان من أسطخر فارس اعتقته ثبينة الأنصارية زوج أبي حذيفة فتبناه أبو حذيفة ولذلك عدّ من المهاجرين. هاجر إلى المدينة قبل رسول الله وكان يوم المهاجرين فيها وفيهم عمر بن الخطاب لأنه كان أقرأهم للقرآن ، آخى الرسول بينه وبين معاذ من الأنصار. قتل يوم اليمامة . ترجمته بأسد الغابة والإصابة .

وقالت طائفة أخرى:

(تنعقد بواحد، لأنّ العباس^٨ قال لعلّي رضوان الله عليهما: أمدد يدك أبايعك، فيقول الناس عمّ رسول الله (ص) بايع ابن عمّه، فلا يختلف عليك أثنان، ولأنّه حكم وحكم واحد نافذ)^٩.

(وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله، فهو ممّا انعقد الإجماع على جوازه ووقع الاتفاق على صحّته لأمرين عمل المسلمون بهما ولم يتناكروهما، أحدهما: أنّ أبا بكر (رض) عهد بها إلى عمر (رض) فأثبت المسلمون إمامته بعهدّه).
والثاني أنّ عمر (رض) عهد بها إلى أهل الشورى... إلى قوله: لأنّ بيعة عمر (رض) لم تتوقف على رضا الصحابة، ولأنّ الإمام أحقّ بها)^{١٠}.
ونقل اختلاف العلماء في لزوم معرفة الإمام وأنّ بعضهم قال:
(واجب على الناس كلّهم معرفة الإمام بعينه وأسمه، كما عليهم معرفة الله ومعرفة رسوله).

ثمّ قال:

(والذي عليه جمهور الناس، أنّ معرفة الإمام تلزم الكافة بالجملة دون التفصيل)^{١١}.

وأضاف قاضي القضاة أبو يعلى الفراء الحنبلي في الأحكام السلطانية^{١٢}.

(٨) أبو الفضل، العباس بن عبد المطلب، وأمّه: نائلة بنت خباب النمري. شهد مع رسول الله بيعة العقبة وأسر في بدر ففدى نفسه وأبني أخويه عقيلًا ونوفلاً، هاجر قبل فتح مكة وشهده. استسقى به عمر بن الخطاب في عام الرمادة - عام الجذب والقحط - . توفّي سنة ٣٢ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ٣٥ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص: ٢٨١
(٩) الأحكام السلطانية للهاوردي ص: ٦ - ٧.

(١٠) المصدر السابق ص: ١٠. ويظهر من أقوالهم بأنّهم يدينون بها وقع وأنّ الأمر الذي وقع هو الدين ولا يختلفون في ذلك وإنّا الاختلاف في كيفية ما وقع.

(١١) المصدر السابق ص: ١٥.

(١٢) الأحكام السلطانية ص: ٧ - ١١.

على تلكم الأقوال قول بعضهم :

(إنّها تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد).

(ومن غلب عليهم بالسيف حتّى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين، فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برّاً كان أو فاجراً ، فهو أمير المؤمنين).

وقال في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم : (تكون الجمعة مع من غلب) واحتجّ بأنّ ابن عمر صلّى بأهل المدينة في زمن الحرّة وقال : (نحن مع من غلب)^{١٣}.

وقال إمام الحرمين الجويني (ت : ٤٧٨ هـ) في باب الاختيار وصفته وذكر ما ينعقد به الإمامة من كتاب الإرشاد :

(اعلموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع ، بل تنعقد الإمامة وإن لم تجمع الأئمة على عقدها. والدليل عليه أنّ الإمامة لسمّا عقدت لأبي بكر أبندر لإمضاء أحكام المسلمين ، ولم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار، ولم ينكر عليه منكر، ولم يحمله على التريث حامل. فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة، لم يثبت عددٌ معدود، ولا حدٌ محدود،

(١٣) المصدر السابق ص ٧ - ٨ في طبعة وفي أخرى ص ٢٠ - ٢٣.

وإبن عمر، هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمّه زينب بنت مظعون الجمحية. استصفه الرسول في أحد وشهد ما بعدها. روي عنه في الثناء على نفسه وأبيه روايات متعددة. أفتى ستين سنة بعد رسول الله في الموسم. قالوا: كان جيّد الحديث، ولم يكن جيّد الفقه. لم يشهد شيئاً من الحروب مع عليّ، ثمّ ندم من ذلك لسمّا حضرته الوفاة، قال: (ما أجد في نفسي من الدنيا إلا أنّي لم أقاتل الفئة الباغية مع عليّ بن أبي طالب). وكان سبب وفاته أنّ الحجاج أمر رجلاً فوضع زجّ رمح مسموم على قدمه في الزحام فهات سنة ٧٣ هـ، وروي عنه أصحاب الصحاح ٢٦٣٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وسير النبلاء وجوامع السيرة ص ٢٧٥.

فالوجه الحكم بأن الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد^{١٤}.

وقال الإمام ابن العربي (ت: ٥٤٣ هـ) :

(لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام ، بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد)^{١٥}.

وقال الشيخ الفقيه الإمام العلامة المحدث القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) في المسألة الثامنة في تفسير ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ البقرة/ ٣٠ ، من تفسير سورة البقرة :

(فإن عقدها واحد من أهل الحلّ والعقد ، فذلك ثابت ، ويلزم الغير فعله ، خلافاً لبعض الناس حيث قال : لا تنعقد إلاّ بجماعة من أهل الحلّ والعقد . ودليلنا أنّ عمر (رض) عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك ، فوجب ألاّ يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود) .

وقال الإمام أبو المعالي : (من أنعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزم ، ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير أمر ، قال : وهذا مجمع عليه) .

وقال في المسألة الخامسة عشرة من تفسير الآية :

(إذا أنعقدت الإمامة باتّفاق أهل الحلّ والعقد أو بواحد على ما تقدّم ، وجب على الناس كافة مبايعته)^{١٦}.

وقال أفضى القضاة عضد الدين الأيجي (ت: ٧٥٦ هـ) في المواقف :

المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة ، ما ملخصه : أنها تثبت بالنص من

(١٤) الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني ط . القاهرة ١٣٦٩ هـ ، ص ٤٢٢ .

(١٥) الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي المشهور بابن العربي في شرحه سنن الترمذي ٢٢٩/١٣ .

(١٦) القرطبي ، هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي في كتاب جامع أحكام القرآن ، ط . مصر سنة ١٣٨٧ هـ ، ٢٦٩/١ ، ٢٧٢ .

الرَّسُول، ومن الإمام السابق بالإجماع، وثبتت ببيعة أهل الحل والعقد خلاف للشيعة. دليلنا ثبوت إمامة أبي بكر (رض) بالبيعة.

وقال:

إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة، فأعلم أن ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذ لم يَقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد كاف، لعلنا أن الصحابة مع صلابتهم في الدين آتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن إجماع الأمة. هذا ولم ينكر عليهم أحد، وعليه أنطوت الأعصار إلى وقتنا هذا^{١٧}.

ووافق القاضي الأيجي شراح كتابه كتاب المواقف مثل السيد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ)^{١٨}.

وجوب طاعة الإمام وإن خالف الرسول (ص)

روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: قال رسول الله: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس» قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع». وروى عن ابن عباس أن رسول الله قال: «من رأى من إمامه شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً

(١٧) المواقف في علم الكلام، ط. مصر ١٣٢٥ هـ، ٣٥١/٨ - ٣٥٣ تأليف القاضي عبد الرحمن بن أحمد الأيجي، توفي بالسجن عام ٧٥٦ هـ.
(١٨) السيد الشريف الجرجاني في شرحه على المواقف والذي طبع مع الكتاب بمصر.

فمات ، مات ميتة جاهليّة .

وفي أخرى :

« ليس أحد خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية .
وروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه حين كان من أمر الحرّة
ما كان زمن يزيد بن معاوية قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :
« من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لاحقاً له ، ومن مات
وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة »^{١٩} .

وقال النووي في شرحه بباب لزوم طاعة الأمراء في غير معصية :
(وقال جماهير أهل السنّة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين : لا ينعزل
بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك ،
بل يجب وعظه وتخويله للأحاديث الواردة في ذلك) . وقال قبله :
(وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة
ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته ، وأجمع أهل السنّة أنه
لا ينعزل السلطان بالفسق)^{٢٠} .

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلاني (ت : ٤٠٣ هـ) في
كتاب التمهيد^{٢١} في باب ذكر ما يوجب خلع الإمام وسقوط فرض طاعته

(١٩) صحيح مسلم ٢٠/٦ - ٢٢ كتاب الإمارة باب الأمر بلزوم الجماعة .
وروى الحديث عن حذيفة ، وهو ابن اليمان العبسي ، كان أبوه قد أصاب دماً في الجاهلية ،
فهرب إلى المدينة ، وتزوج بها وحالف بني عبد الأشهل ، وسُمّي اليمان لمخالفته اليمانية وأسمه
حسل . شهد حذيفة الخندق وما بعدها ، وولي لعمر المدائن ، ومات بها سنة ست وثلاثين ،
أربعين ليلة بعد بيعة الإمام علي . روى عنه أصحاب الصحاح ٢٢٥ حديثاً . ترجمته في الاستيعاب
وأسد الغابة والإصابة وبجوامع السيرة ص ٢٧٧ .

(٢٠) ٢٢٩/١٢ في شرحه على صحيح مسلم ، وراجع سنن البيهقي ١٥٨/٨ - ١٥٩ .

(٢١) ط . القاهرة ١٣٦٦ هـ .

ما ملخصه:

(قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبخار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء منّا يدعو إليه من معاصي الله. واحتجوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبي (ص) وعن الصحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال، وأنه قال (ع): اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع، ولولعبد حبشي، وصلّوا وراء كل برّ وفاجر. وروي أنه قال: أطعهم وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهرك).

استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة

في القرون الأخيرة غالباً ما يستدل أتباع مدرسة الخلافة على صحّة قيام حكم الخلافة في الماضي على أنّه كان قائماً على أساس الشورى بين المسلمين للخليفة، وبعضهم يستنتج من ذلك أنّ الحكم الإسلاميّ أيضاً يقيم اليوم على أساس البيعة فمن بايعه المسلمون أصبح حاكماً إسلامياً يجب على جميع المسلمين بذل الطاعة له.

* * *

كان ذلكم رأي مدرسة الخلفاء في كيفية إقامة الحكم الإسلامي وأدلتهم على ما يرتأون، وقبل البدء بدراسة ما آرتأوا وما استدلّوا عليه، ينبغي أن ندرس المصطلحات التي يدور عليها البحث في ما يأتي.

مصطلحات بحث الإمامة والخلافة

يدور بحث الإمامة والخلافة على المصطلحات السبعة التالية :

أ - الشورى

ب - البيعة

ج - الخليفة وخليفة الله في الأرض

د - أمير المؤمنين

هـ - الإمام

و - الأمر وأولو الأمر

ز - الوصي والوصية

وفي ما يلي تعريف المصطلحات المذكورة آنفاً:

أولاً - الشورى

التشاور، والمشاورة، والمشورة في لغة العرب : استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر.

وشاوره : استخراج ما عنده من رأي .

وأشار عليه بالرأي ، يشير : إذا ما وجه الرأي .

﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ الشورى/ ٣٨ من صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه^١.

لم يتغير معنى مشتقات هذه المادة في استعمال القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ولدى المسلمين عما كانت عليه في لغة العرب ، وإنما الكلام في مورد الشورى والمشاورة في الشرع الإسلامي وحكمها. كما سيأتي بيانه بعيد هذا ان شاء الله.

ثانياً - البيعة

أ - البيعة في لغة العرب :

البيعة في لغة العرب : الصفقة على إيجاب البيع^٢، و صفق يده بالبيعة والبيع ، وعلى يده صفقاً : ضرب بيده على يده عند وجوب البيع ، وتصافقوا : تبايعوا^٣. كان هذا معنى البيعة لدى العرب .

أما العهد والحلف : فقد كانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة ، مثل ما فعل بنو عبد مناف حين أرادوا أن يقاتلوا بني عبد الدار على من يقوم بحجابه البيت وسقاية الحاج وغيرهما من أعمال السيادة بمكة . فروى ابن إسحاق أن بني عبد مناف أخرجوا جفنة مملوءة طيباً فوضعوها في المسجد عند الكعبة ، ثم غمسوا أيديهم فيها ، وتعاهدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم وسموا (المطييين)^٤.

وروى - أيضاً - في أمر تجديد الكعبة : أن البنيان عندما بلغ موضع

(١) راجع مادة : (شور) من : مفردات الراغب . ولسان العرب . ومعجم ألفاظ القرآن الكريم .

(٢) لسان العرب ، مادة : (بيع) .

(٣) لسان العرب ، مادة : (صفق) .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٤١ - ١٤٣

الركن آختصموا فيه ، كلّ قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتّى تحاوروا وتحالفوا ، وأعدّوا للقتال ، ففقت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ، ثمّ تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسّموا (لعقة الدم)*.

ب - البيعة في الإسلام

كانت البيعة أي : صفق اليد على اليد ، في لغة العرب علامة على وجوب البيع ، وأصبحت في الإسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له الطاعة في ما تقرّر بينهما ، ويقال : بايعه عليه مبايعة : عاهده عليه .

ورود في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمٍ ﴾
الفتح / ١٠ .

ونذكر من سنّة الرسول (ص) ثلاث مرّات أخذ الرسول (ص) فيها البيعة من المسلمين :

١ - البيعة الأولى

إنّ أول بيعة جرت في الإسلام بيعة العقبة الأولى ، أخبر عنها عبادة بن الصامت وقال :

(وافى موسم الحج من الأنصار اثنا عشر رجلاً ممن أسلم منهم في المدينة ، وقال عبادة :

بايعنا رسول الله (ص) بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب ، على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا ننزي ، ولا نقتل أولادنا ،

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٢١٣ .

ولا تأتي بيهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفّارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرکم إلى الله عز وجل؛ إن شاء عذب، وإن شاء غفر^٦. وسمّيت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى).

٢- البيعة الثانية الكبرى بالعقبة

روى كعب بن مالك وقال:

خرجنا من المدينة للحجّ وتواعدنا مع رسول الله (ص) العقبة أواسط أيام التشريق، وخرجنا بعد مضيّ ثلث الليل متسلّلين مستخفين حتّى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وأمرأتان، فجاء رسول الله (ص) ومعه عمّه العباس، فتكلّم رسول الله (ص) فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثمّ قال:

«أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون نساءكم وأبناءكم» فأخذ البراء بن معرور بيده ثمّ قال: نعم والذي بعثك بالحقّ لنمنعك مما نمنع به أُرُونا^٧، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب

فقال أبو الهيثم بن التيهان: يا رسول الله إنّ بيننا وبين الرجال حبّالاً، وإنّا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثمّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله (ص) ثمّ قال: «بل الدم الدم والهدم الهدم . . .» أي: ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم.

وقال رسول الله (ص): «أخرجوا إليّ منكم آثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم». فأخرجوا منهم آثني عشر نقيباً؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، قال رسول الله (ص): «أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفالة

٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠ - ٤٢.

٧) أُرُونا: نساؤنا، والمرأة يكتنّى عنها بالازار.

الحواريّين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي» يعني: المسلمين. قالوا: نعم.

وآختلفوا فيمن كان أوّل من ضرب على يده، أسعد بن زرارة أم أبوالهيثم بن التّيهان^٨.

٣- بيعة الرضوان ، او بيعه الشّجرة

في سنة سبع من الهجرة، استنفر رسول الله (ص) أصحابه للعمرة فخرج معه ألف وثلثمائة، أو ألف وستّائة، ومعه سبعون بدنة، وقال: لست أحمل السّلاح، إنّما خرجت معتمراً. وأحرموا من ذي الحليفة، وساروا حتّى دنوا من الحديبية على تسعة أميال من مكّة، فبلغ الخبر أهل مكّة فراعهم، وأسْتَنَفَرُوا من أطاعهم من القبائل حولهم وقَدَّمُوا مائتي فارس عليهم خالد بن الوليد أو غكرمة بن أبي جهل، فاستعدّ لهم رسول الله (ص) وقال: إنّ الله أمرني بالبيعة. فأقبل النّاس يبايعونه على ألاّ يفروا، وقيل: بايعهم على الموت، وأرسلت قريش وفدًا للمفاوضة، فلمّا رأوا ذلك تهيّبوا وصالحوا رسول الله (ص) . . .^٩.

هذه ثلاثة أنواع من البيعة على عهد الرسول (ص) وهي :

أ - البيعة على الإسلام.

ب - البيعة على إقامة الدولة الإسلامية.

ج - البيعة على القتال.

والبيعة الثالثة تجديد للبيعة الثانية، وذلك لأنّ الرسول (ص) كان قد أسْتَنَفَرَهُم للعمرة. وبعد تبدّل الحالة من العمرة إلى القتال، كانت الحالة

(٨) سيرة ابن هشام ٢/٤٧ - ٥٦.

(٩) إمتاع الأسع للمقريزي ص ٢٧٤ - ٢٩١.

الحادثة مخالفة للعمل الذي استنفرهم له وخرجوا من أجله، فكأنه كان مخالفاً لما عاهدهم عليه، فلذلك أحتاج إلى أخذ البيعة للقيام بالعمل الجديد، وفعل ذلك وأعطى ثمره في إرعاب أهل مكة، وحصول النتيجة المطلوبة.

ونختم البحث بست روايات وردت في البيعة وطاعة الإمام:

١- روى ابن عمر قال: كنا نبأيع رسول الله (ص) على السمع والطاعة ثم يقول لنا: «فيما أستطعت»^{١٠}.

٢- وفي رواية، وقال علي: «ما استطعتم»^{١١}.

٣- وفي رواية، وقال جرير: قال: «قل: في ما استطعت»^{١٢}.

٤- وروى الهرماس بن زياد قال: مددت يدي إلى النبي (ص) وأنا غلام ليبياعني، فلم يبياعني^{١٣}.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص):

«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^{١٤}.

(١٠) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب البيعة، ح ٥، وصحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب البيعة على السمع والطاعة في ما أستطاع، ح ٩٠، وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة في ما يستطيع الإنسان.

(١١) سنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة في ما يستطيع الإنسان.

(١٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب البيعة، ح ٥.

(١٣) البخاري كتاب الأحكام، باب بيعة الصغير. وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب بيعة الغلام.

والهرماس بن زياد، أبو حيدر البصري الباهلي: من قيس عيلان. مات باليامة بعد المائة. راجع ترجمته بأسد الغابة، وتقريب التهذيب.

(١٤) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح ٣. وصحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ح ١٨٣٩. وسنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله، ح ٢٨٦٣. وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب جزاء من أمر بمعصية. ومسند أحمد ١٧/٢ و ١٤٢.

٥- وعن ابن مسعود قال :

قال (ص) : « سيلي أموركم بعدي رجال يطففون السنة ويعملون بالبدعة ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها » . فقلت : يا رسول الله ! إن أدركتهم كيف أفعل ؟ قال : « تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل ؟ لا طاعة لمن عصى الله »^{١٥} .

٦- وعن عبادة بن الصامت في حديث طويل آخره :

« فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى فلا تعتلوا بربكم »^{١٦} .

وفي رواية :

« لا تضلوا بربكم »^{١٧} .

يتضح لنا من دراسة البيعة في سنة الرسول (ص) أن للبيعة ثلاثة أركان :

أ - المبايع .

ب - المبايع له .

ج - المعاهدة على الطاعة للقيام بعمل ما .

وتقوم البيعة أولاً على تفهم ما يطلب الطاعة على القيام به ، ثم تنعقد المعاهدة بضرب يد المبايع على يد المبايع له بالكيفية الواردة في السنة ، والبيعة على هذا مصطلح شرعي ، غير أن شروط تحقق البيعة المشروعة في الإسلام غير واضحة لكثير من المسلمين اليوم ، فنقول :

تنعقد البيعة في الإسلام إذا توفرت فيها الشروط الثلاثة التالية :

(١٥) سنن ابن ماجه ٢/٩٥٦ ، ح ٢٨٦٥ . ومسند أحمد ١/٤٠٠ وفي لفظ : ليس طاعة لمن عصى الله .

(١٦) مسند أحمد ٥/٣٢٥ عن عبادة بن الصامت وأنه روى الحديث في دار عثمان عندما شكاه معاوية إلى عثمان فجلبه عثمان إلى المدينة ، ومختصر الحديث برواية عبادة في ص ٣٢٩ منه .
(١٧) تهذيب تاريخ ابن عساکر ٧/٢١٥ .

- أ - أن يكون المبايع ممن تصحّ منه البيعة، ويبايع مختاراً .
 ب - أن يكون المبايع له مَمَّن تصحّ مبايعته .
 ج - أن تكون البيعة لأمر يصحّ القيام به .

وعلى ما بيّنا لا تصحّ البيعة من صبيّ أو مجنون، لأنهما غير مكلفين بالأحكام في الإسلام، ولا تنعقد بيعة المكره، لأنّ البيعة مثل البيع، فكما لا ينعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، كذلك البيعة لا تنعقد بأخذها بالجبر وفي ظلّ السيف .
 وكذلك لا تصحّ البيعة للمتجاهر بالمعصية، ولا تصحّ البيعة للقيام بمعصية الله . إذن فالبيعة مصطلح إسلاميّ، ولها أحكامها في الشرع الإسلاميّ .

الخلاصة:

البيعة في لغة العرب : الصفقة على إيجاب البيع . وفي الإسلام أمانة على معاهدة المبايع المبايع له على أن يبذل له الطاعة في ما تقرر بينهما، ولا تنعقد إذا لم تتوفر شروطها: فإنها لا تصحّ من صبيّ أو مجنون، ولا تنعقد البيعة من مكره ولا تصحّ للمتجاهر بالمعصية ولا تصحّ للقيام بمعصية الله .
 وقد بايع رسول الله (ص) على الإسلام أولاً، وعلى إقامة الدولة الإسلامية ثانياً، كما بايع المسلمون على القتال، وأشار الله سبحانه وتعالى إلى الأخير في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾

الفتح / ١٠ .

ثالثاً - الخليفة و خليفة الله في الأرض

أولاً - الخليفة والخلافة :

الخلافة في لغة العرب : النيابة عن الغير^{١٨} .
والخليفة : من يخلف غيره ، ويقوم مقامه ، ويسدّ مسدّه^{١٩} .
وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم ، في قوله تعالى :

أ - في سورة الاعراف :

﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ . . . ﴾ (٦٩) .

﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ . . . ﴾ (٧٤) .

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ . . . ﴾ (١٦٩) .

ب - في سورة مريم :

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ . . . ﴾ (٥٩) .

ج - في سورة الأنعام :

﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ . . . ﴾ (١٣٢) .

وكذلك ورد في غيرها ونظائرها من آيات كريمة .

وورد في المعنى اللغوي - أيضاً - في حديث الرسول (ص) في قوله :

١٨) مفردات الراغب، مادة : (خلف) .

١٩) نهاية اللغة، لابن الأثير ، ولسان العرب، مادة (خلف) .

« اللهم أرحم خلفائي ، اللهم أرحم خلفائي ، اللهم أرحم خلفائي » .

قيل له : يا رسول الله (ص) من خلفاؤك ؟
قال : « الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي » .
وآستعمل - أيضاً - في المعنى اللغوي في عصر الصحابة كالآتي :

أ - على عهد الخليفة الأول :
قال ابن الأثير في نهاية اللغة :
وفي حديث أبي بكر ، جاءه أعرابي فقال له : أنت خليفة رسول الله ؟
فقال : لا .
فقال : ما أنت ؟
قال : أنا الخالفة من بعده .
قال ابن الأثير : الخالفة : الذي لا غناء عنده ولا خير فيه ، وإنما قال
ذلك تواضعاً . . . ٢٠ .

ب - على عهد الخليفة الثاني :
روى السيوطي (ت : ٩١١ هـ) في تاريخه وقال : (فصل في نبذ من أخباره
وقضاياه) أخرج العسكري في (الأوائل) والطبراني في (الكبير) و الحاكم في
(المستدرک) : « أن عمر بن عبدالعزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حشمة :
لأي شيء كان يكتب : « من خليفة رسول الله (ص) » في عهد أبي بكر ؟ ثم
كان عمر كتب أولاً : « من خليفة أبي بكر » ، فمن أول من كتب : « من أمير

٢٠) وعن ابن الأثير نقل ذلك في لسان العرب .

المؤمنين » ؟ فقال : حدّثني الشفاء - وكانت من المهاجرات - أنّ أبا بكر كان يكتب : من خليفة رسول الله ، وكان عمر يكتب : من خليفة خليفة رسول الله ، حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله ، فبعث إليه لبيد بن ربيعة وعديّ بن حاتم ، فقدموا المدينة ، ودخلا المسجد ، فوجدا عمرو بن العاص ، فقالا : إستانذن لنا على أمير المؤمنين : فقال عمرو : أنتم والله أصبتهما اسمه . فدخل عليه عمرو ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال : ما بدا لك في هذا الاسم ؟ لتخرجنّ ممّا قلت . فأخبره وقال : أنت الأمير ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ .

وروى عن النروي في تهذيبه ، وقال :

قال عمر للناس : أنتم المؤمنون وأنا أميركم ، فسُمّي أمير المؤمنين ، وكان قبل ذلك يقال له : خليفة خليفة رسول الله ، فعادوا عن تلك العبارة لطولها^{٢١} .

(٢١) تاريخ السيوطي ، ط . مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٧١ هـ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ . والحاكم في

المسند ٨١/٣ - ٨٢ . والأوائل للعسكري ص ١٠٣ - ١٠٤ .

ثانياً: خليفة الله في الأرض :

١ - في المصطلح الإسلامي :

ورد « خليفة الله في الأرض » في المصطلح الإسلامي بمعنى من أصطفاه الله من البشر وجعله إماماً للناس وحاكماً.

وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴾ (٣٠).

وفسر بعضهم الآية بأن الله تعالى جعل آدم (ع) خليفة في الأرض؛ وفسرها آخرون بأن الله تعالى جعل نوع الإنسان خليفة في الأرض، ويؤيد التفسير الأول قوله تعالى في سورة (ص):

﴿ يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ... ﴾ (٢٦).

فإنه لو كان معنى الآية الأولى: إن الله جعل نوع الإنسان خليفة في الأرض فلا معنى عندئذ لتخصيص داود (ع) بجعله خليفة الله في الأرض من بين نوعه الإنساني الذي كان الله قد جعله خليفة في الأرض قبل داود (ع) ومع

داود (ع) وبعده

وقد آستعمل خليفة الله بهذا المعنى في روايات أئمة أهل البيت (ع) ٢٣.

جعل الله خلفاءه أئمة للناس :

وقد جعل الله تعالى خلفاءه في الأرض أئمة للناس وآتاهم الكتاب والنبوة، كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب في سورة الأنبياء وقال :

﴿ . . . وكلاً جعلنا صالحين ﴾ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴿ (٧٢ - ٧٣).

وقال جل ذكره في سورة الأنعام :

﴿ وتلك حُجَّتنا آتيناها إبراهيم على قومه ووهبنا له إسحق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون . . . ﴾ وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس . . . ﴾ وإسماعيل اليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين ﴾ . . . وآجتييناهم

(٢٣) راجع البحار (٢٦٣/٢٦) الحديث (٤٧) نفلا عن كنز الفوائد للكراجكي، والكافي (٢٠٠)، ومن لا يحضره الفقيه (٢/٣٦٩ و ٣٧١).

وهديناهم إلى صراط مستقيم * . . . أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ﴿٨٣ - ٨٩﴾ .

إذا فإن من جعله الله خليفة في الأرض يحكم بين الناس،
جعله - أيضاً - إماماً لهم يهديهم بكتاب الله ويبلغهم شريعته . وبناءً على ذلك
يكون أهم وظائف خلفاء الله التبليغ . كما ورد التصريح بذلك في قوله تعالى :
أ - في سورة النحل :

﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ (٣٥) .

ب - في سورة النور (٥٤) وسورة العنكبوت (١٨) :
﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ .

ج - وأمثالهما في سور :

آل عمران (٢٠) ، والمائدة (٩٢ ، ٩٩) ، والرعد (٤٠) ، وإبراهيم
(٥٢) ، والنحل (٣٥) ، والشورى (٤٨) ، والاحقاف (٣٥) ، والتغابن
(١٢) .

ثم إنه لا يبلغ عن الله عز وجل إلا رسول يوحى إليه ، أو وصي عينه الله
لذلك . كما نجد مثلاً له في خبر تبليغ الآيات العشر الأولى من سورة براءة
كالآتي تفصيله .

أ - في مسند أحمد وغيره واللفظ لمسند أحمد قال :

« عن علي قال :

لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي صلى الله عليه وسلم دعا النبي
صلى الله عليه وسلم أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ، ثم دعاني النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لي :

أدرك أبا بكر ، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فأذهب به إلى أهل مكة
فأقرأه عليهم ، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ، ورجع أبو بكر إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! نزل في شيء ؟ قال : لا . ولكن
جبرئيل جاءني فقال : لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ^{٢٤} .

ب - في تفسير السيوطي عن أبي رافع قال :
بعث رسول الله (ص) أبا بكر (رض) ببراءة إلى الموسم ، فأتى جبرئيل
عليه السلام فقال : إنه لن يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك ، فبعث علياً رضي
الله عنه على أثره حتى لحقه بين مكة والمدينة فأخذها فقرأها على الناس في
الموسم ^{٢٥} .

ج - وفي رواية أخرى عن سعد بن أبي وقاص قال :
« إن رسول الله (ص) بعث أبا بكر (رض) ببراءة إلى أهل مكة ، ثم
بعث علياً (رضي الله عنه) على أثره فأخذها منه . فكأن أبا بكر (رض) وجد في
نفسه فقال النبي (ص) يا أبا بكر ! إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني ^{٢٦} .
في هذا الخبر أرسل الرسول (ص) صحابته أبا بكر لتبليغ عشر آيات من
صدر البراءة إلى المشركين في حج العام التاسع للهجرة ، فأتاه جبرئيل - أمين
وحي الله - وقال له : إنه لن يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك . أي إن تبليغ

(٢٤) مسند أحمد (١/١٥١) ، وتحقيق أحمد محمد شاكر (٢/٣٢٢) الحديث ١٢٩٦ ، وفي الدر
المشور للسيوطي (٣/٢٠٩) ، وفيه عن أنس بن مالك وسعد بن أبي وقاص ، وجاء في لفظ سعد :
« ... فكأن أبا بكر (رض) وجد في نفسه فقال النبي (ص) يا أبا بكر ! إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل
مني ^{٢٥} .

(٢٥) تفسير الدر المشور للسيوطي ٢١٠/٣ .

(٢٦) تفسير الدر المشور للسيوطي ٢٠٩/٣ .

عشر آيات من سورة ابراء للمخاطبين بها مباشرة وظيفة تبليغية خاصة بالرسول، ولن يؤدي هذه الوظيفة عن الرسول إلا هو أو رجل منه وهو علي بن أبي طالب وصيه على شريعته. كما ستأتي الروايات في تعيين الوصي للرسول (ص) في بحث الوصية إن شاء الله تعالى، ومن ثم ندرك أن التبليغ عن الله مباشرة ووظيفة ولاية للرسول ووصيه.

يؤتي الله خلفاءه ما يعجز عنه البشر :
أحياناً تقتضي حكمة الله أن يأتي خليفته - الذي جعله إماماً للناس ومبلغاً لكتابه وشريعته - بآية تدل على صدقه في ما يبلغ عن الله، وتسمى تلك الآية في العرف الإسلامي بالمعجزة؛ لعجز البشر عن الإتيان بمثلها.
كما أخبر الله تعالى عن بعض ما أتى به رسوله موسى وعيسى (ع) وقال في خبر ما أتى به كلمه موسى عليه السلام :

أ - في سورة الاعراف :

- ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٠٧).
- ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (١٠٨).
- ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (١١٧).
- ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ آضَرْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ﴾ (١٦٠).

ب - في سورة الشعراء :

- ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (٣٢).
- ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (٤٥).
- ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ آضَرْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

كالطود العظيم ﴿ (٦٣) .

و أخبر جل ذكره عما أتى رسوله عيسى بن مريم (ع) في سورة المائدة، فقال تعالى:

﴿ . . . إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني . . . ﴾ (١١٠) .

وفي سورة آل عمران حكى عن عيسى (ع) أنه قال:

﴿ . . . وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم . . . ﴾ (٤٩) .

و أخبر تعالى عن ما أتى داود وسليمان الوصيين على شريعته في سورة الأنبياء وقال عز اسمه:

﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير . . . ﴾ (٧٩) .

﴿ ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره . . . * ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك . . . ﴾ (٨١ - ٨٢) .

وليس من الضروري أن يؤتي الله جميع الأئمة جميع المعجزات كما لم يذكر سبحانه عن هود ولوط وشعيب أنه آتاهم معجزات موسى وعيسى وداود وسليمان صلوات الله عليهم أجمعين، وكذلك لم يمكن الناس بعض الرسل من أن يحكموا بينهم بالعدل، وكذلك لم يتسن للرسول موسى (ع) ولخاتم الرسل محمد (ص) أن يحكما بين الناس في أول أمرهما، بينما هم أئمة خلفاء منذ بدء تكليفهم بالتبليغ. إذ فإن الخلافة والإمامة ملازمتان لتعيين الله صفيّاً من أصفياه لتبليغ كتابه ودينه، وليستا ملازمتين للحكم بين الناس وإتيان

المعجزات . وبناءً على ذلك فإن خليفة الله هو المبلغ عن الله .
 كان ذلكم معنى خليفة الله في كتاب الله .
 وورد معنى خليفة الرسول (ص) في حديث الرسول (ص) كالآتي :
 «اللهم أرحم خلفائي ، اللهم أرحم خلفائي ، اللهم أرحم خلفائي» .
 قيل له : يا رسول الله ! من خلفاؤك . ؟
 قال : « الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي »^{٢٧} .
 إذاً فإن خليفة الله هو الذي عينه الله لتبليغ شريعته ، وخليفة الرسول
 هو الذي يقوم بتبليغ حديث الرسول وسنته من تلقاء نفسه .
 كذلك استعمل مصطلح خليفة الله وخليفة الرسول في الكتاب
 والسنة واستعمل في مصطلح المسلمين كالآتي بيانه :

٢ - الخليفة وخليفة الله في مصطلح المسلمين :
 مرّ بنا في بحث معنى الخليفة اللغوي أنّ أبا بكر كان يسمّى بخليفة
 رسول الله (ص) وعمر بخليفة خليفة رسول الله (ص) ، وأنه سمي بعد ذلك
 بأمير المؤمنين ، وبقي ذلك متداولاً إلى آخر الخلفاء العثمانيين ، وإلى جانب ذلك
 سُمّي الحاكم الإسلامي الأعلى بما يأتي :

أ - في العصر الأموي والعباسي :
 تعارف أتباع مدرسة الخلفاء منذ العصر الأموي وإلى العصر العباسي
 على تسمية الحاكم الأعلى بخليفة الله .
 فقد قال الحجاج في خطبة صلاة الجمعة :

(٢٧) راجع مصادره في المجلد الثاني من هذا الكتاب (ط٣ ، ص ٥٨ - ٥٩)

فأسمعوا وأطيعوا خليفة الله و صفيّه عبد الملك بن مروان^{٢٨} .
و لَمَّا قِيلَ فِي مَجْلِسِ الْمَهْدِيِّ الْعَبَّاسِيِّ : إِنَّ الْخَلِيفَةَ الْأُمَوِيَّ الْوَلِيدَ كَانَ
زَنْدِيقًا ، قَالَ الْمَهْدِيُّ :

خِلَافَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَجْعَلَهَا فِي زَنْدِيقٍ^{٢٩} .
و أَشْتَهَرَ ذَلِكَ عَلَى لِسَانِهِمْ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ وَ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ، وَ وَرَدَ
ذِكْرُهُ فِي شَعْرِ الشُّعْرَاءِ ، كَمَا قَالَ جَرِيرٌ فِي قَصِيدَةٍ أَنْشَدَهَا فِي الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقَالَ :

خَلِيفَةُ اللَّهِ مَاذَا تَأْمُرُونَ بِنَا لَسْنَا إِلَيْكُمْ وَلَا فِي دَارٍ مَتَنَظَّرٍ^{٣٠}
وَ إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَعَ أَشْتَهَارِهِ بِالتَّوَدُّعِ لَمْ يَنْكَرْ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ
جَرِيرٍ .

وَقَالَ - أَيْضًا - مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ (ت : ١٨٢) فِي الْخَلِيفَةِ أَبِي جَعْفَرِ
الْمَنْصُورِ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِيَّ (ت : ١٥١هـ)
حَيْثُ قَالَ :

مَا زِلْتُ يَوْمَ الْمَاشِمْيَةِ مَعْلَنًا بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
فَمَنْعَتْ حُوزَتَهُ وَ كُنْتُ وَقْنَاءَهُ مِنْ وَقَعِ كُلِّ مَهْنَدٍ وَ سَنَانٍ^{٣١}

ب - فِي الْعَصْرِ الْعُثْمَانِيِّ :
فِي عَصْرِ الْعُثْمَانِيِّينَ اسْتَعْمَلَ لَفْظُ الْخَلِيفَةِ أَسْمًا لِسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ

(٢٨) سنن أبي داود ٢/٢١٠ ، ح ٤٦٤٥ باب في الخلفاء

(٢٩) تاريخ ابن الأثير ١٠/٧ - ٨ .

(٣٠) شرح شواهد المغني للسيوطي ، ط منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١/١٩٧ .

(٣١) الكنى والألقاب للقمي ١/٢٥٢ .

الأعظم^{٣٢} . بدون إضافة إلى (الله) أو (الرسول) .

ج - في عصرنا :

اشتهر في عصرنا أن المقصود في قوله تعالى للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أَنَّ اللَّهَ تعالى جعل نوع الإنسان خليفته في الأرض^{٣٣} . وبناءً عليه يكون معنى (خليفة الله في الأرض) نوع الإنسان ، ومعنى (استخلف) و(يستخلف) وغيرهما مما ورد من مادة (خلف) استخلاف نوع الإنسان ، واشتهر - أيضاً - أن المقصود في تسمية الحاكم الأعلى للمسلمين بالخليفة إلى آخر عصر الخلافة العثمانية أنه خليفة رسول الله (ص) في الحكم على المسلمين . وعليه يكون معنى (الخليفة) خليفة رسول الله (ص) ، ويصفون الخلفاء الأربعة بعد رسول الله (ص) بالراشدين دون من جاء بعدهم إلى آخر العثمانيين ، واشتهرت هذه التسمية بين المسلمين حتى اليوم .

انتقال مصطلح الخليفة من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع) جرى بعد الرسول (ص) كل ذلك التبديل لمعنى (الخليفة) و(خليفة الله في الأرض) في مدرسته الخلفاء .

(٣٢) راجع المعجم الوسيط ، مادة . (خلف) .

(٣٣) قال سيد قطب في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

(وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض وتعلق فيها يده... وإذن فهذه منزلة عظيمة ، منزله هذا الإنسان في نظام هذا الوجود على هذه الأرض الفسيحة) . تفسير في ظلال القرآن (١/٦٥ - ٦٦)

ويرى مؤلف كتاب (خليفة) وسلطان و . و . پارتولد ، ترجمة ايزدي . ط . طهران ١٣٥٨ ، ص ١٦ . أن هذا المعنى قد تسرب إلى المجتمعات الإسلامية من أفكار أهل الكتاب . راجع الملحق في آخر الكتاب .

وفي مدرسة أهل البيت (ع) ورد لفظ (خليفة الله في الأرض) في روايات
 أئمة أهل البيت (ع) بمعنى المصطلح الاسلامي كما أشرنا إليه .
 و أنتقل مضطج (الخليفة) بمعنى : خليفة رسول الله (ص) من مدرسة
 الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع) منذ القرن الخامس الهجري وحتى
 اليوم . واستندت مدرسة الخلفاء إلى عدم ورود (الخليفة) بالمعنى الذي
 استحدثوه بعد الرسول (ص) في حديث الرسول (ص)، وقالوا: إن
 الرسول (ص) ترك أُمَّته هملاً ولم يعين المرجع من بعده .
 وفي مقام الردّ عليهم استند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلى
 ما ورد عن الرسول (ص) في تعيين الإمام علي وصياً من بعده وقالوا: إن
 الرسول (ص) عينه خليفة من بعده بالمعنى الذي استحدث للخليفة بعد
 الرسول (ص) ولم يترك أُمَّته هملاً^{٣٤}
 جرى كل ذلك من أتباع المدرستين غفلة منهم عن أن المصطلح الذي
 أحدثته مدرسة الخلفاء بعد الرسول (ص) لم يكن ليرد في حديث
 الرسول (ص) .

الخلاصة :

أ - خليفة الشخص في اللغة : من يقوم بعمله في غيابه ، وقد ورد بالمعنى
 اللغوي في القرآن وحديث الرسول (ص) ومحاورات الصحابة .
 ب - خليفة الله في الأرض في المصطلح الإسلامي : من يعينه الله تعالى
 لتبليغ شريعته آخذاً من الوحي أو من الرسول (ص)، وللحكم بين الناس،
 ويؤتي بعضهم ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، وقد ورد بهذا المعنى في

(٣٤) نجد بعض تلك الأدلة في كتاب (الألفين) للعلامة الحلي (ره) .

القرآن وروايات أئمة أهل البيت (ع).

ج - خليفة الرسول في حديث الرسول (ص): من يقوم بتبليغ حديثه وسنته .

د - في مصطلح المسلمين سُمِّي أبو بكر بخليفة رسول الله (ص)، و سُمِّي عمر بخليفة خليفة رسول الله، ثم سُمِّي عمر بأمير المؤمنين وبقيت هذه التسمية للحاكم الإسلامي الأعلى إلى آخر الخلفاء العثمانيين، وفي العهدين الأموي والعباسي أضيف إلى ذلك تسميته بخليفة الله، وإلى جانب ذين الاسمين اشتهرت تسمية الحاكم الأعلى في العهد العثماني بـ (الخليفة) أي خليفة الرسول، وانتشرت هذه التسمية لدى المسلمين بعد العهد العثماني حتى اليوم، وقيل لجميع من ولي الحكم بعد الرسول (ص) إلى العثمانيين بـ (الخليفة) أي خليفة الرسول (ص)، و سُمِّي الخلفاء الأربعة بعد الرسول (ص) بـ (الخلفاء الراشدين)، وانتقل مصطلح (الخليفة) إلى أتباع مدرسة أهل البيت و سُمُّوا من وَلِيَّ الحكم بعد الرسول (ص) إلى العثمانيين بـ (الخليفة)، وقد أدَّت الغفلة عن هذا الأمر إلى التشويش على المسلمين فأشتهر لدى مدرسة الخلفاء أنَّ الرسول (ص) ترك أُمَّته هملاً ولم يعين المرجع من بعده لأن المصطلح الذي استحدثوه بعد الرسول (ص) لم يرد في حديث الرسول (ص)، وأستند أتباع مدرسة أهل البيت إلى ما ورد عن الرسول (ص) في تعيين الإمام عليٍّ وصياً بعده، وقالوا: إن الرسول (ص) عيَّنه خليفة للمسلمين بالمعنى الذي استحدثه المسلمون للخليفة بعد الرسول (ص)، واشتدَّ الخلاف بين المسلمين في هذا الأمر .

وسياتي البحث في ما فعله الرسول (ص)، وما قاله في هذا الصدد يكشف عن حقيقة الأمر، بُعيد هذا إن شاء الله تعالى .

رابعاً - أمير المؤمنين

مما أوردنا سابقاً عرفنا أن لفظ أمير المؤمنين أستعمل منذ عصر الخليفة عمر بن الخطاب وأريد به الحاكم الإسلامي الأعلى، وبقي متداولاً كذلك إلى عصر العثمانيين.

خامساً - الإمام

الإمام في اللغة: الإنسان الذي يؤتم به ويقتدى بقوله أو فعله محققاً كان أو مبطلاً^{٣٥}، كما ورد في قوله تعالى:

﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون شيئاً﴾ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ﴿الإسراء/ ٧١ - ٧٢.

ومن الثاني ما ورد ذكره في قوله تعالى:

﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ التوبة/ ١٢.
والإمام في الإسلام هو الهادي إلى سبيل الله بأمر من الله إنساناً كان كما ورد ذكره في قوله تعالى:

﴿وإذ أتى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتني قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ البقرة/ ١٢٤.
وقوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا...﴾ الأنبياء/ ٧٣.
أو كان كتاباً كما ورد ذكره في قوله تعالى:
﴿ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة﴾ هود/ ١٧.

(٣٥) راجع مادة (أَمَّ) في معاجم اللغة.

وندرک من فحوى الآيتين المذكورتين أعلاه أن شرط الإمام في الإ
إن كان كتاباً أن يكون منزلاً من قبل الله على رسله هداية الناس كما كان
كتاب محمد (ص): القرآن الكريم، ومن قبله كتاب موسى: التور
وكذلك شأن كتب سائر الأنبياء^{٣٦}.

وإن كان إنساناً أن يكون معيناً من قبل الله لقوله تعالى:
﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ و﴿عهدي﴾.
وأن يكون غير ظالم لنفسه ولا لغيره أي غير عاصٍ لله لقوله تعالى:
﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾.
وفي ضوء ما سبق يصح القول بأن الإمام في الاصطلاح الإسلامي هو:
أ - الكتاب المنزل من قبل الله على رسله هداية الناس.
ب - الإنسان المعين من قبل الله هداية الناس وشرطه أن يكون معصوماً
من الذنوب.

سادساً - الأمر وأولو الأمر

لمعرفة معنى (الأمر) و(أولي الأمر) وهل هما مصطلحان شرعيان أم لا ؟
نستعرض في ما يلي موارد استعمالهما في لغة العرب وعرف المسلمين والنصوص
الإسلامية كتاباً وسنةً، فنقول:

أ - في لغة العرب

ورد في سيرة ابن هشام، والطبري، وغيرهما، أن رسول الله كان يعرض
نفسه في المواسم على قبائل العرب، يدعوهم إلى الإسلام، ويخبرهم أنه نبي

(٣٦) راجع مادة: (الكتاب) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

مرسل من قبل الله ، ويسألهم أن يُصدّقوه ويمنعوه حتى يبيّن عن الله ما بعثه به .

قال : وإنه أتى بني عامر بن صعصعة ذات مرّة فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجل منهم يقال له ببحرة بن فراس^{٣٧} : والله لو أتني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب . ثم قال له : أرايت إن نحن تابعنك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك ، أكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» قال : فقال له : أفنهدف نحورنا^{٣٨} للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك^{٣٩} .

* * *

إنّ هذا العربي كان يفهم (أمر رسول الله (ص)) على أنه سيادة وحكم على العرب ، فأراد أن يعقد مع الرسول (ص) حلفاً يكون لقبيلته الحكم والسيادة على العرب من بعد الرسول (ص) ، لكنّ الرسول (ص) امتنع من إجابته رغم حاجته الشديدة يومذاك إلى المؤازرين ، لأنّ الأمر ليس إليه وإنما الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء .

وكذلك كان شأن هوزة بن عليّ الحنفي في طلبه من الرسول (ص) حين دعاه الرسول (ص) إلى الإسلام كما في طبقات ابن سعد ، ما ملخصه : كتب رسول الله (ص) إلى هوزة بن عليّ الحنفي يدعوه إلى الإسلام ،

(٣٧) قال ابن هشام : فراس ، ابن عبد الله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . سيرة ابن هشام ٣٣/٢ .

(٣٨) (أفنههدف نحورنا) معناه نصيرها هدفاً ، والهدف : الغرض الذي يرمى بالسهم إليه .

(٣٩) سيرة ابن هشام ٣١/٢ - ٣٤ . والطبري ، ط . أوروبا ١/١٢٠٥ - ١٢٠٦ .

فكتب في جواب النبي (ص): ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك، فقال النبي (ص): «لو سألتني سيابة من الأرض ما فعلت»^{٤٠}.

نرى أن الرسول (ص) قصد من (سيابة): الأرض المهملة. إذن فقد طلب هودة من الرسول (ص) أن يجعل له بعض الأمر: إمارة ما على أرض أو قبيلة وما شابههما، فأجابه الرسول (ص) أنه لا يؤمره ولا على سيابة من الأرض، وهذا القول من الرسول (ص) نظير قول أهل الكوفة أو البصرة عندما وظف واليهم على كل واحد منهم نقل كمية من الحصباء إلى مسجدهم الجامع ليفرشه بالحصباء، وأمر عليهم أحدهم وكان يتصعب في قبول الحصباء منهم، فقالوا: يا حَبْدًا الإمارة ولو على الحجارة! وكذلك الأمر في الخبر السابق، فإن هودة طلب من الرسول الإمارة (ولو على الحجارة) فأجابه الرسول (ص): لا، ولا على الحجارة.

ب - في عرف المسلمين:

كان أكثر استعمال (الأمن) في عرف المسلمين يوم السَّقِيفَة وما بعدها، قال سعد بن عبادَة للأَنْصار يوم السَّقِيفَة:

(استبَدُّوا بهذا الأمر دون الناس . . .).

^{٤٠} طبقات ابن سعد، ط. أوروبا ١/ق ٢/ ١٨.

وقالوا في السيابة: واحدة السياب: البسر الأخضر، وعلى هذا لم يكن من المناسب أن يقول ولا سيابة أي لا بسر من الأرض بل كان المناسب أن يقول ولا بسر من التمر. ونرى أن السيابة مشتقة من السيب وهو كل سيب وخلي، ومنه السائبة: أي الدابة المهملة، ويكون المعنى: الأرض الخالية والمتروكة.

وأجابته الأنصار بقولهم : (نوليكَ هذا الأمر).
ثم ترادوا الكلام وقالوا: فان أبت مهاجرة قريش فقالوا: . . . نحن
عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا هذا الأمر من بعده ؟ . . .)
وقال أبو بكر في احتجاجه عليهم يومذاك : (ولن يُعرف هذا الأمر إلّا
لهذا الحيّ من قريش . . .)
وقال - أيضاً - في قريش : (هم أحقّ الناس بهذا الأمر من بعده
ولا ينازعهم ذلك إلّا ظالم) .
وقال عمر - أيضاً - يوم السقيفة : (من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته
ونحن أهله وعشيرته) .
وقال الحُباب بن المنذر في جوابه : (لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه
فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر . . . فأنتم واللّه أحقّ بهذا الأمر . . .)
وقال بشير بن سعد عندئذ في حقّ قريش : (لا يراني اللّه أنازعهم هذا
الأمر أبداً)^{٤١} .

ج - في النصوص الإسلامية :

لقد ورد في حديث الرسول ذكر (الأمر) كثيراً ممّا سندرسه في البحوث
الآتية إن شاء اللّه تعالى . ونكتفي هنا بتسجيل كلمة الرسول (ص) في جواب
العامري :

«إن الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء» .

وقد ورد في كتاب اللّه تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ ﴾

(٤١) كل هذه المحاججات وردت في خبر السقيفة بتاريخ الطبري، ط. أوربا
١٨٣٧/١ - ١٨٥١ .

منكم... ﴿ النساء/ ٥٩.

* * *

في كلّ هذه الموارد سواء في لغة العرب، وعرف المسلمين، والنصوص الإسلامية سنّة وكتاباً، إنّما أريد من (الأمر) أمر الإمامة والحكم على المسلمين. وعلى هذا فإنّ (الأمر) أستعمل في الشرع الإسلامي بنفس المعنى الذي أستعمل فيه لدى العرب والمسلمين، ولا مانع بعد ذلك أن نسمّي (أولي الأمر) مصطلحاً شرعياً وتسمية إسلامية وأنّه أريد به الإمام بعد النبي (ص)، ولا خلاف في ذلك، ولكنّ الخلاف بين المدرستين في من يصدق عليه تسمية أولي الأمر، فإنّ مدرسة أهل البيت (ع) ترى أنّه لَمّا كان المقصود من أولي الأمر: الأئمة، فلا بدّ أن يكون منصوباً من قبل الله، معصوماً من الذنوب على التفصيل الذي سيأتي بيانه في بابه إن شاء الله.

وترى مدرسة الخلافة أنّ (أولي الأمر): من بايعه المسلمون بالحكم. وبناءً على ذلك يرون وجوب طاعة كلّ من بايعوه، وعلى هذا الأساس أطاعوا الخليفة يزيد بن معاوية فقتلوا وسبوا آل بيت رسول الله (ص) بكرلاء، وأباحوا مدينة الرسول (ص) ثلاثة أيّام، ورموا الكعبة بالمنجنيق، كما سيأتي بيانه في محله إن شاء الله تعالى.

سابعاً - الوصيّ والوصيّة

ورد مصطلح الوصيّ والوصيّة ومشتقاتها في كلام العرب بالمعاني

الآتية:

يقال لإنسان حيّ يعهد لإنسان آخر أن يقوم بأمر يهّمه بعد وفاته: الموصي، وللآخر: الوصيّ، وللأمر الموصى به: الوصيّة؛ وتجري الوصية بلفظ الوصيّة ومشتقاتها تارةً مثل أن يقول الموصي لوصيّه: أوصيك بعدي برعاية

أهلي أو إدارة مدرستي، وأن تفعل كذا وكذا، وأخرى بلفظ يؤدي معنى الوصية، مثل أن يقول الموصي لوصيته: أطلب منك أن تقوم بعدي برعاية أهلي وإدارة مدرستي وتفعل كذا وكذا

ويخبر الموصي الآخرين عن وصيته أحياناً بلفظ: أوصيتُ إلى فلان، ووصيتي فلان، وأخرى يقول: عهدت إلى فلان، أو: أوكلت إليه أن يقوم بكذا، وكلا اللفظين يؤديان معنى واحداً، وهكذا نظائهما.

كان هذا موجز معنى مصطلح الوصي والوصية ومشتقاتها في لغة العرب، وبنفس المعنى وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ قال الله سبحانه في سورة البقرة الآيات ١٨٠ - ١٨٢:

﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية ﴾ - إلى قوله تعالى -: ﴿ فمن خاف من موصٍ جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم ﴾ وفي سورة المائدة الآية ١٠٦:

﴿ يا أيها الذين آمنوا شهداء بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية آثنان ذوا عدل منكم . . . ﴾ وكذلك وردت في سورة النساء الآيتان ١١ و ١٢.

ومتما ورد في السنة النبوية ما رواه كل من البخاري في أول كتاب الوصايا من صحيحه، ومسلم في كتاب الوصية من صحيحه^{٤٢}:

إن رسول الله (ص) قال: «ما حقّ أمرئ مسلم له شيء يوصي فيه أن يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده».

وللوصية أحكامها في الفقه الإسلامي. وبناءً على ما ذكرنا إن لفظي الوصي والوصية من المصطلحات الإسلامية.

والوصية من الأنبياء والرسل كما تنتقل أمثلة منها من التوراة والإنجيل

(٤٢) صحيح البخاري ٨٣/٢. وصحيح مسلم بشرح النووي ٧٤/١١.

أن يعهد الرسل إلى أوصيائهم حمل شريعتهم بعدهم إلى الناس ورعاية أمتهم من بعدهم .

وفي هذه الأمة فعل خاتم الأنبياء (ص) مثل من سبقه من الرسل وعهد إلى الإمام عليّ (ع) تبليغ شريعته ورعاية أمته من بعده، وبواسطته عهد ذلك إلى بنيه الأئمة الأحد عشر من بعده وأخبر النبيّ المسلمين بكلّ ذلك، تارةً بلفظ الوصيّ والوصيّة ومشتقاتها، وأخرى بالفاظ أخرى تؤدي المعنى نفسه . فلُقّب الإمام عليّ بلقب الوصيّ وأصبح علماً له، كما سيأتي بيان كل ذلك في باب النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين وليّ الأمر من بعده مع بيان قول من أنكر ذلك ورأى أنّ رسول الله (ص) لم يهتمّ بأمر المسلمين ولم يوص إلى أحد من بعده، إن شاء الله تعالى .

دراسة رأي مدرسة الخلفاء

بعد دراسة المصطلحات السبعة الماضية تيسّر لنا دراسة رأي المدرستين في الخلافة والإمامة وما استدّلوا به في هذا المقام ، ونبدأ بدراسة آراء مدرسة الخلافة في ما يأتي .

رأي مدرسة الخلافة وما استدّلوا به :

أولاً - قال الخليفة أبو بكر:

لن يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين (عمر وأبي عبيدة) فبايعوا أيّهما شئتم .

ثانياً - قال عمر بن الخطاب^٢:

فلا يغترّنّ أمرؤ أن يقول إنّها كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت، ألا

(٢١) البخاري ، كتاب الحدود ، باب رجم الحبل .

وإنها قد كانت كذلك، ولكنَّ الله وقى شرَّها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا .

مناقشة الاستدلالين

أشرنا هنا أولاً إلى استدلال الخليفة أبي بكر في السقيفة، وثانياً إلى رفع الخليفة عمر شعار الشورى لولاية الأمر من بعده . أمّا ما كان من احتجاج الخليفة أبي بكر في السقيفة، فإنَّ الحقيقة في أمر احتجاجات جميعهم يوم ذاك، هي أنها كانت تجري وفق المنطق القبلي؛ فإنَّ الأنصار لما تركوا جثمان رسول الله (ص) ملقّى بين أهله، وبادروا إلى سقيفة بني ساعدة ليؤثِّروا سعداً ما قالوا إنَّ سعداً أفضل من غيره وأولى بهذا الأمر، بل قالوا: إنَّ الناس في فيثكم ولا يجترئ مجترئ عليكم .

وإنَّ مهاجرة قريش - أيضاً - لما التحقوا بهم احتجّوا بالمنطق القبلي حين قالوا: إنَّ قريشاً أوسط العرب داراً، وقالوا: من ذا ينازعنا سلطان محمّد ونحن أهله وعشيرته ؟!

وكذلك كان قول الأنصاريّ حين قال: منّا أمير ومنكم أمير، وقول المهاجري حين قال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء .

وكذلك كان دافع أسيد بن حضير وسائر من حضر من أفراد قبيلته الأوس قبلياً حين خافوا سلطة الخزرج عليهم، وتذكّروا حرب البعاث بينهم، والتي لم يكن قد مضى عليها عقدان من الزمن وقالوا: والله لئن وليتها عليكم الخزرج مرة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر .

وتمّت الغلبة أخيراً لمهاجرة قريش بمجيء قبيلة (أسلم) التي ملأت

سكك المدينة ، وبايعت أبا بكر ونصرت مهاجرة قريش على الأنصار. وحق
للخليفة عمر بعد ذلك أن يعتبر بيعة أبي بكر فلتة !

* * *

كانت هذه حقيقة تلك الواقعة مهما كان نوع الاستدلال فيها.
أما مذكروه الخليفة عمر من أمر الشورى ، فسندرسه بحوله تعالى ضمن
دراسة آراء أتباع مدرسة الخلفاء في ما يأتي .

ثالثاً - آراء أتباع مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة :
تتلخص آراء مدرسة الخلفاء في شأن الخلافة وإقامتها في الأمرين
التاليين :

أولاً - تقام الخلافة :

أ - بالشورى

ب - بالبيعة

ج - بآتباع ما عملته الصحابة في إقامتها

د - بالقهر والغلبة

ثانياً - يجب طاعة الخليفة بعد ما بويع ، وإن عصى ربه .

* * *

بعد دراسة المصطلحات المذكورة تيسر لنا دراستها واحدة بعد الأخرى
في ما يأتي :

الأول - مناقشة الاستدلال بالشورى

إن أول من ذكر الشورى وأمر بها لإقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن
الخطاب ، غير أنه لم يأت بدليل على أن الإمامة في الإسلام تُقام بالشورى ،

واستدلّ المتأخرون من أتباع مدرسة الخلفاء على صحّة إقامة الإمامة بالشورى بآيتين من كتاب الله، وبما ورد عن رسول الله (ص) أنّه كان يستشير أصحابه في بعض الأمور المهمّة، وبكلمة عن الإمام عليّ. ونحن نبدأ هنا بدراسة ما استدّلوا به في هذا الصّد ثمّ ندرس الشورى التي أمر بها الخليفة عمر.

الاستدلال للشورى بكتاب الله وسنة رسوله استدلّوا:

- أ - بقوله تعالى للمؤمنين: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ الشورى / ٣٨.
- ب - بقوله تعالى لرسوله (ص): ﴿وشاورهم في الأمر﴾ آل عمران / ١٥٩.
- ج - إنّ رسول الله (ص) كان يستشير أصحابه في الأمور المهمّة، فنقول:

أولاً - الاستدلال بآية ﴿وأمرهم شورى﴾

إنّ هذه الجملة من الآية ٣٨ من سورة الشورى جاء بعدها: ﴿وممّا رزقناهم ينفقون﴾. كلتا الجملتين تدلان على رجحان الفعل فيهما، وليس على وجوب التشاور والإنفاق.

هذا أولاً، وثانياً إنّها يصحّ التشاور في أمر لم يرد فيه من الله ورسوله حكم، فقد قال الله سبحانه:

﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ الأحزاب / ٣٦.

وسيأتي بعيد هذا ما ورد عن الله ورسوله (ص) في أمر الإمامة ما لا يبقى معه مورد للتشاور.

ثانياً - الاستدلال بآية ﴿وشاورهم في الأمر﴾

إنّ هذه الآية التاسعة والخمسين بعد المائة من سورة آل عمران قد وردت

ضمن سلسلة من آيات ١٣٩ - ١٦٦ منه، وكلها في أمر غزوات الرسول (ص) وكيف نصرهم الله فيها، وفي بعضها يخاطب المسلمين وخاصة الغزاة منهم ويعظهم، وفي بعضها يخاطب الرسول (ص) خاصة ومن ضمنها هذه الآية: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفّضوا من حولك فأعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾.

يظهر جلياً أنّ الأمر بالمشاورة في هذه الآية كان بقصد الملاينة معهم والرحمة بهم، ولم يكن أمراً بالعمل برأيهم، بل قال له: فإذا عزمت فتوكل وأعمل برأيك. ويفهم من المجموع أيضاً أنّ مقام المشاورة الراجعة إنّما هو في الغزوات، وما ذكره من مشاورة الرسول (ص) أصحابه أيضاً كانت في الغزوات كما سنذكرها في ما يأتي:

ثالثاً - الاستدلال بمشاورة الرسول (ص) أصحابه

إنّ مشاورة الرسول (ص) أصحابه كانت في الغزوات فقط، كما صرح بذلك الصحابي أبو هريرة، وقال: فلم أر أحداً كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ، وكانت مشاورته أصحابه في الحرب فقط^٢. وأشهرها مشاورته معهم في غزوة بدر، وقصتها كما يأتي:

أ - غزوة بدر

ندب رسول الله (ص) أصحابه للتعرّض لقافلة قريش التجارية الراجعة

(٣) كتاب المغازي للواقدي ٢ / ٥٨٠ . تحقيق الدكتور مارسدن جونس .

من الشام بقيادة أبي سفيان وخرج معه ٣١٣ شخصاً ممن استعدّ للاستيلاء على القافلة التجارية وليس للقتال، وبلغ الخبر أبا سفيان فأنحرف في سيره عن الطريق، واستصرخ قريشاً بمكة فخرجت مستعدة للقتال في جيش يقارب الألف محارب، وأفلت أبوسفيان والقافلة، فكان الرسول (ص) أمام خيارين: التراجع إلى المدينة بسلام، أو مقاتلة جيش قريش المتأهب للقتال بجيشه غير المتكافئ عدداً وعدة.

تفصيل الخبر:

روى ابن هشام في سيرته وقال:

وأنا الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبوبكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد.

ثم ذكر ما قاله المقداد وما قالت الأنصار، بينما لم يذكر ما قاله أبوبكر ثم عمر! وفي صحيح مسلم:

فتكلم أبوبكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام

المقداد...^٥.

إن مسلماً هكذا ذكر أيضاً، ولم يذكر ما تكلم به أبوبكر، وكلاهما لم يتما ذكر الخبر، ونحن ننقل تمام الخبر من مغازي الواقدي وإمتاع الأسماع للمقريزي واللفظ للأول قال: قال عمر:

يا رسول الله، إنها والله قريش وعزها، والله ما دلت منذ عزت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزها أبداً، ولتقاتلنك، فأتب لذلك أهبت وأعد لذلك عُدته. ثم قام المقداد بن عمرو فقال:

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٢٥٣.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ٣/١٤٠٣.

يا رسول الله، إِمضْ لأمر الله فنحن معك ؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ المائدة/ ٢٤ ، ولكن آذهب أنت وربك فقاتلا إِنَّا معكما مقاتلون ؛ والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْكِ الْغِيَادِ لَسَرْنَا معك - وبَرْكِ الْغِيَادِ من وراء مَكَّةَ بخمس ليالٍ من وراء الساحل مِمَّا يَلِي الْبَحْرَ، وهو على ثمانِي ليالٍ من مَكَّةَ إلى الْيَمَنِ - فقال له رسول الله (ص) خيراً، ودعا له بخير.

ثم قال رسول الله (ص): «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ !» وإِنَّمَا يُرِيدُ رسول الله (ص) الْأَنْصَارَ، وكان يظُنُّ أَنَّ الْأَنْصَارَ لَا تَنْصُرُهُ إِلَّا فِي الدَّارِ، وذلك أَنَّهُمْ شَرَطُوا لَهُ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ . فقال رسول الله (ص): «أَشِيرُوا عَلَيَّ !» فقام سعد بن مُعَاذٍ فقال: أَنَا أَجِيبُ عَنِ الْأَنْصَارِ؛ كَأَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرِيدُنَا ! فقال: «أَجَلٌ» . قال :

إِنَّكَ عَسَى أَنْ تَكُونَ خَرَجْتَ عَنْ أَمْرِ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ فِي غَيْرِهِ، وَإِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ، وشهدنا أَنَّ كُلَّ مَا جِئْتَ بِهِ حَقٌّ، وَأَعْطَيْنَاكَ مَوَاقِينَا وَعَهْدُنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ فَأَمضِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ فوالذي بعثك بالحق لو أَسْتَعْرَضْتَ هَذَا الْبَحْرَ فَخَضَّتْهُ لَخَضْنَاهُ معك، ما بقي مِنَّا رَجُلٌ وَصِلَ مِنْ شَيْءٍ، وَأَقْطَعَ مِنْ شَيْءٍ، وَخَذَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ، وما أَخَذْتَ مِنْ أَمْوَالِنَا أَحَبَّ إِلَيْنَا مِمَّا تَرَكْتَ . والذي نفسي بيده، ما سَلَكَتْ هَذَا الطَّرِيقَ قَطُّ، وَمَالِي بِهَا مِنْ عِلْمٍ، وما نَكَرَهُ أَنْ يَلْقَانَا عَدُوْنَا غَدًا؛ إِنَّا لَصَبْرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ . صُدِّقَ عِنْدَ السَّلَاقِ، لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قَالَ : حَدَّثَنَا الْوَاقِدِيُّ قَالَ : فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ : قَالَ سَعْدُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَدْ خَلَقْنَا مِنْ قَوْمِنَا قَوْمًا مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ حُبًّا لَكَ مِنْهُمْ،

ولا أطوع لك منهم، لهم رغبة في الجهاد ونية؛ ولو ظنوا يا رسول الله أنك ملاق عدواً ما تخلفوا، ولكن إنما ظنوا أنها العير. نبني لك عريشاً فتكون فيه ونعد لك رواحلك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن تكن الأخرى جلست على رواحلك فلحقت من وراءنا. فقال له النبي (ص) خيراً، وقال: «أويقضي الله خيراً من ذلك

يا سعد!

قالوا: فلما فرغ سعد من المشورة، قال رسول الله (ص): «سيروا على بركة الله. فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين. والله، لكأنني أنظر إلى مصارع القوم». قال: وأرانا رسول الله (ص) مصارعهم يومئذ؛ هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، فما عدا كل رجل مصوعه. قال: فعلم القوم أنهم يلاقون القتال، وأن العير تفلت، ورجوا النصر لقول النبي (ص) ٦.

كانت استشارة رسول الله (ص) في هذا المقام: أنه استشار أصحابه في ماذا يفعلون، بعد أن أخبره الله سبحانه وتعالى بأنهم سيقاتلون ويتصرفون، وأخبره بمصارع القوم والرسول (ص) أيضاً أخبر أصحابه بمصارع القوم بعد أن وافقوه على القتال، فهو إذ يستشيرهم لا يريد الاستفادة من رأيهم، وإنما هو نوع من الملاينة وإخبار بإفلات عير قريش وتغيير الأمر من الاستيلاء على مال التجارة إلى القتال ليستعدوا للقتال.

ب - غزوة أحد

كانت تلکم مشاوره الرسول (ص) أصحابه في غزوة بدر. وفي ما يلي قصّة مشاوره الرسول أصحابه في غزوة أحد وفي هذه المشاورة عمل رسول

٦ (مغازي الواقدي، ط. اكسفورد ١/ ٤٨ - ٤٩. وإمتاع الأسع للمقريزي ص ٧٤ - ٧٥.

اللَّهِ (ص) برأي أصحابه، كما ورد في مغازي الواقدي وإمتاع الأسباع للمقريزي^٧، قالوا:

إنَّ رسولَ الله (ص) صعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيُّها النَّاسُ، إني رأيتُ في منامي رؤياً: رأيتُ كأنِّي في دِرْعٍ حصينة، ورأيتُ كأنَّ سيفي ذا الفقار انْقَصَمَ^٨ من عند ظُبَيْتِهِ^٩، ورأيتُ بقرًا تذبح؛ ورأيتُ كأنِّي مُرْدَفٌ كبشاً».

فقال الناس: يا رسول الله (ص)، فما أولُّتها؟ قال:

«أما الدَّرْعُ الحصينة فالمدينة، فامكثوا فيها. وأما انْقِصَامُ سيفي من عند ظُبَيْتِهِ فمصبية في نفسي. وأما البقر المذبح فقتلى في أصحابي. وأما أَنِّي مُرْدَفٌ كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله».

وفي رواية:

«وأما انْقِصَامُ سيفي فقتل رجل من أهل بيتي». وقال: «أشيروا عَلَيَّ» ورأى رسول الله (ص) ألا يخرج من المدينة فوافقه عبد الله بن أبيي والأكابر من الصَّحابة مهاجرهم وأنصارهم، وقال عليه السلام: «أمكثوا في المدينة وآنجلوا النساء والدَّراري في الآطام، فإن دُخِلَ علينا قاتلناهم في الأزقة - فنحن أعلم بها منهم - ورُمُوا من فوق الصياصي والآطام»^{١٠}. وكانوا قد شَبَّكوا المدينة بالبنيان من كُلِّ ناحية فهي كالحصن، فقال فتیان أحداث لم يشهدوا بدرأ وطلبوا الشهادة وأحبُّوا لقاء العدو: أخرج بنا إلى عدونا. وقال حمزة، وسعد بن عباد، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، في طائفة من الأنصار: إنا نخشى يا رسول الله أن يظنَّ عدونا أننا كرهنا الخروج إليهم جُبناً عن لقاءهم،

(٧) مغازي الواقدي ص: ٢٠٨ - ٢١٤. وإمتاع الأسباع للمقريزي ص ١١٣ - ١١٨.

(٨) انْقِصَمَ: تَكَسَّرَ وتَثَلَّمَ. (٩) الظُّبَيْة: حَدَّ السَّيْفِ من قَبْلِ ذُبَابِهِ وطرفه.

(١٠) الصياصي جمع صَيْصِيَّة: وهي الحصون، والآطام جمع أطم: وهي بيوت من حجارة كانت لأهل المدينة.

فيكون هذا جرأة منهم علينا؛ وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم، ونحن اليوم بشر كثير؛ قد كُنَّا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به، فساقه الله إلينا في ساحتنا. ورسول الله (ص) لِمَا يَرى من إلحاحهم كاره، وقد لبسوا السلاح. وقال حمزة: والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم^{١١} بسيفي خارجاً من المدينة، وكان يوم الجمعة صائماً ويوم السبت صائماً. وتكلم مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، وإياس بن أوس بن عتيك، في معنى الخروج للقتال. فلما أبوا إلا ذلك صلى^{١٢} رسول الله (ص) الجمعة بالناس وقد وعظهم وأمرهم بالجد والجهد؛ وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا. ففرح الناس بالشخص^{١٣} إلى عدوهم، وكره ذلك المخرج كثير. ثم صلى رسول الله (ص) العصر بالناس وقد حشدوا، وحضر^{١٤} أهل العوالي^{١٥} ورفعوا النساء في الآطام، ودخل (ص) بيته ومعه أبو بكر وعمر (رض) فعمّاه ولبّساه. وقد صفّ الناس له ما بين حجرته إلى منبره، فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن خضير فقالا للناس: قلتم لرسول الله (ص) ما قلتم واستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء، فردّوا الأمر إليه فما أمركم فأفعلوه، وما رأيتم فيه له هوى أوراىي فأطيعوه. فبينما هم على ذلك إذ خرج رسول الله (ص) قد لبس لأمته^{١٦}، ولبس الدرع فأظهرها وحزّم وسطها بمنطقة^{١٧} [من أدم]^{١٨} من حائل

(١١) جالد بالسيف: ضرب به كأنه يجلد بسوط لسرعة ضربه وتتابعه.

(١٢) في الأصل: (صلى الله).

(١٣) الشخص: الخروج.

(١٤) في الأصل: (حضر).

(١٥) العوالي: ضيعة بينها وبين المدينة ثلاثة أميال.

(١٦) اللامة: أداة الحرب ولباسها، كالرمح والبيضة والمغفر والسيف والنبيل.

(١٧) المنطقة والنطاق، كلّ ما يشدّ به الوسط كالخزام.

(١٨) الذي بين المعوقتين كان في الأصل بعد قوله: (حائل سيف)، وهذا حقّ موضعه.

سيف، و آعتم، وتقلد السيف. فقال الذين يُلحون: يا رسول الله، ما كان لنا أن نخالفك، فأصنع ما بدا لك، فقال: «قد دعوتكم إلى هذا الحديث فليتم، ولا ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، انظروا ما أمرتكم به فأتبعوه، امضوا على أسم الله فلكم النصر ما صبرتم».

* * *

لعل الحكمة في استجابة رسول الله (ص) لإلحاح أصحابه في الخروج أنه لو لم يستجب لهم الرسول لآثر في أنفسهم تأثيراً سيئاً، وأولد فيهم الضعف والاستكانة بدل الإقدام والشجاعة، لما علم استجابته لهم بعد أن طابقوا رأيه فقد ذكر هو (ص) حكمته. مثال آخر من عمل الرسول برأي أصحابه فيما أشاروا عليه: قصة جرت في غزوة الخندق نوردها في ما يأتي:

ج - غزوة الخندق

روى الواقدي والمقرزي عن بدء غزوة الخندق وقالوا: «و شاوورهم رسول الله (ص). وكان رسول الله يكتر مشاورتهم في الحرب . . . فأشار عليهم سلمان بحفر الخندق».

وأخبرنا كذلك عن مشاورة أخرى في آخر أيام القتال وقالوا: وأقام (ص) وأصحابه محصورين بضع عشرة ليلة حتى اشتد الكرب، وقال (ص): «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك؛ اللهم إنك إن تشأ لا تُعبد». وأرسل إلى عيينة بن حصن، والحارث بن عوف - وهما رئيسا غطفان - أن يجعل لهما ثلث ثمر المدينة ويرجعا بمن معهما، فطلبنا نصف الثمر فأبى عليهم إلا الثلث، فرضيا. وجاءا في عشرة من قومها حتى تقارب الأمر، وأحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان (رض) الصلح - وعبد بن بشر قائم على رأس رسول الله (ص) مقنع في الحديد -، فأقبل أسيد بن حضير، وعيينة ماؤ رجله فقال له: يا عيينة الهجرس، اقبط

رجليك. أتمدُّ رجليك بين يدي رسول الله (ص)؟! والله لولا رسول الله لانفذت حِصْنَيْكَ بالرمح! ثم قال: يا رسول الله صلى الله عليك، إن كان أمراً من السماء فأمض له، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف. متى طمعتم بهذا منّا؟ فدعا رسول الله (ص) سعد بن معاذ وسعد بن عباد فاستشارهما خفية، فقالا: إن كان هذا أمراً من السماء فأمض له، وإن كان أمراً لم تؤمر فيه ولك فيه هوى فسمع وطاعة، وإن كان إنما هو الرأي فما لهم عندنا إلا السيف. فقال رسول الله (ص): «إني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة فقلت أرضيهم ولا أقاتلهم.»، فقالا: يا رسول الله، والله إن كانوا ليأكلون العلهز في الجاهلية من الجهد، ما طمعوا بهذا منّا قط: أن يأخذوا ثمرة إلا بشيءٍ أو قرى! فحين أتانا الله بك وأكرمنا بك، وهدانا بك، نعطي الدنيا؟! لا نعطيهم أبداً إلا السيف. فقال (ص): «شق الكتاب» فشقه سعد، فقام عيينة والحارث. فقال (ص): «ارجعوا بيننا السيف» رافعاً صوته.

كانت هذه قصة استشاره الرسول (ص) أصحابه في هذه الغزوة، ويظهر من محاوره الرسول (ص) فيها أنه - صلوات الله عليه - أراد أن يوقع الخلاف بين القبائل المحاربة، وخاصة أن في آخره يرفع صوته ويقول: «ارجعوا بيننا السيف» فإن هذا الخبر ينتشر ويبلغ قريشاً ويقع بينهم الخلاف، وقد روى بعد هذا: أن رسول الله (ص) أمر نعيم بن مسعود لذلك ونجح، فالتقى الشك والترييد والخلاف بين بني قريظة وقريش وكان ذلك من أسباب انكسارهم^{١٩}.

(١٩) مغازي الواقدي ٢/ ٣٧٧ - ٣٨٠. وإمتاع الأسماع للمقريزي ص ٢٣٥ - ٢٣٦. والعلّز: كان أهل الجاهلية في سني القحط والمجاعة يخلطون الوب بالدم ويشوونه ويأكلونه ويسمونه العلهز.

المهجرس: ولد الثعلب، وقيل هو القرد أو دوبة أخرى.

في ضوء ما بيّناه من مشاورات الرسول (ص) يتضح لنا جلياً أنه لم تكن الغاية من تلك المشاورات أن يتعلم الرسول (ص) من أصحابه الرأي الصائب ليعمل به، بل كانت الغاية أحياناً أن يعلمهم الرسول (ص) بأسلوب المشورة الرأي الصائب الذي كان يعلمه الرسول (ص) مسبقاً ليعملوا به.

كما كان شأن مشورته إياهم في غزوة بدر، فإنّ الله كان قد أعلم رسوله (ص) النتيجة مسبقاً من أنهم سيقاتلون قريشاً ويتصرفون عليهم، وبعد المشاورة أعلمهم الرسول (ص) نتيجة الأمر، وأراهم مصارع قريش. إذاً كانت الغاية من المشاورة توجيه المسلمين بأسلوب المشاورة إلى ما ينبغي أن يعملوه خلافاً لأسلوب الملوك الجبارين الذين يُملون آراءهم على الناس بقوهم مثلاً: نحن ملك... أصدرنا أمراً الملكي بكذا... .

وإن صدر الآية يدلّ بوضوح على ما ذكرنا، فإنّه تعالى قال: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فأعف عنهم وآستغفر لهم وشاورهم في الأمر...﴾ آل عمران/ ١٥٩. فالمشاورة هنا من مصاديق اللّينة وكونها رحمة من الله، اللّتين وردتا في صدر الآية.

تارة تكون الغاية من المشاورة الملاينة كالمثال السابق، وتارة تكون الغاية تربية نفوس المسلمين، كما كان شأن المشاورة في غزوة أحد، فإنّ رسول الله (ص) بعد أن أخذ برأيهم ولبس لامة حربه بقصد السير إلى أحد، ندموا على إلحاحهم على الرسول (ص) بالخروج، وقالوا: يا رسول الله (ص) ما كان لنا أن نخالفك، فأصنع ما بدا لك. فقال: «قد دعوتكم إلى هذا فأبيتكم، ولا ينبغي لنبيّ إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يحكم الله بينه وبين أعدائه».

يظهر من المحاورات التي دارت بين الرسول (ص) وأصحابه في هذه الواقعة، أنّ عدم استجابة الرسول (ص) لرغبتهم العارمة في الخروج كان يؤثر على نفوسهم تأثيراً سيئاً، ويولد فيهم ضعف النفس والتردد وعدم الإقدام في

الحروب، ومن أجل ذلك أخذ برأيهم مع علمه بأن رأيهم غير صائب. أمّا في غزوة الخندق، فقد كانت المشاورة كيداً كاد به المشركين، وقد نجحت خطته صلوات الله عليه وآله.

الثاني - مناقشة الاستدلال بالبيعة

عرفنا في ما سبق:

أن البيعة كالبيع تنعقد بالرضا والاختيار وليس بحدّ السيف والجبر. وأنه لا بيعة في معصية.

ولا في خلاف ما أمر الله به.

وأنه لا بيعة لمن يعصي الله.

وعرفنا أن أول بيعة أخذت بعد رسول الله هي البيعة للخليفة أبي بكر، وعلى صحتها تتوقف صحة بيعة الخليفة عمر، لأنها أخذت بأمر من الخليفة أبي بكر. وعلى صحة بيعة الخليفة عمر تتوقف صحة بيعة الخليفة عثمان، لأنها أخذت بأمر من الخليفة عمر حين أمر أن يبايعوا من الستة القرشيين من بايعه عبد الرحمن بن عوف، وأن يقتلوا من خالف.

وعرفنا كيف أخذت البيعة للخليفة أبي بكر غلاباً في سقيفة بني ساعدة، ثم بمساعدة قبيلة بني أسلم في سكك المدينة، وكيف حُمِلَت النار إلى بيت فاطمة (ع) ابنة رسول الله (ص) لأنه قد تحصّن فيه من أبي أن يبايع، وأن بني هاشم لم يبايعوا مدّة حياة ابنة رسول الله (ص)، وأن الجحش قُتِلَ سعد بن عباد بسهمين لأنه لم يبايع!

* * *

كان هذا شأن أخذ البيعة في المدينة. أما خارج المدينة، فكان شأن من أمتنع عن بيعة الخليفة أبي بكر وأبى أن يدفع الزكاة لجباة الخليفة، قتل الرجال، وسبي النساء، وسلب الأموال.

كما كان شأن مالك بن نويرة عامل رسول الله (ص) وأسرته من قبيلة تميم حين دهمهم جيش خالد بن الوليد ليلاً، وأخذوا السلاح، فقال جيش خالد: إنا المسلمون. فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون. فقال لهم جيش خالد: فإن كنتم كما تقولون، فضعوا السلاح. فوضعوها ثم صلّوا مع جيش خالد^{٢١}: ثم أخذوهم إلى خالد بن الوليد، فأمر بضرب عنق مالك. فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني - وكانت في غاية الجمال - فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام. فقال مالك: إنا على الإسلام. وبعد قتله أمر خالد برأسه فنصب أثنية للقدر وتزوج بامرأته في تلك الليلة ولما يدفن مالك^{٢٢}.

وكما كان شأن قبائل كندة، فإن زياد بن لبيد البياضي عامل أبي بكر أخذ ناقة لفتى من كندة، فسأله الكندي أخذ غيرها فأبى ذلك، لأنه وسمها بميسم الصدقة^{٢٣}. فذهب الفتى إلى رجل من سادات كندة يقال له: حارثة بن سراقه، وقال له: يا ابن عمّ إن زياد بن لبيد قد أخذ لي ناقة فوسمها وجعلها مع إبل الصدقة، وأنا مشغوف بها، فإن رأيت أن تكلمه فيها فلعلّه أن يطلقها ويأخذ غيرها من إبلي. فأقبل حارثة إلى زياد وقال له: إن رأيت أن تردّ ناقة هذا الفتى عليه وتأخذ غيرها فعلت منعمًا. فقال زياد: قد وضع عليها ميسم الصدقة. فترادّا الكلام، فأقبل حارثة إلى إبل الصدقة فأخرج الناقة بعينها،

(٢٠) راجع ترجمته في الإصابة ٣/٣٣٦، رقم الترجمة: ٧٦٩٨.

(٢١) تاريخ الطبري ط. أوربا ١/١٩٢٧ - ١٩٢٨ وراجع تاريخ اليعقوبي ط. بيروت، ١٣١/٢.

(٢٢) راجع تاريخ أبي الفداء ص ١٥٨. ووفيات الأعيان، ترجمة وثيمة. وكذلك وفات الوفيات. وبقية المصادر مع تفصيل الخبر في كتاب عبد الله بن سبأ ط. بيروت سنة ١٤٠٣ هـ، ١٨٥/١ - ١٩١.

(٢٣) فتوح البلدان، ردة بني وليعة والأشعث بن قيس.

وقال للفتى : خذ ناقتك فإن كلمك أحد سأحطم أنفه بالسيف وقال :
نحن إنما أطعنا رسول الله (ص) إذ كان حياً، ولو قام رجل من أهل بيته
لأطعناه ؛ وأما آبن أبي قحافة فلا والله ماله في رقابنا طاعة ولا بيعة . وأنشأ
أبياتاً من جملتها :

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا عجباً مَمَّن يطيع أبابكر
فقال له الحارث بن معاوية من سادة كندة : إنك لتدعو إلى طاعة رجل لم
يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد .

فقال له زياد : صدقت ولكننا اخترناه لهذا الأمر .

فقال له الحارث : أخبرني لم نَحْتِم عنها أهل بيته ؟ وهم أحق الناس
بها لأن الله عز وجل يقول : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ
اللَّهِ﴾ الأحزاب / ٦ .

فقال له زياد : إن المهاجرين والأنصار أنظر لأنفسهم منك !
فقال له الحارث : لا والله ما أزلتموها عن أهلها إلا حسداً منكم ،
وما يستقر في قلبي أن رسول الله (ص) خرج من الدنيا ولم ينصب للناس علماً
يتبعونه ، فأرحل عنا أيها الرجل فإنك تدعو إلى غير رضا . ثم أنشأ الحارث
يقول :

كان الرسول هو المطاع فقد مضى صلى عليه الله لم يستخلف
فأرسل زياد لإبل الصدقة أمامه إلى المدينة ، ثم سار إلى المدينة وأخبر
أبا بكر ، فجهزه في أربعة آلاف مقاتل . فسار زياد يريد حضرموت وفي طريقه
كان يباغت قبائل كندة ويقتل منهم ويستأسر ، مثل بني هند الذين هاجمهم
وقتل منهم جماعة وأحتوى على نسائهم وذرائعهم .

ووافى حي بني العاقل من كندة غافلين فلما أشرفت الخيل عليهم
تصايحت النساء وأقتتل الرجال ساعة ووقعت الهزيمة عليهم ، وأحتوى زياد

نساءهم وأموالهم .

وكبس بخيله في جوف الليل حي بني حجر من كندة، فقتل منهم مائتي رجل، وأسر خمسين، وفرّ الباقون، واحتوى على النساء والأولاد. ثم قاتله الأشعث بن قيس وحاصره في مدينة (تيم) وأسترجع منه الأموال والذراريّ وردّها إلى أهلها، فأرسل الخليفة إلى الأشعث كتاباً يسترضيه فقال الأشعث للرسول :

إنّ صاحبك أبا بكر يلزمنّا الكفر بمخالفتنا له، ولا يلزم صاحبه الكفر بقتله قومي وبني عمّي .

فقال له الرسول : نعم يا أشعث ! يلزمك الكفر لأنّ الله تبارك وتعالى قد أوجب عليك الكفر بمخالفتك الجماعة المسلمين .

فضربه غلام من بني عمّ الأشعث بسيفه فقتله، واستحسن فعله الأشعث فغضب من ذلك عامّة أصحاب الأشعث حتى بقي في قريب من ألفي رجل . فكتب زياد إلى أبي بكر يخبره بقتل الرسول وأنهم محاصرون . فاستشار الخليفة المسلمين في ما يصنع فأشار عليه أبو أيّوب الأنصاري وقال : إنّ القوم كثير عددهم وإذا همّوا بالجمع جمعوا خلقاً كثيراً، فلو صرفت عنهم الخيل في عامك هذا رجوت أن يحملوا الزكاة إليك بعد هذا العام طائعين .

فقال أبو بكر : والله لو منعوني عقلاً واحداً ممّا كان النبيّ وظفه عليهم لقاتلتهم عليه أبداً أو ينيبوا إلى الحقّ . ثمّ كتب إلى عكرمة بن أبي جهل أن يسير بمن أجابه من أهل مكّة إلى زياد ويستنهض من مرّ عليه من أحياء العرب . فخرج في ألفي فارس من قريش ومواليهم وأحلافهم، ثمّ سار إلى مأرب . وبلغ ذلك أهل دبا فغضبوا وقالوا نشغله عن محاربة بني عمّنا من كندة، وأخرجوا عامل أبي بكر . فكتب أبو بكر إليه أن يسير إليهم، وأن

لا يقصر فيهم، وإذا فرغ منهم أن يبعث بهم أسراء. فسار إليهم عكرمة وقاتلهم وحاصرهم، فسألوا الصلح وأن يؤدوا الزكاة، فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه، فأجابوه. فدخل عكرمة حصنهم، وقتل أشرافهم صبراً، وسبى نساءهم وأولادهم، وأخذ أموالهم ووجه بالباقيين إلى أبي بكر، فهم أن يقتل الرجال ويقسم النساء والذرية، فقال له عمر:

يا خليفة رسول الله، إن القوم على دين الإسلام يحلفون بالله مجتهدين ما كنّا رجعنا عن دين الإسلام. فحبسهم أبو بكر إلى أن توفي وأطلق عمر سراحهم على عهده.

فسار عكرمة إلى زياد فبلغ خبر الأشعث فأنحاز إلى حصن النجير وجمع فيه نساء ونساء قومه. فبلغ ذلك قبائل كندة ممن كان تفرّق عن الأشعث لما قتل رسول أبي بكر فتلاوموا أن يتركوا بني عمّهم محاصرين، فسارت لقتال زياد، فجزع لذلك فقال له عكرمة: أرى أن تقيم محاصراً لمن في الحصن وأمضي أنا فألقى هؤلاء القوم، فقال له زياد: نعم ما رأيت، ولكن إن ظفر الله بهم فلا ترفع السيف حتى تبيدهم عن آخرهم. فقال عكرمة: لست آلو جهداً في ما أقدر عليه.

فسار عكرمة حتى وافى القوم فتقاتلوا وكانت الحرب بينهم سجلاً والأشعث لا يعلم عن ذلك شيئاً، وطال عليهم الحصار وأشدّت بهم الجوع والعطش، فطلب من زياد الأمان له ولأهل بيته وعشرة من وجوه أصحابه وكتب بينهم، فبعث زياد الكتاب إلى عكرمة، فأخبر عكرمة قبائل كندة بذلك وأراهم الكتاب، فتركوا القتال وأنصرفوا، ودخل زياد الحصن وأخذ يضرب أعناق المقاتلة صبراً، ووافاه كتاب أبي بكر أن يحمل من نزل على حكمه إلى المدينة، فصعد من بقي منهم بالحديد وأرسلهم إلى المدينة^{٢٤}

(٢٤) لقد لخّصنا الخبر ممّا رواه البلاذري في فتوح البلدان في ذكر ردة بني وليعة، والأشعث بن

هكذا تَمَّت بيعة الخليفة أبي بكر والتي يصفها الخليفة عمر بأنها كانت
فلتة، وعليها بنيت خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وبها
يستدلون.

الثالث - مناقشة الاستدلال بعمل الصحابة

إن الاستدلال بعمل الصحابة يتم لو كانت سيرتهم مصدراً للتشريع
الإسلامي في عداد الكتاب والسنة ونزل فيهم ما نزل في رسول الله (ص) مثل
قوله تعالى:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ الأحزاب/ ٢١ .

وقوله :

﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر/ ٧ .

وبدون ذلك لا حجة علينا في عمل الصحابة . ثم لسنا ندري بمن
نقتدي ، وعمل بعضهم وأقوالهم يخالف البعض الآخر، ومن ثم اختلفت
آراء العلماء في كيفية إقامة الخلافة، أتقام ببيعة رجل لأن العباس عم
النبي (ص) قال لعلي (ع) : (أمدد يدك أبياعك يبايعك الناس) أم بقول الخليفة
عمر حين قال : (بيعة أبي بكر فلتة) أم نقتدي بمعاوية حين شهر السيف في
وجه الخليفة الشرعي الإمام علي (ع)؟ ولا نرى حاجة إلى المناقشة أكثر مما
بيّنا . أما ما استدلّ بعضهم بقول الإمام عليّ في نهج البلاغة، فسندرسه في
ما يأتي :



فيس الكتني ص ١٢٢ - ١٢٣ . والحموي في مادة: حضرموت من معجم البلدان، وفتح آبن أعثم ٥٧/١ -
٨٥ . ونهاج الخبر في عبد الله بن سبأ ٣٩٣/٢ - ٤١٠ .

مناقشة الاستدلال بما ورد في نهج البلاغة على صحة الاستدلال

بالشورى و البيعة و عمل الأصحاب .

استدل بعضهم على ما آرتأى في الشورى والبيعة والافتداء بعمل الصحابة بما رواه الشريف الرضي عن الإمام علي (ع) بباب الكتب من نهج البلاغة وهذا نصه :

ومن كتاب له ، إلى معاوية :

إنَّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرّد ، وإنّا الشورى للمهاجرين والأنصار . فإن اجتمعوا على رجلٍ وسمّوه إماماً كان ذلك [لِلَّهِ] رضى ؛ فإن خرج عن أمرهم خارج بطعنٍ أو بدعةٍ ردّوه إلى ما خرج منه ؛ فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين ، ولأله الله ما تولى . . . ٢٥ .

فإن الإمام قد احتج في هذا الكتاب على معاوية بالبيعة والشورى وإجماع المهاجرين والأنصار ، وبناءً على هذا فإن الإمام يرى صحة إقامة الإمامة بما ذكره .

والجواب أن الشريف الرضي كان أحياناً يتخیر نتفاً من كتب الإمام وخطبه ممّا يجده في أعلى درجات البلاغة ويترك سائره ، وكذلك فعل مع هذا الكتاب وقد أورد الكتاب بتمامه نصر بن مزاحم في كتاب صفين ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم .

أمّا بعد ، فإن بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشام ؛ لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن

(٢٥) نهج البلاغة وشرحه لابن أبي الحديد ، الكتاب السادس من باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين .

يختار، ولا للغائب أن يردَّ. وإنَّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسمَّوه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردَّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين، ولآه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيراً. وإنَّ طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي، وكان نقضهما كردِّهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحقَّ وظهر أمر الله وهم كارهون. فأدخل فيما دخل فيه المسلمون؛ فإنَّ أحبَّ الأمور إليَّ فيك العافية، إلَّا أن تتعرَّض للبلاء. فإن تعرَّضت له قاتلتك وأستعنت الله عليك. وقد أكثرت في قتلة عثمان، فأدخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إليَّ أحملك وإياهم على كتاب الله. فأما تلك التي تريدُها فخدعة الصبيِّ عن اللبن. ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان. وأعلم أنَّك من الطلقاء^{٢٦} الذين لا تحلُّ لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى. وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله، وهو من أهل الإيمان والهجرة: فبايع. ولا قوة إلَّا بالله^{٢٧}.
 اتَّضح لنا من هذا الكتاب أنَّ الإمام عليّاً يحتجُّ على معاوية بما التزم به هو ونظراؤه ويقول له: إنَّ بيعتي بالمدينة لزمك يا معاوية وأنت بالشام كما ألزمت ببيعة عثمان بالمدينة وأنت بالشام، وكذلك لزمتم بيعتي نظراءك خارج المدينة كما لزمتم بيعة عمر في المدينة وهم في أماكن أخرى.
 هكذا يلزمه الإمام عليٌّ بكلِّ ما التزمه هو ونظراؤه من مدرسة الخلافة يومذاك، وهذا وارد لدى العقلاء، فإنَّهم يحتجُّون على الخصم بما التزمه هو.
 هذا أولاً.

(٢٦) الطلقاء: جمع طليق، وهو الأسير الذي أطلق عنه إسهاره وخُلِّي سبيله. ويراد بهم الذين خُلِّي عنهم رسول الله (ص) يوم فتح مكَّة وأطلقهم ولم يسترقهم.
 (٢٧) صفين لنصر بن مزاحم ط. القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ، ص ٢٩.

وثانياً قوله: «إذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماماً، كان ذلك لله رضى» فإنه قد ورد في بعض النسخ: «كان ذلك رضى»^{٢٨}، أي كان لهم رضى، على أن يكون ذلك باختيار منهم ولم تؤخذ البيعة بالجبر وحدّ السيف. وعلى فرض أنه كان قد قال: «كان لله رضى» نقول: نعم، ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار بما فيهم الإمام عليّ وسبطا الرسول الحسن والحسين، كان ذلك لله رضى.

وأخيراً أدري كيف أستشهدوا بهذا القول من نهج البلاغة ونسوا أو تناسوا سائر أقوال الإمام التي نقلها الشريف الرضي - أيضاً - في نهج البلاغة مثل قوله في باب الحكم:

لما انتهت إلى أمير المؤمنين (ع) أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله (ص) قال (ع):

ما قالت الأنصار؟ قالوا:

قالت: منّا أمير ومنكم أمير. قال (ع):

فَهَلْ أَحْتَجِّجُكُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ؟

قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟

فقال (ع):

لو كانت الإمارة فيهم لَمْ تكن الوصيّة بهم ١١

ثم قال (ع):

فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجّت بأنها شجرة الرسول (ص)،

فقال (ع):

٢٨) راجع نهج البلاغة ط. الاستقامة بالقاهرة تجد لفظ الجلالة «لله» بين علامتين إشارة إلى أنه لم يرد لفظ الجلالة بين النسخ.

إِحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ^{٢٩}.

وقوله - أيضاً - في باب الْحَكَم :

واعجباً ! أ تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقراة^{٣٠}.

قال الرضي : وله شعر بهذا المعنى :

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشرون غيب
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب
وأجمع أقواله في هذا الباب ما وردت في الخطبة الشقشقية (خ: ٣) التي
قال فيها (ع) :

«أما والله لقد تَقَمَّصَهَا آبن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محلُّ
الْقُطْبِ مِنَ الرُّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا
ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً. وَطَفِقتُ أُرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَذَاءٍ^{٣١} أَوْ أَصْبِرَ
عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ^{٣٢} يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا
مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ^{٣٣} فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَبُّ^{٣٤} فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ

(٢٩) يريد من الثمرة آل بيت الرسول (ص).

(٣٠) نهج البلاغة، الحكمة : رقم ١٨٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٣١) وطفقت . . . الخ : بيان لعله الإغضاء . والجذاء : بمعنى المقطوعة . ويقولون : رحم
جذاء، أي : لم توصل . وسن جذاء أي منهتمة . والمراد هنا ليس ما يؤيدها . كأنه قال : تفكرت
في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً .

(٣٢) طخية : أي ظلمة ، ونسبة العمى إليها مجاز عقلي ، وإنما يعنى القائمون فيها إذ
لا يهتدون إلى الحق ، وهو تأكيد لظلام الحال وأسودادها .

(٣٣) يكدح : يسعى سعي المجهود .

(٣٤) أحجى : ألزم ، من حَجَّيَ به كرضي : أولع به ولزمه . ومنه : هو حَجَّيَ بكذا أي : جدير ،
وما أحجاه وأحج به أي : أخلق به ، وأصله من الحجا بمعنى العقل ، فهي أحجى أي أقرب إلى العقل ، وهاتا بمعنى
هذه ، أي : رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير .

قَدَى، وفي الحلقي شَجَا^{٣٥} أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده^{٣٦} - ثم تمثّل بقول الأعشى :-

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ^{٣٧}
فَيَا عَجَبًا ۱ ۱ بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ^{٣٨} إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لَشَدَّ
مَا تَشَطَّرَا ضَرْعِيهَا^{٣٩} فَصَبَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلَامُهَا^{٤٠}، وَيَخْشَنُ مَسْهَا،
وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالْأَعْتَادُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَائِبِ الصُّعْبَةِ^{٤١} إِنْ أَشْنَقَ لَهَا

(٣٥) الشجا: ما أعترض في الحلق من عظم ونحوه. والتراث: الميراث.

(٣٦) أدلى بها: ألقى بها إليه.

(٣٧) الكور بالضم: الرجل أو هو مع أدواته، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الآيات قبل.
وحيان كان سيداً في بني حنيفة مطاعاً فيهم، وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة، وكان الأعشى
يناديه، والأعشى هذا: هو الأعشى الكبير أعشى قيس، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن
جندل.

وجابر: أخو حيان أصغر منه.

ومعنى البيت أنّ فرقا بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حيان في رفاهيته،
فإنّ الأول كثير العناء شديد الشقاء، والثاني وافر النعيم وافي الراحة. ووجه تمثّل الإمام بالبيت
ظاهر بأدنى تأمل.

(٣٨) روي أنّ أبا بكر قال بعد البيعة: (أقبلوني فلست بخيركم).

(٣٩) لشدّ ما تشطّرا ضرعها: جملة شبه قسمية أعترضت بين المتعاطفين والشطّر أيضاً أن
تحلب شطراً وتترك شطراً، فتشطّرا: أي أخذ كلّ منها شطراً. وسمي شطري الضرع ضرعين
مجازاً: وهو ههنا من أبلغ أنواعه حيث أنّ من ولي الخلافة لا ينال الأمر إلّا تامّاً، ولا يجوز أن
يترك منه لغيره سهماً، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد أسم التشطّر والاققسام، كأنّ أحدهما
ترك منه شيئاً للآخر، وأطلق على كل شطر أسم الضرع نظراً لحقيقة ما نال كلّ منهما.

(٤٠) الكلام - بالضم -: الأرض الغليظة وفي نسخة كلمها. وإنّما هو بمعنى الجرح كأنه يقول
خشونتها تجرح جرحاً غليظاً.

(٤١) الصعبة من الإبل: ما ليست بدلول. وأشنق البعير، وشنقه: كفّه بزمامه حتى ألصق
ذفره: (العظم الناتئ خلف الأذن) بقادمة الرجل، أو رفع رأسه وهو راكبه. واللام هنا زائدة
للتحلية ولتشاكل أسلس. وأسلس: أرخى. وتقحم: رمى بنفسه في القحمة، أي: أهلكها.
قال الرضي: «كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم» يريد أنّه إذا شدّد عليها
في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم

خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمْ، فَمُنِّيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ - بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ^{١٢} وَتَلَوْنِ وَاعْتَرَاضٍ؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِخْنَةِ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لِلَّهِ وَلِلشُّورَى^{١٣} مَتَى

يملكها. يقال: أشتق الناقة، إذا جذب رأسها بالزام فرفعه؛ وشنقها أيضاً، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق. وإنا قال: «أشتق لها» ولم يقل: «أشنقها» لأنه جعله في مقابلة قوله: «أسلس لها» فكأنه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها. انتهى.

الصعبة: إما أن يشنقها فيخرم أنفها، وإما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته. (١٢) مني الناس: ابتلوا وأصيبوا، والشماس - بالكسر -: إباء ظهر الفرس عن الركوب. والنفار والخبط: السير على غير جادة. والتلون: التبديل. والاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنه يسير عرضاً في حال سيره طولاً يقال: بعير عرضي، يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته، وفي فلان عرضية، أي: عجرفة وصعوبة.

(١٣) لقد أوردنا تفصيل القصة من أوثق المصادر في ما سبق، وقال الشيخ محمد عبده في شرحه لهذا الكلمة:

كان سعد من بني عمّ عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة، وكان في نفسه شيء من عليّ كرم الله وجهه من قبل أخواله لأن أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولعليّ في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور. وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان؛ لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط كانت أختاً لعثمان من أمه، وكان طلحة ميالاً لعثمان لصلات بينهما، على ما ذكره بعض رواة الأثر. وقد يكفي في ميله إلى عثمان أنحرافه عن عليّ، لأنه تيميّ وقد كان بين بني هاشم وبني تيمم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر وبعد موت عمر بن الخطاب (رض) اجتمعوا وتشاوروا فأختلفوا، وأنضمّ طلحة في الرأي إلى عثمان، والزبير إلى عليّ، وسعد إلى عبد الرحمن. وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام، وأن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير وقال: إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن. فأقبل عبد الرحمن على عليّ وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله ورسوله - (ص) - وسيرة الخليفين من بعده. فقال عليّ: أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمي وطاقتي؛ ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك، فاجابه نعم. فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال: اللهم أسمع وأشهد. اللهم إني جعلت ما في رقتي من ذلك في رقة عثمان، وصفق يده في يد عثمان. وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه. قالوا: وخرج الإمام عليّ واجداً، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن: والله لقد تركت عليّاً وإنه من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون. فقال: يا مقداد لقد تقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد: والله إني لأعجب من قريش، إنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أنّ رجلاً أقضى بالحقّ ولا أعلم به منه. فقال عبد الرحمن: يا مقداد، إني

أَعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النُّظَائِرِ ١١
لَكِنِّي أَسْقَفْتُ إِذْ أَسْفُؤًا ١٥ وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضَغْنِهِ ١٦ وَمَالَ
الْآخَرَ لِصَبْهِهِ ١٧ مَعَ هُنَّ وَهْنٍ ١٨. إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حَضْنِيهِ ١٩ بَيْنَ
نَثِيلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ آلِهِ خَضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ
الرَّيْبِ ٢٠، إِلَى أَنْ انْتَكَتْ قَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ٢١ وَكَبَتْ بِهِ بَطْنَتُهُ ٢٢. فَمَا
رَاعَيْنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرفِ الضَّبْعِ إِلَيَّ يَتَنَالُونَ ٢٣ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى

أخشى عليك الفتنة فاتق الله. ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه
على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روي أنه قيل لعبد الرحمن: هذا عمل يدريك، فقال:
ما كنت أظن هذا به! ولكن لله علي أن لا أكلمه أبداً، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان،
حتى قيل: إن عثمان دخل عليه في مرضه يعود فتحول إلى الحائط لا يكلمه! والله أعلم، والحكم
لله يفعل ما يشاء.

١٤ المشابه بعضهم بعضاً دونه.

١٥ أسف الطائر: دنا من الأرض؛ يريد أنه لم يخالفهم في شيء.

١٦ صغى صغياً وصفاً صغواً: مال. والضغن: الضغينة يشير إلى سعد.

١٧ يشير إلى عبد الرحمن.

١٨ يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها، وقد أشرنا إلى بعضها في باب مناقشة الشورى.

١٩ يشير إلى عثمان، وكان ثالث الخلفاء. ونافجاً حَضْنِيهِ: رافعاً لها. والحضن: ما بين الإبط
والكشح؛ يقال للمتكبر: جاء نافعاً حَضْنِيهِ. ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً. والنثيل:
الروث. والمعتلف: من مادة (علف) موضع العلف وهو معروف، أي: لاهم له إلا ما ذكر.
٢٠ السَخْضَم، على ما في القاموس: الأكل مطلقاً، أو بأقصى الأضرار، أو ملء الفم
بالمأكول، أو خاص بالشيء الرطب. والقضم: الأكل بأطراف الأسنان أخف من الخضم. والنبتة
- بكسر النون -: كالنبات في معناه.

٢١ انتكث قتلته: أنقض. وأجهز عليه عمله: تمم قتله، تقول: أجهزت على الجريح،
وذفت عليه.

٢٢ البطنة - بالكسر -: البطر والأشر والكظة (أي: التخمة) والإسراف في الشبع. وكبت
به: من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.

٢٣ عُرف الضبع: ما كثر على عنقه من الشعر، وهو ثخين، يضرب به المثل في الكثرة
والازدحام.

ويتنالون: يتابعون مزاحمين.

لَقَدْ وُطِّئَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ^{٥٤}، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِيضَةِ الْغَنَمِ^{٥٥}.
فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكُثْتُ طَائِفَةً، وَمَرَقْتُ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ^{٥٦}
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بَلَىٰ وَاللَّهِ لَقَدْ
سَمِعُوهَا وَعَوَّهَهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلَّتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ^{٥٧} وَرَاقَهُمْ زِينُهَا، أَمَّا
وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ^{٥٨} لَوْلَا حُضُورُ الْخَاصِرِ^{٥٩} وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ
النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُوا عَلَى كِبَاطَةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَعْبٍ
مَظْلُومٍ^{٦٠}، لِأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا^{٦١}، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أَوْهَى،
لَأَلْقَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةٍ عَنَزٍ^{٦٢}.

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد^{٦٣} عند بلوغه إلى هذا الموضع

(٥٤) الحسنان: ولداه الحسن والحسين. وشق عطفاه: خدش جانبيه من الاصطكاك. وفي رواية: (شق عطاي)، والعطف: الرداء. وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة.

(٥٥) ربيضة الغنم: الطائفة الرابضة من الغنم، يصف أزدحامهم حوله وجشومهم بين يديه.
(٥٦) الناكث: أصحاب الجمل. والمارقة: أصحاب النهروان. والقاسطون - أي الجائرون -: أصحاب صفين.

(٥٧) حلَّت الدنيا: من حلَّت المرأة إذا تزوّجت بحليها. والزبرج: الزينة من وشي أو جواهر.
(٥٨) النسمة - محرّكة -: الروح، وبرأها: خلقها.

(٥٩) من حضر لبيعته، ولزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره.
(٦٠) والناصر: الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة. والكظة: ما يعتري الأكل من آمتلاء البطن بالطعام، والمراد استئثار الظالم بالحقوق. والسغب: شدة الجوع، والمراد منه هضم حقوقه.

(٦١) الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.
(٦٢) عطفة العنز: ما تنشره من أنفها، تقول: عفطت تعفط من باب ضرب، غير أنّ أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة. والأشهر في العنز النطفة بالنون، يقال: ما له عاطف ولا نافط، أي نعجة ولا عنز. كما يقال: ماله ثاغية ولا راغية. والعطفة: الحبة أيضاً، لكنّ الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم.

(٦٣) السواد: العراق، وسمي سواداً لحضرته بالزرع والأشجار، والعرب تسمي الأخضر

خطبته فناولوه كتاباً، فأقبل ينظر فيه، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما:
يا أمير المؤمنين، لو أطرذت خطبتك من حيث أفضيت.
فقال: هيئات يا ابن عباس، تلك شقشقة! هذرت ثم قرئت.
قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام
أن لا يكون أمير المؤمنين (ع) بلغ منه حيث أراد.
نسوا أو تناسوا كل هذه الأقوال من الإمام علي (ع) وتمسكوا بقول أحتج
به الإمام علي على معاوية لالتزام معاوية ونظرائه به.

الرابع - مناقشة الاستدلال بأن الخلافة تقام بالقهر والغلبة

من سبّر التاريخ الإسلامي، وجد أن حكم الخلافة إلى عهد الخلفاء
العثمانيين الأتراك كان يقوم على أساس القسر، وشذ قيامه خلاف ذلك مثل
حكم الإمام علي (ع) وهذا هو الصحيح في الأمر ولا مناقشة لنا في ذلك.
أما ما قالوا: (من غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي
أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برأ
كان أو فاجراً).

لست أدري عم يتكلم هؤلاء الأعلام: عن شريعة الله في إقامة الحكم
في المجتمع الإسلامي، أم عن شريعة الغاب لمجتمع الأسود والفهود؟
ولكي لا يؤخذنا البعض على إيراد أقوال السابقين باعتقاد أن أهل هذا
العصر لا يوافقونهم في آرائهم ومعتقداتهم ويقول الآخرون: (فلنكن اليوم في

أسود. قال الله تعالى: ﴿مدهامتان﴾ يريد الخضر، كما هو ظاهر.

٦٤ الشقشقة - بكسر فسكون فكسر -: شيء كالرثة يخرج البعير من فيه إذا هاج، وصوت
البعير بها عند إخراجها هدير، ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة؛ قال في القاموس: والخطبة

حاضر الإسلام^{٦٥}، نثبت هنا صورة غلاف كتاب طبع لمدارس بلد فيه الكعبة البيت الحرام ومسجد الرسول وحرمه، والكتاب يشي على يزيد ويروي الحديث في مدحه، يزيد الذي رمى الكعبة بالمنجنيق وأباح مسجد الرسول وحرمه لجيشه ثلاثة أيام يقتلون الناس ويقعون على النساء، كما سيأتي تفصيله في باب (جيش الخلافة يستبيح حرم الرسول) وباب (مسير جيش الخلافة إلى مكة). وينشر في الحرمين الشريفين للدفاع عن يزيد والثناء عليه هذا الكتاب:

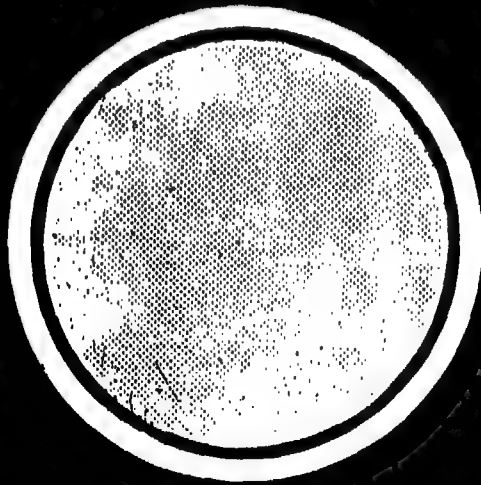
→
الشقيقة العلوية، وهي هذه.

٦٥) مجلة الأزهر، مجلد ٣٢، باب الكتب من جلد ١٠، سنة ١٣٨٠ ص ١١٥٠ - ١١٥١
في نقده لكتاب عبد الله بن سبأ.

المملكة العربية السعودية

وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

حَقَائِقُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
يَزِيدَ بْنِ مَعَادٍ



اطاعة الإمام الجائر المخالف لسنة الرسول (ص)

رأينا في بحث وجوب طاعة الإمام بمدرسة الخلفاء كيف رووا عن رسول الله (ص) النهي عن الخروج على السلطان الجائر المخالف لسنة الرسول (ص) وجوب طاعته؛ أما مدرسة أهل البيت (ع) فقد رووا عن رسول الله (ص) وايات تناقض تلك الروايات مثل رواية الإمام الحسين (ع) سبط رسول الله (ع) عن جده قال:

«من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»^{٦٦}.

وبمقارنة نظير هذه الروايات بروايات مدرسة الخلفاء، أدركنا أن تلكم الروايات بمدرسة الخلفاء إنما رويت عن رسول الله (ص) احتساباً للخير وتأيداً للسلطات الحاكمة على المسلمين، وكان ذلك في أوائل العصر الأموي، ثم دُونوها في عصر تدوين الحديث أوائل القرن الثاني الهجري بكتب الحديث صحاحها ومسانيدها^{٦٧} وتسالموا جميعاً على صحتها والعمل بها، وشرحها وعلّق عليها وأكّدها علماء بلاط السلطات الحاكمة من محدّثين وقضاة وخطباء وأئمة الجمعة والجماعة وأشباههم مدى العصور في شتى البلاد منذ عصر الخلافة الأموية بالشّام والأندلس ثم العباسية في بغداد والعثمانيين في تركيا وحكّام الممالك في مصر والسلاجقة والغزنويين في إيران والاكراذ في الشّام، وأغدقت تلك السلطات عليهم الجاه والمال والحظوة في بلاطها،

٦٦) في خطبة الإمام الحسين (ع) لجيش حرّ بن يزيد الرياحي، بتاريخ الطبري وآبن الأثير ومقتل الخواري.

٦٧) تأتي الإشارة إليه في أوائل الجزء الثاني إن شاء الله تعالى.

وتابعهم على ذلك الملاً من أتباعهم .

وهكذا أنقسم المسلمون إلى مدرستين ؛ مدرسة الخلفاء التي أغدق حكامها: المال والجاه والمناصب والخطوة على مروجي أفكار مدرستها ، ومدرسة أهل البيت (ع) التي قاومت تلك الأفكار والروايات المروية تأييداً للسلطات واجتهاداتها ، فبذلت لها السلطات الحاكمة القتل والسجن والتشريد وحمولات الإبادة وإحراق الكتب والمكتبات مدى العصور^{٦٨} لإبعاد أفكارها المحافظة على سنة الرسول (ص) من المجتمع وإخفائها عن أنظار المسلمين^{٦٩}.

وبعد كل ما ذكرناه ماذا يصل إلينا من الحقائق في هذا العصر ؟!

خلاصة البحث

كان المنطق السائد يوم السقيفة في الأفعال والأقوال ، هو المنطق القبلي سواء أكان لدى المهاجرين أم الأنصار ، وكانت بيعة أبي بكر يومذاك فلتة حسب تقويم الخليفة عمر لها .

ولم يستند الخليفة عمر إلى أي دليل من الكتاب والسنة في ما طرحه من إقامة الخلافة بالشورى وإنما اعتمد آجتهاده الخاص .
اجتهد فجعل تعيين ولي الأمر من بعده بين ستة أشخاص لا أكثر من ذلك .

وآجتهده فجعلهم من المهاجرين دون الأنصار .
وآجتهده فجعل الترشيح بيد عبد الرحمن بن عوف دون الآخرين

٦٨) يأتي شرحها في بحث حملة المغول على البلاد الإسلامية من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

٦٩) ندرس تفصيل كل ما ذكرناه في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى .

وقال: إذا اتَّفَقَ آثَنان على واحد وآثَنان على واحد، كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن.

وآجتهَد وقال: إذا صفق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى فأتَّبِعُوهُ، فمن آتَّخَذَ من آجتهَد الخليفة عمر في عداد كتاب الله وسنة رسوله (ص) مصدراً للتَّشريع الإسلامي، قال بأنَّ الإمامة تقام بالشورى بين ستة، يبايع خمسة منهم الواحد منهم.

وأما ما استشهد به أتباع مدرسة الخلفاء بآية: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ فَإِنَّ الآية لا تدلُّ على أكثر من رجحان الشورى في أمر لم يأت عن الله ورسوله فيه أمر، لأنَّ الله سبحانه كلَّمَا أراد الفرض في أمر قال: كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَذَا، أو فرض كَذَا، أو جعل أو وصَّى، أو غيرها من الألفاظ الدالة على الوجوب.

وأما آية: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ في الخطاب للرسول (ص) فَإِنَّ القصد المشاورة في الغزوات، ومن أجل تربية نفوس المسلمين أو إيجاد الشك والخلاف بين المشركين، وكلَّها كانت من أجل تعيين إجراء الحكم الشرعي، وليس من أجل معرفة الحكم الشرعي. ثم إنَّهم لم يَعيِّنوا كيف تكون الشورى من أجل تعيين الإمام، وقد رأينا كيف تَمَّت الشورى لإقامة خلافة عثمان. هذا عن الشورى.

وأما البيعة فَإِنَّهَا لا تنعقد بالإجبار وحَدَّ السيف، ولا تنعقد للقيام بمعصية، ولا لمن يعصي الله.

وأما سيرة الأصحاب، فَإِنَّ آتَّخَذَتْ في عداد الكتاب والسنة مصدراً للتَّشريع الإسلامي، صَحَّ الاستدلال بها، وإلَّا فلا.

وما اسْتُشْهِدَ به في هذا المقام، من كلام الإمام علي (ع)، فَإِنَّه كان لمُحَاجَجة الخصم بما آلتزم به، وهذا متعارف لدى العقلاء، ثم إنَّ إجماع

الصحابة بما فيهم الإمام علي و الإمام الحسن و الإمام الحسين يدلّ على رضا الله
كما عبّر عنه الإمام .

أمّا قولهم : من غلب بالسيف فهو أمير المؤمنين تجب طاعته برّاً كان أو
فاجراً، فهو الواقع الذي دأبوا عليه ، كما يظهر ذلك لمن يدرس تاريخ الخلفاء في
الإسلام .

كانت هذه دراسة آراء مدرسة الخلفاء وأدلتهم عليها ؛ أمّا مدرسة أهل
البيت ، فسندرس آراءهم وأدلتهم في البحث الآتي بحوله تعالى .

الفصل الثالث

بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الإمامة

اهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده
وصي الرسول (ص) ووزيره وولي عهده وخليفته
من بعده
مدرسة الخلفاء تبذل جهودا كبيرة في سبيل كتمان أخبار
الوصية
دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة
الرسول (ص) المخالفة لآتجاهها
انتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب
التاريخ وسببه
ما بقي من النصوص الواردة عن الرسول (ص) في
أمر الحكم من بعده.
ما أشبه تعيين الوصي في هذه الأمة بتعيين الوصي في
أمة موسى (ع)
الولاية وأولو الأمر في القرآن الكريم
الأئمة عليّ وبنوه مبلغون عن الرسول (ص)

في البحث السابق ذكرنا آراء مدرسة الخلفاء في الإمامة وأدلتهم عليها. أما أتباع مدرسة أهل البيت (ع) فإنهم يشترطون في الإمام بعد النبي أن يكون معصوماً من الذنوب، منصوباً من قبل الله عز وجل، منصوباً عليه من قبل نبيه (ص)، لقوله تعالى لخليله إبراهيم (ع): ﴿إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ البقرة/ ١٢٤.

إذا فالإمامة عهد من الله يخبر نبيه عمن عهد الله إليه، كما يخبر عن سائر أوامر الله وأحكامه، وأنه لا ينال عهد الإمامة من الله من كان ظالماً، وأن كل من لم يتصف بالظلم إلى نفسه ولا إلى غيره فهو معصوم. وعلى هذا فالإمامة عهد وتعيين من الله، والرسول مبلغ إياها، ويلزمها العصمة. وقد تحقق هذان الشرطان في أئمة أهل البيت (ع) كما يأتي بيانهما.

عصمة أهل البيت (ع)

أخبر الله سبحانه وتعالى بأن أهل البيت - وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم - معصومون من الذنوب في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ الأحزاب/ ٣٣ .

شأن نزول الآية وما صنع الرسول (ص) بهذه المناسبة

روى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^١ قال :
(لَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِلَى الرَّحْمَةِ هَابِطَةً ، قَالَ : « أَدْعُوا لِي ، ادْعُوا لِي » . فَقَالَتْ صَفِيَّةٌ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَهْلُ بَيْتِي عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ

(١) بمستدرك الصحيحين ١٤٧/٣ .

وعبد الله بن جعفر ذو الجناحين : أبْنِ عَمَّ النَّبِيِّ أَبِي طَالِبٍ وَأُمَّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيْسِ الْخَثْعَمِيَّةِ . وَلَدَ بَارِضُ الْحَبَشَةِ فِي هِجْرَةِ أَبَوَيْهِ إِلَيْهَا ، وَهَاجَرَ أَبُوهُ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَكَانَ حَلِيمًا كَرِيمًا يُقَالُ لَهُ : بَحْرُ الْجُودِ ، تَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ثَمَانِينَ عَامَ الْجَحَافِ - عَامَ جَاءَ فِيهِ سَيْلٌ عَظِيمٌ يَبْطُنُ مَكَّةَ جَحْفَ الْحَنَاجِ وَذَهَبَ بِالْإِبِلِ عَلَيْهَا أَهْمَالُهَا - . وَرَوَى عَنْهُ أَصْحَابُ الصَّحَاحِ ٢٥ حَدِيثًا . تَرَجَمَتْهُ بِأَسَدُ الْغَابَةِ وَجَوَامِعُ السِّيَرَةِ ص ٢٨٢ .

(٢) صَفِيَّةُ بِنْتُ حُنَيٍّ بِنْتُ أَخْطَبٍ : مِنْ سَبْطِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأُمُّهَا بَوْرَةُ بِنْتُ

والحسن والحسين»^٣. فجيء بهم. فالتقى عليهم النبي (ص) كساءه، ثم رفع



السموأل من بني قريظة. كانت زوجة كنانة بن الربيع من يهود بني النضير فقتل عنها يوم خير فأصطفاها النبي وقال لها: «إن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقني بقومك»، فقالت: يا رسول الله لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، ومالي في اليهودية إرب ومالي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فאלله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي. فاعتدت ثم تزوجها النبي وتوفيت في سنة ٥٢ هـ. وروى عنها أصحاب الصحاح ١٠ أحاديث. ترجمتها بطبقات أبي سعد ١٢٠/٨ - ١٢٩. وجوامع السيرة ص ٢٨٥.

(٣) فاطمة بنت رسول الله (ص) وأُمها أُم المؤمنين خديجة (ع).

في ترجمتها بأسد الغابة والإصابة: أن كنيها أُم أبيها وأنه أنقطع نسل رسول الله إلا منها، وقال رسول الله (ص) لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك». أخرجه - أيضاً - الحاكم في مستدركه ١٥٣/٣. وبميزان الاعتدال ٧٧/٢. وتهذيب التهذيب ١٢/٤٤١. وفي باب مناقب فاطمة بصحيح البخاري ٢٠٠/٤ و٢٠١ و٢٠٥: قال رسول الله (ص): «فاطمة بضعة مني، من أغضبها أغضبني».

وفي رواية أخرى فيه باب ذنب الرجل عن أبنته من كتاب النكاح ١٧٧/٣، وباب فضائل فاطمة من صحيح مسلم، والترمذي. وبمسند أحمد ٤١/٤ و٣٢٨. ومستدرک الصحيحين ١٥٣/٣: «يؤذني ما آذاها، أو يؤذيها».

وكان آخر الناس عهداً برسول الله إذا سافر فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس عهداً به فاطمة، كما في مستدرک الصحيحين ١٥٦/٣ و١٥٥ و٤٨٩/١. ومسند أحمد ٥/٢٧٥. وسنن البيهقي ٢٦/١.

وفي باب فرض الخمس من صحيح البخاري ١٢٤/٢، عن عائشة أن فاطمة سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله (ص) أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله مِثاً أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: إن رسول الله قال: «لا نورث ما تركنا صدقة». فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله (ص) ستة أشهر. وفي باب غزوة خيبر منه ٣٨/٣: فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصل عليها، وكان لعلي وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر... .

ورواه مسلم كذلك في صحيحه بكتاب الجهاد ١٥٤/٥. ومسند أحمد ٩/١. وسنن البيهقي ٣٠٠/٦.

وبترجمتها في أسد الغنة: وأوصت إلى أساء أن تغسلها ولا تدخل عليها أحداً، فلما توفيت



يديه، ثم قال: « اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وآل محمد ». وأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾.

وفي رواية أم المؤمنين عائشة: أن الكساء كان مرطاً مرحلاً من شعر أسود.

جاءت عائشة فمَنَعَتْهَا أَسْمَاءُ.

قال المؤلف:

ولم يعرف موضع قبرها حتى اليوم.

وروى عنها أصحاب الصحاح ١٨ حديثاً. جوامع السيرة ص ٢٨٣.

والحسنان سبطا رسول الله وأبنا علي وفاطمة.

ولد الحسن في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وولد الحسين ثلاث خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة.

قال رسول الله (ص): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما. في سنن ابن ماجه باب فضائل أصحاب رسول الله (ص). ومستدرك الصحيحين ١٦٧/٣. ومصادر كثيرة غيرهما.

بايع المسلمون الحسن بعد وفاة أبيه سنة أربعين وبقي أكثر من سنة أشهر في الخلافة، ثم اقتضت مصلحة الإسلام العليا أن يصلح معاوية. ولما أراد معاوية أن يأخذ البيعة لابنه يزيد دس إليه السم فقتله سنة خمسين. أحاديث أم المؤمنين عائشة ٢٥١/١ - ٢٦٦.

وفي سنة ستين أبى الحسين أن يبايع يزيد وقال: « وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد ». فقتله جيش يزيد بكر بلاء عاشوراء سنة إحدى وستين. اللهوف لابن طاووس.

روى أصحاب الصحاح عن الحسن ١٣ حديثاً، عدا البخاري ومسلم، وعن الحسين ٨ أحاديث. جوامع السيرة ص ٢٨٤ و ٢٨٦. وتقريب التهذيب ١٦٨/١.

٤) المرط: كساء من صوف أو خز. والمرحل من الثياب: ما أشبهت نقوشه رجال الإبل.

وعائشة بنت أبي بكر وأُمُّها أم رومان. ولدت في السنة الرابعة بعد البيعة، بنى بها الرسول (ص) بعد ثمانية عشر شهراً من هجرته إلى المدينة. وتوفيت سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩، وصلى عليها أبو هريرة. وروى عنها أصحاب الصحاح ٢٢١٠ حديث، راجع كتابنا أحاديث عائشة.

وروايتها في شأن نزول آية التطهير في صحيح مسلم ١٣٠/٧، باب فضائل أهل بيت النبي. ومستدرك الصحيحين ١٤٧/٣. وبتفسير الآية في تفسير ابن جرير والدر المنثور للسيوطي وآية المبالغة في تفسير الزمخشري والرازي. وسنن البيهقي ١٤٩/٢.

وفي رواية الصَّحَابِيّ واثلة بن الأسقع : إنّ رسول الله أدنى عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منهما على فخذه - الحديث^٥.

وفي رواية أمّ المؤمنين أمّ سلمة قالت : نزلت هذه الآية في بيتي : ﴿ إِنَّمَا يريد الله ليذهب عنكم الرجس . . . ﴾ وفي البيت سبعة : جبرئيل وميكائيل (ع) وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (رض) وأنا على باب البيت ، قلت : يا رسول الله ألسنت من أهل البيت ؟ قال : «إني إلى خير. إنك من أزواج النبي»^٦.

وقد روى شأن نزول آية التطهير غير من ذكرنا كلّ من :
أ - عبد الله بن عباس^٧.

ب - عمر بن أبي سلمة^٨ ربيب النبي (ص).

٥) واثلة بن الأسقع اللبكي : أسلم والنبي يتجهز إلى تبوك . وقيل إنه خدم النبي ثلاث سنوات ومات سنة خمس وثمانين أو ثلاث وثمانين بدمشق أو بيت المقدس . روى عنه أصحاب الصحاح ٥٦ حديثاً . ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٩ . وروايته في شأن آية التطهير بسنن البيهقي ١٥٢/٢ ، ورواية أخرى منه بمسند أحمد ١٠٧/٤ . ومستدرک الصحيحين ٤١٦/٢ و ١٤٧/٣ . ومجمع الزوائد ١٦٧/٩ . وآبن جرير والسيوطي في تفسير الآية من تفسيريهما . وأسد الغابة ٢٠/٢ .

٦) رواية أم سلمة في تفسير الآية بتفسير السيوطي ١٩٨/٥ و ١٩٩ . ورواية أخرى في سنن الترمذي ، ٢٤٨/١٣ . ومسند أحمد ٣٠٦/٦ . وأسد الغابة ٢٩/٤ ، و ٢٩٧/٢ . وتهذيب التهذيب ٢٩٧/٢ . وأخرى بمسند أحمد الصحيحين ٤١٦/٢ و ١٤٧/٣ . وسنن البيهقي ١٥٠/٢ . وأسد الغابة ٥٢١/٥ و ٥٨٩ . وفي تاريخ بغداد ١٢٦/٩ . وأخرى : بمسند أحمد ٢٩٢/٦ .

٧) رواية ابن عباس بمسند أحمد ٣٣٠/١ ، وخصائص النسائي ص ١١ . والرياض النضرة ٢٦٩/٢ . ومجمع الزوائد ١١٩/٩ و ٢٠٧ ، وتفسير الآية بالدر المنثور .
٨) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد أبو حفص المخزومي : ربيب رسول الله ، أمّه أم سلمة . ولد في الحبشة . شهد مع عليّ الحمل ، وأستعمله على البحرين وعلى فارس . توفي سنة ٨٣ هـ .

ج - أبو سعيد الخدري^٩.

د - سعد بن أبي وقاص^{١٠}.

هـ - أنس بن مالك^{١١}، وغيرهم^{١٢}.

وأستشهد بها الحسن السبط (ع) على المنبر^{١٣}، وعلي بن الحسين (ع) في الشام^{١٤}.

كان رسول الله بعد نزول هذه الآية عدّة أشهر يأتي إلى باب دار عليّ وفاطمة يسلم عليهم ويقرأ الآية. قال ابن عباس:

روى عنه أصحاب الصحاح ١٢ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص: ٢٨٤. وحديثه بشأن آية التطهير في: «فضائل الخمسة» ١/٢١٤ عن صحيح الترمذي ٢٠٩/٢.

٩) رواية أبي سعيد في تفسير الآية بتفسير ابن جرير والسيوطي وتاريخ بغداد ١٠/٢٧٨. ومجمع الزوائد ٩/١٦٧ و ١٦٩. وستأتي ترجمته في الهامش رقم (٥) ص ٢٩٥.
١٠) سعد بن أبي وقاص. - مرّت ترجمته في الهامش رقم (٦٢) من بحث: الواقع التاريخي - وأبي أن يبايع عليّاً، وأبي على معاوية أن يسبّ عليّاً. ودسّ إليه معاوية السمّ لئلاّ أراد أن يبايع يزيد، فمات. وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٧١ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وصحيح مسلم ٧/١٢٠ وأحاديث أم المؤمنين عائشة ١/٣٥٦ ط. بيروت ١٤٠٥ هـ.
وروايته بشأن آية التطهير في خصائص النسائي ص ٤-٥. وسنن الترمذي ١٧١/١٣ - ١٧٢.

١١) رواية أنس بن مالك في سنن الترمذي ١٣/٢٤٨. ومجمع الزوائد ٩/٢٠٦.
١٢) مثل قتادة في تفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي وعطية بترجمته بأسد الغابة ٣/٤١٣، ومعمل بن يسار، راجع سنن الترمذي ١٣/٢٤٨.
١٣) روي آستشهاد السبط بمستدرك الصحيحين ٣/١٧٢. ومجمع الزوائد ٩/١٤٦ و ١٧٢.

١٤) علي بن الحسين: أمّه بنت يزدجرد كما في الباب العاشر من ربيع الأبرار للزمخشري راجع ج ٢ ورقة ٤٤، مصورة مكتبة أمير المؤمنين في النجف تسلسل ٢٠٥٩، أدب. ومات في نفاسها به، فكفله بعض أمهات ولد أبيه، وزوّجها علي بن الحسين بعد أبيه (عيون أخبار الرضا ٢/١٢٨) ويبدو أنها كانت تسمى غزالة. توفي علي بن الحسين بالمدينة سنة خمس وتسعين. وروى عنه أصحاب الصحاح بعض الأحاديث وأستشهاده بآية التطهير ورد في تفسير الآية بتفسير الطبري. ترجمته بوفيات الأعيان ٢/٤٢٩. وتاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٣.

شهدت رسول الله (ص) تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول: « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، إننا يريد الله... الصلاة رحمكم الله » كل يوم خمس مرّات^{١٥}.
وعن أبي الحمراء، قال: حفظت رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلّا أتى باب علي فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال: « الصلاة، إننا يريد الله... »^{١٦}
وقال أبو برزة: إنّه صلّى مع رسول الله سبعة أشهر، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة...^{١٧}

وعن أنس بن مالك ستّة أشهر^{١٨}. وروى - أيضاً - غيرهم في ذلك.
في هذه الآية، أخبر الله عن المعصومين في عصر رسول الله خاصّة، وعيّنهم الرسول بما فعل من نشر الكساء عليهم وقراءة الآية في ملأ من أصحابه عدّة شهور على باب بيتهم.
إنّ هذه الآية، وما ورد عن رسول الله (ص) من قول وفعل في تفسيرها، تكفي دليلاً لإثبات عصمة أهل البيت (ع).
ومن الناحية العملية، لم يسجّل التاريخ عن أئمة أهل البيت (ع) ما ينافي عصمتهم، على أنّ التاريخ الإسلامي دَوّن من قبل علماء مدرسة

٢١٥ رواية ابن عباس في تفسير الآية وآية ﴿ وأمر أهلك ﴾ من الدر المشور.
٢١٦ أبو الحمراء: مولى رسول الله، اسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر، والحديث بترجمته في الاستيعاب ٥٩٨/٢. وأسّد الغابة ١٧٤/٥. ومجمع الزوائد ١٦٨/٩.
١٧ أبو برزة الأسلمي: اختلفوا في اسمه. توفي في البصرة سنة ستين أو أربع وستين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٠ أو ٤٦ حديثاً. ترجمته بأسّد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٠ و ٢٨٣.
وحديثه المذكور في مجمع الزوائد ١٦٩/٩، لفظه: سبعة عشر شهراً ونراه من غلط النسخ.
١٨ رواية أنس بمسند أحمد ٢٥٢/٣. والطيالسي ٢٧٤/٧، ح ٢٥٠٩. وأسّد الغابة ٥٢١/٥. وتفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي.

الخلفاء، وغالباً ما دُونوا في كتب التاريخ الإسلامي ما يجلبون به رضا الخلفاء مدى العصور، وكان الخلفاء مدى العصور جاذبين لإطفاء نور أئمة أهل البيت (ع) خشية ميل المسلمين إليهم (ع) ومبايعتهم بالخلافة، ولهذا السبب قتلوا منهم من قتلوا، وسجنوا منهم من سجنوا، وشرّدوا منهم من شرّدوا، وخاصّة بنو أميّة الذين أمروا بلعن الإمام عليّ (ع) في خطب صلاة الجمعة على منابر المسلمين، ولم ينج من عذابهم ومطاردتهم محبّو أئمة أهل البيت وشيعتهم ومن اعتقد بإمامتهم؛ مع كلّ ذلك لا نجد في التاريخ المدوّن آية صغيرة أو هفوة نسبت إلى أئمة أهل البيت (ع). وكفى بهذا دليلاً على أن الله عصمهم من الرجس وطهرهم تطهيراً.

كان هذا أهمّ أدلّة مدرسة أهل البيت على عصمة أهل البيت (ع)، وفي ما يأتي بيان بعض النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في إمامتهم، وقد قال الله تعالى في حقّ رسوله:

﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحي يوحى ﴾ النجم / ٣ - ٤ .

اهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده

قبل أن ندرس النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين أولي الأمر من بعده، ندرس شيئاً من اهتمام الرسول (ص) بهذا الأمر في ما يأتي :

إن أمر الإمامة بعد الرسول (ص) كان من الأمور المهمة التي لم تغب عن بال الرسول (ص) ومن كان حوله، بل كانوا يفكرون فيه منذ البدء؛ فقد رأينا بيحرة من بني عامر بن صعصعة يشترط على رسول الله (ص) لإسلامهم أن يكون لهم أمر من بعد الرسول (ص)، ورأينا هوزة الحنفي يطلب من الرسول (ص) منحه شيئاً من الأمر.

وكذلك كان الرسول (ص) - أيضاً - يفكر في الأمر من بعده ويدبر له منذ أول يوم دعا إلى الإسلام، وأول يوم أخذ فيه البيعة لإقامة المجتمع الإسلامي.

أما تدبيره في أول يوم أخذ فيه البيعة لإقامة المجتمع الإسلامي، فقد كان ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، والنسائي وابن ماجه في سننهما، ومالك في الموطأ، وأحمد في المسند، وغيرهم في غيرها - واللفظ للأول - قال :

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة في
(العسر واليسر) والمنشط والمكره . وأن لا ننازع الأمر أهله
وعبادته هذا كان أحد النقباء الاثني عشر على الأنصار يوم بيعة العقبة
الكبرى^١ حين قال النبي (ص) للنيف والسبعين من الأنصار الذين بايعوه:
أخرجوا إليّ اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم . فأخرجوا من بينهم
اثني عشر نقيباً، فقال رسول الله (ص) للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم
كفلاء، ككفالة الخواريث لعيسى بن مريم (ع)^٢
إن عبادة بن الصّامت أحد أولئك النقباء الاثني عشر روى من بنود البيعة
التي بايعوا الرسول عليها: « أن لا ينازعوا الأمر أهله » .

* * *

وإنما أراد رسول الله (ص) من (الأمر) الوارد في هذا الحديث
الصحيح ، والذي يذكر فيه أخذ البيعة من اثنين وسبعين رجلاً وامرأتين من
الأنصار أن لا ينازعوا الأمر أهله ، هو الأمر الذي تنازعوا عليه في سقيفة
بني ساعدة^٣ ، وأهل الأمر هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله : ﴿ أطيعوا الله

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، ح ١، ١٦٣/٤ . ولفظ
العسر واليسر في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية
وتحريمها في المعصية، ح ٤١ و ٤٢ . وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة على أن لا ننازع
الأمر أهله . وسنن أبين ماجة، كتاب الجهاد، باب البيعة ح ٢٨٦٦ . وموطأ مالك، كتاب الجهاد،
باب الترغيب في الجهاد، ح ٥ . ومسنند أحمد ٣١٤/٥ و ٣١٦ و ٣١٩ و ٣٢١، وراجع ٤١١/٤
منه .

وترجمة عبادة بسير أعلام النبلاء ٣/٢ . وتهذيب أبين عساكر ٢٠٧/٧ - ٢١٩ .

(٢) بترجمة عبادة في الاستيعاب ٢/٤١٢ . وأسد الغابة ٣/١٠٦ - ٨١٠٧ .

(٣) الطبري، ط . أوروبا ١/١٢٢١ .

(٤) راجع نزاع الأنصار القبلي مع المهاجرين في فصل السقيفة وبيعة أبي بكر، بأول الكتاب .

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴿

وإن رسول الله (ص) وإن لم يشخص هنا وليّ الأمر من بعده، لأنّه لم يكن من الحكمة أن يعرف وليّ الأمر من بعده وهو من غير قبيلة الأنصار، ولعلّ نفوس بعض المبايعين لم تكن تتحمّل ذلك يومئذ، غير أنه أخذ البيعة منهم أن لا ينازعوه حين يعيّنه لهم بعد ذلك.

وقد عيّن الرسول (ص) وليّ الأمر من بعده وشخص وصيّته وخليفته في مجتمع أصغر من هذا المجتمع، وذلك في أول يوم دعا الأقربين إليه للإسلام، كما رواه جمع من أهل الحديث والسير مثل: الطبري، وابن عساكر، وابن الأثير، وابن كثير، والمتقي، وغيرهم - واللفظ للأول - قال: عن عليّ بن أبي طالب (ع) قال:

لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص): ﴿ وأنذر عشيرتک الأقربين ﴾ الشعراء/ ٢١٤. دعاني رسول الله (ص) فقال لي:

يا عليّ، إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنّي متى أباديهم بهذا الأمر، أرى ما أكره، فصمت عليه، حتّى جاءني جبرئيل فقال: يا محمّد إن لا تفعل ما تؤمر به يعدّ بك ربك. فأصنع لنا صاعاً من طعام، وأجعل عليه رجل شاة، وأملاً لنا عساً من لبن، ثمّ أجمع لي بني عبد المطلب حتّى أكلّمهم وأبلغهم ما أمرت به.

٥) النساء/ ٥٩. ويأتي تفسيرها والأحاديث الواردة عن رسول الله (ص) حوله في بحوث الكتاب إن شاء الله تعالى.

٦) تاريخ الطبري ط. أوربا ١١٧١/٣ - ١١٧٢. وابن عساكر تحقيق المحمودي ج ١ من ترجمة الإمام. وتاريخ ابن الأثير ٢/ ٢٢٢. وشرح ابن أبي الحديد ٣/ ٢٦٣. وفي تاريخ ابن كثير ٣/ ٣٩، وقد حذف الألفاظ وقال: كذا وكذا. وكنز العمال للمتقي، ١٥/ ١٠٠ و ١١٥ و ١١٦ منه، وفي ص ١٣٠: يكون أخي وصاحبي ووليكم بعدي. والسيرة الحلبية نشر المكتبة الإسلامية ببيروت ١/ ٢٨٥.

ففعلت ما أمرني به ، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعبّاس ، وأبو لهب . فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم ، فجلست به . فلما وضعت تناول رسول الله (ص) حذية (أي : قطعة) من اللحم فشَقَّها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصحفة ، ثم قال : خذوا بسم الله . فأكل القوم حتّى ما لهم بشيء من حاجة ، وما أرى إلّا موضع أيديهم . وإيم الله الذي نفس عليّ بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم . ثم قال : لِمَ سَقِ القوم . فجلستهم بذاك العسّ ، فشربوا منه حتّى رَوّوا منه جميعاً ، وإيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله (ص) أن يكلمهم ، بدره أبو لهب إلى الكلام فقال : لشدّ ما سحركم صاحبكم . فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله (ص) فقال الغد : يا عليّ إنّ هذا الرجل سبق إلى ما قد سمعت من القول ، فتفرّق القوم قبل أن أكلمهم ، فعذّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ، ثم أجمعهم إليّ .

قال : ففعلت ، ثم جمعتهم ، ثم دعاني بالطعام ، فقرّبتهم لهم ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتّى ما لهم بشيء حاجة ، ثم قال : لِمَ سَقَيتهم . فجلستهم بذاك العسّ ، فشربوا حتّى رَوّوا منه جميعاً . ثم تكلم رسول الله (ص) فقال : يا بني عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به . إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه . فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتي فيكم ؟

قال : فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت - وإني لأحدثهم سنّاً ، وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً - : أنا يا نبيّ الله أكون

وزيرك عليه . فأخذ برقبتي ، ثم قال : إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فآسمعوا له وأطيعوا . قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

* * *

كانت هذه الدعوة في السنة الثالثة من البعثة ، وهي أول مرة أظهر فيها الرسول (ص) الدعوة إلى الإسلام ، وشخص فيها الإمام من بعده وعرفه للأقربين إليه . وإنما فعل ذلك هنا ، ولم يفعله بعدها بعشر سنوات ويوم أخذ البيعة من الأنصار لإقامة المجتمع الإسلامي ، لأن الإمام كان من غير قبائل الأنصار وكان بناء المجتمع عندهم على أساس قبلي ، ولم يكن من الحكمة أن يأخذ البيعة منهم لمن يلي الأمر بعده وهو ليس من قبائل الأنصار ، فأكتفى في ذلك المقام بأخذ البيعة منهم أن لا ينازعوه في الأمر .

وفي هذه المرة شخصه للأقربين إليه في محاورة شبيهة بمشاورة أصحابه في غزوة بدر ، فإنه مع علمه في غزوة بدر بعاقبة الأمر ، كما أخبر بها أصحابه بعد الانتهاء من المشاورة وأراهم مصارع المشركين ، مع ذلك استشارهم أول الأمر في ما يفعل ، وكذلك فعل هنا ، فإنه مع علمه بالعاقبة وأن الذي يقبل مؤازرته هو الإمام عليّ ، مع ذلك علّق تعيين الوزير والوصي والخليفة من بعده على قبول المؤازرة في التبليغ ولتقدّم بالقبول أيهم شاء ، ولما أبى كلهم ذلك ، وبادر بالقبول ابن عمه عليّ ، أخذ برقبته وقال فيه ما مرّ وأمرهم بطاعته .

* * *

رأينا في ما مرّ بنا إلى هنا اهتمام الرسول (ص) بأمر الإمامة من بعده : يشخصه في مكان ، ويأخذ البيعة أن لا ينازعوه في مكان آخر ، ويقابل طمع الطامعين بالرفض في غيرهما .

ومن أجل أن ندرك مدى اهتمام الرسول (ص) بأمر من يستخلفه من

بعده، ندرس في ما يأتي ما كان يعمل (ص) عندما يغيب عن المدينة أياماً معدودات في الغزوات، وكيف كان يعين خليفة عليهم من بعده.

باب ذكر من استخلف الرسول (ص) على المدينة في غزواته

في السنة الثانية من الهجرة:

أذن لرسول الله (ص) بالقتال في صفر من السنة الثانية، فغزا بالمهاجرين يعترض عيراً لقريش فبلغ ودان والأبواء^٧.

أولاً: استخلف سعد بن عبادَة سيّد الخزرج من الأنصار خمس عشرة ليلة، مدة غيبته عن المدينة.

ثانياً: استخلف في غزوة بواط^٨ سعد بن معاذ من سادة الأوس من الأنصار في ربيع الأول.

ثالثاً: استخلف مولاة زيد بن حارثة في غزوته لطلب كرز بن جابر الفهري - وكان أغار على سرح المدينة - فبلغ (ص) سفوان وفاته كرز والسرح^٩.

رابعاً: استخلف أبا سلمة المخزومي في غزوة ذي العشرة، حين ذهب في جمادى الأولى أو الثانية يعترض عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام، ففاته، وكان

(٧) الأبواء: قرية من أعمال فراض على بعد ٢٣ ميلاً من المدينة، فيها قبر آمنَة أم النبي (ص).
ودان: قرية على مرحلة من الجحفة بينها وبين الأبواء ستة أميال. معجم البلدان.

(٨) بواط: من جبال جهينة من طريق الشام، وبين بواط والمدينة ثمانية برد، وبرد: جمع البريد ويبلغ البريد اثني عشر ميلاً. في معجم البلدان بهادة بواط.

يبدو جلياً مراعاة رسول الله (ص) في الغزوتين الأوليين مشاعر الأنصار القبلية حين استخلف في الأولى سيّد الخزرج وفي الثانية سيّداً من الأوس.

(٩) كانت هذه الغزوة أيضاً في ربيع الأول وبعد بواط. وسفوان: وادٍ بناحية بدر.

كرز بن جابر بن حسل الفهري: قتل يوم الفتح مع رسول الله (ص). راجع جمهرة أنساب العرب لابن حزم في ذكر نسب بني محارب بن فهر، وبترجمته من الإصابة.

القتال بدر في رجوعها من الشام^{١٠}.

خامساً: استخلف ابن أم مكتوم الضرير في غزوة بدر الكبرى، وغاب عن المدينة تسعة عشر يوماً^{١١}.

سادساً: استخلف أبا لبابة الأنصاري الأوسي في غزوة بني قينقاع^{١٢}.
سابعاً: استخلف أيضاً أبا لبابة في غزوة السوق، وكان خروجه (ص) في طلب أبي سفيان حين أقبل في مائتي راكب ليبرّ بنذره أن لا يمسّ الطيب والنساء حتى يثأر لأهل بدر، وآنهوا إلى العريض قبلهم خروج النبي (ص) فجعلوا يلقون جرب السوق تخففاً، فسُميت غزوة السوق^{١٣}.

في السنة الثالثة :

ثامناً: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة قَرقرَةَ الكُدَر، وسار (ص) للنصف من المحرم يريد سليم وغطفان - قبيلتين من قيس عيلان - فأنجفوا، وغنم من أموالهم، ورجع ولم يلق كيداً^{١٤}.

(١٠) ذو العشرة كما في التنبيه، بناحية ينبع يبعد عن المدينة تسعة برد.
وأبوسلمة: عبد الله بن عبد الأسد، أمه برة عمة الرسول (ص) وابنة عبد المطلب. هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة. حضر بدرأً وخرج في أحد ومات منه في جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة. راجع ترجمته في أسد الغابة.
(١١) خرج الرسول (ص) من المدينة لثلاث خلون من شهر رمضان ووقع القتال يوم الجمعة السابع عشر منه.

(١٢) قال أهل السيرة: لما قدم اليهود المدينة نزلوا السافلة منها، فاستوخموها فأتوا العالية فنزل بنو النضير بطحان ونزلت بنو قريظة مهزوراً - وهما واديان يهبطان من حرة هناك - فأتخذ بنو النضير الحداثئ والأطام وأقاموا فيها، وأقاموا بها إلى أن غزاهم النبي (ص) وأخرجهم منها. راجع مادة: (بطحان) و(مهزور) من معجم البلدان.
وأبو لبابة: بشير أو رفاعه بن عبد المنذر، اشتهر بكنيته، أحد النقباء في بيعة العقبة، راجع ترجمة بشير ورفاعة وأبي لبابة في أسد الغابة.

(١٣) العريض: وادي المدينة. معجم البلدان، مادة: (عريض).
(١٤) قرقرة الكدر: ناحية معدن بني سليم ممّا يلي حارة العراق إلى مكة وهي على بعد ثمانية أيام

تاسعاً: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة فَرَّان، وغاب عن المدينة عشرة أيام من جمادى الآخرة، ففترقوا ولم يلق كيداً^{١٥}.

عاشراً: استخلف عثمان بن عفَّان في غزوة ذي أمر بنجد، سار (ص) يريد غطفان، فأنجفلوا من بين يديه ولم يلق كيداً، وغاب فيها عن المدينة عشرة أيام.

حادي عشر: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة أحد، وقاتل المشركين في سفح جبل أحد - على بعد ميل من المدينة - غاب فيها عن المدينة يوماً واحداً. ثاني عشر: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة حمراء الأسد - على بعد عشرة أميال من المدينة - سار في طلب أبي سفيان حين بلغه أنه يريد الكَرَّ على المدينة، ففاته أبو سفيان ومن معه، فأقام فيها ثلاثة أيام، ثم عاد إلى المدينة.

في السنة الرابعة:

ثالث عشر: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة بني النضير بناحية الغرس، حصرهم خمسة عشر يوماً، ثم أجلاهم عنها^{١٦}.

رابع عشر: استخلف عبد الله بن رواحة الأنصاري في غزوة بدر الثالثة ستة عشر يوماً، وأقام فيها ثمانية أيام لموعد أبي سفيان إتيانهم في أحد أنه سيقاتلهم العام القادم في بدر، وخرج أبو سفيان من مكة إلى عسفان، ثم عاد منها إلى مكة^{١٧}.



من المدينة. معجم البلدان، مادة: (قرقرة). سار إليها النبي في النصف من المحرم. (١٥) فَرَّان: معدن بني سليم بناحية الفرع من المجاز. معجم البلدان ولسان العرب، مادة: (فَرَّان).

(١٦) كانت منازل بني النضير من اليهود ببئر غرس بقبا وما والاها، وقبا: قرية على ميلين من المدينة، وأصله أسم بئر هناك عرفت القرية به. معجم البلدان، مادة: (غرس) و(قبا).

(١٧) عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي: كان نقيب بني الحارث في بيعة العقبة. شهد المشاهد مع رسول الله (ص) وكان أحد الأمراء الثلاثة الذين استشهدوا في مؤتة. ترجمته في

في السنة الخامسة :

خامس عشر: استخلف في غزوة ذات الرقاع عثمان بن عفان خمس عشرة ليلة وخرج لعشر خلون من المحرم، فأجفلت العرب من بين يديه ولحقوا برؤوس الجبال وبطون الأودية^{١٨}.

سادس عشر: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة دومة الجندل حين سار إلى أكيدر بن عبد الملك النصراني - وكان يعترض سفر المدينة وتجارته - فهرب وتفرق أهلها، فلم يجد بها أحداً، فأقام أياماً وعاد إلى المدينة وهي أول غزواته إلى الروم^{١٩}.

سابع عشر: استخلف مولاة زيد بن حارثة في غزوة بني المصطلق على ماء المُرَيْسِيع ثمانية عشر يوماً، خرج فيها لليلتين خلتا من شعبان^{٢٠}.

ثامن عشر: استخلف في غزوة الخندق ابن أم مكتوم، وهو يقاتل الأحزاب دون الخندق من داخل المدينة في شهر شوال أو ذي القعدة.

تاسع عشر: استخلف أبا رهم الغفاري في غزوة بني قريظة، وهم على بعض يوم من المدينة، حصرهم خمسة عشر يوماً أو أكثر، بدأهم بسبع بقين من ذي القعدة^{٢١}.

الاستيعاب وأسد الغابة.

(١٨) ذات الرقاع: جبل قريب من النخيل ممّا يلي السعد والشقرة مختلفة ألوانه فيه بقع حمراء وسود وبيض. راجع ترجمة الغزوة من التنبيه والإشراف للمسعودي.

(١٩) دومة الجندل: كانت حصناً مبنياً بالجندل في متسع من الأرض خمسة فراسخ، وهي على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسول (ص) خمس عشرة ليلة. راجع مادة: (دومة) بمعجم البلدان و ترجمة الغزوة في التنبيه والإشراف للمسعودي، ذكر السنة الخامسة.

(٢٠) ماء المريسيع: على طريق الفرع والفرع ثمانية برد من المدينة.

(٢١) أبو رهم؛ كلثوم بن الحصين: أسلم بعد قدوم النبي (ص) المدينة، شهد أحداً فرمي بسهم في نحره فبصق عليه النبي (ص) فبرأ. انظر ترجمته في أسد الغابة.

في السنة السادسة :

عشرين : إستخلف في غزوة بني لحيان من هذيل ، بالقرب من عسفان ، ابن أم مكتوم ، أربع عشرة ليلة ورجع ولم يلق كيداً^{٢٢} .
 حادي وعشرين : إستخلف ابن أم مكتوم ، خمس ليال في غزوة ذي قرد ، على ليلتين من المدينة^{٢٣} .
 ثاني وعشرين : إستخلف ابن أم مكتوم في غزوة الحديبية^{٢٤} .

في السنة السابعة :

ثالث وعشرين : إستخلف سباع بن عرفة في غزوة خيبر ، وهي على بعد ثمانية برد من المدينة ، وبعد فتح قلاعها عنوة و صلحاً سار إلى وادي القرى فحصرهم أياماً حتى أفتتحها عنوة ، ثم صالح أهل تيماء وهي على ثمانية مراحل من الشام ، ووادي القرى بينها وبين المدينة^{٢٥} .
 رابع وعشرين : وأستخلف أيضاً سباع بن عرفة في عمرة القضاء^{٢٦} .

في السنة الثامنة :

(٢٢) بولحيان ، نسبهم في جمهرة أنساب ابن حزم ط . مصر سنة ١٣٨٢ ، ص ١٩٦ - ١٩٨ .
 وعسفان بين مكة والمدينة ، اختلفوا في تعيين موضعه . معجم البلدان ، مادة : (عسفان) .
 (٢٣) ذي قرد : من طريق خيبر ، وكان عيينة بن حصن الفزاري أغار على لقاحه وهو بالغابة وهي على بريد من المدينة أو أكثر . فخرج (ص) يوم الأربعاء لثلاث أو لأربع خلون من شهر ربيع الأول فاستنقذ بعضها وعاد إلى المدينة . التنبيه والإشراف ، ذكر السنة السادسة .
 (٢٤) حرج الرسول (ص) يوم الاثنين هلال ذي القعدة للعمرة فصده المشركون عن دخول مكة ، فأقام بالحديبية على تسعة أميال من مكة ، ثم وقع الصلح بين الرسول وقريش على أن يعتمر في السنة القادمة .
 (٢٥) ساع بن عرفة الغفاري . استعمله النبي على المدينة لئلا سار إلى خيبر وتيماء . ترجمته بأسد الغابة .
 (٢٦) سار النبي (ص) لست ليال خلون من ذي القعدة .

خامس وعشرين : استخلف على المدينة أبا رهم الغفاري في غزوة مكة .

سادس وعشرين : سار بعد غزوة مكة إلى هوازن لغزو حنين ، وحين واد إلى جانب ذي المجاز يبعد ثلاث ليال عن مكة ، وبقي - أيضاً - أبورهم والياً على المدينة في هذه الغزوة .

سابع وعشرين : وأستخلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك - على بعد تسعين فرسخاً من المدينة - .

وهي آخر غزواته ، وكانت غزواته ثمانية وعشرين غزوة إن أعتبرنا خير وادي القرى غزوتين ، وإلا فهي سبع وعشرون غزوة .

* * *

رجعنا في ذكر أسماء من أستخلفهم رسول الله (ص) على المدينة في غيابه عنها إلى التنبيه والإشراف للمسعودي في ذكره التاريخ من السنة الثانية إلى السنة الثامنة من الهجرة ، وقد يختلف في ذكر أسماء من ولّاه رسول الله (ص) على المدينة مع غيره أحياناً . أما ما ذكره في أستخلاف الإمام عليّ على المدينة في غزوة تبوك فقد قال ذلك - أيضاً - إمام الحنابلة في مسنده في ما رواه عن سعد بن أبي وقاص ؛ قال :

إن رسول الله (ص) حين خرج في غزوة تبوك أستخلف عليها علياً (رض) على المدينة ، فقال عليّ : يا رسول الله ما كنت أحب أن تخرج وجهاً إلا وأنا معك . فقال : أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^{٢٧} .

ويؤيد ذلك أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب

غزوة تبوك حيث روى عن سعد بن أبي وقاص أيضاً أنه قال :
 إنّ رسول الله (ص) خرج إلى تبوك وأستخلف عليّاً فقال : أتخلفني في
 الصّبيان والنساء ؟ قال : ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا
 أنّه ليس نبيّ بعدي^{٢٨}.

وما رواه مسلم - أيضاً - في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص أنّه قال :
 سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه فقال له
 عليّ : يا رسول الله خلّفني مع الصّبيان والنساء ؟ فقال له رسول
 الله (ص) : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبوة
 بعدي^{٢٩}.

* * *

هكذا لم يغيب الرسول (ص) في غزواته عن المدينة أيّاماً معدودات دون
 أن يستخلف عليهم من يرجعون إليه مدّة غيابه عن المدينة ، بل إنّّه لم يغيب يوماً
 عن المدينة أو بعض يوم دون أن يستخلف عليهم من يرجعون إليه ، كما كان
 الشأن في غزوة أحد ، وكان جبل أحد على بعد ميل من المدينة ، فإنّه (ص) قد
 عيّن خليفته عليهم مدّة غيابه عنهم ، بل وفي غزوة الخندق أيضاً حيث كان
 يقاتل في المدينة وأستقرّ دون الخندق ، عيّن لأهل المدينة المرجع لانشغاله عنهم
 في الحرب .

(٢٨) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب غزوة تبوك ٥٨/٣ .

(٢٩) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عليّ بن أبي طالب ، ح ٣٢ ، وراجع
 أيضاً مسند أبي داود الطيالسي ٢٩/١ . وحلية الأولياء لأبي نعيم ١٩٥/٧ و ١٩٦ . ومسند
 أحمد ١٧٣/١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٣٣٠ و ١٥٣/٤ . وتاريخ بغداد للخطيب ١١/٤٣٢ .
 وخصائص النسائي ص ٨ و ١٦ . وطبقات آبن سعد ٣/١٥١ .

إذا كان هذا دأب الرسول (ص) في غيابه عن المدينة بعض يوم،
كذلك في حال أنشغاله عنهم بالحرب داخل المدينة، فماذا فعل لأُمَّته من بعده
هو يتركهم أبد الدهر؟ هل تركهم هملاً، ولم يعيّن لهم المرجع من بعده؟
ماذا ما سندرسه في ما يأتي من فصول هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين وليّ الأمر من بعده

نبدأ هذا الباب بذكر ما فعله الأنبياء في تعيين الوصيّ ووليّ الأمر لأمتهم
من بعدهم .

الوصيّة في الأمم السّابقة

قد سلسل المسعودي^١ اتّصال الحجج وأوصياء الأنبياء من لدن آدم حتّى
خاتم النبيين - صلوات الله عليهم أجمعين - وأوصيائه ، فقد ذكر - مثلاً - :
أنّ وصيّ آدم كان هبة الله وهو شيث بالعبرانية .
وأنّ وصيّ إبراهيم كان إسماعيل (ع) .

(١) إثبات الوصية ، للمسعودي ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ص : ٥ - ٧٠ .
والمسعودي هو : أبو الحسن ، علي بن الحسين المسعودي ، ينتهي نسبه إلى الصحابي
عبد الله بن مسعود . توفي سنة ٣٤٦ هـ . وفي ترجمته بطبقات الشافعية ٣٠٧/٢ : قيل كان معتزلي
العقيدة . وأشار إلى هذا الكتاب الكتبي في فوات الوفيات ٢/٤٥ ، وياقوت الحموي في معجم
الأدباء ٩٤/١٣ وقال : له كتاب البيان في أسماء الأئمة ، وفي الميزان ، لابن حجر ٢٢٤/٤ : له
كتاب تعيين الخليفة . وسماه في الذريعة وغيرها : (إثبات الوصية) .

وَأَنَّ وَصِيَّ يَعْقُوبَ كَانَ يُوسُفَ (ع).
وَأَنَّ وَصِيَّ مُوسَى كَانَ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ بَنِ إِفْرَائِيمَ بْنِ يُوسُفَ (ع)
وَخَرَجَتْ عَلَيْهِ صَفُورًا زَوْجَةً مُوسَى (ع).
وَأَنَّ وَصِيَّ عِيسَى كَانَ شَمْعُونُ (ع).
وَأَنَّ وَصِيَّ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ (ص) كَانَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ
الْأَحَدَ عَشَرَ مِنْ وَلَدِهِ (ع).
وَنَحْنُ نَقْتَصِرُ هُنَا عَلَى ذِكْرِ خَبَرِ ثَلَاثَةِ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ آنِفًا:

أ - خَبَرُ وَصِيَّةِ آدَمَ لِشِيثَ:

قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ فِي خَبَرِ وَصِيَّةِ آدَمَ لِشِيثَ:
لَمَّا حَضَرَ آدَمَ الْوَفَاةَ . . . جَعَلَ وَصِيَّتَهُ إِلَى شِيثَ.
وَقَالَ الطَّبْرِيُّ:
هَبَةُ اللَّهِ؛ وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ: شِيثَ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى آدَمُ . . . وَكُتِبَ وَصِيَّتَهُ،
وَكَانَ شِيثَ فِي مَا ذَكَرَ وَصِيَّ أَبِيهِ آدَمَ (ع).
وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ فِي خَبَرِ وَصِيَّةِ آدَمَ لِشِيثَ ثُمَّ وَفَاتَهُ:
ثُمَّ إِنَّ آدَمَ حِينَ أَدَّى الْوَصِيَّةَ إِلَى شِيثَ، احْتَقَبَهَا وَاحْتَفَظَ بِمَكُونِهَا،
وَأَتَتْ وَفَاةَ آدَمَ . . .
وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ:
وَتَفْسِيرُ شِيثَ: هَبَةُ اللَّهِ، وَهُوَ وَصِيَّ آدَمَ، وَلَمَّا حَضَرَتْ آدَمَ الْوَفَاةَ عَهْدَ
إِلَى شِيثَ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ:

ذَكَرَ وَفَاةَ آدَمَ وَوَصِيَّتَهُ إِلَى ابْنِهِ شِيثَ (ع):
وَمَعْنَى شِيثَ: هَبَةُ اللَّهِ . . . وَلَمَّا حَضَرَتْ آدَمَ الْوَفَاةَ عَهْدَ إِلَى ابْنِهِ

شيث

ب - خبر يوشع بن نون وصي موسى

أولاً : يوشع بن نون في التوراة :

ورد في مادة يوشع من قاموس الكتاب المقدس نقلاً عن التوراة : أن يوشع بن نون كان مع موسى في جبل سينا ولم يتلوث بعبادة العجل على عهد هارون .

وفي آخر الإصحاح السابع والعشرين من سفر العدد^٢ ورد خبر تعيينه من قبل الله وصياً لموسى كالنص الآتي :

فَكَتَرَ مُوسَى الرَّبَّ قَائِلاً : "يُورِثُكَ الرَّبُّ إِلَهَ
 ١٧ أَرْحَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ رَجُلًا عَلَى الْجَمَاعَةِ " يَخْرُجُ أَمَامَهُمْ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ
 ١٨ وَيَدْخُلُهُمْ لِكَيْ لَا تَكُونَ جَمَاعَةُ الرَّبِّ كَالْفَنَمِ الَّتِي لَا رَاحِي لَهَا . " فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى
 ١٩ خُذْ يَشُوعَ ابْنَ نُونٍ رَجُلًا فِيهِ رُوحٌ وَضَعْتُ يَدَكَ عَلَيْهِ " وَأَوْفَقَهُ فَعَلَّمَ الْكَاهِنِينَ
 ٢٠ وَقَدَّمَ كُلَّ الْجَمَاعَةِ وَأَوْصَاهُ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ : " وَاجْعَلْ مِنْ مِثْلِكَ عَلَيْهِ لِكَيْ يَسْمَعَ لَهُ كُلُّ
 ٢١ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . " فَيَقِفَ أَمَامَ الْإِيعَازَارِ الْكَاهِنِ فَيَسْأَلُ لَهُ يَنْفَاسَ الْأَوْرَمِ أَمَامَ
 ٢٢ الرَّبِّ . حَسَبَ قَوْلِهِ يَخْرُجُونَ وَحَسَبَ قَوْلِهِ يَدْخُلُونَ هُوَ وَكُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ كُلُّ
 ٢٣ الْجَمَاعَةِ . " فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ . أَخَذَ يَشُوعَ وَأَوْفَقَهُ فَعَلَّمَ الْإِيعَازَارَ الْكَاهِنَ
 ٢٤ وَقَدَّمَ كُلَّ الْجَمَاعَةِ " وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَأَوْصَاهُ كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَى . . .

وورد خبر قيامه بأمر بني إسرائيل وحروبه في ثلاثة وعشرين إصحاحاً من سفر يوشع بن نون .

ثانياً : في القرآن الكريم

٢٢ التوراة من الكتاب المقدس ، بيروت ، المطبعة الأمريكية سنة : ١٩٠٧ م .

في القرآن الكريم؛ عُرِّبَ يوشع بـ (اليسع) في سورة الأنعام،
الآية: ٨٦ وسورة ص، الآية: ٤٨ .

ثالثاً: في مصادر الدراسات الإسلامية .

في تاريخ يعقوبي ١/٤٦:
وكان موسى لما حضرته وفاته أمره الله عز وجل أن يدخل يوشع بن نون
إلى قبة الرُّمَّان فيقْدَس عليه، ويضع يده على جسده لتتحول فيه بركته،
ويوصيه أن يقوم بعده في بني إسرائيل .

وجه الشَّبه بين وصيّ خاتم الأنبياء وصيّ موسى (ع)
إنَّ يوسع بن نون كان مع موسى في جبل سينا ولم يعبد العجل . وأمر
الله نبيّه موسى أن يعيِّنه وصيّاً من بعده لثلاث تكون جماعة الربّ كالغنم بلا راع .
وكان الإمام عليّ مع النبيّ في غار حراء ولم يعبد صنماً قطّ وأمر الله
نبيّه في رجوعه من حجة الوداع أن يعيِّنه أمام الحجيج قائداً للأمة من بعده،
ولا يترك أمته هملأ؛ وقد صدع بذلك رسول الله (ص) في غدير خم وعيَّنه
وليّاً للعهد من بعده كما سنذكره في ما يأتي، وصدق رسول الله (ص) حيث
قال:

« لِيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذُو النَعْلِ بِالنَعْلِ . . . »
وقد أوردنا مصادره في أول الجزء الثاني من (خمسون ومائة صحابيّ
مختلق) .

ج - خبر شمعون وصيّ عيسى

أولاً: شمعون في الانجيل .

ورد في قاموس الكتاب المقدّس ذكر عشرة أشخاص بهذا الاسم،

منهم : شمعون بطرس وشمعون اسمه في التوراة سمعون ، وقد ورد خبره في إنجيل متى، الإصحاح العاشر كالآتي :

« ثم دعا - يعني عيسى - تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف . وهذه أسماء الاثني عشر رسولاً : الأول سمعان الذي يقال له بطرس . . . » .

وفي إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢١ العدد : ١٥ - ١٨ أن عيسى أوصى إليه وقال له : « ارفع غنمي » كناية عن رعاية من آمن به .

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أيضاً :

« عَيْنُه المسيح لهداية الكنيسة » .

ثانياً : شمعون في مصادر الدراسات الإسلامية :

ذكر خبره اليعقوبي وسمّاه : سمعان الصفا .

وقال المسعودي في ١/٣٤٣ :

قتل برومية بطرس وأسمه باليونانية : شمعون والعرب تسمّيه :

سمعان .

وفي مادة : دير سمعان من معجم البلدان :

« دير سمعان : بنواحي دمشق ، وسمعان هذا الذي ينسب إليه الدير

أحد أكابر النصارى، ويقولون إنه شمعون الصفا » .

* * *

أوردنا نتفاً من أخبار هؤلاء الأوصياء الثلاثة كمثال لأخبار بقيّة أوصياء

الأنبياء في الأمم السابقة .

ولم يكن خاتم الأنبياء بدعاً من الرسل ليترك أمته دون تعيين وليّ الأمر

من بعده، وهو الذي لم يغب عن المدينة - المجتمع الإسلامي الصغير - في

غزواته ولا ساعة من نهار دون أن يستخلف عليها أحداً. كلاً لم يترك خاتم الأنبياء والمرسلين المجتمعات الإسلامية للأبد دون أن يعيّن أولي الأمر من بعده، بل عيّنهم بألفاظ مختلفة وفي أماكن متعدّدة؛ منها ما خصّ بالذكر الإمام من بعده ومنها ما ذكر فيها جميع الأئمة.

ومما خصّ بالذكر الإمام عليّ بن أبي طالب وحده؛ الأحاديث الآتية:

وصي الرسول (ص) ووزيره وولي عهده وخليفته من بعده

الوصي في أحاديث الرسول (ص)

أوردنا في أول الباب قصّة إنذار بني هاشم وأن رسول الله (ص) قال لعليّ بن أبي طالب (ع) بمحضر من رجال بني هاشم في ذلك اليوم: «إنّ هذا أخي ووصيّتي وخليفتي فيكم فأسمعوا له وأطيعوا». وبهذا القول عيّن الرسول (ص) وصيّته وخليفته فيهم وأمرهم بإطاعته، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ الحشر/٧.

وروى الطبراني عن سلمان، قال: قلت: يا رسول الله، إنّ لكلّ نبيّ وصيّاً فمن وصيّك؟ فسكت عني، فلمّا كان بعد رأيي فقال: يا سلمان. فأسرعت إليه، قلت: لبيك. قال: تَعْلَمُ من وصيّ موسى؟ قال: نعم، يوشع بن نون. قال: لم؟ قلت: لأنّه كان أعلمهم يومئذ. قال: «فإنّ وصيّتي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب»^٣.

(٣) رواه الهيثمي عن الطبراني في المعجم الكبير ٢٢١/٦. ومجمع الزوائد ١١٣/٩، ورواه سبط ابن الجوزي في كتاب تذكرة خواص الأئمة باب حديث النجوى عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل وهذا لفظه:

وعن أبي أيوب أن رسول الله (ص) قال لابنته فاطمة :
 «أما علمت أن الله عز وجل أطلع على أهل الأرض فأختار منهم أباك فبعثه
 نبياً، ثم أطلع الثانية فأختار بعلك فأوحى إلي فأنكحته واتخذته وصياً»^١.
 وعن أبي سعيد أن رسول الله (ص) قال :
 « إن وصيي وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي
 ويقضي ديني علي بن أبي طالب »^٢.
 وعن أنس بن مالك أن الرسول توضأ وصلى ركعتين وقال له :
 « أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين،
 ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين . . . » فجاء علي (ع) فقال (ص) : من

قال أنس :

قلنا لسلمان : سئل رسول الله (ص) من وصيك ؟ فسأل سلمان رسول الله (ص)، فقال : من كان
 وصي موسى بن عمران ؟ فقال : يوشع بن نون. قال : إن وصيي ووارثي ومنجز وعدي، علي بن أبي
 طالب. وراجع الرياض النضرة للمحب الطهراني، ١٧٨/٢٦.

١) مجمع الزوائد للهيتمي ٢٥٣/٨، وفي ١٦٥/٩ منه عن علي بن علي الهلالي : ووصيي
 خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك - الحديث. ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد
 ٣١/٥. وكنز العمال، كتاب الفضائل، الفصل الثاني، فضائل علي بن أبي طالب، ح ١١٦٣،
 ٢٠٢/١٢.

وفي موسوعة أطراف الحديث عن المعجم الكبير للطبراني ٢٠٥/٤. وجمع الجوامع للسيوطي،
 رقم الحديث : ٢٢٦١.

وأبو أيوب الأنصاري : اسمه خالد بن زيد الخزرجي . شهد بيعة العقبة وجميع مشاهد رسول
 الله (ص) وشهد مع الإمام علي الجمل وصفين ونهروان. وتوفي عند مدينة القسطنطينية سنة
 خمسين أو إحدى وخمسين. أسد الغابة ١٣٣/٥.

٢) كنز العمال، كتاب الفضائل، الفصل الثاني، فضائل علي بن أبي طالب، ح ١١٩٢،
 الثانية ٢٠٩/١٢.

وفي أطراف الحديث عن كنز العمال، الحديث ٣٢٩٥٢. والطبراني ٢٧١/٦.
 وأبو سعيد الخدري : سعد بن مالك الخزرجي، كان من الحفاظ لحديث رسول الله (ص)
 (ت : ٥٤ هـ). أسد الغابة ٢١١/٥.

جاء يا أنس ؟ فقلت : عليّ . فقام إليه مستبشراً فأعنته - الحديث^٦ .
وعن الصحابي بريدة قال : قال النبي :

« لَكُمْ نَبِيٌّ وَصِيٌّ وَوَارِثٌ ، وَإِنَّ عَلِيّاً وَصِيّاً وَوَارِثِي »^٧ .

وفي المحاسن والمساوي للبيهقي ، ما موجه : إِنَّ جبرائيل جاء بهدية من
الله ليهديها الرسول (ص) إلى ابن عمّه ووصيّه علي بن أبي
طالب - الحديث^٨ .

كان هذا ما وجدناه في الوصية في أحاديث الرسول (ص) .

الوصية في كتب الأئمة السابقة

روى نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين والخطيب في تاريخ بغداد
واللفظ للأول :

إِنَّ الإمام عليّاً في مسيره إلى صفين عطش جيشه في صحراء ، فأنطلق
بهم حتّى أتى بهم على صخرة ، فأعانهم حتّى أقتلعوها وشرب الجيش حتّى
أرتووا ، وكان بالقرب منهم دير ، فلما أطلع صاحب الدير على هذا الأمر قال :
ما بُني هذا الدير إلا بذلك الماء وما أستخرجه إلا نبيّ أو وصي نبيّ^٩ .

(٦) حلية الأولياء ٦٣/١ . وتاريخ ابن عساكر ٤٨٦/٢ . وشرح نهج البلاغة ، ط
الأولى ٢٥٠/١ . وفي موسوعة أطراف الحديث عن اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢٦١/٧ .
وأنس بن مالك : أبو ثامة الخزرجي ، روى عنه البخاري ومسلم ٢٢٨٦ حديثاً . اختلف في
سنة وفاته من ٩٠ - ٩٣ هـ . الاستيعاب . وأسد الغابة . ومرت ترجمته في ص ١٣٤ .
(٧) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/٣ . والرياض النضرة ١٧٨/٢ عن بريدة وهو :
أبو عبد الله بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي ؛ قدم المدينة بعد أحد فشهد مع رسول
الله (ص) مشاهدته وتحول بعده إلى البصرة وآبى بها داراً . ثم خرج غازياً إلى خراسان فأقام
بمرو وتوفي بها . أسد الغابة ١٧٥/١ .

(٨) المحاسن والمساوي لمحمد بن إبراهيم البيهقي (كان حياً قبل : ٣٢٠ هـ) ، تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم ، ط . القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ ٦٤/١ - ٦٥ .
(٩) وقعة صفين ، ط . المدني بمصر سنة ١٣٨٢ هـ ص ١٤٥ . وتاريخ الخطيب ٣٠٥/١٢ .
وقد أوردنا الخبر بإيجاز من الأول .

خبر آخر يؤيد الخبر السابق :

في صفين لنصر بن مزاحم وتاريخ ابن كثير واللفظ للأول :
قال : لما نزل عليّ الرقة بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات ، فنزل
راهب هناك من صومعته فقال لعلي : إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا ، كتبه
أصحاب عيسى بن مريم ، أعرضه عليك ؟ قال عليّ : نعم ، فما هو ؟ قال
الراهب :

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي قضى فيما قضى ، وسطر فيما سطر ، أنه باعث في الأميين رسولاً
منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويدلّهم على سبيل الله ، لا فظ ولا غليظ ،
ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ،
أتمته الحمدون الذين يحمدون الله على كلّ نشز ، وفي كلّ صعود وهبوط ، تذللّ
السننهم بالتهليل والتكبير والتسبيح ، وينصره الله على كلّ ناواه ، فإذا توفاه
الله أختلفت أمته ثمّ اجتمعت ، فلبثت بذلك ما شاء الله ثمّ اختلفت ، فيمرّ
رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقضي
بالحقّ ، ولا يرتشي في الحكم . الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به
الريح ، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء . يخاف الله في السرّ ،
وينصح له في العلانية ، ولا يخاف في الله لومة لائم . من أدرك ذلك
النبيّ (ص) من أهل هذه البلاد فأمن به كان ثوابه رضواني والجنة ، ومن أدرك
ذلك العبد الصالح فلينصره ؛ فإنّ القتل معه شهادة .



وقد بني في مكان الدير منذ قرون مسجد برائا ، وتغيّر مجرى نهري دجلة والفرات اللذين
أنا يجريان في أرض العراق وأصبح مجرى نهر دجلة قريباً من المسجد المذكور .

ثم قال له : فأنا مصاحبك غير مفارقتك حتى يصيبني ما أصابك . قال : فبكى عليّ ثم قال : الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسياً . الحمد لله الذي ذكرني في كتب الأبرار . ومضى الراهب معه ، وكان - فيما ذكروا - يتغذى مع عليّ ويتعشى حتى أصيب يوم صفين . فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليّ : أطلبوه . فلما وجدوه ، صلى عليه ودفنه ، وقال : هذا منا أهل البيت . وأستغفر له مراراً^{١٠} .

الوصية في أحاديث الصحابة والتابعين

الوصية في خطبة أبي ذر
وقف أبو ذر على عهد عثمان بباب مسجد رسول الله وخطب وقال في خطبته :

(ومحمد وارث علم آدم وما فضل به النبيون ، وعلي بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه . . .) .
سيأتي تمام الخطبة في ذكر النوع العاشر من أنواع الكتبان في مدرسة الخلفاء إن شاء الله تعالى .

الوصية في حديث الأشر

قال مالك بن الحارث الأشر لما بويع أمير المؤمنين (ع) :
أيها الناس هذا وصي الأوصياء ، ووارث علم الأنبياء ، العظيم البلاء الحسن العناء ، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان ، ورسوله بجنة الرضوان ، من كملت فيه الفضائل ، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل^{١١} .

١٠) صفين ص ١٤٧ - ١٤٨ . وآين كثير ٢٥٤/٧ .
والبليخ : اسم نهر بالرقّة ، يجتمع فيه الماء من عيون . معجم البلدان .
١١) تاريخ يعقوبي ١٧٨/٢ .

الوصية في حديث عمرو بن الحمق الخزاعي

عندما جمع أمير المؤمنين الناس بالكوفة وخاطبهم في شأن المسير إلى صفين لحرب معاوية، قام عمرو بن الحمق الخزاعي وخاطب الإمام وقال:

يا أمير المؤمنين إني ما أحبيتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة مال تؤثني به، ولا ألتباس سلطان ترفع ذكرى به، ولكنني أحبيتك بخصال خمس: إنك ابن عم رسول الله (ص)، ووصيه، وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله (ص)، وأسبق الناس إلى الإسلام، وأعظم المهاجرين سهماً في الجهاد^{١٢}.

الوصية في كتاب محمد بن أبي بكر

كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي ابن صخر. سلام على أهل طاعة الله ممن هو مسلم لأهل ولاية الله. أما بعد فإن الله... أنتخب

(١٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٨١/١.

وعمر بن الحمق الخزاعي: هاجر إلى النبي (ص) بعد الحديبية، سقى النبي (ص) فدعاه له وقال: اللهم متعه بشبابه، فمرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحية شعرة بيضاء. شهد مع علي مشاهدته كلها وكان من أصحاب حجر بن عدي. وخاف زياد بن أبيه وهرب من الكوفة إلى الموصل وأختفى في غار بالقرب منه، فأرسل معاوية إلى العامل بالموصل - وكان العامل عمرو بن الحكم ابن أخت معاوية - ليحمل إليه عمراً فوجده ميتاً، كان قد نهشته حية ففقط رأسه وبعث به إلى خاله معاوية. وكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام. وكان معاوية قد حبس زوجة عمرو بن الحمق، أمنة بنت الشريد، فوجه إليها رأس عمرو فألقي في حجرها فأرتاعت لذلك ثم وضعت في حجرها ووضعت كفها على جبينه ثم لثمت فاه وقالت: غيبتموه عني طويلاً ثم أهديتموه إلي قتيلاً فأهلاً بها من هدية غير قالية ولا مقلية. وكان قتله في سنة خمسين للهجرة. ترجمته بأسد الغابة ١٠٠/٢ - ١٠١.

محمّداً (ص) فأختصّه برسالته، وأختارَه لوحيه، وأثمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصداً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع، فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأجاب، وصدق ووافي، وأسلم وسلم؛ أخوه وأبن عمّه عليّ بن أبي طالب (ع)، فصّده بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، فوقاه كلّ هول، وواساه بنفسه في كلّ خوف، فحارب حربته، وسالم سلّمه، فلم يبرح مبتدلاً لنفسه في ساعات الأزل، ومقامات الروح، حتّى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله. وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو المبرّز السابق في كلّ خير، أوّل الناس إسلاماً، وأصدق الناس نيّة، وأطيب الناس ذريّة، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عمّ. . . ثمّ لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبدلان فيه المال، وتحالفان فيه القبائل. على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب وؤوس النفاق والشقاق لرسول الله (ص). والشاهد لعليّ مع فضله المبين وسبقه القديم، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن فآثى الله عليهم، من المهاجرين والأنصار، فهم معه عصائب وكتائب حوله، يجالدون بأسياهم، ويهريقون دماءهم دونّه، يرون الفضل في أتباعه، والشقاء في خلفه، فكيف - يا لك الويل - تعدل نفسك بعليّ، وهو وارث رسول الله (ص)، ووصيه وأبو ولده وأول الناس له أتباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسرّه ويشركه في أمره.

وكتب معاوية في جوابه:

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر.

سلام على أهل طاعة الله . أما بعد فقد أتاني كتابك ، تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه وما أصفى به نبية ، مع كلام ألفته ووضعته ، لرأيك فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف . ذكرت حقّ ابن أبي طالب ، وقديم سوابقه وقربته من نبيّ الله (ص) ، ونصرته له ومواساته إياه في كل خوف وهول ، واحتجاجك عليّ بفضل غيرك لا بفضلك . فأحمد إلهاً صرف الفضل عنك وجعله لغيرك . وقد كنّا وأبوك معنا في حياة من نبينا (ص) ، نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفصله مبرزاً علينا فلما اختار الله لنبية (ص) ما عنده ، وأتم له ما وعده ، وأظهر دعوته وأفلج حجّته ، قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقه أوّل من أبتزّه وخالفه . على ذلك اتّفقا وأتسقا ، ثمّ دَعَوَاهُ إلى أنفسهم فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما ، فهما به الهموم ، وأرادا به العظيم ، فبايع وسلم لهما ، لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعهما على سرّهما ، حتّى قبضا وأنقضى أمرهما . ثمّ قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفّان ، يهتدي بهديهما - إلى آخر الكتاب .

أوردنا جواب معاوية لما فيه من الاعتراف بما ذكره محمد بن أبي بكر . وأورد تمام الكتّابين نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين والمسعودي في مروج الذهب . وأشار إليهما الطبري وابن الأثير في ذكرهما حوادث سنة ست وثلاثين هجرية .

روى الطبري بسنده عن يزيد بن ظبيان :

أنّ محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لسمّا ولي . فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه ممّا لا يحتمل سماعه العامة . . . إذا فإنّ الطبري لم يورد في موسوعته التاريخية الكبرى ما دار بين محمد بن أبي بكر ومعاوية من مكاتبات لأنّه لم ير من الحكمة أن يطلع عليها عامّة الناس وليس من باب عدم اعتماده على صحّة الخبر . وتبعه العلامة ابن الأثير ولم يورد تلك المكاتبات في موسوعته التاريخية (الكامل) وذكر نفس

العلة وقال: كرهت ذكرها لما فيه ممّا لا يحتمل سماعه العامة^{١٣}.

الوصية في كتاب عمرو بن العاص

روى الخوارزمي كتابا لعمرو بن العاص إلى معاوية قال فيه:
فأما ما دعوتني إليه . . . ، وإعانتني إياك على الباطل ، وأخترط السيف
في وجه عليّ وهو أخو رسول الله (ص) ووصيّته وارثه ، وقاضي دينه ومنجز
وعده وزوج أبنته . . .^{١٤}

الوصية في كلام الإمام عليّ (ع) واحتجاجه

روى الخوارزمي من كلام الإمام عليّ (ع):
(أنا أخو رسول الله (ص) ووصيته . . .)^{١٥}.
وروى ابن أبي الحديد، من كتاب للإمام عليّ (ع) إلى أهل مصر:
(وأعلموا أنه لا سوى: إمام الهدى وإمام الرضى، ووصي النبي وعدو النبي)^{١٦}.
وذكر البيهقي احتجاج الخوارج على الإمام عليّ (ع) وجاء فيه أنه
ضيع الوصية، فكان من جوابه (ع):
(أما قولكم إنني كنت وصياً فضيعة الوصية، فإن الله عز وجل يقول:
﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾
آل عمران/٩٧. أفأريتم هذا البيت لو لم يحجّ إليه أحد كان البيت يكفر؟ إن هذا البيت
لو تركه من استطاع إليه سبيلاً كفر، وأنتم كفرتم بترككم إياي لا أنا بترككم لكم - الخ)^{١٧}.

(١٣) الكتاب وجوابه في صفين لنصر بن مزاحم، ط. القاهرة، سنة ١٣٨٢ هـ
ص ١١٨ - ١١٩. وتاريخ الطبري ط. أوربا ٣٢٤٨/١. وتاريخ ابن الأثير ط. أوربا
١٠٨/٣. ومروج الذهب للمسعودي ط. بيروت، سنة ١٣٨٥ هـ ١١/٣، وقال: إن
محمد بن أبي بكر كتب الكتاب إلى معاوية من مصر لئلا يلاّه الإمام عليّ. وابن أبي الحديد ٢٨٤/١.
(١٤) مناقب الخوارزمي ص ١٢٥ - ١٢٦. مناقب الخوارزمي ص ١٢٣ - ١٢٦ شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٨/٢.
(١٥) تاريخ العقوبى ١٩٢/٢ - ١٩٣.

الوصية في خطب الإمام عليّ (ع)

في الخطبة ١٨٢ من نهج البلاغة، قال الإمام:
(أيها الناس إني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أمهم،
وأديت إليكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم . . .) .

وفي الخطبة ٨٨ منه، قال:

(وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها
لا يقتضون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي) .

وفي الخطبة الثانية منه، قال:

(لا يقاس بآل محمّد (ص) من هذه الأمة أحد، ولا يُسوّى بهم من
جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين . . . ولهم خصائص حقّ الولاية
وفيهم الوصية والوراثة . . .) .

وقال ابن أبي الحديد:

خطب عليّ عليه السلام فقال في أثناء خطبته: «أنا عبدُ الله، وأخو
رسوله، لا يقولها أحدٌ قبلي ولا بعدي إلّا كذب؛ ورثتُ نبيّ الرحمة، ونكّحتُ
سيدة نساء هذه الأمة، وأنا خاتم الوصيين»^{١٨}

الوصية في خطبة الإمام الحسن (ع)

خطب الإمام الحسن (ع) بعد مقتل أبيه وقال في خطبته:
(أنا الحسن بن عليّ وأنا ابن النبيّ وأنا ابن الوصي . . .)^{١٩} الحديث.

الوصية في تعزية الشيعة للإمام الحسين بوفاة أخيه الإمام الحسن (ع).
لما توفي الحسن وبلغ الشيعة ذلك، اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن

١٨ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط . مسر. الأولى ٢٠٨/١ .

١٩ نقلنا الخبر من مستدرک الحاكم ١٧٢/٣ . وراجع ذخائر العقبى ص ١٣٨ . وفي مجمع
الزوائد للهيثمي ١٤٦/٩ عن الطبراني وغيره.

صرد وكتبوا إلى الحسين بن علي يعزّونه على مصابه بالحسن :

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليّ من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين . سلام عليك ،
فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أمّا بعد فقد بلغنا وفاة الحسن بن علي
[فسلام عليه]^{٢٠} يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً . . . ما أعظم ما أصيب
به هذه الأمة عامّة وأنت وهذه الشيعة خاصّة بهلاك آبن الوصيّ وآبن بنت
النبيّ و . . .^{٢١} .

وفي مروج الذهب للمسعودي : قال ابن عباس لمعاوية لما بلغه وفاة الإمام
الحسن وهو بالشّام : ولئن أصبنا به فقد أصبنا قبله بسيد المرسلين وإمام المتّقين
ورسول ربّ العالمين ثمّ بعده بسيد الأوصياء ، فجبر الله تلك المصيبة . . .^{٢٢} .

الوصيّة في خطبة الإمام الحسين (ع)

خطب الإمام الحسين (ع) يوم العاشر من المحرمّ على جيش الخليفة
يزيد وقال في خطبته في مقام الاحتجاج عليهم :

(أما بعد فأنسبوني فأنظروا من أنا ؟ ثمّ أرجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها
هل يجوز لكم قتلي وأنتهاك حرمتي . ألسنت آبن بنت نبيكم (ص) وآبن وصيّته
وآبن عمّه وأول القوم لإسلاماً وأول المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بها جاء من
عند ربّه ؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي ؟ ! أوليس جعفر الشهيد
الطيّار ذو الجناحين عمّي ؟^{٢٣} .

(٢٠) لم يرد هذا في النص ولكن السياق يقتضيه .

(٢١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٢٨ .

(٢٢) مروج الذهب للمسعودي ، ٢/ ٤٣٠ .

(٢٣) في الخطبة التي رواها الطبري في ط . أوربا ٢/ ٣٢٩ . وآبن الأثير ، ط . أوربا ٤/ ٥٢ .
وأورد الخطبة آبن كثير في ٨/ ١٧٩ وحذف منها ما ذكره الإمام الحسين في وصف أبيه وكتب بدلها
(وعليّ أبي) وأورد الباقي .

إذاً كان ما وصف به الامام الحسين أباه الإمام علياً من أنه وصي رسول الله (ص) مشهوراً عندهم كشهرة نبوة جده، وأن عم أبيه حمزة سيّد الشهداء، وأن جعفر الطيّار ذا الجناحين عمه. ولذلك ذكره في ذكر نسبه ولم يردّ عليه أحد منهم.

عبد الله بن علي عم الخليفة العباسي السفاح يحتجّ بالوصيّة دعا العباسيون في بادئ أمرهم الناس إلى القيام ضدّ الأمويين بأسم آل محمد (ص) وكان يدعى أبو مسلم أمير آل محمّد^{٢٤} وكانوا يحتجّون على خصومهم بالنصوص التي وردت عن رسول الله (ص) في حقّ آلّه بالحكم، ولما تمّ لهم الاستيلاء على الحكم أداروا ظهورهم لآل محمّد (ص). وممنّ احتجّ بالوصيّة عم السفاح أول الخلفاء العباسيين؛ فقد روى الذهبي عن أبي عمرو الأوزاعي^{٢٥} ما موجهه:

لما قدم عبد الله بن عليّ عم السفاح الشام وقتل بني أميّة بعث إليّ وقال في كلامه:

ويحك أوليس الأمر لنا ديانة؟

قلت: كيف ذاك؟

قال: أليس كان رسول الله (ص) أوصى لعليّ؟

قلت: لو أوصى إليه لما حكم الحكمين. فسكت وقد اجتمع غضباً، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي، فقال بيده هكذا، أومى أن أخرجوه؛ فخرجت - الحديث.

إنّ الأوزاعي احتجّ في ردّ الوصيّة بما احتجّ به الخوارج على الإمام عليّ

^{٢٤} تاريخ اليعقوبي ٣٥٢/٢. والتنبيه والإشراف للمسعودي ص ٢٩٣. وتاريخ ابن الأثير ١٣٩/٥ - ١٤٢ - ١٩٤ في ذكر حوادث سنة ١٢٩ و ١٣٠.

^{٢٥} ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٨٦/١.

وجوابه جواب الإمام للخوارج، والذي مرّ ذكره تحت عنوان: الوصية في كلام الإمام عليّ (ع) واحتجاجه.

محمد بن عبد الله بن الحسن يحتجّ على الخليفة المنصور بالوصية روى الطبري وابن الأثير في ذكرهما حوادث سنة ١٤٥ بتاريخيهما: أنّ محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عندما خرج على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وبايعه الناس بالمدينة، كتب في جواب أبي جعفر كتاباً مفصلاً يدلي بحججه في أنّه أحقّ بالخلافة من المنصور وجاء فيه: . . . وإنّ أبانا عليّاً كان الوصيّ وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟ . . .

فكتب إليه المنصور كتاباً يرّد فيه على ما احتجّ به وسكت عن جواب هذه الحجة، وسكوت المنصور إقرار منه بصحتها لديهم^{٢٦}.

الخليفة هارون الرشيد يخبر بما بلغه من الأوصياء في الأخبار الطوال عن الأصمعي^{٢٧} ما موجزه:

قال: دخلت على الرشيد فأرسل إلى ولديه محمد وعبد الله، فأتياه وأجلسهما عن يمينه وشماله وأمرني بمطارحتهما، فكنت لا ألقى عليهما شيئاً من فنون الأدب إلّا أجابا به وأصابا، فقال: كيف ترى أدبهما؟ قلت: يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة ذهنهما. . . قال: فضمّهما إلى صدره، وسبقته عبرته حتى تحدّرت دموعه، ثمّ أذن لهما، حتّى نهضا وخرجا، قال:

(٢٦) الطبري، ط. اودبا، ٢٠٩/٣. وتاريخ ابن الأثير ط. مصر الأولى ١٩٩/٥. وابن كثير ٨٥/١٠.

(٢٧) الأصمعي: عبد الملك بن قريب (ت: ٢١٦ هـ) البصري اللغوي النحوي. قيل: كان يحفظ اثني عشر ألف أرجوزة. ترجمته في الكنى والألقاب للقمي.

كيف بكم إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما حتى
تسفك الدماء ويودّ كثير من الأحياء أنهم كانوا موتى ؟
فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا شيء قضى به المنجمون عن مولدهم ، أو
شيء أثرتة العلماء في أمرهما ؟

قال : بل شيء أثرتة العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما .
قالوا : فكان المأمون يقول في خلافته : قد كان الرشيد سمع جميع
ما جرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمد^{٢٨} ، فلذلك قال ما قال .

* * *

قال المؤلف :

قصد الرشيد من الأوصياء الأئمة من أهل البيت : موسى وأباه جعفر
الصادق وجدّه محمد الباقر وجدّ أبيه علي بن الحسين ثمّ الحسن والحسين
وأباهما عليّ بن أبي طالب (ع) . وقصد من الأنبياء خاتم الأنبياء (ص) .
ومن أجل ذلك فعل الخليفة هارون الرشيد ما لم يفعله خليفة من قبله
ولا بعده وذلك كما رواه المؤرخون وقالوا :

(ولما صار إلى مكّة صعد المنبر ، فخطب ، ثمّ نزل ، فدخل البيت ،
ودعا بمحمد والمأمون ، فأملى على محمد كتاب الشرط على نفسه ، وكتب
محمد الكتاب ، وأحلفه على ما فيه ، وأخذ عليه العهود والمواثيق ، وفعل
بالمأمون مثله ، وأخذ عليه مثل ذلك ، وكان نسخة الكتاب الذي كتبه محمد
بخطه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه محمد بن هارون في

(٢٨) الأبحار الطوال ، ط . القاهرة الأولى سنة ١٩٦٠ ، ص ٣٨٩ لأبي حنيفة الدينوري
(ت : ٢٨٢ هـ) . مروج الذهب للمسعودي ٣/٣٥١ .

صحة من بدنه وعقله وجواز من أمره . إن أمير المؤمنين هارون ولأني العهد من بعده ، وجعل لي البيعة في رقاب المسلمين جميعاً ، ولأني أخي عبد الله بن أمير المؤمنين العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعدي برضى مني وتسليم ، طائعاً غير مكره ، ولأه خراسان بثغورها وكورها ، وأجنادها وخراجها وطرازها ، وبريدها ، وبيوت أموالها وصدقاتها وعشرها وعشورها ، وجميع أعمالها في حياته وبعد موته ، وشرطت لعبد الله أخي عليّ الوفاء بما جعل له هارون أمير المؤمنين من البيعة والعهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين بعدي . . . إلى آخر الكتابين .

وروى الطبري بعد ذلك وقال :

(وكتباً لأمير المؤمنين في بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما بمحضر مَن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده وصحابته وقضاته وحجبة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابين أستودعهما أمير المؤمنين الحجة وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كله في داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة أمر قضاته الذين شهدوا عليهما وحضروا كتابتهما أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاج والعُمرار وفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرطتهما وكتابتهما ، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويعرفوه ويحفظوه ويُؤدّوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم . ففعلوا ذلك وقُرئ عليهم الشرطان جميعاً في المسجد الحرام ، فأنصرفوا . وقد أشتهر ذلك عندهم وأثبتوا الشهادة عليه . . .)^{٢٩} .

(٢٩) تاريخ يعقوبي ٢/٤١٦ - ٤٢١ . وأورد الطبري تفصيل ذلك في ذكر حوادث سنة ست وثمانين ومائة ، ط . أوربا ، ٣/٦٥٤ - ٦٦٥ . وأشار إلى ذلك بإيجاز كل من المسعودي في مروج الذهب ، ٣/٣٥٣ . وآبن الأثير في تاريخه (الكامل) ، ط . أوربا ، ٦/١١٧ - ١١٨ . وآبن كثير في البداية والنهاية ١٠/١٨٧ .

شهرة لقب وصي النبي (ص) للإمام علي (ع) و انتشار ذكره في أشعار الصحابة و التابعين و كتب اللغة

في صدر الإسلام

كان لقب الإمام علي (ع) بالوصي مشهوراً في الصدر الإسلامي الأول
و أنتشر ذلك في كتب اللغة ؛ فقد ورد في مادة : (الوصي) من لسان العرب :
وقيل لعلي (ع) : وصي .

وفي تاج العروس : والوصي كغني لقب علي (رض) .
وسياتي قول المبرد في الكامل في اللغة بعيد هذا .
وورد ذكره في شعر الشعراء منذ عصر الصحابة مثل قول حسان بن ثابت
شاعر النبي (ص) في قصيدته بعد وفاة النبي (ص) :

جزى الله عنا والجزاء بكفه أباحسن عنا ومن كأبي حسن
حفظت رسول الله فينا وعهده إليك ومن أولى به منك من ومن
ألست أخاه في الهدى ووصيه وأعلم منهم بالكتاب والسنن^{٣٠}
وروى الزبير بن بكار في الموفقيات عن بعض شعراء قريش في مدح
عبد الله بن عباس قوله :

والله ما كلم الأقوام من بشر بعد الوصي علي كآبن عباس^{٣١}
وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط في مقتل عثمان :

(٣٠) الموفقيات للزبير بن بكار، ط . بغداد، سنة ١٩٧٢ م، ص ٥٧٤ - ٥٧٥، وورد شعر
حسان في تاريخ اليعقوبي ١٢٨/٢ مع اختلاف في اللفظ . وشرح نهج البلاغة لابن أبي
الحديد، ط الأولى ١٥/٢ .

(٣١) الموفقيات ص ٥٧٥ . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط . مصر الأولى ١ / ٢٠٠١ .
وط . مصر تحقيق محمد أسد الفصل إبراهيم ٢٦٢/٢

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
فأجابه الفضل بن عباس بأبيات جاء فيها:

ألا إن خير الناس بعد محمد وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر
وأول من صلى وصنو نبيه وأول من أرى الغواة لدى بدر^{٣٢}
وقال النعمان بن عجلان شاعر الأنصار في قصيدته - أيضاً - بعد وفاة
النبي (ص):

وكان هوانا في علي وإنه لأهل لها ياعمرو من حيث لا تدري

(٣٢) تاريخ الطبري، ط. أوروبا ١/٣٠٦٤ و ٣٠٦٥. وتاريخ ابن الأثير، ط. أوروبا ٣/١٥٢ في ذكرهما ما رثي به عثمان.

والوليد بن عقبة بن أبي معيط بن ذكوان وكان ذكوان عبداً لأمية فتبناه وألحقه بنسبه. وأم الوليد أروى أم الخليفة عثمان. أرسله رسول الله (ص) مصدقاً إلى بني المصطلق، فخرجوا يلتقونه، فهابهم فعاد إلى رسول الله (ص) وأخبر أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة، فنزلت فيه: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ الحجرات/٦. فأرسل "م رسول الله (ص) غيره فأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام. ولأه الخليفة عثمان الكوفة فشرب الخمر وصلى بهم صلاة الصبح أربعاً وهو سكران، فعزله عثمان، وقد ذكرنا تفصيل خبره في أول ذكر أخبار عصر الصهرين من كتاب أحاديث عائشة. أقام في الرقة بعد عثمان وتوفي بها. ترجمته في أسد الغابة والإصابة.

والفضل بن العباس بن عبد المطلب، أكبر ولد العباس. شهد مع النبي (ص) فتح مكة وحينئذ ثبت معه حين أنهزم الناس، وشهد غسل رسول الله (ص) ودفنه وأستشهد يوم مرج الصفراء أو أجنادين بالشام وكلاهما سنة ثمان من عشرة هجرية، وقيل: أستشهد يوم اليرموك. وترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة.

قصيد (بعد ثلاثة) أي بعد الرسول (ص) وأبي بكر وعمر. والتجبي والتجوبي: نسبة إلى قبيلة من مذحج، كانت تسكن محلة بمصر وقيل لمن يسكن تلك المحلة - أيضاً - التجبي والتجوبي. وكان منهم عبد الرحمن بن عديس البلوي الذي أشترك في قتل الخليفة عثمان، وإياه عنى الوليد بالتجبي في شعره، ومنهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي التذولي قاتل الإمام علي، وكانت داره إلى جنب أبي عديس، ومعنى البيت: ألا إن خير الناس بعد الرسول (ص) وأبي بكر وعمر - أي عثمان - أصبح مقتولاً بيد التجبي الذي جاء من مصر.

راجع مادة: (التجبي) و (التذولي) في أنساب السمعاني، وراجع مادة: (التجبي) في الإكمال لابن ماكولا ١/٢١٤ و ٢٥٦، ومادة: (التذولي) في اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير.

وصي النبي المصطفى وآبن عمه وقاتل فرسان الضلالة والكفر
قال ذلك في جواب عمرو بن العاص حين أغاض الأنصار في حوادث
السقيفة وانتصار الإمام عليّ للأنصار من مهاجرة قريش^{٣٣}.
وقال آبن أبي الحديد:

ومن الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمن كونه (ع) وصي رسول
الله (ص) قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب:
ومنا علي ذاك صاحب خير وصاحب بدر يوم سالت كتائبه
وصي النبي المصطفى وآبن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه؟
وقال عبد الرحمن بن جعيل:
لعمري لقد بأيعتم ذا حفيظة على الدين معروف العفاف موفقا
عليّا وصي المصطفى وآبن عمه وأول من صلى أخا الدين والتقى^{٣٤}

الوصية في الأشعار التي قيلت في حرب الجمل^{٣٥}

وقال آبن أبي الحديد أيضاً:

وقال أبو الهيثم بن التيهان وكان بدرياً:

قل للزبير وقل لطلحة إنّنا نحن الذين شعارنا الأنصار
نحن الذين رأّت قريش فعلنا يوم القلب أولئك الكفار

(٢٢) النعمان بن عجلان الزرقى الأنصاري، لسان الأنصار وشاعرهم. استعمله عليّ على
البحرين.

ترجمته في الاستيعاب، ط. حيدرآباد ١/٢٩٨، رقم: ١٣٢٣. وأسد الغابة ٥/٢٦.
والإصابة ٣/٥٣٢، ونسب في الجمهرة ص ٣٢٧ - ٣٣٨. والاشتقاق ص ٤٦١. والأبيات عن
كتاب الموفقيات للزبير بن بكار ص ٥٩٢ - ٥٩٤، ورواه آبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة،
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٦/٣١.

(٣٤) شرح نهج البلاغة ١/٤٧. وراجع فتوح آبن أعثم ط. حيدرآباد عام ١٢٨٨، ٢/٢٧٧.

(٣٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٤٧ - ٤٩. وراجع فتوح أعثم ٢/٣٠٧.

كُنَّا شَعَارَ نَبِينَا وَدَثَارَهُ يَفْدِيهِ مَنَا الرُّوحَ وَالْأَبْصَارَ
 إِنَّ الْوَصِيَّ إِمَامَنَا وَلِيِّنَا بَرِحَ الْخَفَاءَ وَبَاحَتِ الْأَسْرَارَ
 وَقَالَ عَمْرُ بْنُ حَارِثَةَ الْأَنْصَارِيِّ فِي مُحَمَّدَ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ مِنْ أَبْيَاتِ أَنْشَاهَا
 يَوْمَ الْجَمَلِ:

سَمِيَ النَّبِيِّ وَشَبَّهَ الْوَصِيَّ وَرَأَيْتُهُ لَوْنَهَا الْعِنْدَمِ
 وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ يَوْمَ الْجَمَلِ:

هَذَا عَلِيٌّ وَهُوَ الْوَصِيُّ أَخَاهُ يَوْمَ النُّجُودِ النَّبِيُّ
 وَقَالَ هَذَا بَعْدِي الْوَلِيُّ وَعَاهُ وَاعٍ وَنَسِيَ الشَّقِيَّ
 وَخَرَجَ يَوْمَ الْجَمَلِ غَلَامٌ مِنْ ضَبَّةٍ شَابَّ مَعْلَمٌ مِنْ عَسْكَرِ عَائِشَةَ وَهُوَ يَقُولُ:

نَحْنُ بَنُو ضَبَّةٍ أَعْدَاءُ عَلِيٍّ ذَاكَ الَّذِي يَعْرِفُ قَدَمًا بِالْوَصِيِّ
 وَفَارِسُ الْخَيْلِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ مَا أَنَا عَنْ فَضْلِ عَلِيٍّ بِالْعَمِيِّ
 لَكُنِّي أَنْعَى أَبْنَ عَفَّانَ التَّقِيَّ إِنَّ الْوَلِيَّ طَالِبُ ثَارِ الْوَلِيِّ^{٣٦}

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَكَانَ فِي عَسْكَرِ عَلِيٍّ (ع):
 قُلْ لِلْوَصِيِّ أَقْبَلْتُ قَحْطَانَهَا فَادْعَ بِهَا تَكْفِيكَهَا هَمْدَانَهَا
 وَقَالَ حَجْرُ بْنُ عَدِيٍّ الْكَنْدِيِّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَيْضًا:

يَا رَبَّنَا سَلِّمْ لَنَا عَلِيًّا سَلِّمْ لَنَا الْمُبَارَكَ الْمَرْضِيًّا
 الْمُؤْمِنَ الْمَوْحِدَ التَّقِيَّ لَا خَطْلَ الرَّأْيِ وَلَا غَوِيًّا
 بَلْ هَادِيًّا مَوْفَقًا مَهْدِيًّا وَآحْفَظُهُ رَبِّي وَآحْفَظُ النَّبِيَّ
 فِيهِ فَقَدْ كَانَ لَهُ وَلِيًّا ثُمَّ أَرْضَاهُ بَعْدَهُ وَصِيًّا
 وَقَالَ خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ، وَكَانَ بَدْرِيًّا يَوْمَ الْجَمَلِ أَيْضًا:
 يَا وَصِيَّ النَّبِيِّ قَدْ أَجَلَّتِ الْحَرُّ بِ الْأَعَادِي وَسَارَتِ الْأُظْطَعَانُ

(٣٦) راجع فتوح ابن أعثم ٣٢١/٢ .

وَأَسْتَقَامَت لَكَ الْأُمُورُ سِوَى الشَّامِ وَفِي الشَّامِ يَظْهَرُ الْإِذْعَانُ
حَسْبَهُمْ مَا رَأَوْا وَحَسْبُكَ مِنَّا هَكَذَا نَحْنُ حَيْثُ كُنَّا وَكَانُوا
وَقَالَ خَزِيمَةُ يَوْمَ الْجَمَلِ أَيْضاً فِي أَبْيَاتٍ يَخَاطَبُ بِهَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ:
وَصِيَّ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ وَأَنْتِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ شَاهِدٌ
وَخَطَبَ أَبُو الزُّبَيْرِ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَخَطَبَ الْحَسَنُ (ع) بَعْدَهُ، فَقَالَ
عَمْرُو بْنُ أُحِيحَةَ فِي ذَلِكَ:

حَسَنُ الْخَيْرِ يَا شَبِيهَ أَبِيهِ قَمَتَ فِينَا مَقَامَ خَيْرِ خَطِيبٍ
قَمَتَ بِالْخُطْبَةِ الَّتِي صَدَعَ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَبِيكَ أَهْلَ الْعِيُوبِ
وَكَشَفَتْ الْقِنَاعَ فَاتَّضَحَّ الْأَمْرُ سَرَّ وَأَصْلَحَتْ فَاسَدَاتُ الْقُلُوبِ
لَسْتُ كَأَبْنِ الزُّبَيْرِ لَجَلَجَ فِي الْقَوْلِ وَطَاطَا عَنَانُ فَسْلِ مَرِيبٍ
وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَقُومَ بِمَا قَامَ بِهِ أَبُو الْوَصِيِّ وَأَبْنُ النَّجِيبِ
إِنَّ شَخْصاً بَيْنَ النَّبِيِّ - لَكَ الْخِيَرَةُ - وَبَيْنَ الْوَصِيِّ غَيْرُ مَشُوبِ
وَقَالَ أَبُو أَبِي الْحَدِيدِ بَعْدَ إِيرادِ الْأَبْيَاتِ الَّتِي أوردْنَا مُختَصراً مِنْهَا:

ذَكَرَ هَذِهِ الْأَشْعَارَ وَالْأَرَاجِيزَ بِأَجْمَعِهَا أَبُو مُخَنَفٍ لُوطُ بْنُ يَحْيَى فِي كِتَابِ
وَقْعَةِ الْجَمَلِ.

وَأَبُو مُخَنَفٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَمَمَّنْ يَرَى صِحَّةَ الْإِمَامَةِ بِالِاخْتِيَارِ وَلَيْسَ
مِنَ الشَّيْعَةِ وَلَا مَعْدُوداً مِنْ رِجَالِهَا.

وَمِمَّا رَوَيْنَاهُ مِنْ أَشْعَارِ صَفَيْنَ الَّتِي تَتَضَمَّنُ تَسْمِيَتَهُ (ع) بِالْوَصِيِّ مَا ذَكَرَهُ
نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمَ بْنِ يَسَارٍ الْمَنْقَرِيُّ فِي كِتَابِ صَفَيْنَ وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ.

الْوَصِيَّةُ فِي الْأَشْعَارِ الَّتِي قِيلَتْ بِصَفَيْنَ
لَمَّا كَتَبَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ جَرِيرٍ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ وَالْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ

الكندي وكانا من ولاية عثمان في البلاد الإيرانية فأجاب جرير بشعر جاء فيه :

أتانا كتابٌ عليّ فلم نردّ الكتاب، بأرضِ العجم
ولم نغصِ ما فيه لَمّا أتى ولَمّا نذمّ ولَمّا نلّم
ونحن ولايةً على ثغرهما نضيمُ العزيز ونحيمي الدّم
نساقيهم الموت عند اللقاء بكأس المنايا ونشفي القرم
طحنّاهم طحنةً بالقنا وضربِ سيوفٍ تطير اللّم
مضينا يقيناً على ديننا ودين النبيّ مُجلى الظلم
أمينِ الإله وبرهانه وعدلِ البريّة والمعتصم
رسولِ الملِك، ومِن بعده خليفتنا القائم المدّعّم
عليّاً عنيت وصيّ النبيّ نجالد عنه غواة الأمم^{٣٧}

ومما قيل على لسان الأشعث في جواب كتاب الإمام^{٣٨}:

أتانا الرسول رسول عليّ فسرّ بمقدمه المسلمونا

(٣٧) صفّون ص ١٥ - ١٨ . وآبن أبي الحديد ٢٣٧/١ . وراجع فتوح ابن أعمش ٣٠٥/٢ .

(٣٨) كان الأمراء إذا لم يكونوا مسمّن ينظم الشعر يطلبون مسمّن معهم في موارد خاصة أن ينظموا في الجواب عنهم وكان هذا المقام من الأشعث من تلك الموارد .
وجرير بن عبد الله البجلي: أسلم قبل وفاة النبيّ (ص) بأربعين يوماً، شهد حرب القادسية .
أرسله رسول الله (ص) لتهديم صنم الخثعم في ذي الخلفة فذهب إليه وأحرقه . توفي سنة إحدى أو أربع وخمسين هجرية .

ترجمته في الاستيعاب . وأسد الغابة . والإصابة .

والأشعث بن قيس الكندي: أسلم مع وفد قومه إلى رسول الله (ص) في السنة العاشرة ولم يدفع الصدقة لجباة الخليفة أبي بكر، فقاتلوه وأسروه، فأطلقه الخليفة وزوجه أخته أم فروة، وشهد بعض فتوح الشام والعراق، واستعمله عثمان على أذربيجان، وشهد صفّين مع عليّ وكان مسمّن ألزم عليّاً بالتحكيم وشهد الحكمين بدومة الجندل . وتوفي بالكوفة بعد مقتل الإمام عليّ بأربعين ليلة .

ترجمته في الاستيعاب . وأسد الغابة . والإصابة .

رسولُ الوصيِّ وصيِّ النبيِّ له الفضلُ والسَّبقُ في المؤمنين
بما نصَّحَ اللهَ والمصطفى رسولُ الإلهِ النبيِّ الأمينا
يُجاهد في الله، لا يشي جميعَ الطغاة مع الجاحدين
وزيرُ النبيِّ وذو صِهره وسيفُ المنية في الظالمينا
وقيل على لسانه أيضاً:

أتانا الرسولُ رسولُ الوصيِّ عليُّ المهذبُ من هاشم
رسولُ الوصيِّ وصيِّ النبيِّ وخير البرية من قائم
وزيرُ النبيِّ وذو صِهره وخير البرية في العالم
له الفضلُ والسَّبقُ بالصلوات لِهَدي النبيِّ به يأتي
محمداً أعني رسولُ الإلهِ وغيثُ البرية والخاتم
أجنا علياً بفضلٍ له وطاعة نُصحٍ له دائم
فقيهٌ حليمٌ له صولةٌ كليث عرينٍ بها سائم^{٣٩}
وبعد أن أعطى معاوية مصر لعمر وطعمة ليعينه على قتال الإمام علي،
قال الإمام في ذلك شعراً جاء فيه:

يا عجباً لقد سمعت منكراً كذباً على الله يشيب الشعرا
يسترق السَّمع ويغشي البصر ما كان يرضي أحمداً لو خبرا
ان يقرنوا وصيَّه والأبتر شاني الرسول واللَّعين الأخزرا
ولمّا وقع خلاف بين جيش الإمام عليّ في عزل الأشعث من قيادة قبيلة
وتعيين غيره، قال النجاشي في ذلك:

(٣٩) صفين ص ٢٠ - ٢٤.

(٤٠) صفين ص ٤٣.

رضينا بما يرضى عليّ لنا به وإن كان في ما يأتِ جدع المناخر
وصيّ رسول الله من دون أهله ووارثه بعد العموم الأكابر^{٤١}
ومما ورد في الأشعار التي قيلت في يوم صفين ما ورد في شعر النضر بن
عجلان الأنصاري قوله:

قد كنتُ عن صِفِّين فيما قد خلا وجنودِ صِفِّين لَعَمْرِي غافلا
قد كنتُ حقًّا لا أحاذِرُ فتنةً ولقد أكونُ بذاك حقًّا جاهلا
فرايتُ في جمهور ذلك مُعظما ولقيتُ من لهوات ذاك عياطلا
كيف التفرُّقُ والوصيُّ إمامنا لا كيف إلّا حيرةً وتخاذلا
لا تُعْتَبِنُ عقولكم لا خيرَ في مَنْ لم يكن عند البلايلِ عاقلا
وذروا معاوية الغويّ وتابعوا دين الوصيّ تصادفوه عاجلا^{٤٢}
وقال حجر بن عديّ الكندي:

ياربنا سلّم لنا عليّا سلّم لنا المهذب النقيّا
المؤمن المسترشد المرضيا وأجعله هادي أمة مهديّا
لا خطل الرأي ولا غيبا وأحفظه ربّي حفظك النبيا
فإنه كان له وليّا ثم ارتضاه بعده وصيّا^{٤٣}

(٤١) صفّين ص ١٣٧.

والعموم جمع العم.

والنجاشي قيس بن عمرو: شاعر مخضرم. اشتهر في الجاهلية والإسلام. أصله من نجران اليمن. سكن الكوفة. توفي نحو ٤٠ هـ. الأعلام للزركلي

(٤٢) صفّين ص ٣٦٥.

(٤٣) صفّين ص ٣٨١. وقد ورد إنشاده هذه الأبيات في شرح النهج لابن أبي الحديد في حروب الجمل.

وحجر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير: وفد على النبيّ (ص) وشهد القادسية وشهد مشاهد الإمام عليّ وكان على كندة بصفّين. وأرسله زياد مع جماعة إلى معاوية فقتلهم بمرج

←

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي :

ألا أبلغ معاوية بن حرب أمالك لا تنيب إلى الصواب
أكل الدهر مرجوس لغير تُحارب مَنْ يقوم لدى الكتاب
فإن تسلم وتبقى الدهر يوماً نترك بجحفل شبه الهضاب
يقودهم الوصي إليك حتى يردك عن عُوائك وأرتياب^{٤٤}

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب :

ياشرطة الموت صبراً لايهولكم دينُ أبْن حربٍ فإن الحق قد ظهراً
وقاتلوا كل من يبغي غوائلكم فإننا النصر في الضراً لمن صبراً
سيقوا الجوارح خد السيف وأحتسبوا في ذلك الخير وأرجوا الله والظفرا
وأيقنوا أن من أضحى يخالفكم أضحى شقيّاً وأضحى نفسه خبيراً
فيكم وصي رسول الله قائدكم وأهله وكتاب الله قد نشرا^{٤٥}

وقال الفضل بن العباس أيضاً :

وصي رسول الله من دون أهله وفارسه إن قيل هل من منازل^{٤٦}
وقال المنذر بن أبي حميصة الوداعي في شعره :

عذراء سنة إحدى وخمسين هجرية . وقال حجر . إنني لأول المسلمين كُبر في نواحيها ، أي :
عندما فتحها المسلمون .

(٤٤) صفين ص ٣٨٢ و(عوائك) : من العواء ، أشق أسم (معاوية) ، فان المعاوية : الكلبة
نعاوي الكلاب .

(٤٥) صفين ص ٣٨٥ .

والمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب وهو أخو أبي سفيان بن الحارث الشاعر ، وقال بعضهم
إنهما شخص واحد . ترجمتهما بأسد الغابة في الأسماء والكنى .

(٤٦) صفين ص ٤١٦ . وشرح بهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ط . الأولى ٢٨٤/١ .
وسياتي تفصيل خبر البيت بعيد هذا إن شاء الله تعالى .

ليس منا من لم يكن لك في الدَّ هـ وليًا يا ذا الولا والوصية^{٤٧}

لوصية في كتاب ابن عباس

قال ابن عباس في وقعة صفين في جواب كتاب معاوية :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فقد أتاني كتابك وفهمت ما سطرت فيه، فأما ما أنكرت من سرعتنا إلى أنصار عثمان بالمساءة وسلطان بني أمية، فلعمري لقد أدركت حاجتك في عثمان حين أستنصرك، فلم تنصره حتى صرت إلى ما صرت إليه، وبينك وبينه في ذلك أخو عثمان لأمه الوليد بن عقبة. وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدي، فأبوبكر وعمر خير من عثمان، كما أن عثمان كان خير منك. وأما قولك إنه لم يبق من رجال قريش إلا ستة رجال، فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها، وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا إلا من خذلك. وأما ذكرك الحرب، فقد بقي لك منا ما ينسبك ما كان قبله وتخاف ما يكون بعده.

وأما قولك إنني لو بايعني الناس لأسرعت إلى طاعتي، فقد بايع الناس علياً، وهو أخو رسول الله (ص) وابن عمه ووصيه ووزيره. وهو خير مني، وأما أنت فليس لك فيها حق، لأنك طليق وابن طليق ورأس الأحزاب وابن آكلة الأكباد، والسلام.

^{٤٧} صفين ص ٤٣٦، وكان فارس همدان وشاعرهم. و وادعة: بطن من همدان. الاشتقاق لابن دريد. وفي ترجمته في الإصانة: له إدراك، وهو أول من جعل سهم البراذين دون سهم العراب فبلغ الخبر الخليفة عمر فأعجبه ذلك وقال: امضوها على ما قال الإصانة ٣/٤٧٨.

فلما أنتهى كتاب ابن عباس إلى معاوية وقرأه، قال: هذا فعلي بنفسي .
والله لأجهدن أن لا أكاآبه سنة . ثم أنشأ يقول :

دعوت ابن عباس إلى أخذ خطة	وكان أمراً أهدي إليه رسائل
فأخلف ظني والحوادث جمّة	ولم يك في ما نابني بمواصل
ولم يك في ما جاء ما يستحقّه	وما زاد أن أغلى عليه مراجلي
فقل لابن عباس أراك مخوّفاً	بجهلك حلمي إنني غير غافل
فأبرق وأرعد ما أستطعت فإنني	إليك بها يشجيك سبّط الأنامل
وصفّين داري ما حييت وليس ما	تربص من ذاك الوعيد بقاتلي

فأجابه الفضل بن العباس وهو يقول :

ألا يا ابن هند إنني غير غافل	وإنك ممّا تبغني غير نائل
آلآن لما أحببت الحرب نارها	عليك وألقت بركها بالكلاكل
وأصبح أهل الشام صرعى فكلّهم	كفّعة قاعٍ أو كشحمة آكل
وأيقنت أنا أهل حقّ وإنما	دعوت لأمر كان أبطل باطل
دعوت ابن عباس إلى السلم خدعةً	وليس لها حتّى يموت بقائل
فلا سلم حتّى يتجر الخيل بالقنا	وتضرب هامات الرجال الأوائل
وآليت لا تهدي إليه رسالة	إلى أن يحول الحول من رأس قابل
أردت بها قطع الجواب وإنما	رماك فلم يخطئ بشار المقاتل
وقلت له لو بايعوك تبعتمهم	فهذا عليّ خير حافٍ وناعل
وصيّ رسول الله من دون أهله	وفارسه إذ قيل هل من منازل
فدونكه إذ كنت تبغي مهاجراً	أشّم بنصل السيف ليس بناكل ^{٤٨}

(٤٨) كتاب الفتوح لابن أعثم ٢٥٤/٣ - ٢٥٨ . وصفّين ص ٤١٦ . وشرح نهج البلاغة لأب
أبي الحديد ط . الأولى، ٢٨٤/١ .

وقال مالك الأشتر :

كل شيء سوى الإمام صغير وهلاك الإمام خطب كبير
قد أصبنا وقد أصيب لنا اليو م رجال بزل حماة صبور
واحد منهم بألف كبير إن ذا من ثوابه لكثير
إن ذا الجمع لا يزال بخير فيه نعمة و سرور
من رأى غرة الوصي علي إنه في دجى الحنادس نور
إنه والذي يحج له النسا س سراج لدى الظلام منير
من رضاه إمامه دخل الجنة عة عفواً و ذنبه مغفور
بعد أن يقضي أمر الله له به ليس في الهدى تخيير

ونقل المسعودي في مروج الذهب :

أ - في ذكر من رثى الإمام علياً بعد آستشهاده :

وفي ذلك يقول آخر من شيعة علي رضي الله عنه :

تأس فكم لك من سلوة تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبي و قتل الوصي وقتل الحسين و سم الحسن

ب - في ذكر قتل حجر بن عدي :

٤٩ ، نال ابن اعثم في الفتوح (٢٢٦/٣) والحوارزمي في المناقب ص ١٧٠ ماموجزه : إن الأشتر وسائر أصحاب الإمام علي (ع) افتقدوه يوماً بصفين فبحثوا عنه ووجدوه تحت رايات ربيعة فرأى الإمام الأشتر متغيراً عن حاله باكياً فقال له : ما خبرك يا مالك أفقدت ابنك أم أصابك غير ذلك ؟ فجعل الأشتر ينشد ويقول ... الأبيات .

حماة : جمع حامٍ وهو المدافع الذي لا يُقرب أو الأسد لحمايته .
الدجى : جمع دجبة وهي الظلمة .

الحنادس : جمع جندس ، ليل جندس أي مظلم ، والحنادس ثلاث ليال من الشهر لظلمتهن .

وإنَّ قاتل حجر بن عدي قال له ساعة قتله :

إنَّ أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك، يا رأس الضلال ومعدن الكفر
والطغيان والمتولي لأبي تراب، وقتل أصحابك، إلّا أن ترجعوا عن كفركم
وتلعنوا صاحبكم وتبترأوا منه، فقال حجر وجماعة ممن كان معه: إنَّ الصبر
على حدِّ السيف لأيسر علينا ممّا تدعوننا إليه، ثمَّ القدوم على الله وعلى نبيّه
وعلى وصيّه أحبّ إلينا من دخول النار^{٥٠}.

وقال علي بن محمد بن جعفر العلوي فيمن أنتمى إلى سامة بن لؤي بن

غالب:

وسامة ممّا فأما بنوه فأمرهم عندنا مظلم
أناس أتونا بأنسابهم خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصيّ وكلّ أقاويله محكم
إذا ما سئلت فلم تدر ما تقول فقل: ربّنا أعلم^{٥١}

الوصية في شعر المأمون

قد دفعت سياسة التقرب إلى العلويّين الخليفة العبّاسيّ المأمون، أن
ينتخب الإمام عليّاً الرضا وليّاً للعهد ويذكر الوصيّة في شعره؛ فقد قال:
الأمّ على حبّي الوصيّ أبا الحسن وذلك عندي من أعاجيب ذا الزمن^{٥٢}

٥٠. مروج الذهب أ: في ٤٢٨/٢، وب: ٤/٣.

٥١. المسعودي في ذكر خبر ولد سامة أواخر ترجمة الإمام عليّ ٤٠٨/٢. وولد سامة الذين
تكلموا في أنتسابهم إليه هم بنوناجية.

أما علي بن محمد بن جعفر العلوي، فإنَّ جعفرأ هذا هو الإمام جعفر الصادق بن الباقر وعليّ
أبنه. نسبه في الأنساب لابن حزم ص ٦١ ٥٢ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢/٢.

وقال أيضاً:

ومن غاو يغصّر عليّ غيظاً إذا أدنيت أولاد الوصي^{٥٣}

اشتهار لقب الوصي للإمام عليّ (ع) مدى القرون

وروى المبرد في الكامل وقال: قال الكميّ:

والوصيّ الذي أمال التجو بي به عرش أمة لانهدام

قال المبرد: قوله: الوصيّ، فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون^{٥٤}.

إذا فالإمام عليّ كان مشهوراً بأنه وصيّ الرسول (ص) حتى أصبح الوصيّ لقباً له كما كان مشهوراً بكنيته أبي تراب.

وآستشهد المبرد على قوله بأنّ الامام عليّاً كان مشهوراً بلقب الوصيّ بما ورد في شعر أبي الأسود الدؤليّ قوله: (الوصي) مع أسم حمزة والعبّاس، بلا تعريف لأحدهم حيث قال:

(٥٣) المحاسن والمساوي للبيهقي ١٠٥/١.

(٥٤) التجوي هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي التّدوليّ، قاتل الإمام عليّ (ع). وقيل له التّجبيّ والتّجوي نسبة إلى المحلة التي كان يسكنها بمصر قبل هجرته إلى الكوفة. راجع الهامش رقم ٣١ من هذا الفصل.

لكامل للمبرد، ط. مكتبة المعارف، بيروت ١٥١/٢.

والمبرد هو: أبو العبّاس، محمد بن يزيد الأزديّ الشّاميّ البصريّ. قال الخطيب البغداديّ بترجمته: شيخ أهل النحو وحافظ علوم العربية، من تأليفه: الكامل في اللغة. توفيّ ببغداد سنة ٢٨٥ هـ، ترجمته بتاريخ بغداد ٣/٣٨٠، وكشف الظنون، مادة: (الكامل).

والكميّ: أبو المستهلّ آبن زيد الأسديّ، من أهل الكوفة. كان عالماً بأدب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، ثقة في علمه. ترجم شعره الهاشميات إلى الألمانية، (ت: ١٢٦ هـ). الاعلام للزركلي ٩٢/٦.

أحبَّ محمّداً حبّاً شديداً وعبّاساً وحمزة والوصيّاً^{٥٥}
وقول الحميري:

إنّي أدّين بما دان الوصيّ به يوم النخيلة من قتل المحلينا^{٥٦}
وقوله أيضاً:

والله مَنْ عليهم بمحمّد وهداهم وكسا الجنوب وأطعما
ثمّ أنبروا لوصيّهِ ووليّه بالمنكرات فجرعوه العلقم^{٥٧}
وقال إمام الشافعية، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ):

إن كان حبّ الوصيّ رفضاً فإئني أرفض العباد^{٥٨}
وقال ابن دريد:

أهوى النبيّ محمّداً ووصيّهِ وآبنيه وآبنته البتول الطاهرة^{٥٩}

٥٥ الكامل للمبرد ١٥٢/٢. وأورده أبو الفرج بترجمة الحميري في الأغاني، ط. ساسي، ١٠/٧.

وأبو الأسود: ظالم بن عمرو الدؤلي، من الفقهاء والأعيان والشعراء، واضع علم النحو، رسم له علي بن أبي طالب شيئاً من أصول النحو فكتب فيه أبو الأسود، وأخذ عنه جماعة، وهو أول من نطق المصحف، شهد مع عليّ (ع) صفين، توفي بالبصرة سنة ٦٩ هـ. الأعلام للزركلي ٣٤/٣. وراجع العقد الفريد ط. مصر عام ١٣٧٢، ٢١١/٣.

٥٦ الكامل للمبرد ١٧٥/٢، وأورد البيت وتفصيل سبب إنشاد السيد الحميري الشعر، في الأغاني، ط. ساسي ٢١/٧ يوم الخريبة، العقد الفريد ٢٨٥/٣ وابن أبي الحديد ١٢١/١. والسيد الحميري، إسماعيل بن محمد، كان واحداً من ثلاثة، أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام، كان مقدماً عند الخليفتين المنصور والمهدي العباسيين، توفي سنة ١٧٣ هـ. الأعلام للزركلي ٣٢٠/١.

٥٧ في ترجمة السيد الحميري، من الأغاني ٦/٩ يوم الخريبة.

٥٨ ديوان الشافعي ص ٣٥، ط. بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٥٩ بترجمة ابن دريد في الكنى والألقاب ٢٧٤/١

وفي ديوان المتنبي :

وقيل للمتنبي : مالك لم تمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رص)؟

فقال :

وتركت مدحي للوصيِّ تعمّداً إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً

وإذا استقل الشيء قام بذاته وكذا ضياء الشمس يذهب باطلاً ٦٠

والبيت الثاني جرى مجرى الأمثال بهذا اللفظ :

وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً ٦١

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي كما في ديوانه

أيضاً :

هو آبن رسول الله وآبن وصيّيه وشبههما شبهت بعد التجارب ٦٢

وقال شيخ الإسلام الحموي الجويني (ت : ٧٢٢ هـ) :

أخو أحمد المختار صفوة هاشم أبو السادة الغرّ الميامين مؤتمن

وصيُّ إمام المرسلين محمّد علي أمير المؤمنين أبو الحسن

- الأبيات ٦٣ . وقال أيضاً :

أخي خاتم الرسل الكرام محمّد رسول إله العالمين مطهر



وآبن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الأردني البصري شاعر نحوي ، لغوي ومن مؤلفاته .
الجمهرة (ت : ٣٢١ هـ) .

٦٠ ديوان أبي الطيب المتنبي (ت : ٤٦٨ هـ) تحقيق فريدرخ ، ص : ٨٥٦ ، ط . برلين ، سنة
١٨٦١ م .

٦١ ورد بهذا اللفظ في ترجمة أبي نؤاس في الكنى والألقاب ١/١٦٢ .

٦٢ ديوان المتنبي ص ٣٣٣ .

٦٣ في مقدّمة كتابه فرائد السّمطين ، الورقة : ٢ ب ، مخطوطة مصورة المكتبة المركزية بجامعة
طهران برقم ١٦٩٠/١١٦٤ . جمع في البيت الثاني بين ذكر الاسم (علي) وذكر الصفة (وصي) .

عليّ وصيّ المصطفى و **وَفِيهِ** أبي السادة الغُرّ البهاليل حيدر^{٦٤}

وقال السيّد محمد حبيب العبيدي (ت ١٣٨٣ هـ) مفتي الموصل،
آيَّام ثورة العراقيين عام ١٩٢٠ ميلاديّة، عند احتلال بريطانيا للعراق وفي
دحضر أدعاء بريطانيا أنّ لها حقّ الوصاية على العراق والعراقيين. في صرخته
الأولى، كما سمّاها في ديوانه:

أيّها الغرب جئت شيئاً فريباً ما علمنا غير الوصي وصيّاً



قسماً بالقرآن و الإنجيل ليس نرضى وصاية لقبيل
أو تسيل الدماء مثل السيول أفبعد الوصي زوج البتول
نحن نرضى بالإنكليز وصيّاً ؟

دون ملك العراق بين الطلول لأبي عبد الله نجل البتول
قد أريق دماء خير قتيل أفبعد الحسين سبط الرسول
نحن نرضى بالإنكليز وصيّاً ؟

قد ظلمنا العراق يا ساكنيه إنّ دمع النساء لا يجديه
حين تبكي السبطين أو تبكيه أفمن بعد المجتبي و أخيه
نحن نرضى بالإنكليز وصيّاً ؟

يا محبّي آل النبيّ الكرام أيكون العراق ملك اللثام
وهو ميراث آل خير الأنام أفبعد الائمة الأعلام
نحن نرضى بالإنكليز وصيّاً ؟



(٦٤) في أوّل السمط الأول من كتابه فرائد السّمطين، الورقة: ٧ ب.

وقال في صرخته الثانية :

اشهدوا يا أهل الثرى والثريا قد أبت شيعة الوصي وصيًا



قد نكثنا عهد النبي لدينا وأحتملنا إثمًا وعارًا وشينا
إن قبلنا وصاية وغوبنا أفلا يسخط الوصي علينا
إن رضينا بالإنكليز وصيًا ؟

ما عسى أن نقول يوم الجزاء لنبي الهدى أبي الزهراء
والشهيد المقيم في كربلاء وإمام الهدى بسامراء
إن رضينا بالإنكليز وصيًا ؟

وقال أيضاً في قصيدة ثانية :

لست منّا ولم نكن منك شيئاً فلماذا تكون فينا وصيًا
لم تكن يا ابن لندن علويًا هاشميًا ولم تكن قرشيًا
لا ولا مسلمًا ولا عربيًا من بني قومننا ولا شرقيًا
فلماذا تكون فينا وصيًا ؟

إلى قوله :

لا تقل جعفرية حنفيّة لا تقل شافعية زيدية
جمعتنا الشريعة الأحمدية وهي تأبى الوصاية الغربية
فلماذا تكون فينا وصيًا ؟

قد سئمنا سياسة التفريق و آهتدينا إلى سواء الطريق
يا عدوًا لنا بثوب صديق أنت بين الوصي والصديق

لست إلاّ مزوراً أجنبيّاً فلماذا تكون فينا وصيّاً^{٦٥}

* * *

كلّ ما ذكرناه في شأن الوصيّ والوصية كان مشهوراً لدى أتباع مدرسة الخلفاء منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر فقد قال الضبّي من عسكر عائشة يوم الجمل:

نحن بنو ضبة أعداء عليّ ذاك الذي يعرف قدماً بالوصيّ
كانوا يلقبون الإمام عليّاً بالوصيّ ويلقبونه مع الأحد عشر من بنيه
بالأوصياء كما قاله الخليفة العباسي هارون الرشيد في ما أخبر عتّا يقع من القتال
بين ولديه الأمين والمأمون.

كانوا يلقبون الإمام عليّاً بالوصي في حال الغفلة عن معنى هذا اللقب
ومغراه. أما في حال التنبيه إلى معنى هذا اللقب ومغراه فقد كانوا ينكرونه حيناً
ويكتمونه حيناً آخر، ويحرفون الكلام عن مواضعه آونة أخرى. كما سندرس
كل ذلك في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى.

٦٥) تورة العشرين في ذكرها الخمسين، معلومات ومشاهدات بقلم السيّد محمد علي كمال الدين. مطبعة التضامن، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

مدرسة الخلفاء تبذل جهودا كبيرة في سبيل كتمان أخبار الوصية وتأويل ما أنتشر منها

إنَّ أوَّل من وجدناه يفعل ذلك، أمَّ المؤمنين عائشة في ما روي عنها من حديث، غير أنَّ حديثها في إنكار الوصية يدل على أشتهار الإمام عليّ بلقب (الوصي) في عصرها، كما نبين ذلك في ما يأتي :

حديث عائشة يدلّ على أنَّ عليّاً كان وصيّ الرسول (ص) وممّا يدلّ على أنَّ الإمام عليّاً كان مشهوراً بين الصحابة بأنّه وصيّ رسول الله (ص) مضافاً إلى ما أوردناه؛ رواية أم المؤمنين عائشة كما في صحيح مسلم، قال:

ذكروا عند عائشة أن عليّاً كان وصيّاً فقالت:
متى أوصى إليه فقد كنت مسندته إلى صدري - أو قالت: حجري -
فدعا بالطست فلقد آنخنت في حجري وما شعرت أنّه قد مات، فمتى أوصى
إليه؟!

* * *

(١) صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الوصية، ٨٩/١١. وصحيح البخاري، كتاب

كانت أم المؤمنين عائشة بحاجة إلى استنفار الناس لحرب الإمام عليّ
والتي سميت في التاريخ باسم حرب الجمل، ومن ثم نرى أن هذه المذاكرة لم
تجر عفواً، وإنما كانت شبيهة بالاحتجاج عليها في ما أشتهر للإمام بأنه وصي
النبي، وكان هذا الموقف منها متناسباً مع هذا الواقع التاريخي، وكذلك
متناسباً مع مواقفها الأخرى من الإمام عليّ؛ فقد روى ابن سعد عن عائشة،
في خبر مرض رسول الله (ص) أنها قالت:

فخرج بين رجلين تخطّ رجلاه في الأرض بين ابن عباس - تعني
الفضل - وبين رجل آخر؛ قال عبيد الله: فأخبرت ابن عباس بها قالت، قال:
فهل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال: قلت: لا قال ابن
عباس: هو عليّ! إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير.

وفي حديث آخر ورد في مسند أحمد ١١٣/٦:
جاء رجل فوق في عليّ وفي عمّار عند عائشة فقالت:
أما عليّ، فلست قائلة لك فيه شيئاً؛ وأما عمّار فلإني سمعت رسول
الله (ص) يقول فيه: « لا يخير بين أمرين إلا أختار أرشدهما ».
هكذا كانت أم المؤمنين تدفع عن عمّار الواقعة وتسكت عمّن ينال من
الإمام عليّ (ع).

وفي حديث ثالث:
وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ لمسلم:

المغازي باب مرض النبي، ٦٥/٣، وكتاب الوصية، باب الوصايا. وفتح الباري ٢٩١/٦.
ومسند أحمد ٣٢/٦.

(٢) طبقات ابن سعد، ط. بيروت ٢٣٢/٢.
وقد أورد البخاري الحديث نفسه في صحيحه باب مرض النبي ووفاته ٦٣/٣، وهذا لفظه:
(فقال ابن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال قلت: لا، قال ابن
عباس: هو علي بن أبي طالب).
حذف البخاري من الحديث قول ابن عباس: (ان عائشة لا تطيب له نفساً بخير).

عن عائشة أن رسول الله (ص) بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فلما رجعوا ذكر لرسول الله (ص) فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك. فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأننا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله (ص): أحبروه أن الله يحبه^٣.

تري من يكون هذا الرجل الذي يحبه الله ولم تر عائشة أن تذكر اسمه؟ إنه لو كان والدها الخليفة أبا بكر أو الخليفة عمر أو غيرهما من ذوي عصبتها مثل ابن عمها طلحة ونظرائهم، لذكرت اسمه؛ ومهما بحثنا في مصادر مدرسة الخلفاء لم نجد اسمه، فأضطررنا إلى مراجعة مصادر مدرسة أهل البيت، فوجدنا الخبر في تفسير سورة الإخلاص من تفسير مجمع البيان وتفسير البرهان، وباب معنى ﴿ قل هو الله أحد ﴾ من كتاب التوحيد للشيخ أبي جعفر محمد بن علي الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) واللفظ للأخير: عن الصحابي عمران بن حصين:

أن النبي (ص) بعث سرية واستعمل عليها علياً (ع). فلما رجعوا سألهم، فقالوا: كل خير، غير أنه قرأ بنا في كل صلاة بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾. فقال: لم فعلت هذا؟ فقال: لحبي لـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾. فقال النبي (ص): ما أحببتها حتى أحبك الله عز وجل^٤.

٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ح ٢٤٣، ص ٥٥٧. وصحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي (ص) أمته في توحيد الله تبارك وتعالى ١٨٢/٤.

٤) تفسير مجمع البيان للشيخ أبي علي أمين الدين، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، تصحيح أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، سنة ١٣٣٣ - ١٣٥٦ هـ ٥٦٧/١٠. وتفسير البرهان للسيد هاشم البحراني، (ت: ١١٠٧ أو ١١٠٩ هـ) ط. الثالثة، قم سنة ١٣٩٤ هـ ٥٢١/٤. وتوحيد الصدوق، ط. طهران، سنة ١٣٨٧ هـ ص ٩٤ ح ١١. وعمران بن حصين أبو نجيد الخزازي، أسلم عام خير، بعثه عمر ليفقه أهل البصرة، وكان من فضلاء الصحابة ومجابه الدعوة، توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ. أسد الغابة ١٣٧/٤ - ١٣٨.

ولصحة هذا الحديث شاهدان قوتان :

أ - في صحيح البخاري وغيره أن أم المؤمنين عائشة عبّرت في حديثها عن الإمام عليّ بلفظ : رجل ، وكذلك فعلت في هذا الحديث .
ب - ورد في صحيح البخاري وغيره أن رسول الله (ص) قال لعليّ يحبه الله كما قال في هذا الحديث : أحبك الله .
هكذا لا تذكر أم المؤمنين عائشة أسم عليّ (ع) في حديثها وتكني عنه بالرجل ؛ ولم تقتصر على هذا المقدار من الجفوة بل زادت ، كما سنذكر بعضها في ما يأتي :

أم المؤمنين تظهر السرور بقتل الإمام علي (ع)
وأكثر من كلّ ما ذكرناه ما رواه أبو الفرج في مقتل الإمام علي (ع) وقال :
(لَمَّا أَنْ جَاءَ عَائِشَةُ قَتَلَ الْإِمَامَ عَلِيَّ ، سَجَدَتْ)^٥ أي : سجدت شكراً لله ممّا بشروها به .

وروى الطبري وأبو الفرج وآبن سعد وآبن الأثير وقالوا :
لَمَّا أَتَى عَائِشَةُ نَعِيَ عَلِيٍّ قَالَتْ :
فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّ بِهَا النَّوْىُ كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرِ
ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ قَتَلَهُ ؟ فَقِيلَ : رَجُلٌ مِنْ مَرَادٍ ، فَقَالَتْ :
فَإِنْ يَكْ نَائِيًا فَلَقَدْ نَعَاهُ غَلَامٌ لَيْسَ فِيهِ التَّرَابُ
فَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ : أَلْعَلِّيَ تَقُولِينَ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : إِذَا نَسِيتُ
فَذَكِّرُونِي^٦ .

(٥) مقاتل الطالبين ، ط . القاهرة ، سنة ١٣٦٨ هـ ، ص ٤٣ .
(٦) تاريخ الطبري في ذكر سبب مقتل أمير المؤمنين من حوادث سنة ٤٠ هـ ، ط . أوروبا ٣٤٦٦/١ . وكذلك آبن الأثير ، ط . أوروبا ٣٣١/٣ ، وط . الأولى ، ١٥٧/٣ وطبقات آبن سعد ٢٧/٣ . ومقاتل الطالبين ص ٤٢ ، وفي لفظه : (بغاه غلام) ، وفي لفظ غيره : (نعاه) .

ثمّ تمثّلت :

ما زال إهداء القصائد بيننا بأسم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأنّ قولك فيهم في كلّ مجتمع طنين ذباب^٧

مقارنة أحاديث أمّ المؤمنين عائشة بأحاديث غيرها

كان ما ذكرناه بعض مواقف أمّ المؤمنين عائشة من الإمام عليّ (ع) . أمّا قولها : (متى أوصى إليه ، وأنخنت فمات في صدري أو حاقنتي وذاقنتي)^٨ . فقد تفرّدت هي بروايته وتعارضه الروايات الآتية :

قال ابن سعد في طبقاته : باب من قال توفي رسول الله (ص) في حجر عليّ بن أبي طالب ، عن الإمام عليّ :

« قال : قال رسول الله (ص) في مرضه : أدعوا لي أخي ؛ قال : فدعي له علي ، فقال : أدن منّي . فدنوت منه فاستند إليّ فلم يزل مستنداً إليّ وإنّه ليكلّمني حتّى أن بعض ريق النبيّ (ص) ليصيبني . ثمّ نزل برسول الله (ص) وثقل في حجري . . . » الحديث .

وروى عن عليّ بن الحسين ، قال :

(قبض رسول الله (ص) ورأسه في حجر عليّ) .

وعن الشعبي ، قال :

(توفي رسول الله (ص) ورأسه في حجر عليّ وغسله عليّ . . .)

الحديث .

(٧) ورد تمثّل أمّ المؤمنين بالبيتين في مقاتل الطالبين ص ٤٢ .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، الباب الاول ، ٨٤/٢ . وكتاب المغازي ، باب مرض النبيّ ٦٣/٣ منه ، وصحيح مسلم كتاب الوصية باب : ١٩ ، وابن ماجة كتاب الجنائز ، باب ٦٤ ، ومسند أحمد ٣٢/٦ ، ٦٤ و ٧٧ ، والطبري ١٨١٤/١ . وراجع قبله ص : ٢٩٨ من هذا الكتاب .

وروى عن أبي غطفان، قال:

(سألت ابن عباس: أرايت رسول الله (ص) توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو لمستند إلى صدر عليّ، قلت: فإن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت: توفي رسول الله (ص) بين سحري ونحري! فقال ابن عباس: أتعقل؟ والله لتُوفي رسول الله (ص) وإنه لمستند إلى صدر عليّ، وهو الذي غسله...) الحديث.

وروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري:

(أن كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين:

ما كان آخر ما تكلم به رسول الله (ص)؟ فقال عمر: سل علياً، قال: أين هو؟ قال: هو هنا. فسأله، فقال عليّ: أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبّي فقال: الصلاة الصلاة! فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا وعليه يبعثون. قال: فمن غسله يا أمير المؤمنين؟ قال: سل علياً، قال: فسأله فقال: كنت أنا أغسله وكان العباس جالساً وكان أسامة وشقران يختلفان إليّ بالماء)^٩.

لو كان النبي أنخنث وتوفي بين سحر عائشة ونحرها أو حاقنتها وذاقنتها، كما قالت هي، لقال الخليفة عمر لكعب الأحبار: سل أم المؤمنين عائشة عن آخر ما تكلم به رسول الله (ص) ولم يكن يحيله على الإمام علي (ع).

وأقوى من كل الروايات السابقة رواية من شهدت ذلك من أمّهات المؤمنين وهي أم سلمة قالت:

(٩) هذه الأحاديث الخمسة في طبقات أبي سعد، باب: من قال: توفي رسول الله (ص) في حجر عليّ بن أبي طالب. ط. أوربا ٢/٢ ق ٥١/٢.

(و الذي أحلف به أن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله (ص) عدناه غداة وهو يقول: جاء عليّ؟ جاء عليّ؟ - مراراً - فقالت فاطمة كأنك بعثته في حاجة. قالت: فجاء بعد، فظننت أنّ له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، قالت أمّ سلمة: وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه رسول الله (ص) وجعل يسارّه ويناجيه، ثمّ قبض (ص) من يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهداً)^{١٠}.

وفي رواية عبد الله بن عمرو:

(أن رسول الله (ص) قال في مرضه: ادعوا لي أخي - إلى قوله - فدعي له عليّ فستره بثوبه وأكبّ عليه . . .)^{١١} الحديث.

ومِمّا قاله الإمام عليّ (ع) عن وفاة رسول الله (ص) قوله:

(فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصندري نفسك، فإنّا لله وإنا إليه راجعون)^{١٢}.

وقال أيضاً:

(ولقد قبض رسول الله (ص) وإنّ رأسه لعلّني صدري . ولقد سألت نفسه في كفّي، فأمررتها على وجهي . ولقد وليت غسله (ص) والملائكة أعواني، فضجّت الدار والأفنية، ملأ يهبط، وملأ يعرج، وما فارقت سمعي

(١٠) أخرجه الحاكم في مستدركه ١٣٨/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأعترف بصحّته الذهبي في تلخيص المستدرک، وأخرجه ابن عساکر في باب: أنه كان أقرب الناس عهداً برسول الله (ص)، من ترجمة الإمام عليّ ١٤/٣ - ١٧ بطرق متعددة، وفي مصنف ابن أبي شيبة ٣٤٨/٦. ومجمع الزوائد ١١٢/٩. وكنز العمال، ط. الثانية؛ كتاب الفضائل، فضائل علي بن أبي طالب، ح ٣٧٤، ١٥/١٢٨ وأخرجه سبط ابن الجوزي، في تذكرة خواص الأمة، باب حديث النجوى والوصية عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل.

(١١) كنز العمال، ط. الأولى، ٣٩٢/٦. وتاريخ ابن كثير ٣٥٩/٧. و ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساکر، ط. بيروت، سنة ١٣٩٥ هـ ٢/٤٨٤.

(١٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠٢.

هينمة منهم يصلّون عليه حتّى واريناه في ضريحه (١٣) .

مناقشة أحاديث أم المؤمنين عائشة

تفرّدت أمّ المؤمنين عائشة برواية، أنّ النبيّ (ص) توفّي في حجرها في مقابل كلّ تلکم الأحاديث .

وأغلب الظنّ كما قلنا سابقاً أنّها قالت ذلك في حرب البصرة، أي بعد زمان الخليفين عمر وعثمان، وكذلك يناسب هذا القول عصر معاوية حيث كان ينهى عن نقل فضائل الإمام ويأمر بنقل ما يناقضها .

وعلى فرض صحّة قول عائشة أنّ النبيّ (ص) توفّي على صدرها، هل كان ذلك مناقضاً لما تواتر من أنّ الإمام عليّاً كان وصيّ رسول الله (ص)؟ ولم يكن ثمّت زمان آخر ليدي الرّسول (ص) بوصاياه للإمام عليّ؟ كما تدلّ عليه روايات كثيرة مثل ما رواه أصحاب السنن والمسانيد عن الإمام عليّ، قال :
(كان لي من رسول الله (ص) مُدْخِلان : مدخل بالليل ، ومدخل بالنهار، فكنت إذا أتيتهُ وهو يصليّ تنحنح)^{١٤} .

وفي رواية :

(كانت لي من رسول الله (ص) منزلة لم تكن لأحد من الخلائق ؛ لأنّي كنت أتيه كلّ سحر فأسلم عليه حتّى يتحنح . . .)^{١٥} الحديث .

ومن تاريخ ابن عساكر عن جابر :

(لَمّا كان يوم الطّائف ، ناجى رسول الله (ص) عليّاً ، فأطال نجواه فقال بعض أصحابه : لقد أطال نجوى ابن عمّه . فبلغه ذلك ، فقال : ما أنا

(١٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٧ .

(١٤) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستئذان، ح ٣٧٠٨، ومسنّد أحمد ٨٠ / ١ .

(١٥) مسنّد أحمد ٨٥ / ١ و ١٠٧ ويأتي تفصيله في باب مصادر الشريعة الإسلامية لدى مدرسة أهل البيت .

أنتجيتَه؛ بل الله أنتجَاه).

وفي لفظ آخر للرواية:

(فناجَاه طويلاً، وأبوبكر وعمر ينظران والناس، قال: ثم أنصرف إلينا فقال الناس: قد طالَت مناجاتك اليوم يا رسول الله! فقال: ما أنا أنتجيتَه ولكن الله أنتجَاه)^{١٦}.

* * *

أوردنا هذه الروايات من مصادر أخرى - أيضاً - في باب ذكر حاملي علوم الرسول (ص) من هذا الكتاب، وفي باب مصادر الشريعة الإسلامية لدى مدرسة أهل البيت (ع).

مقارنة بين حديث أم المؤمنين عائشة وحديث الإمام علي (ع)

تفرّدت أم المؤمنين عائشة برواية ما أخبرت به عن خبر آخر ساعات حياة الرسول الأكرم (ص) أنه طلب طستاً ليبول فأنخنث ومات بين حاقنتها وذاقنتها، وأمثال هذه الألفاظ، أضف إليه حديثها وحديث غيرها في بدء نزول الوحي:

أن رسول الله (ص) عندما تلقى أوّل وحي هبط به جبرائيل من الله بآيات سورة إقرأ، شكّ في جبرائيل أنه شيطان يريد أن يتلعب به، وشكّ في الآيات الكريمة أنها من قبيل سجع الكهان حتى طمأنه الرجل النصراني ورقة بن نوفل أنه نبيّ أوحى إليه كموسى بن عمران، فأطمأن وأدرك أنه نبيّ،

(١٦) أخرج الحديثين ابن عساكر بترجمة الإمام علي ٣١٠/٢ و٣١١ء وابن كثير في تاريخه ٣٥٦/٧، وفي شرح نهج البلاغة ط. مصر الأولى ٧٨/٢ ما ملخصه:
دخلت عائشة وهما يتناجان، فقالت: يا عليّ ليس لي إلّا يوم من تسعة أيام، أفما تدعني يا ابن أبي طالب؟

إلى أحاديث أخرى لهذه المدرسة عن سيرة رسول الله (ص).
إنّ تلّكم الأحاديث كما ذكرنا في البحوث التمهيدية كوّنت رؤية خاصّة
عن رسول الله (ص) لمن يعتقد بها، تحطّ من مقام أفضل الرسل عن مستوى
الإنسان العادي، ولهذا حقّ للرجل (ذي المعرفة) السعودي أن يقول: محمد
رجالاً مثلي مات.

أمّا في حديث الإمام عليّ عن بدء نزول الوحي وهو الشاهد الوحيد
الذي كان عندئذ مع الرسول (ص) في غار حراء: أنّه سمع رنة حينئذ وأنّ
الرسول (ص) أخبره أنّ الرنة من الشيطان لأنّه أيس من عبادته.
وفي حديثه أيضاً: إنّ الله قرن برسول الله (ص) منذ أن كان فطيماً
أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله
وينهاره.

وفي حديثه عن وفاة رسول الله (ص) أنّه أدناه إليه وأخذ يناجيه ويسرّ
إليه ويوصي حتّى قبض (ص) ١٧ وسالت نفسه في كفّه فأمرّها على وجهه وأنّه
أخذ في تغسيله وتكفينه والملائكة أعوانه في ذلك، وقد ضجّت الدار والأفنية
ملاً يهبط وملاً يعرج، وأنّه ما فارقت سمعه هينمة منهم يصلّون عليه حتّى
واراه في ضريحه.

إنّ أمثال هذه الأحاديث عن سيرة الرسول بمدرسة أهل البيت - أيضاً -
كوّنت رؤية خاصة لمن يعتقد بها، ولن يتيسّر تقارب بين المسلمين ما لم تدرس
المجموعتان من الأحاديث معاً دراسة مقارنة لنصل إلى الحقيقة المنشودة ثمّ
يتفاهم الإخوة المسلمون في ضوء تلك الدراسات إن شاء الله تعالى.
ونؤكد مرّة أخرى أنّ في مقدمة ما ينبغي دراسته دراسة مقارنة؛ أخبار
سيرة الرسول الأكرم (ص) وتاريخ عصر الرسول (ص) وعصر من تشرف بصحبته.
(١٧) وقد آيد حديثه، حديث أم سلمة وغيرها في ذلك.

حديثان متعارضان من أم المؤمنين عائشة

و موقفان مختلفان

روى ابن عساكر أنَّ امرأتين سألتا عائشة، فقالتا:

يا أم المؤمنين أخبرينا عن عليّ، قالت: أي شيء تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله (ص) موضعاً فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه، و اختلفوا في دفنه، فقال: إِنَّ أَحَبَّ البَقَاعِ إِلَى اللَّهِ مَكَانَ قَبْضِ فِيهِ نَبِيِّهِ. قالت: فلم خرجت عليه؟ قالت: أمر قضي، لوددت أن أفديه بها في الأرض^{١٨}.

إِنَّ حديثها هذا يَتَّفِقُ مع حديث الإمام علي الذي قال فيه: قُبِضَ رسول الله (ص) وَإِنَّ رَأْسَهُ عَلَى صَدْرِي، ولقد سالت نفسه في كَفِّي وأمرتها على وجهي.

ويتعارض مع حديثها:

(انخنت بين حاقتي وذاقتني).

وروى ابن عساكر- أيضاً- عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله (ص) وهو في بيتها لَمَّا حضره الموت: أدعوا لي حبيبي . . .

فدعوا علياً فأتاه، فلَمَّا رآه أفرد الثوب الذي كان عليه ثُمَّ أدخله فيه فلم يزل يحتضنه حتى قُبِضَ عليه^{١٩}.

حديثها هذا يَتَّفِقُ مع حديث عبد الله بن عمرو الذي قال فيه: (إِنَّ رسول الله قال في مرضه: أدعوا لي علياً . . .) ويعارض

١٨ و ١٩) كلا الحديثين أخرجهما ابن عساكر في ترجمة الإمام علي ٣/ ١٥.

أحاديثها، في أنّ الرسول (ص) توفي بين سحرها ونحرها، وأمثالها، ومنشأ صدور الحديثين المتعارضين من أمّ المؤمنين عائشة؛ وسببه، اختلاف موقفها من الإمام علي. وبيانه:

موقفان مختلفان تجاه الإمام علي (ع)

بعد وفاة الرسول (ص) ببيع الخليفة أبو بكر، وبقي عليّ ومعه جميع بني هاشم ستة أشهر بحسب رواية أمّ المؤمنين عائشة لم يبايعوه حتى توفيت فاطمة^{٢٠}، ثم بقي الإمام عليّ بعيداً عن الساحة، حتّى أخريات خلافة عثمان، حيث قادت أمّ المؤمنين عائشة^{٢١} المعارضين من طلحة والزبير وغيرهما لمجابهة الخليفة أملاً منها في أن يلي بعده ابن عمّها طلحة. ولما قتل عثمان وبايع المسلمون عليّاً أقامت عليه حرب الجمل، وأنكسرت فيها وأرجعها الإمام عليّ إلى المدينة، وبقيت حانقة عليه حتى استشهد، ومرّ بنا إظهارها للسرور من مقتله، ثم ولي الحكم معاوية وجمع بينهما الموقف الواحد من الإمام، ثم فترت العلاقة بينهما على أثر قتل معاوية لحجر بن عدي.

ولما أراد معاوية أن يأخذ البيعة ليزيد، كان شقيقها عبد الرحمن بن أبي بكر من أشدّ المعارضين لبيعة يزيد، وخطب مروان في مسجد الرسول (ص) وكان والياً على الحجاز من قبل معاوية، فقال:

إنّ أمير المؤمنين قد اختار لكم، فلم يأل، وقد استخلف لابنه يزيد بعده.

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: كذبت والله يا مروان! وكذب

(٢٠) مرّ مصادر الخبر في بحث السقيفة من هذا الكتاب.

(٢١) أوردنا تفاصيل موقف عائشة من عثمان ومعاوية في كتابنا: (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) فصل: مع معاوية، وأوردنا فهرستاً من تلك الوقائع.

معاوية، ما الخيار أردتها لأمة محمّد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية،
كلّما مات هرقل قام هرقل.

فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفُ لَكُمْ ﴾
الأحقاف/ ١٧.

فسمعت عائشة مقالته من وراء الحجاب، فقامت من وراء الحجاب،
وقالت: يا مروان! يا مروان! فأنصت الناس، وأقبل مروان بوجهه، فقالت:
أنت القاتل لعبد الرحمن أنه نزل فيه القرآن؟ كذبت والله ما هو به،
ولكنّه فلان بن فلان، ولكنك فضض من لعنة الله.

وفي رواية، فقالت: كذب والله ما هو به، ولكن رسول الله (ص)
لعن أبا مروان ومروان في صلبه، فمروان فضض من لعنة الله عزّ وجلّ^{٢٢}.

وأخرج البخاري الحديث في صحيحه وقال:

(كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر
يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر
شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إنّ
هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفُ لَكُمْ أَتَعْدَانِي ﴾. فقالت
عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلّا أنّ الله أنزل
عذري)^{٢٣}.

هكذا حذف البخاري قول عبد الرحمن: (تريدون أن تجعلوها
هرقلية . . .) وأبدله بقوله: (قال شيئاً) وحذف رواية أم المؤمنين عائشة في
حقّ مروان. بينا أوردها ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري المسمّى بفتح

(٢٢) تاريخ ابن الأثير ٣/ ١٩٩ في ذكره حوادث سنة ٥٦ هـ.

والفضض: القطعة من الشيء.

(٢٣) صحيح البخاري ٣/ ١٢٦، باب ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ ﴾ من تفسير سورة الأحقاف.

الباري مفضلاً، وفي لفظ بعضها: ولكن رسول الله (ص) لعن أبا مروان ومروان في صلبه^{٢٤}.

وإنما فعل الشيخ البخاري ذلك لأن معاوية ويزيد هما من خلفاء المسلمين، ولا يرى البخاري أن يسمع العامة قول عبد الرحمن في حقهما، أنهما جعلوا الخلافة هرقلية كلياً مات هرقل قام هرقل مقامه.

وحذف رواية أم المؤمنين عائشة في مروان - أيضاً - لأن مروان أصبح خليفة للمسلمين ولا ينبغي ذكر ما يشينه. هكذا فعل الشيخ البخاري في صحيحة، فإنه حذف كل شيء يشين الخلفاء والحكام في كل حديث ورد فيه من ذلك شيء. ومن ثم أعتربت مدرسة الخلفاء كتابه أصح الكتب بعد كتاب الله، وعُدَّ هو إمام أهل الحديث لديهم.

* * *

لما لم يستطع مروان أن يأخذ البيعة في الحجاز ليزيد، قدم معاوية الحجاز حاجاً ودخل المدينة، وكان من خبره ما رواه ابن عبد البر، حيث قال: (قعد معاوية على المنبر يدعو إلى بيعة يزيد، فكلمه الحسين بن علي، وأبن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر، فكان كلام ابن أبي بكر: أهرقلية؟! إذا مات كسرى كان كسرى مكانه؟ لا نفعل والله أبداً. وبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد، فردّها عليه عبد الرحمن، وأبى أن يأخذها، وقال: أبيع ديني بدنياي؟! فخرج إلى مكة، فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد بن معاوية)^{٢٥}.

(٢٤) فتح الباري ١٠/١٩٧ - ١٩٨، وأخرج القصة بتفصيلها أبو الفرج في الأغاني ٩٠/٩١ - ٩٠/٩٦. وراجع ترجمة الحكم بن أبي العاص من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ومستدرك الحاكم ٤/٤٨١. وتاريخ ابن كثير ٨/٨٩ والإجابة في ما استدرسته عائشة على الصحابة، و ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر في تاريخ دمشق لابن عساكر. (٢٥) راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب ٢/٣٩٣. وأسد الغابة ٣/٣٠٦.

وذكر ابن عبد البر بعده وقال :

(إنَّ عبد الرحمن مات فجأةً بموضع يقال له : (الحبشي) ^{٢٦} على نحو عشرة أميال من مكة فدفن بها . ويقال : إنَّه توفي في نومة نامها ، ولما اتصل خبر موته بأخته عائشة أم المؤمنين (رض) ظنعت من المدينة حاجة حتى وقفت على قبره ، وكانت شقيقته ، فبكت عليه وتمثلت :

وكنا كندماني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كاني ومالكاً لطول آجتماع لم نبت ليلة معاً ^{٢٧}
أما والله لو حضرتك لدفتك حيث مت مكانك ، ولو حضرتك ما
بكيتك) .

وفي مستدرك الحاكم :

(رقد في مقيل قاله ، فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات ، فدخل في نفس عائشة تهمة أن يكون صنع به شر وعجل عليه فدفن وهو حي) ^{٢٨} .

* * *

لو بقي عبد الرحمن حياً لما تمت بيعة يزيد مع موقفه الصارم ضد بيعته
ومعه أم المؤمنين عائشة ، فمات في طريق مكة ، كما مات مالك الأشر في طريق
مصر مسموماً بسم دسه إليه معاوية ^{٢٩} .

والإصابة ٢/٤٠٠ . وشذرات الذهب في ذكر حوادث سنة ٥٣ هـ ، وقريب منه ما في مستدرك
الحاكم ٣/٤٧٦ .

(٢٦) في معجم البلدان :

الحبشي : جبل بأسفل مكة ، بينه وبين مكة ستة أميال ، مات عنده عبد الرحمن بن أبي بكر
فجأة ، فحمل على رقاب الرجال إلى مكة ، فقدمت عائشة من المدينة وأنت قبره وتمثلت :
وكنا كندماني جذيمة البيت .

(٢٧) راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب بهامش الإصابة ٢/٣٩٣ .

(٢٨) مستدرك الحاكم ٣/٤٧٦ ، وكذلك في تلخيص المستدرك للذهبي وقد ورد فيه :
(الحبشي) .

(٢٩) راجع فصل : مع معاوية ، من كتابنا (أحاديث أم المؤمنين عائشة)

مات عبد الرحمن ليفسح الطريق لبيعة يزيد، كما توفي قبله الإمام الحسن بسْم دُسّه إليه معاوية. اغتيل عبد الرحمن في هذا السبيل، كما اغتيل سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ولم يخف ذلك على أمّ المؤمنين عائشة، فأقامت على بني أمية عامة حرباً شعواء من الدعاية القويّة ضدّهم بدأتها بنشر ما سمعته من النبيّ (ص) في شأن مروان وأبيه الحكم، وقابلت سياسة معاوية خاصّة والتي كانت ترمي إلى طمس فضائل بني هاشم عامة وبيت الإمام خاصّة، لمقام الحسين عند المسلمين، وهو يريد أن يورث الخلافة في عقبه وبلغ الأمر به أن أمر بلعن الإمام عليّ (ع) على منابر المسلمين، عندئذ قابلت أمّ المؤمنين عائشة هذه السياسة مقابلة قويّة وأخذت تنشر في هذا الدور فضائل الإمام عليّ وشبليه الحسن والحسين سبطي رسول الله (ص) وزوجته فاطمة ابنة رسول الله (ص) ومن ثمّ روي عنها في فضائلهم بعض ما كانت سمعته من رسول الله (ص) وما شاهدته، ومن جملته الحديثان الأنفان المتعارضان مع أحاديثها الأخرى في وفاة الرسول (ص).

* * *

كان موقف أمّ المؤمنين عائشة من حديث الوصية جزءاً من عمل الخلافة القرشية مع أحاديث الرسول (ص) في شأن أهل بيته تبعاً لسياسة عامة قريش: (الآتية النبوة والخلافة في بني هاشم) كما يأتي ذكرها في البحث الآتي بإذنه تعالى.

كتبان فضائل الإمام عليّ ونشر سبّه ولعنه والسبب فيها

نبدأ في ما يأتي بذكر السبب في ذينك ثم نوالي إيراد أخبار كتبان فضائل الإمام عليّ ونشر سبّه ولعنه .

كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم

روى الطبري محاورتين جرتا بين الخليفة عمر وأبن عباس وقال : قال الخليفة في إحداهما لابن عباس :

ما منع قومكم منكم ؟ - أي ما منع قومكم قريشاً من ولايتكم -

قال آبن عباس : لا أدري !

قال عمر : لكنّي أدري ، يكرهون ولايتكم لهم !

قال آبن عباس : لِمَ ونحن لهم كالخير ؟

قال : غفراً ؛ يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فيكون بَجَاحاً .

بَجَاحاً لعلّكم تقولون إن أبا بكر فعل ذلك ، لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره . الحديث .

وفي الثانية قال :

ياابن عباس ! أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد ؟

فكرهتُ أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمر المؤمنين يُدريني .
فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتَبَجَّحوا على قومكم
بجحاً بجحاً؛ فأختارت قريش لأنفسها فأصابته ووفقتُ .
فقلت: يا أمير المؤمنين ! إن تأذن لي في الكلام وتُعط عني الغضب
تكلمتُ .

فقال: تكلم يا ابن عباس .

فقلت: أما قولك - يا أمير المؤمنين - اختارت قريش لأنفسها فأصابته
ووفقت؛ فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان
الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة
والخلافة؛ فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا
مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس؛ قد كانت تبليغي عنك أشياء
كنت أكره أن أُقرَّك عليها فتزيل منزلتك مني .

فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل
منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أمارط الباطل عن نفسه .

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً .

فقلت: أما قولك - يا أمير المؤمنين - ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم،
وأما قولك حسداً؛ فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون .

فقال عمر: هيهات ! أبت والله قلوبكم - يا بني هاشم - إلا حسداً ما
يحول، وضغناً وغشاً ما يزول .

فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين ! لا تصِف قلوب قوم أذهب الله عنهم
الرجس و طهرهم تطهيراً بالحسد والغش؛ فإن قلب رسول الله صلى الله عليه

وسلم من قلوب بني هاشم .

فقال عمر : إليك عني يا ابن عباس .

فقلت : أفعل .

فلما ذهبت أقوم استحيا مني فقال :

يا ابن عباس مكانك ! فوالله إني لراع لحقك ، محب لما سرك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ! إن لي عليك حقاً وعلى كل مسلم ؛ فمن حفظه

فحظه أصاب ، ومن أضاعه فحظه أخطأ . ثم قام فمضى^١ .

وقفة تأمل لدراسة الحديثين

في الحديثين صرح الخليفة عمر بأن قريشاً كرهوا أن يجتمع في بني هاشم النبوة والخلافة فيتبجح بنو هاشم على قريش بجهأ أي يتباهوا بذلك على قريش مباهاة .

وقال في الثاني : (فأختارت قريش لأنفسها فأصابته ووفقت) . إذا فقد بحثت قريش في أمر الولاية عن مصلحة أنفسهم - في ظاهر الأمر الدنيوي - وليس مصلحة سائر المسلمين . وأي فرق للمسلمين أي قبيلة من قريش وليت الحكم بعد رسول الله (ص) .

وفي تصويبه عمل قريش لم يستدل بغير قوله (أختارت قريش لأنفسها) ولم يذكر أي دليل آخر من كتاب الله أو سنة رسوله (ص) .

ويستفاد من جواب ابن عباس (فلو أن قريشاً أختارت لأنفسها حيث

(١) في ذكر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ هـ من تاريخ الطبري ط مصر الأولى ، ١/ ٣٠-٣٢ ، وطبعة اوروا ، ١/ ٢٧٦٨ - ٢٧٧٢ ، والثانية منها - أيضاً - في تاريخ أن الأثير ، ٣/ ٢٤ - ٢٥ ، واللفظ للطبري

أختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها (أمران :
أولاً - إن اختيار قريش كان في غير ما اختاره الله ، ويقصد حيث اختار
الله الإمام علياً (ع) . كما سنورد الآيات والأحاديث في هذا الصدد بعيد هذا
إن شاء الله تعالى .

ثانياً - إنه ليس لقريش أن تختار غير ما اختاره الله . ويشير بقوله هذا
إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب :

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم
الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ (٣٦) .
وشدد النكير على كراهية قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم وقال :
إن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال : ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله
فأحبط أعمالهم ﴾ (محمد / ٩) . وقد فصلنا القول في مدلول حبط الأعمال في
بحث « جزاء الأعمال » من كتاب « عقائد الإسلام » فليراجع .

وفي جواب الخليفة لابن عباس لم يجد رداً لدعوى ابن عباس أن قريشاً
اختاروا غير ما اختار الله وغير ما أنزل الله ؛ بل جابهه بنقل ما بلغه أن ابن
عباس قال : (إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً) ولم ينكر ذلك ابن عباس ، بل
أبان حجته في هذا القول وقال :

(أما قولك : ظلماً ؛ فقد تبين للجاهل والحليم) .

يعني ابن عباس من قوله هذا أن قوله : بأن بني هاشم ظلموا في تنحية
الإمام علي عن الحكم ليس يخص ابن عباس وحده ليكون هو الذي كشف
بقوله ذلك عن تلك الحقيقة ، بل إن ذلك قد تبين لجميع الناس ؛ العاقل
الحصيف منهم ، والجاهل الخسيس

وأجاب عن قوله (حسداً) وقال : (إن إبليس حسد آدم ونحن ولده

المحسودون) .

ولعلّ آبن عباس يشير في كلامه هذا إلى قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ﴿ (٣٣ - ٣٤) أي إنّ بني هاشم من ذرية من حسده إبليس لأنّ الله أصطفاهم ، وللذرية أسوة في ذلك بأبائهم .
وأخيراً جاش صدر الخليفة بالغیظ ولم يتحمل أقوال آبن عباس وقال له : (هيهات ! أبت والله قلوبكم يابني هاشم إلّا حسداً ما يحول ، وضغناً وغشاً ما يزول) .

فأجابه آبن عباس وقال : (مهلاً يا أمير المؤمنين ! لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش ؛ فإنّ قلب رسول الله (ص) من قلوب بني هاشم) .

ونترك شرح كلمة الخليفة لما فيها من قسوة . أمّا كلمة آبن عباس فقد أشار فيها إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٣٣) ولما لم يستطع الخليفة أن يرد على آبن عباس قوله أمره بالابتعاد عنه وقال له : (إليك عني يا آبن عباس !) أي ابتعد عني ، ولما أطاع آبن عباس أمر الخليفة وأراد أن يقوم ؛ لأنّ عليه الخليفة وختم الأمر بينهما بالحسنى ، واستمرت الخلافة القرشية كسائر قريش في كرهها لاستيلاء بني هاشم على الحكم . كما يظهر ذلك من المحاوراة التي دارت بين الخليفة وآبن عباس بعد موت عامل حمص حيث خاطب الخليفة ابن عباس بقوله :

يا آبن عباس ! إن عامل حمص هلك ، وكان من أهل الخير - وأهل الخير قليل - وقد رجوت أن تكون منهم ، وفي نفسي منك شيء لم أره منك ،

وأعياني ذلك، فما رأيك في العمل ؟

قال : لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك .

قال : وما تريد إلى ذلك ؟

قال : أريده، فإن كان شيء أخاف منه على نفسي، خشيتُ منه عليها الذي خشيتُ، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنني لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فإني قلما رأيته طلبت شيئاً إلا عاجلته .

فقال : يا ابن عباس !، إني خشيت أن يأتي عليّ الذي هوأت وأنت في عمالك فتقول : هلمّ إلينا ولا هلمّ إليكم دون غيركم . . . الحديث^٢.

يظهر أن هذه المحاورة جرت بينهما في أخريات حياة عمر . وجرى في آخر شهر من حياة الخليفة عمر ما رواه في هذا الصدد البخاري بسنده وقال : عن ابن عباس أنه قال : كنت أقرئ رجلاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجّها إذ رجع إليّ عبدالرحمن فقال : لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال : يا أمير المؤمنين ! هل لك في فلان يقول : لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً؛ فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت : فغضب عمر ثم قال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذوهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم . قال عبدالرحمن فقلت : يا أمير المؤمنين ! لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاي الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها وأن لا بضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢/٣٢١ - ٣٢٢

المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها.

فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر فجلست حوله تمس ركبتني ركبتته فلم أنشب أن أخرج عمر ابن الخطاب فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف. فأنكر عليّ وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله؟ فجلس عمر على المنبر فلما سكّت المؤذنون قام فائثنى على الله بها هو أهله، ثم قال:

أما بعد! فإني قائل لكم مقالة قد قدّر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ - إلى قوله - ثم إنه بلغني أن قائلًا منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً فلا يغرّرنّ امرؤ أن يقول إنّها كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر. من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا. - إلى قوله في آخر الخطبة أيضاً - فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا^٣.

ياترى! من هو فلان المعزوم على بيعته؟ ومن هو فلان الذي أهاج بقوله

(٣) صحيح البخاري ١١٩/٤ - ١٢٠، باب رجم الحبل من الزنا من كتاب الحدود. وقد أوردنا مورد الحاجة من الخطبة ص ١٥١ قبل هذا. و(ويضعونها) كذا وردت في الأصل والصواب: يضعوها.

غضب الخليفة فخطب وقال في خطبته ما قال ؟ إنَّ ابن أبي الحديد الشافعي قد كشف في بعض ما رواه عن اسميهما وقال :
(إنَّ الرجل الذي قال : لو قد مات عمر لباعيت فلاناً ؛ عمار بن ياسر قال : لو قد مات عمر لباعيت علياً . فهذا القول هو الذي هاج عمر أن خطب بما خطب به)^٤

دراسة مفهوم الخطبة :

يفهم من كلام الخليفة أنه خشي أن يفلت زمام الأمر بعد وفاته من يد قريش ويبادر غيرهم من المسلمين - صحابة وتابعين - إلى بيعة من يكرهون ولايته ، وهو الإمام علي ، ولذلك ابتكر طريقة سدَّ بها الطريق على أولئك وقال : (من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه تغرة أن يُقتل) . قال ذلك في حين أنه بنفسه ولي أمر المسلمين دون مشورة المسلمين ، وأستند في شرعية حكمه إلى تعيين الخليفة أبي بكر له ، ومهما يكن من أمر فقد أمسك - بطرحه ذلك - بزمام الأمر بقوة بيده ، ثم طرح بعد ذلك بقليل ، وعندما طعن ، وأمر بأن يجتمع ستة من قريش ليختاروا واحداً منهم للخلافة ، وجعل أمر ترشيح الخليفة بيد عبدالرحمن بن عوف ، وشرط هذا - للبيعة - عمل الخليفة بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيوخين ، فقبل عثمان الشرط ورفضه الإمام علي (ع) ، وكانوا يعلمون أن الإمام علياً لا يقبل أن يجعل سيرة أبي بكر وعمر في عداد كتاب الله وسنة رسوله . وإذا رجعنا إلى ص ١٨٣ من هذا الكتاب نجد الخليفة عمر ينبئ سعيد بن العاص الأموي أن

(٤) في شرح الخطبة (٢٦) من شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة .

الذي يلي الأمر من بعده هو ذورحم سعيد، وقد ولي بعد الخليفة عمر ذورحم سعيد (عثمان بن عفان الأموي)، ولعلنا نجد السبب - أيضاً - في ص ١٧٢ منه أن أبا بكر دعا عثمان خالياً فقال: (اكتب . . . هذا ماعهد أبو بكر إلى المسلمين، أما بعد) فأغمي عليه فذهب عنه، (فكتب عثمان: أما بعد! فإني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب) ولما أفاق أمضى ما كتبه عثمان من توليته عمر لأنه كان قد وافق قصده.

وعن أمر من يلي بعد عثمان روى اليعقوبي وقال: إن عثمان اعتلّ علّة اشتدّت به، فدعا حمران بن أبان، وكتب عهداً لمن بعده، وترك موضع الاسم، ثم كتب بيده: عبدالرحمن بن عوف، وربطه وبعث به إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان، فقراء حمران في الطريق فأتى عبدالرحمن فأخبره، فقال عبدالرحمن، وغضب غضباً شديداً: أستعمله علانية، ويستعملني سراً! ونمى الخبر وانتشر بذلك في المدينة. وغضب بنو أمية، فدعا عثمان بحمران مولاه، فضربه مائة سوط، وسيّره إلى البصرة. فكان سبب العداوة بينه وبين عبدالرحمن بن عوف.

وجه إليه عبدالرحمن بن عوف بابنه، فقال له قل له: واللّه لقد بايعتك، وإن فيّ ثلاث خصال أفضلكُ بهن . . . الخبره .

ويظهر أنه كان قد بُت في أن يلي الحكم بعد عثمان عبدالرحمن بن عوف غير أن عبدالرحمن توفي قبل عثمان سنة ٣١ أو ٣٢ هـ بعد أن اشتد الخصام بينهما، وكذلك وقع الخلاف بين بني أمية «الأسرة الحاكمة من قريش»

(٥) تاريخ اليعقوبي، ١٦٩/٢ .

(٦) راجع الاوائل لأبي هلال العسكري ط. بيروت ١٤٠٧، ص ١٢٩، وشرح النهج لابن أبي

الحديد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٦٩/١

وسائر أفخاذ قريش، وقادت أم المؤمنين عائشة أسرتها من تيم والمخالفين حتى سقط الخليفة عثمان قتيلاً في داره في المدينة وبمحضر من المهاجرين والأنصار^٧.

عند ذلك ملك المسلمون أمرهم وانحلوا من كل بيعة سابقة توثقهم فتهافتوا على الإمام علي (ع) يبايعونه وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله (ص)، ولما ولي الإمام علي (ع) الحكم ألغى جميع امتيازات قريش التي منحوها على عهد الخلفاء قبله، وساوى بين سروات قريش وسائر المسلمين - العرب منهم والموالي - في تقسيم بيت المال والمنزلة الاجتماعية، فلملمت قريش أطرافها بعد أربعة أشهر من حكمه، وأقامت عليه حرب الجمل التي اجتمع فيها مروان (المطالب بدم عثمان) وطلحة والزبير (اللذان حرصاً على قتل عثمان) بقيادة أم المؤمنين عائشة التي أفتت بقتل عثمان ثم أقامت قريش عليه حرب صفين. أقامت الحريين عليه باسم الطلب بدم عثمان، وبذلك شوشت قريش على المسلمين في خارج المدينة الرؤية الصحيحة. وبعد تحكيم الحكيمين بصفين خرجت على الإمام علي الخوارج بنهروان. ولهذا كله تكرر شكوى الإمام من ظلم قريش مثل قوله في كتابه لأخيه عقيل:

«فَدَغَ عَنْكَ قُرَيْشًا وَتَرَكَا ضَهُمَ فِي الضَّلَالِ، وَتَجَوَّاهُمُ فِي الشَّقَاقِ، وَجَمَّاحَهُمُ فِي التِّيهِ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَيَّ حَرْبِي كَأَجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلِي؛ فَجَزَتْ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحْمِي...» الكتاب^٨.

(٧) راجع كتابنا: (أحاديث أم المؤمنين عائشة) ط. بيروت عام ١٤٠٨ ص ٨٧ - ١٦٢ فصل في عهد الصهرين.

(٨) نهج البلاغة، شرح محمد عسده - الرسائل، الكتاب رقم ٣٦. والأغاني ط. مطبعي ١٥/٢٤.

وأخبر عن مشا جرة وقعت بينه وبين أحدهم وقال :

وقد قال قائل : إنك على هذا الأمر لحريص .

فَقُلْتُ : بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ، وَأَنَا أَحْصُ وَأَقْرَبُ ! وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقِّي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي

الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ [بُهِتَ] لَا يَذْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ !

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هَوَلي ؛ ثُمَّ قَالُوا : أَلَا إِنَّ [فِي] الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرَكَهُ ^١ .

وقال في خطبة أخرى :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي



والتراخض : مبالغة في الركض ، واستعاره لسرعة خواطهم في الضلال ، وكذلك التجوال من الجول والجولان ، والشقاق : الخلاف ، وجماهم : استعصاؤهم على سابق الحق ، والته : الضلال والغواية .

الحوازي : جمع جازية بمعنى المكافأة ، دعاء عليهم بالجزاء على أفعالهم .

٩) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده . الخطبة : ١٦٧ . وطبعة بيروت للدكتور صبحي الصالح ، الخطبة :

١٧٢ .

و ضرب الوجه : كناية عن الرد والمنع ، و « قرعته بالحجة » : من « قرعه بالعصا » ضربه بها ، وهب : من هب التيس - أي : صباحه - أي : كان يتكلم بالمهمل مع سرعة حمل عليها الغضب كأنه مخبول لا يدري ما يقول .

و استعيتك : استصرك وأطلب منك المعونة ، ويروى في مكانه « استعديك » أي : أطلب منك أن تعدني عليهم وأن تتصرف لي منهم .

و « ثم قالوا - الخ » أي : إنهم أعتروا بفضله ، وأنه أجدرهم بالقيام به ففي الحق أن يأخذه ، ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره عقدوا له الأمر ، وقالوا للإمام : في الحق أن تتركه ، فنناقض حكمهم بالحقية في القضيتين ، ولا يكون الحق في الأخذ إلا لمن توافرت فيه شروطه .

و « حرمة رسول الله » كناية عن زوجته ، وأراد بها أم المؤمنين عائشة .

وَ أَكْفَأُوا إِنَائِي ، وَ أَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوَّلِي بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا أَلَا
إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ فِي الْحَقِّ أَنْ تُنَمَّعَهُ ، فَأَصْبِرْ مَغْمُومًا أَوْ مُتَّ مُتَأَسِّفًا .
فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ ، وَلَا ذَابٌ ، وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ
عَنِ السَّمِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى ، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى ، وَصَبَرْتُ مِنْ
كَظَمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشُّفَارِ^{١٠} .

و أخيراً استشهد الإمام (ع) بيد أحد الخوارج في محراب مسجد الكوفة
وبعد استشهاد الإمام علي (ع) استولى معاوية على الحكم في سنة أربعين
للهجرة وسموا هذا العام بعام الجماعة وهو في الحقيقة عام الجماعة لقريش،
واستمر حكم معاوية عشرين عاماً، وتوفي في سنة ستين للهجرة .

* * *

كان ذلكم بعض آثار كراهية قريش لحكم الإمام علي (ع)، ومن آثار
تلك الكراهية منعهم نشر حديث الرسول (ص) كما سنذكرها في ما يأتي بإذنه
تعالى .

منع كتابة حديث الرسول (ص)

روى عبدالله بن عمرو بن العاص وقال :

١٠ نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة ٢١٢ .
وقد ورد القسم الأول منها في كتاب العدرات للثقي، ص ٣٩٢ .
وأستعديك : أستعينك . وأكفا الإناء أي قلبه ، كناية عن تضييعهم حقه .
والرافد : المعين ، والداب . المدافع ، و « صحت » أي : بحلت ، و القدي : ما يقع في العين ،
والشجى : ما أعترض في الخلق من عظم و نحوه ، يريد غصة الحزن .
والشفار : جمع شفرة ، وهي حدّ السيف وغيره .

« كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ص) فنهتني قريش وقالوا : تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله (ص) ورسول الله (ص) بشر يتكلم في الغضب والرضا ! فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فأوماً بأصبعه إلى فيه وقال : أكتب ! فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق »^{١١}.

صرّحت قريش بسبب نهيتها عن كتابة حديث الرسول (ص) وهو أن يكون حديثه في حال غضبه على أحد أو حال رضاه من أحد.

ففي الأولى يبقى حديث الرسول (ص) منقصة له ، ونحن نعلم كم تحدّث الرسول (ص) عن عتاة قريش وشرح الآيات التي نزلت تقرّيعاً لهم ! وفي الثانية يبقى حديث الرسول (ص) نصّاً في حقّ أحد لا يرضون أن ينشر نصّ له .

ولهذا السبب نفسه منعوا كتابة وصية الرسول (ص) في مرض وفاته عندما قال :

« هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده » .
فقال عمر : إنّ النبي غلبه الوجع ، وعندكم كتاب الله ، فحسبنا كتاب الله .

وقالوا : « ما شأنه ! أهجر ؟ »^{١٢}.

كان هذا المنع وذلك النهي بسبب خشية أن ينشر نصّ عن الرسول (ص) في حقّ من يكرهون ولايته فتجتمع الخلافة والنبوة في بيتهم ! وبسبب تلکم الكراهية - أيضاً - منع الخليفة عمر في عهد خلافته من

(١١) راجع ص ٤٤ في المجلد الثاني الطبعة الثالثة من هذا الكتاب
(١٢) راجع ص ٤٣ - ٤٥ في المجلد الثاني الطبعة الثالثة من هذا

الكتاب المتن والهوامش .

كتابة حديث الرسول (ص)، وأحرق ما كتبه الصحابة من حديث الرسول (ص)، وبقي المنع نافذاً حتى عصر الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز وجرت أمور أخرى ذكرناها في فصل: (منع كتابة الحديث على عهد الخلفاء) من المجلد الثاني من هذا الكتاب، و جرى بعد عهد الخلفاء الأربعة ما سنذكره على التوالي في ما يأتي إن شاء الله تعالى:

سياسة الخلافة القرشية و سائر بني أمية أ- على عهد معاوية :

ذكر الجاحظ بإيجاز سياسة الخلافة القرشية على عهد معاوية كما رواه ابن أبي الحديد وقال :

قال أبو عثمان الجاحظ : إنّ معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسبّ عليّ عليه السلام والبراءة منه.

وخطب بذلك على منابر الإسلام ، وصار ذلك سنة في أيام بني أمية إلى أن قام عمر بن عبدالعزيز (رض) فأزاله .

وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أنّ معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة : اللهم إنّ أبا تراب ألحد في دينك ، وصدّ عن سبيلك ؛ فالعنه لعناً وبلياً ، و عذبه عذاباً أليماً . وكتب بذلك إلى الآفاق ، فكانت هذه الكلمات يُشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز^{١٣} .

(١٣) شرح الخطبة السابعة والخمسين من خطب نهج البلاغة في شرح ابن أبي الحديد ط . مصر سنة ١٣٧٨ هـ (٥٦/١) وهو مصدر ما نرويّه عن شرح ابن أبي الحديد في ما يأتي .
و أبو عثمان الجاحظ هو عمرو بن بحر اللبّي البصري اللغوي النحوي (ت: ٢٥٥ هـ) ومن كتبه (العشانية) التي نقض عليه أبو جعفر الإسكافي والشيخ المفيد .

روى الطبري^{١٤} وقال: استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين، فلما أمره عليها دعاه، وقال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة، لا تترك شتم عليّ وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب عليّ، والإقصاء لهم، والإطراء لشيعة عثمان، والإدناء لهم. فقال له المغيرة: قد جُرِّبْتُ وجُرِّبْتُ وعملتُ قبلك لغيرك، فلم يذممني، وستبلو فتحمّد أو تدّم، فقال: بل نحمّد إن شاء الله.

وروى ابن أبي الحديد عن المدائني في كتاب الأحداث وقال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب، وأهل بيته، وكان أشدّ البلاء حينئذ أهل الكوفة^{١٥}.

وقال: كتب معاوية^{١٦} إلى عمّاله في جميع الأفاق: ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه، وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدّوا مجالسهم، وقربوهم وأكرمهم، واكتبوا إليّ بكل ما يروي كلّ رجل منهم، وأسمه، وأسم أبيه، وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع، ويُفضيه في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا،

(١٤) في حوادث سنة إحدى وخمسين من الطبري ١٠٨، ٦ و ابن الأثير ٢٠٢، ٣
(١٥) شرح الخطبة (٥٧) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. مصر الأولى، ١٥/٣ - ١٦. ومنه نقل كلمة نقل من شرح ابن أبي الحديد.
(١٦) قد نقل كتاب معاوية هذا أيضاً أحمد أمين في فجر الإسلام ٢٧٥.

فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه، وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثرو فشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إليّ وأقر إلى عيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان، وفضله، فقرأت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وعلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتى روه، وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك إلى ما شاء الله . . . ، فظهرت أحاديث كثيرة موضوعة، وبهتان منتشرة، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة . . .) الحديث ١٧ .

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم، في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: « إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم » ١٨ .

(١٧) في شرح « من كلام له، وقد سأل سائل عن أحاديث البدعة » من شرح النهج ١٥/٣ - ١٦، أورد ابن أبي الحديد الروائين المرويتين عن (المدائني) . وهو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله (ت ٣١٥ هـ) ذكر له النديم في الأحداث ٢٥ كتاباً (الفهرست ص ١١٥)
(١٨) المصدر السابق؛ و ص ٢١٣ من فجر الإسلام .



وروى ابن أبي الحديد^{١٩} عن أبي جعفر الإسكافي وقال: «إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ (ع) تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرغب في مثله».

وروى في هذا الصدد عن الصحابة عن عمرو بن العاص، الحديث الذي أخرجه البخاري^{٢٠} ومسلم في صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله يقول جهاراً غير سرّ^{٢١}: «إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين». وفي البخاري بعده بطريق آخر عنه. (ولكن لهم رحماً أبلها ببلاها) -

ونفطويه هو إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال في ترجمته بتاريخ بغداد: كان صدوقاً له مصنفات كثيرة؛ وقال السعدي في ذكر المؤرخين وأصحاب الأخبار في أول كتابه مروج الذهب، ٢٣/١: وكذلك تاريخ أبي عبد الله الملقب بنفطويه فمحمّد من ملاحه كتب الخاصّة مملوءة من فوائد السادة وكان أحسن أهل عصره تاليفاً وأملحهم تصنيفاً وذكر أسماء مؤلفاته في هدية العارفين ص ٥ وقال (ت ٣٢٣ هـ).

١٩) شرح النهج ط. مصر الأولى، ٣٥٨/١. والإسكافي نسبة إلى الإسكاف من نواحي النهروان بين بغداد وواسط. وأبو جعفر الإسكافي في مادة الإسكاف من معجم البلدان عده في أهل بغداد أحد المتكلمين من المعتزلة (ت ٢٠٤ هـ) وقال ابن حجر في ترجمته: محمد بن عبد الله الإسكافي؛ من متكلمي المعتزلة وأحد أئمتهم؛ وإليه تنسب الطائفة الإسكافية منهم؛ وهو بغدادى أصله من سمرقند؛ قال ابن النديم: كان عجيب الشأن في العلم والذكاء والصيانة ونبيل الهمة والنزاهة؛ بلغ في مقدار عمره ما لم يبلغه أحد؛ وكان المعتصم يعظمه. وله مناورات مع الكرابيسي وغيره. توفي سنة ٢٤٠، لسان الميزان، ٢٢١/٥.

٢٠) قد أورد البخاري هذا الحديث في صحيحه ج ٤، ٣٤ كتاب الأدب باب يلى الرحم ببلاها بطريقين عن ابن العاص. وفي ط البخاري كنى عن آل أبي طالب قال أبي فلان. ٢١) هذه الزيادة في رواية البخاري الثانية عن ابن العاص وكنى - أيضاً - وقال آل أبي فلان. و مسلم ١٣٦/١ كتاب الايمان باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم.

يعني أصلها بصلتها - انتهى .

كانت تلکم رواية ابن أبي الحديد عن صحيح البخاري وفي طبقات البخاري في عصرنا بدل لفظ (آل أبي طالب) بـ: (آل أبي فلان) .

وروى الطبري عن المغيرة بن شعبة، أنه أقام سبع سنين وأشهرًا في الكوفة لا يدع شتم عليّ والوقوف فيه، والعيب لقتله عثمان واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه، غير أن المغيرة كان يداري، فيشتد مرة، ويلين أخرى .

وروى الطبري: أن المغيرة بن شعبة قال لصعصعة بن صوحان العبدي وكان المغيرة يومذاك أميراً على الكوفة من قبل معاوية: « إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإياك أن يبلغني عنك أنك تذكر شيئاً من فضل عليّ علانية، فإنك لست بذاكر من فضل عليّ شيئاً أجعله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا باظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً ممّا أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدءاً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية، فإن كنت ذاكرًا فضله، فأذكره بينك وبين أصحابك، وفي منازلكم سرًا، وأما علانية في المسجد، فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا ولا يعذرنا فيه . . . » الحديث .

وقال اليعقوبي^{٢٢} ما موجهه :

وكان حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن أبي طالب، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون علياً على المنبر، يقومون فيردون عليهم، ويتكلمون في ذلك .

فلما قدم زياد الكوفة وجّه صاحب شرطه إليهم، فأخذ جماعة منهم فقتلوا، وهرب عمرو بن الحمق الخزاعي إلى الموصل وعدّة معه، وأخذ زياد حجر بن عديّ الكنديّ وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه فأشخصهم إلى معاوية فكتب فيهم أنّهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب، وزوّوا على الولاة، فخرجوا بذلك من الطاعة، وأنفذ شهادات قوم. فلما صاروا بمرج عذراء من دمشق على أميال، أمر معاوية بليقافهم هناك، ثمّ وجه إليهم من يضرب أعناقهم، فكلّمه قوم في ستّة منهم فأخلى سبيلهم، وأمر أن يعرض على الباقي البراءة من علي واللعن له فقالوا: إن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم، فأبرأوا منه نخلّ سبيلكم! قالوا: اللهم لسنا فاعلي ذلك!

فحفروا لهم قبورهم وأدّيت أكفانهم، فقاموا الليل كلّه يصلون، فلما أصبحوا عرضوا عليهم البراءة من علي فقالوا: نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً ليقتله فقال حجر دعوني أتوضأ وأصلي. فلما أتمّ صلاته قتلوه وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستّة مع حجر. فلما بلغوا عبدالرحمن بن حسان العنزي وكريم بن العفيف الخثعمي قالوا: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مقالته. فبعثوا بهما إلى معاوية فلما دخلا عليه، قال معاوية للخثعمي: ما تقول في علي، قال: أقول فيه قولك! قال أتبرأ من دين علي؟ فسكت، فقام ابن عم له فاستوهبه من معاوية فحبسه شهراً ثمّ خلّى سبيله على أن يذهب إلى الكوفة. أمّا العنزي فقد قال له: يا أخا ربّيعه! ما قولك في علي؟ قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً ومن الأمرين بالحقّ والقائمين بالقسط والعافين عن الناس. قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أول من فتح باب الظلم وأرتج أبواب الحقّ. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت، فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه: أما بعد، فإن هذا

العنزي شراً من بعثت، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها واقتله شرّاً قتلة. فلما قدم به على زياد بعث زياد به إلى قسّ الناطف فدفن به حياً^{٢٣}

و من قصص زياد بن أبيه في هذه المعركة أيضاً ما وقع بينه وبين صيفي ابن فسيل، فإنه أمر فجيء به إليه، فقال له: يا عدوّ الله! ما تقول في أبي تراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب؛ قال: ما أعرفك به! قال ما أعرفه، قال: أما تعرف عليّ بن أبي طالب؟! قال: بلى، قال: فذاك، - وبعد محاورّة بينهما - قال: عليّ بالعصا، فقال: ما قولك في عليّ؟ قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عبيد الله أقوله في أمير المؤمنين، قال: أضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض؛ فضرب حتى ألصق بالأرض؛ ثم قال: أقلعوا عنه، فتركوه، فقال له: إيه ما قولك في عليّ؟ قال: والله لو شرطتني بالمواسي والمُدى ما قلت إلا ما سمعت مني، قال لتلعنّه أو لأضربنّ عنقك، قال: إذاً والله تضربها قبل ذلك، فأسعد وتشقى، قال: أَدفعوا في رقبته، ثم قال: أوقروه حديداً واطرحوه في السجن، ثم قتل مع حجر^{٢٤}.

و كتب إلى معاوية في رجلين حضرميّين^{٢٥} أنهما على دين عليّ ورأيه، فأجابه: من كان على دين علي ورأيه، فاقتله، ومثل به، فصلبهما على باب دارهما بالكوفة^{٢٦}.

كما أمره بدفن الخثعميّ الذي مدح عليّاً وعاب عثمان حياً، فدفنه

(٢٣) أوردناها موحزة من عبدالله بن سبا ٢/٢٨٤ - ٣٠٣ وفي ترجمة حجر من تاريخ دمشق لابن عساكر وتهذيبه تفصيل الخبر.

(٢٤) الطري، ١٠٨/٦ و ١٤٩ وأبن الأثير ٣، ٢٠٤، والأعاني ١٦، ٧، و ابن عساكر، ٤٥٩/٦

(٢٥) سبة إلى حضرموت من بلاد اليمن.

(٢٦) المحر، ص ٤٧٩.

حيًا^{٢٧}.

وختم حياته بما ذكره المسعودي ، وآبن عساكر ، قال آبن عساكر :
 بجمع أهل الكوفة فملاً منهم المسجد والرحبة والقصر ، ليعرضهم على
 البراءة من عليّ^{٢٨}. وقال المسعودي : وكان زياد جمع الناس بالكوفة بباب
 قصره يحرضهم على لعن عليّ ، فمن أبى ذلك عرضه على السيف ، ثم ذكر
 أنه أصيب بالطاعون في تلك الساعة فأفرج عنهم .

و كان عمرو بن الحمق الخزاعيّ ممن أصابه التشريد والقتل في هذه
 المعركة ، فإنه فرّ إلى البراري ، فبحثوا عنه حتى عثروا عليه ، فحزّوا رأسه
 وحملوه إلى معاوية ، فأمر بنصبه في السوق ثم بعث برأسه إلى زوجته في
 السجن - وكان قد سجنها في هذا السبيل - فالقي في حجرها^{٢٩}.

عمّت هذه السياسة البلاد الإسلامية ، وأتبعها ونفذها غير من ذكرنا من
 الأمراء أيضاً ، كبسر بن أرطاة في ولايته البصرة ، وآبن شهاب في الري^{٣٠} فقد
 كانت لهم قصص في ذلك ذكرها المؤرخون ، ثم أصبحت هذه سياسة بني أمية
 التقليدية ، ولعن علي بن أبي طالب على منابر الشرق والغرب ما عدا
 سجستان ، فإنه لم يلعن على منبرها إلا مرة ، وآمتنعوا على بني أمية ، حتى زادوا
 في عهدهم أن لا يلعن على منبرهم أحد في حين كان يلعن على منابر الحرمين

(٢٧) راجع قصة حجر بن عدي في عبدالله بن سبأ .

(٢٨) المسعودي في أيام معاوية ٣/٣٠ ، وآبن عساكر ٥/٢٢١

(٢٩) المعارف لابن قتيبة ٧/١٢ ، والاستيعاب ٢/٥١٧ ، والاصابة ٢/٥٢٦ ، وتاريخ آبن كثير

٨/٤٨ ، والمحبر ، ص ٢٩٠ .

(٣٠) في حوادث سنة ٤١ هـ من الطبري ٦/٩٦ ، وآبن الأثير ٣/١٦٥ ، وآبن شهاب في آبن الأثير

٣/١٧٩ في ذكر استعمال المغيرة على الكوفة من (حوادث سنة إحدى وأربعين)

مكة والمدينة^{٣١}.

وقد كانوا يلعنون علياً على المنابر بمحضر من أهل بيته، وقصصهم في ذلك كثيرة نكتفي منها بذكر واحدة أوردها ابن حجر^{٣٢} في تطهير اللسان، وقال: إنَّ عمرأً صعد المنبر فوق في عليٍّ، ثم فعل مثله المغيرة بن شعبة، فقيلُ للحسن: إصعد المنبر لتردَّ عليهما، فامتنع إلا أن يعطوه عهداً أنهم يصدقوه إن قال حقاً، ويكذبوه^{٣٣} إن قال باطلاً، فأعطوه ذلك، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أنشدك الله يا عمرو! يا مغيرة! أتعلمان أن رسول الله (ص) لعن السائق والقائد أحدهما فلان؟ قالوا: بلى، ثم قال: يا معاوية! ويا مغيرة! ألم تعلم أن النبي (ص) لعن عمرأً بكل قافية قالها لعنة؟ قالوا: اللهم بلى... (الحديث).

ولما كان الناس لا يجلسون لاستماع خطبهم لما فيها من أحاديث لا يرتضونها، خالفوا السنة وقدموا الخطبة على الصلاة. قال ابن حزم في المحل^{٣٤}:

أحدث بنو أمية تقديم الخطبة على الصلاة، واعتلوا بأن الناس كانوا إذا صلوا تركوهم، ولم يشهدوا الخطبة، وذلك لأنهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب (رض) فكان المسلمون يفرون، وحق لهم ذلك.

وقال اليعقوبي في تاريخه (٢/٢٢٣):

(٣١) أوردها ملخصة من معجم البلدان ٣٨/٥ ط. المصرية الأولى في لغة سجستان، وهي من بلاد إيران

(٣٢) في تطهير اللسان ص ٥٥، قال: وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحداً مختلف فيه لكن قواه الذهبى بقوله. إنه أحد الاتات، وما فيه جرح أصلاً، ثم أورد الحديث.

(٣٣) كذا وردت في الأصل والصحيح يصدقونه... ويكذبونه

(٣٤) المحل لابن حزم تحقيق احمد محمد شاكر ٨٥/٥ - ٨٦ وراجع كتاب الأم للشافعي

وفي هذه السنة - سنة ٤٤ هـ - عمل معاوية المقصورة في المسجد وأخرج المنابر إلى المصلى في العيدين وخطب الخطبة قبل الصلاة، وذلك أن الناس إذا صلوا، أنصرفوا لثلاثا يسمعون لعن علي فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة، ووهب فدكاً لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله (ص).

وفي الصحيحين^{٣٥} وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال: خرجت مع مروان وهو أمير المدينة - في أضحى أو فطر - فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجبذت بشوبه، فجبذني، فارتفع، فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيرتم والله. فقال: يا أبا سعيد! قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لما بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة وكانوا لا يكتفون بذلك، بل يأمرن الصحابة به أيضاً، ففي صحيح مسلم^{٣٦} وغيره عن سهل بن سعد: قال:

« استعمل على المدينة رجل من آل مروان، فدعا سهل بن سعيد فأمره أن يشتم علياً، فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا التراب، فقال سهل: ما كان لعلني إسم أحب إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دُعي بها، فقال له: أخبرنا عن قصته، لم سمي أبا تراب؟ قال جاء رسول الله (ص) بيت فاطمة، فلم يجد علياً في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ ».

(٣٥) البخاري ١١١، ٢ و مسلم ٢٠/٣، و سنن أبي داود ١٧٨/١، وأبن ماجه ٣٨٦/١، والبيهقي ٢٩٧/٣، وفي مسند أحمد ١٠/٣ و ٢٠ و ٥٢ و ٥٤ و ٩٢، واسم المعارض على مروان في مسند أحمد غير أبي سعيد.

(٣٦) أورده مخلصاً عن صحيح مسلم ١٢٤/٧ باب مناقب علي، وأورده البخاري محرراً في صحيحه باب مناقب علي، وفي باب نوم الرجل في المسجد من كتاب الصلاة ١٩٩/٢، وفي إرشاد الساري ١١٢/٦: أن هذا الولي هو مروان بن الحكم؛ وراجع البيهقي ٢/٤٤٦.

إلى قوله :

« هو في المسجد راقد، فجاءه وهو مضطجع، وقد سقط رداءه عن شيقه، فجعل رسول الله (ص) يمسحه عنه، ويقول: قم أبا التراب، قم أبا التراب ».

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: « أمر معاوية سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (ص) فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم. سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله! خلقتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله (ص): أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي، وسمعتة يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله؛ قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً فأتي به أرمداً، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة، وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي »^{٣٧}.

ورواه المسعودي^{٣٨} عن الطبري هكذا: قال:

«لما حجَّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ أنصرف معاوية إلى دار الندوة، فاجلسه معه على سريرته، ووقع في عليٍّ، وشرع في سبه، فزحف

(٣٧) مسلم ١٢٠/٧، والترمذي ١٧١/١٣؛ والمستدرک ١٠٨/٣ و ١٠٩؛ وزاد فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة، والاصابة ٥٠٩/٢ والنسائي في الخصائص ص ١٥.

(٣٨) مروج الذهب ٢٤/٣ في أيام معاوية، ثم ذكر ما صدر عن معاوية في المجلس مما أربأ بقلمي عن

ذكره

سعد، ثم قال: أجلسني معك على سريرك، ثم شرعت في سب عليّ ١٩
والله لأن يكون فيّ خصلة واحدة من خصال عليّ أحب إليّ، ثم ساق الحديث
باختلاف يسير وذكر في آخره أنه قال: وأيم الله لادخلت لك داراً ما بقيت،
ثم نهض.»

أما ابن عبد ربّه فقد أورده باختصار في أخبار معاوية من العقد الفريد
وقال: ٣٩

«ولما مات الحسن بن عليّ حجّ معاوية، فدخل المدينة، وأراد أن
يلعن علياً على منبر رسول الله (ص) فقبل له: إن ههنا سعد بن أبي وقاص.
ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل إليه وذكر له ذلك،
فقال: إن فعلت لأخرجن من المسجد، ثم لا أعود إليه، فأمسك معاوية عن
لعنه حتى مات سعد، فلما مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على
المنابر، ففعلوا، فكتبت أم سلمة زوج النبي (ص) إلى معاوية: إنكم تلعنون
الله ورسوله على منابركم، وذلك أنكم تلعنون عليّ بن أبي طالب، ومن
أحبه، وأنا أشهد الله أن الله أحبه، ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها
انتهى.» ٤٠

وقال ابن أبي الحديد:

روى أبو عثمان - الجاحظ - أيضاً أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا
أمير المؤمنين! إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل!
فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر

٣٩/٣ العقد ١٢٧.

٤٠ (نقلته باختصار من كتاب (أحاديث أم المؤمنين عائشة)، بحث دواعي وضع الحديث من فصل
(مع معاوية)).

فضلاً ١١.

تربية أهل الشام منذ زمن معاوية على بغض الإمام علي (ع) ولعنه

روى الثقفى في كتابه الغارات وقال: إنَّ عمر بن ثابت كان يركب بالشام ويدور في القرى بالشام فإذا دخل قرية جمع أهلها ثم يقول: أيُّها الناس ! إنَّ علي بن أبي طالب كان رجلاً منافقاً أراد أن ينخس برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة فالعنوه قال: فيلعنه أهل تلك القرية ثم يسير إلى القرية الأخرى فيأمرهم بمثل ذلك (وكان في أيام معاوية).

خبر ليلة العقبة بإيجاز :

عندما رجع النبيّ سنة ٩ للهجرة من غزوة تبوك ومَرَّ بعقبة هرشى على ملتقى طريق الشام والمدينة ومكة وفي أسفلها واد تسير القوافل منها فأمر الجيش أن يسيروا من بطن الوادي وسار هو ليلاً من طريق عقبة هرشى فتأمر بعض المنافقين على نفر ناقة الرسول ليلاً ليقتلوه فمنعهم من ذلك الصحابيَّان عمار بن ياسر وحذيفة اللذان كانا في صحبة الرسول. راجع خبره في إمتاع الأسعاع (٢٧٧)، ومادة هرشى من معجم البلدان، ونسب عميل معاوية هذا العمل إلى آبن عم الرسول (ص).

الباعث لمعاوية على ما فعل:

إنَّ كان دافع سائر قریش في ما فعلته مع الإمام علي (ع)، كرهها أن

(٤١) شرح الخطبة (٥٧) من شرح آبن أبي الحديد لنهج البلاغة.

تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم . فقد كان دافع معاوية القرشي الأموي مع ذلك حقه على بني هاشم كما يظهر ذلك في الخبر الآتي :
 روى الزبير بن بكار وقال :
 قال المطرف بن المغيرة بن شعبة :

دخلت مع أبي علي معاوية . فكان أبي يأتيه فيتحدث معه ، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ، ويعجب بما يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ، ورأيت مغتماً فانتظرت ساعة ، وظننت أنه لأمر حدث فينا فقلت : مالي أراك مغتماً منذ الليلة ؟ فقال : يابني ! جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم . قلت : وما ذاك ؟ قال : قلت له وقد خلوت به : إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلاً ، وبسطت خيراً فإنك قد كبرت ، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم ، فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه ، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه ، فقال : هيهات هيهات ! أي ذكر أرجو بقاءه ! ملك أخوتيم فعدل وفعل ما فعل ، فماعدنا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل : أبو بكر ، ثم ملك أخو عدي فأجتهد وشمر عشر سنين ، فماعدنا أن هلك حتى هلك ذكره ، إلا أن يقول قائل : عمر .
 وإنّ ابن أبي كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرات (أشهد أنّ محمداً رسول الله) فأبى عمل يبقى ؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك ؟ لا والله إلا دفناً دفناً^{٤٢} .

كان ذلكم من معاوية بسبب حقه على بني هاشم .

(٤٢) المؤلفيات ص ٥٧٦ - ٥٧٧ ومروج الذهب ٢/ ٢٥٤ وأبن أبي الحديد ١٠/ ٤٦٢ و ط . مصر تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٥/ ١٢٠ . وكانت قريش تكني رسول الله (ص) أبا كبشة استهزاء به .

أسباب حقد معاوية على بني هاشم :

لمعرفة أسباب حقد معاوية على بني هاشم ينبغي قراءة بحث (مع معاوية) من كتابنا (أحاديث أم المؤمنين عائشة) وكان في ما شرحناه هناك من تلك الأسباب :

إن معاوية ورث ذلكم الحقد من أمه هند التي لاكت كبد حمزة عم الرسول (ص) في غزوة أحد، وصنعت من أطرافه قلادة تشفياً لغيظها على بني هاشم، وأخيراً شفى حقد آل أبي سفيان يزيد بن معاوية بقتله آل الرسول في كربلاء وقطع رؤوسهم وسبي نسائهم كما ذكرناه مفصلاً في المجلد الثالث من هذا الكتاب، وولي بعد يزيد آل مروان من بني أمية وفي ما يأتي أمثلة من سياستهم مع آل الرسول بعد ذكر ما فعله ابن الزبير في دولته :

سياسة ابن الزبير

شرح ابن أبي الحديد سياسة ابن الزبير في دولته وقال :
 روى عمر بن شبة وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير ، أنه مكث أيام ادّعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي صلى الله عليه وآله ، وقال : لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها .
 وقال :

وفي رواية محمد بن حبيب و أبي عبيدة معمر بن المثنى : انّ له أهمل سوء يُغضون رؤوسهم عند ذكره .
 وقال : أيضاً

وروى سعيد بن جبير أن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن عباس : ما

حديث أسمعه عنك ! قال : وما هو ؟ قال : تأنيبي وذمي ! فقال : إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « بش المراء المسلم يشبع ويجوع جاره » ، فقال ابن الزبير : إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة . . . الحديث . عرض ابن عباس إلى بخل ابن الزبير في حديثه .

وقال أيضاً : روى عمر بن شبة عن سعيد بن جبير ، قال : خطب عبد الله بن الزبير ، فقال من علي عليه السلام ، فبلغ ذلك محمد بن الحنفية (ت ٨١ هـ) ، فجاء إليه وهو يخطب ، فوضع له كرسي ، فقطع عليه خطبته ، وقال : يا معشر العرب ، شامت الوجوه ! أئتنقص علي وأنتم حضور ! إن علياً كان يذ الله على أعداء الله ، وصاعقة من أمره ، أرسله على الكافرين و الجاحدين لحقه ، فقتلهم بكفرهم فشنوه وأبغضوه ، وأضمرؤا له السيف و الحسد وآبن عمه صلى الله عليه وآله حي بعد لم يمّت ؛ فلما نقله الله إلى جواره ، وأحب له ما عنده ، أظهرت له رجال أحقادها ، و شقت أضغانها ، فمنهم من ابتزّه حقّه ، ومنهم من ائتمر به ليقّتلّه ، ومنهم من شتمه وقذفه بالباطيل ؛ فإن يكن لدريته وناصري دعوته دولة تنشر عظامهم ، وتحفر على الجسادهم ؛ والأبدان منهم يومئذ بالية ، بعد أن تقتل الأحياء منهم ، وتذل رقابهم ، فيكون الله عز اسمه قد عدّبهم بأيدينا وأخزاهم ونصرنا عليهم ، و شفا صدورنا منهم ، إنه والله ما يشتم علياً إلا كافر يُسرّ شتم رسول الله صلى الله عليه وآله ويخاف أن يبوّخ به ، فيكنّي بشتم علي عليه السلام عنه . أما إنه قد تخطت المنية منكم من امتد عمره ، وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه : « لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »^{٤٣} .

(٤٣) شرح الخطبة ٥٧ من نهج البلاغة لابن أبي الحديد .



وقال ابن أبي الحديد:

وكان عبد الله بن الزبير يُبغض علياً عليه السلام، و ينتقصه وينال من عرضه.^{٤٥}

وقال اليعقوبي:

تحامل عبد الله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد في خطبته، ف قيل له: لِمَ تركت الصلاة على النبي؟ فقال: إن له أهل سوء يشربون لذكوره، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به.

وأخذ ابن الزبير محمد بن الحنفية، وعبد الله بن عباس، وأربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم ليبيعوا له، فامتنعوا، فحبسهم في حجرة زمزم، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو ليبيعن أو ليحرقنهم بالنار، فكتب محمد بن الحنفية إلى المختار بن أبي عبيد: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي ومن قبله من آل رسول الله إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين، أما بعد فإن عبد الله بن الزبير أخذنا، فحبسنا في حجرة زمزم، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو لنبياعته، أو ليضرمنا علينا بالنار، فياغوثاه!^{٤٥} فوجه إليهم المختار بن أبي عبيد بأبي عبد الله الجعدي في أربعة آلاف راكب، فقدم مكة، فكسر الحجرة، وقال لمحمد بن علي: دعني وابن الزبير! قال: لا أستحل من قطع رحمه ما استحلت مني.^{٤٦}

ورواه اليعقوبي في تاريخه، ٢/٢٦٢، أكثر تفصيلاً من هذا، وابن الزبير هو عبد الله بن الزبير الأسدي ببيع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤ في الحجاز والعراق واستمر حكمه حتى قتله الحجاج سنة ٦٧ هـ.

٤٤) شرح النهج لابن أبي الحديد، ١/٧٨. ٤٥) في نسختنا: فياغوثاً، والصحيح ما أثبتناه.

٤٦) تاريخ اليعقوبي، ٢/٢٦١. ومحمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب (ت ٨١ هـ).

بعد آبن الزبير :

بعد قتل آبن الزبير صفا الجوّ للخلفاء الأمويين من آل مروان فتابعوا معاوية في سياسته في شأن الإمام علي (ع) كالآتي بيانه بحوله تعالى :

ب - على عهد عبدالملك و آبنه الوليد

روى آبن أبي الحديد عن الجاحظ أنه قال :

وقال أبو عثمان : وما كان عبدالملك مع فضله و أناته و سَدَّاده و رُجْحانه ممن يخفى عليه فضل علي عليه السلام ، وإن لعنه على رؤوس الأشهاد ، وفي أعطاف الخطب ، وعلى صَهَوَات المنابر مما يعود عليه نقصه ، ويرجع إليه وهنه ، لأنهما جميعاً من بني عبد مناف ، والأصل واحد ، ولكنه أراد تشييد الملك وتأكيده ما فعله الأسلاف ، وأن يقرّر في أنفس الناس أن بني هاشم لا حظ لهم في هذا الأمر ، وأن سيدهم الذي به يصلون ، وبفخره يفخرون ، هذا حاله وهذا مقداره ، فيكون من ينتمي إليه ويُدلي به عن الأمر أبعد ، وعن الوصول إليه أشحط وأنزح .
وقال أيضاً :

روى أهل السيرة أن الوليد بن عبدالملك في خلافته ذكر علياً عليه السلام ، فقال : لعنه « الله » بالجر ، كان لصّ آبن لصّ .
فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد ، و من نسبته علياً عليه السلام إلى اللصوصية وقالوا : ما ندري أيهما أعجب ! وكان الوليد حَنَّاناً^{٤٧} .

(٤٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ٨٥/١ و ٧٥ و ٥٨ و عبدالملك بن مروان بويج له بالخلافة سنة ٦٥ هـ و توفي سنة ٨٦ هـ وبويج بعده لابنه الوليد بالخلافة .

ويؤيد أن الوليد كان لحناً ما رواه أهل السير وقالوا:
 إن روح بن زنباع قال دخلت يوماً على عبد الملك وهو مهموم فقال:
 فكّرت في من أوليه العرب فلم أجده ! فقلت: و أين أنت عن ريحانة قريش
 وسيدها الوليد ! فقال لي يا أبا زنباع إنه لا يلي العرب إلّا من تكلم بكلامهم،
 قال فسمعها الوليد فقام من ساعته وجمع أصحاب النحو وجلس معهم في
 بيت وطين عليه ستة أشهر ثم خرج وهو أجهل ممّا كان . فقال عبد الملك أما إنه
 قد أعذر^{٤٨}.

* * *

كان ذلكم بعض آثار سياسة الخلافة القرشية على عهد عبد الملك وأبنة
 الوليد وبعضه الآخر ندرسه من خلال دراسة ما فعله واليهما الحجاج في هذا
 الشأن .

بعض ما فعله الحجاج تنفيذاً للسياسة القرشية

روى ابن أبي الحديد بعض ما فعله الحجاج في هذا الشأن وقال:
 كان الحجاج لعنه الله يلعنُ علياً (ع)، ويأمر بلعنه . وقال له متعرّض
 به يوماً وهو راكب: أيها الأمير، إن أهلي عَقُونِي فسمّوني عليّاً، فغيّر اسمي،
 وصلّني بما أتبلّغ به، فإنني فقير . فقال: لِلْطُف ما توصلت به قد سميتك

(٤٨) ترجمة الوليد في تاريخ الإسلام للذهبي ، ٤ / ٦٥ ، وقال الذهبي - أيضاً - في ترجمة
 روح بن زنباع في سير أعلام النبلاء ، ط . الأولى ، ٤ / ٢٥١ . وكان شبه الوزير للخليفة عبد الملك
 (ت ٨٤ هـ) .

كذا ، ووليتك العمل الفلاني فاشخص إليه^{٤٩}.

وروى المسعودي في هذا الشأن وقال :

قال الحجاج يوماً لعبد الله بن هانئ وهو رجل من أود، حي من اليمن، وكان شريفاً في قومه، وقد شهد مع الحجاج مشاهدته كلها، وشهد معه تحريق البيت، وكان من أنصاره وشيعته : والله ما كافأناك بعد، ثم أرسل إلى أساء ابن خارجة - وكان من فزارة - أن زوج عبد الله بن هانئ ابنتك، فقال : لا والله، ولا كرامة، فدعا له بالسياط، فقال : أنا أزوجه، فزوجه، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية أن زوج عبد الله بن هانئ، قال : ومن أود ؟ والله لا أزوجه ولا كرامة، قال : هاتوا السيف، قال : دعني حتى أشاور أهلي، فشاورهم، فقالوا : زوجة لا يقتلك هذا الفاسق، فزوجه، فقال له الحجاج : يا عبد الله، قد زوجتك بنت سيد بني فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان، وما أود هنالك، فقال : لا تقل - أصلح الله الأمير - ذلك، فإن لنا مناقب ما هي لأحد من العرب، قال : وما هذه المناقب ؟ قال ما سُبُّ أمير المؤمنين عثمان في نادٍ لنا قط، قال : هذه والله منقبة، قال : وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً، وما شهدها مع أبي تراب منا إلا رجل واحد، وكان والله ما علمته امرأ سوء، قال : وهذه والله منقبة، قال : وما منا أحد تزوج امرأة تحب أبا تراب ولا تتولاه، قال : وهذه والله منقبة، قال وما منا امرأة إلا نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها، ففعلت، قال : وهذه والله منقبة، قال : وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل، وقال : وأزيدكم آبنيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة، قال : وهذه

(٤٩) شرح ابن أبي الحديد ٧٥/١ .

والله منقبة. قال: وما أحد من العرب له من الملاحه والصباحه ما لنا، فضحكت الحجاج وقال: أما هذه يا أبا هانئ فدعها. وكان عبد الله دميماً شديداً الأدمة مجدوراً في رأسه عَجَر، مائل الشدق، أحول قبيح الوجه، شديد الحول^{٥٠}.

وروى ابن سعد في ترجمة عطية بن سعد بن جنادة العوفي من طبقاته وقال:

كتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن آذع عطية فإن لعن علي ابن أبي طالب وإلا فأضربه أربعمئة سوط وأحلق رأسه ولحيته. فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج فأبى عطية أن يفعل، فضربه أربعمئة سوط وحلق رأسه ولحيته^{٥١}.

* * *

وسار على نهج الحجاج أخوه واليه على اليمن كالاتي بيانه:

بعض ما فعله أخو الحجاج محمد بن يوسف زمان ولايته على اليمن

روى الذهبي عن حجر المدري ما موجه قال: قال علي بن أبي طالب: كيف بك إذا أمرت أن تلعنني.

(٥٠) مروج الذهب، ١٤٤/٣.

(٥١) الطبقات الكبرى ٢١٢/٦ - ٢١٣ وط. اوروبا ٢٤٩٤/٢، وتهذيب التهذيب ٢٢٤/٧ - ٢٢٦ وفي تقريب التهذيب: وعطية أخرج حديثه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه وتوفي سنة ١١١ هـ. ومحمد بن القاسم الثقفي كان على رأس جيش في بلاد فارس فأمره الحجاج سنة ٩٢ هـ أن يذهب لفتح بلاد السند ففتح بلادها وقتل ملكها وكان في ما فتح من بلادها مدينة الكراشي ومولنان من بلاد باكستان اليوم ولما ولي الخليفة سليمان أمر بتصفية ولاية الحجاج فسجن محمد وقتل في السجن سنة ٩٢ هـ.

قلت : أو كائن ذلك ؟

قال : نعم !

قلت : فكيف أصنع ؟

قال : العني ولا تبرأ مني .

قال فأمره محمد بن يوسف أخو الحجاج أن يلعن علياً .

فقال : إن الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله . فما فطن لها إلا

رجل^{٥٢} .

* * *

هكذا توالى سياسة الخلافة الأموية القرشية إلى زمن الخليفة عمر بن
عبد العزيز الذي قام بنقض تلكم السياسة كما سندرسه في ما يأتي :

ج - على عهد عمر بن عبدالعزيز :

إن عمر بن عبدالعزيز خالف سياسة الخلافة الاموية وأمر بترك لعن
الإمام علي (ع) . وذكروا في سبب ذلك وقالوا ما رواه ابن أبي الحديد وغيره
واللفظ لابن أبي الحديد :

فأما عمر بن عبدالعزيز (رض) فإنه قال : كنت غلاماً أقرأ القرآن على
بعض ولد عتبة بن مسعود ، فمر بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان ، ونحن نلعن
علياً ، فكره ذلك ودخل المسجد ، فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه

٥٢) تاريخ الإسلام للذهبي ، ٥١/٤ - ٥٢ ، في ترجمة محمد بن يوسف الثقفي وحُجر هو ابن
قيس الهمداني والمَـدَري نسبة إلى مَـدَر جبل باليمن قال ابن حجر تاهي ثقة أخرج حديثه أبو داود
والنسائي وابن ماجة ترجمته في تهذيب التهذيب ٢١٥/٢ وتقريبه ١٥٥/١ .

وردي، فلما رآني قام فصلّى وأطال في الصلاة - شبّه المعرض عني حتى أحسست منه بذلك - فلما أنفتل من صلاته كلّح في وجهي، فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بني، أنت اللاعن علياً منذ اليوم! قلت: نعم، قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم! فقلت: وهل كان علي من أهل بدر؟ فقال: ويحك! وهل كانت بدر كلها إلّا له! فقلت لا أعود، فقال: الله أنك لا تعود! قلت: نعم. فلم ألعنه بعدها^{٥٣}، ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة، وأبي يخطب يوم الجمعة، وهو حينئذ أمير المدينة، فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدير شقاشقه، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجتمجم، ويعرض له من الفهاة والحصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوماً: يا أبت، أنت أفصح الناس وأخطبهم، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك، حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل، صيرت ألكن عيياً! فقال: يا بني، إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. فوقرت كلمته في صدري؛ مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري، فأعطيت الله عهداً؛ لأن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيرته، فلما من الله علي بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^{٥٤} يعظكم لعلكم تذكرون^{٥٥}، وكتبت به إلى

(٥٣) شرح النهج لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٥٨/٤ - ٥٩. وأورد هذا الخبر ابن عساكر في تاريخ دمشق، ورقة ١٣١، في ترجمة عمر بن عبدالعزيز، وعمر بن عبدالعزيز ولي الخلافة سنة ٩٩ هـ. ومات مسموماً سنة ١٠١ هـ.

(٥٤) أورد الخرين بإيجاز كل من أبي الأثير في تاريخه، ١٦/٥. والمسعودي في مروج الذهب، ١٨٤/٣.

(٥٥) سورة النحل / ٩٠.

الافاق فصار سنة^{٥٦}.

وقال كثير بن عبد الرحمن يمدح عُمرَ ويذكر قطعه السب:
وليت فلم تشتم عليا ولم تخف برياً ولم تقبل إساءة مجرم
وكفرت بالعمو الذنوب مع الذي أتيت فاضحي راضياً كل مسلم^{٥٧}
وقال الرضي أبو الحسن (ره).

يَا أَبْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ تَوَبَّكَ الْعَيْنُ فَتَى مِنْ أُمِّيَّةٍ لَبَكَيْتُكَ
غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ إِنَّكَ قَدْ طَبْتُ وَإِنْ لَمْ يَطُبْ لَمْ يَزُكْ يَتُّكَ
أَنْتَ نَزَّهْتَنَا عَنِ السَّبِّ وَالْقَذِّ فِ؛ فلو أمكن الجزاء جزيتك^{٥٨}

* * *

إنَّ عمر بن عبدالعزيز لم ينجح في مسعاه لسبيين :
أولاً - لأنَّ المسلمين كانوا قد اعتادوا على لعن الإمام علي و رأوا فيه سنة
لا ينبغي تركه ، وأبى بعضهم ترك لعن الامام علي (ع) على عهد عمر بن
عبد العزيز مثل أهل حرَّان كما رواه الحموي و المسعودي حيث قال :

قد كان أهل حرَّان قاتلهم الله تعالى حين أُزيل لعن أبي تراب - يعني
علي بن أبي طالب (رض) - عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا عن إزالته وقالوا :
لا صلاة إلَّا بلعن أبي تراب . و أقاموا على ذلك سنة حتى كان من أمر

٥٦) شرح الخطبة ٥٩ من نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وأوجز منه في تاريخ اليعقوبي ٣٠٥/١ .

٥٧) الأغاني ٩ : ٢٥٨ (طبعة الدار) مع اختلاف في الرواية .

٥٨) ديوانه، لوحة ١٢٤ .

المشرق وظهور المسوودة ما كان^{٥٩}.

ثانياً - لأن الخلفاء الأمويين من بعد عمر بن عبدالعزيز أعادوا تلك السنة السيئة كما ندرسها في ما يأتي بإذنه تعالى .

د - على عهد هشام بن عبد الملك

روى ابن عساكر في ترجمة جنادة بن عمرو بن الجنيدي بن عبد الرحمن الحرري مولى بني أمية وقال: إنه روى عن جده الجنيدي أنه قال: أتيت من حوران إلى دمشق لأخذ عطائي فصليت الجمعة ثم خرجت من باب الدرج فإذا عليه شيخ يقال له أبو شيبه القاص يقص على الناس فرغبت فرغبنا وخوف فبكينا، فلما أنقضى حديثه قال اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب فلعنوا أبا تراب عليه السلام. فالتفت إلى من على يميني فقلت له: فمن أبو تراب؟ فقال: علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وزوج آبنته وأول الناس إسلاماً وأبو الحسن والحسين. فقلت: ما أصاب هذا القاص، فقامت إليه وكان ذا وفرة فأخذت وفرته بيدي وجعلت ألطم وجهه وأبطح برأسه الحائط فصاح فأجتمع أعوان المسجد فوضعوا رداي في رقبتي وساقوني حتى أدخلوني على هشام بن عبد الملك وأبو شيبه يقدمني، فصاح: يا أمير المؤمنين أقاصك وقاص آباءك وأجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم. قال: من فعل بك؟ فقال: هذا فالتفت إليّ هشام وعنده أشرف الناس فقال: يا أبا يحيى متى قدمت؟ فقلت أمس وأنا على المصير إلى أمير المؤمنين فأدركتني صلاة الجمعة فصليت وخرجت إلى باب الدرج فإذا هذا الشيخ قائم يقص فجلست إليه فقرأ فسمعنا

(٥٩) مروج الذهب، ٣/٢٤٥. ومادة حران من معجم البلدان، واللفظ للأول، وحران مدينة بين الموصل والشام وتركيا وتخرج منها ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) مؤسس المذهب السلفي.

فرغب من رغب وخوف من خوف ودعا فأمننا وقال في آخر كلامه إختموا مجلسنا بلعن أبي تراب فسألت من أبو تراب؟ فقيل: علي بن أبي طالب أول الناس إسلاماً وأبن عم رسول الله وأبو الحسن والحسين وزوج بنت رسول الله فوالله يا أمير المؤمنين لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذكر ولعنه بمثل هذا اللعن لأحللت به الذي أحللت فكيف لا أغضب لصهر رسول الله وزوج أبنته؟ فقال هشام: بش ما صنع، ثم عقد لي على السند ثم قال لبعض جلسائه: «مثل هذا لا يحاورني ههنا فيفسد علينا البلد فباعده إلى السند» فلم يزل بها إلى أن مات وفيه يقول الشاعر:

ذهب الجود والجنيد جميعاً فعلى الجود والجنيد السلام^{٦٠}

* * *

كان ذلكم عمل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وفي ما يأتي مثال من عمل ولاته:

عمل خالد بن عبد الله القسري

ذكر المبرد في «الكامل» أن خالد بن عبد الله القسري لما كان أمير العراق في خلافة هشام، كان يلعن علياً عليه السلام على المنبر، فيقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، صهر رسول الله على أبنته، وأبا الحسن والحسين! ثم يقبل على الناس فيقول: هل كنيت^{٦١}؟

٦٠ (ترجمة جنادة بن عمرو بن الجنيد في تهذيب تاريخ دمشق لابن بدر ٣/ ٤١٠ واللفظ له وفي مختصره لابن منظور، ٦/ ١١٧-١١٨).

٦١ (الكامل ٤١٤ (طبعة أوروبا).

و المبرد أبو العباس محمد بن يزيد الازدي الشامي شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية كان من أهل



من هو خالد بن عبدالله القسري :
ابن النصرانية^{٦٢} أبو الهيثم بن عبدالله القسري كان كريماً ببيت مال
المسلمين ينفقه ويكسب به حمد الناس في الدنيا . ولي مكة لأبناء عبد الملك
الوليد وسليمان وهشام ، وولي العراق لهشام .

قال ابن عساكر في ترجمته :
ساق ماء إلى مكة فنصب طستاً إلى جانب زمزم ثم خطب فقال : قد
جئتكم بهاء الغاية لا يشبه أم الخنافس (يعني ماء زمزم) ، وكان يقع في علي
ابن أبي طالب .

وقال ابن عساكر : وذكر كلاماً لا يحلّ ذكره .
وقال - أيضاً - :
وخطب وقال في خطبته : واللّه لو كتب إليّ أمير المؤمنين لنقضتها حَجَراً
حَجَراً ، يعني الكعبة .

وكان عاقبة أمر خالد أنّ الخليفة هشاماً سلّمه إلى يوسف بن عمر واليه
على العراق فقتله تعذيباً في السجن سنة ١٢٦ هـ^{٦٣} .
وقال ابن خلّكان : بنى خالد كنيسة في داره لأُمّة^{٦٤} .

* * *

→
البصه مسكن بغداد (ت ٢٨٥ هـ) بها وأشهر مؤلفاته الكامل . راجع ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب .
(٦٢) هكذا ورد ذكره في فهرست الطبري ، ١٦٣ ، للمستشرق دي خويه .
(٦٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ، ٣٦٩/٧ - ٣٨٤ .
(٦٤) هكذا رواه ابن كثير في تاريخه ، ٢١/١٠ . وبعض أخباره في مروج الذهب ، ٣/ ١٢٠ و ١٧٤
و ١٧٩ و ٢٨٠ .

كانت الخلافة الأموية تسعى جاهدة في إبعاد المسلمين عن ذكر الإمام علي بخير ، و بلغت في ذلك أنها منعت من تسمية أحد بأسم علي : كما نرى ذلك في الخبر الآتي :

بنو أمية يقتلون من سُمِّيَ علياً

روى ابن حجر في ترجمة علي بن رباح وقال ما موجهه :
كان بنو أمية إذا سمعوا بمولود أسمه علي قتلوه ، فبلغ ذلك رباحاً فقال :
هو علي ، وكان يغضب من علي ويُحرِّج علي من سبّاه به .
المعنى أن رباحاً كان يقول : أسم ابني علي . . وقال ابن حجر :
قال علي بن رباح لا أجعل في حلّ من سماني (علي) فإنّ أسمي
علي .^{٦٥}

* * *

ويظهر من خبر عمر بن عبدالعزيز وخبر هشام الآتي أنّ لعن الإمام علي من قبل بني أمية كان مع علمهم بمنزلته . فقد روى ابن أبي الحديد :
أنّ هشام بن عبد الملك لما حجّ خطب بالموسم ، فقام إليه إنسان ، فقال :
يا أمير المؤمنين ، إنّ هذا يومٌ كانت الخلفاء تستحبّ فيه لعن أبي تراب ،
فقال : أكفف ، فما لهذا جيئنا .^{٦٦}

إنّ سبب امتناع هشام من لعن الإمام علي في خطبته في الموسم يوم عرفة هو الأمر نفسه الذي كان يتلجلج بسببه عبد العزيز في لعنه الإمام علياً في خطبته في المدينة كما أبانه لابنه عمر بن عبد العزيز والذي أسلفنا ذكره ، حيث قال له :

٦٥) علي بن رباح اللخمي (ت ١١٤ أو ١١٧ هـ) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب، ٣١٩/٧ .

٦٦) شرح ابن أبي الحديد، ٨٥/١ .

يابني إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام و غيرهم - جنده و خاصة من حوله - لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد .
إذا فقد كانت سياسة الخلافة الأموية القرشية في هذا الأمر تبعاً لسياسة الخلافة القرشية في بادئ أمر الخلافة بعد الرسول (ص) و قد بقيت آثار تلك السياسة في المجتمع الإسلامي بعد بني أمية كما ندرس أمثلة مما جرى في هذا الشأن على عهد بني العباس في ما يأتي بإذنه تعالى .

على عهد العباسيين :

بقيت في المجتمع الإسلامي على عهد العباسيين آثار ما فعله الخلفاء، والولاة قبلهم . و ندرس في ما يلي ثلاثة أمثلة من ثلاث طبقات في هذا الشأن على عهدهم :

أولاً - من عمل طبقة العلماء :

روى ابن حجر في ترجمة أبي عثمان حريز بن عثمان^{٦٧} الحمصي و قال ما موجهه :

كان ينتقص علياً و ينال منه، و قال إسماعيل بن عياش^{٦٨} عادت حريز بن عثمان من مصر إلى مكة فجعل يسب علياً ويلعنه . و قال أيضاً: سمعت حريز ابن عثمان يقول : هذا الذي يرويه الناس عن النبي (ص) أنه قال لعلي : « أنت

(٦٧) حريز بن عثمان دخل بغداد في عصر المهدي العباسي (ت ١٦٣ هـ) قال ابن حجر في ترجمته بنهذيب التهذيب، ٢/٢٣٧ - ٢٤٠ . و تقريب التهذيب، ١/١٥٩ : ثقة ثبت روي بالنصب أخرجه حديثه البخاري وغيره عدا مسلم، و راجع ترجمته في تهذيب تاريخ أن عساكر لابن بدران، ١١٦/٤ - ١١٨ .
(٦٨) إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي الحمصي (ت ٨١ أو ٨٢ هـ) أخرجه حديثه أصحاب السنن تقريب التهذيب، ١/٧٣ .

مَنِّي بمنزلة هارون من موسى « حقّ، ولكن أخطأ السامع، قلت: فما هو؟ قال: إنّها هو: أنت مَنِّي بمنزلة قارون من موسى.

وذكر الأزدي أنّ حريز بن عثمان روى أنّ النبيّ (ص) لما أراد أن يركب جاء عليّ بن أبي طالب فحلّ حزام البغلة ليقع النبيّ (ص).

وقيل ليحيى بن صالح^{٦٩} لم لا تكتب عن حريز؟ فقال: كيف أكتب عن رجل صلّيتُ معه الفجر سبع سنين، فكان لا يخرج من المسجد حتّى يلعن عليّاً سبعين مرّة.

وقال ابن حبان^{٧٠}: كان يلعن عليّاً بالغداة سبعين مرّة وبالعشي سبعين مرّة.

ثانياً - من عمل طبقة الحكماء:

روى ابن حجر في ترجمة نصر بن عليّ، وقال:

لما حدّث نصر بن عليّ حديث عليّ بن أبي طالب أنّ رسول الله (ص) أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمهما كان في درجتي يوم القيامة، أمر المتوكّل بضربه ألف سوط، فكلمه فيه جعفر بن عبدالواحد وجعل يقول له: هذا من أهل السنة فلم يزل به حتّى تركه^{٧١}.

٦٩، يحيى بن صالح الوحاظي الحمصي (ت ٢٢٢ هـ) أخرج حديثه أصحاب الصحاح والسنن تقريب التهذيب، ٣٤٩/٢.

٧٠، ابن حبان محمد بن حبان أبو حاتم البستي (ت ٣٥٤ هـ).

٧١، نصر بن علي بن صهبان الأزدي الجهمي (ت ٢٥٠ أو ٢٥١ هـ) تهذيب التهذيب، ٣٣٠/١٠.

ثالثاً - من عمل عامة الناس :

روى الذهبي في ترجمة آبن السّقا من تذكرة الحفاظ ، وقال :
الحافظ الإمام ، محدّث واسط ، أبو محمّد ، عبد الله بن محمّد بن عثمان
الواسطي .

وأتفق أنّه أُملي حديث الطير، فلم تحتمله نفوسهم ، فوثبوا به فأقاموه ،
وغسلوا موضعه فمضى ولزم بيته . فكان لا يحدث أحداً من الواسطيين ،
فلهذا قلّ حديثه عندهم ٧٢ .

* * *

لم يقتصر ماجرى من الحُكّام على آل البيت طوال القرون على ما أوردنا
أمثلة منه من قيامهم بلعنهم وأمر الناس بلعنهم والتبري منهم وترك رواية أحاديث
الرسول (ص) في مدحهم ، بل شمل أنواع الأذى لهم وقتلهم قتل إبادة ، كما
أوردنا بعضها في المجلد الثالث من هذا الكتاب ، في ذكرنا ما جرى على
آل الرسول (ص) في كربلاء ، ثمّ تسلسل قتل الحُكّام إيّاهم على عهد الأمويين
والعباسيين ، كما حفل بذكر أخبارهم أبو الفرج في كتابه مقاتل الطالبين .
وأحياناً كان يجري عليهم من قبل الخلفاء العباسيين أشدّ مما كان يجري عليهم
على عهد الخلفاء من قبلهم ، كالآتي ذكر أمثلة منه بحوله تعالى :

(٧٢) تذكرة الحفاظ ص ٩٦٥ - ٩٦٦ .

و حديث الطير أن رسول الله (ص) أهدني إليه طير مشوي فوضع بين يديه فقال : اللهم اثنني بأحبّ
الخلق إليك يأكل معي . فجاء علي بن أبي طالب و أكل معه . وراجع أسانيد حديث الطير في : ١٥٥ / ٢
- ١٥٥ ، من سيرة الإمام علي في تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق الباحثة المحقق المحمودي ط . بيروت سنة
١٣٩٥ هـ .

أ - مثال مما جرى على آل الرسول (ص) على عهد المنصور

روى أبو الفرج أنّ المنصور قال لمحمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن
أبن علي بن أبي طالب :

أنت الديباج الأصفر ؟

قال نعم .

قال : أمّا والله لأقتلنك قتلة ما قتلها أحداً من أهل بيتك .

ثم أمر بأسطوانة ففرغت ثم أدخل فيها فبنيت عليه وهو حي^{٧٣} .

ب - بعض ما جرى على آل الرسول على عهد المتوكل

روى الطبري في ذكر حوادث سنة (٢٣٦ هـ) ، وقال :

وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن عليّ وهدم ما حوله من المنازل
والدور وأن يحرق ويذمر ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه .
فذكر أنّ عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية : من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة
بعثنا به إلى المطبق ، فهرب الناس وامتنعوا من المصير إليه وحرق ذلك الموضع
وزرع ما حواله^{٧٤} .

وقال أبن الأثير في ذكر حوادث سنة (٢٣٦ هـ) من تاريخه :

(٧٣) الطبري ١٩٨/٩ ، ومقاتل الطالبين ص ٢٠٠ .

والديباج من الثياب ما كان من الحرير ، وديباجة الوجه حسن بشرته .

والمنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ثاني الخلفاء العباسيين (ت ١٥٨ هـ)

(٧٤) الطبري ١٤٠٧/٣ في ذكر حوادث سنة ست وثلاثين ومائتين ، والمتوكل على الله جعفر بن

المعتصم بن هارون الرشيد . ولي الخلافة سنة ٢٣٢ و قتل سنة ٢٤٧ هـ . والمطبق : سجنه الرهيب .

في هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يبدر ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه. فنأدى بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسنه في المطبق فهرب الناس وتركوا زيارته وخرّب وزرع. وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته. وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم. وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون:

قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يحكي بذلك علياً عليه السلام، والمتوكل يشرب ويضحك. ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر، فأومأ إلى عبادة يتهدده فسكت خوفاً منه، فقال المتوكل: ما حالك؟ فأخبره، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين إنّ الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك فكلّ أنت لحمه إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه، فقال المتوكل: للمغنين غنّوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمّه رأس الفتى في حر أمّه
فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتل المتوكل^{٧٥}.

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين^{٧٦}:

بعث برجل من أصحابه يقال له الديزج - وكان يهودياً فأسلم - إلى قبر الحسين، وأمره بكرب قبره ومحوه وإخراّب كلّ ما حوله، فمضى لذلك

(٧٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير ط. مصر الأولى، ١٨ / ٧.

(٧٦) مقاتل الطالبين ٥٩٨ - ٥٩٩.

وخرب ما حوله وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالحي، بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه.

وروى عن محمد بن الحسين الأشناني أنه قال:

بعد عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفاً، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها، وساعدني رجل من العطارين على ذلك، فخرجنا زائرين، نكمن النهار ونسير الليل، حتى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصف الليل فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفي علينا، وجعلنا نشمه ونتحرى جهته حتى أتينا، وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه وأحرق، وأجرى الماء عليه فأنخسف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه فأكبنا عليه فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قط كشيء من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معي، أي رائحة هذه؟ فقال لا والله ما شممت مثلها كشيء من العطر. فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع.

فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبين والشيعة حتى صرنا إلى القبر فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه.

وقال - أيضاً -

وأسعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البرّ بهم، وكان لا يبلغه أن أحداً أبرّ أحداً منهم بشيء وإن قلّ إلا أنهكه عقوبة، وأثقله غمراً، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة، ثم

يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر، إلى أن قتل المتوكل، فعطف المتصر عليهم وأحسن إليهم، ووجه بهال فرقه فيهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله ومضادة مذهبه طعنًا عليه ونصرة لفعله^{٧٧}. كانت تلکم بعض آثار سياسة الخلافة القرشية على آل الرسول مدى القرون. وسوف ندرس آثاراً أخرى لها بعد إيراد نتيجة البحث الآتية بحوله تعالى.

* * *

نتيجة البحث:

كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم فنهت من استطاعت أن تنهيه عن كتابة حديث الرسول (ص) في حياة الرسول (ص) كي لا يكتب نص عن الرسول (ص) يثبت حقاً في الخلافة لمن تكره أن يلي الحكم من بني هاشم بعد الرسول (ص). وأيضاً لكي لا ينشر حديث من الرسول (ص) فيه منقصة لذوي أرومتهم من قريش تبعدهم عن الحكم وفضيلة لمنافسيهم من بني هاشم خاصة والأنصار عامة.

وللسبب نفسه منعت الرسول (ص) من كتابة وصيته في آخر ساعة من حياته، تلك الوصية التي قال عنها: لن تضلوا بعدها أبداً. وخشية أن يكتب نصاً لمن يتولى الحكم بعده من بني هاشم الذين كرهوا أن تجتمع فيهم النبوة والخلافة، وللسبب نفسه سعى الصحابي عمر القرشي ومن معه من مهاجرة قريش في أخذ البيعة لأبي بكر القرشي التيمي بعد وفاة الرسول (ص). ولذلك - أيضاً - أدلى أبو بكر بالخلافة إلى صاحبه عمر القرشي العدوي

(٧٧) مقاتل الطالبيين ص ٥٩٩.

بواسطة عثمان القرشي^{٧٨}.

و للسبب نفسه منع الخليفة عمر من كتابة حديث الرسول (ص) و نشره، وأحرق ما كتبه الصحابة منه وسجن منهم في المدينة من خالفه ونشر حديث الرسول (ص) في البلاد خارج المدينة^{٧٩}.

و للسبب نفسه كان عمر إذا آستعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول . . . جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن محمد، وأنا شريككم^{٨٠}.
و للسبب نفسه لم يؤلّ الخليفان أبو بكر وعمر أحداً من بني هاشم على جيش في الفتوح ولا على بلد مفتوح^{٨١}.

ولذلك - أيضاً - دبّر الخليفة عمر تولية عثمان القرشي الأمويّ على الحكم بواسطة عبدالرحمن بن عوف في الشورى القرشية^{٨٢}.

و للسبب نفسه جرّد عثمان القرآن من حديث الرسول (ص) ونسخه في مصاحف ووزّعه على البلاد الإسلامية وأحرق ما عداها من مصاحف الصحابة التي دوّن فيها مع القرآن أحاديث الرسول (ص) في تفسير القرآن. وجلب الصحابي عبد الله بن مسعود من الكوفة إلى المدينة لمخالفته إيّاه في إحراق المصاحف وأمر بضربه وقطع عطاءه من بيت المال^{٨٣}.

(٧٨) راجع أخبارها ومصادرها في فصل الواقع التاريخي لقيام الخلافة من هذا الكتاب ص ١٢٢ فما بعدها.

(٧٩) راجع ٢/ ٤٤ - ٤٥، من هذا الكتاب فصل منع كتابة الحديث على عهد الخلفاء.

(٨٠) تاريخ الطبري ١٩/ ٥، في ذكر سيرة عمر من حوادث سنة ٣٠ هـ.

(٨١) راجع مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٣٢١ - ٣٢٢، ويؤيد ذلك أنهم لم يؤلّوا أحداً من بني هاشم على عهد الخلفاء الثلاثة.

(٨٢) أشرنا إلى هذا الخبر قبيل هذا.

(٨٣) راجع بحث على (عهد عثمان) من (تاريخ القرآن) في كتابنا (القرآن الكريم و روايات

←

ونفى الصحابي أباذر من المدينة إلى الربذة لنشره حديث الرسول بين العباد وفي البلاد^{٨٤}.

و أدلى بالخلافة إلى عبد الرحمن القرشي الزهري في وصيته التي كتبها في مرضه بالرعاف^{٨٥}.

و عندما توفي عبد الرحمن في حياة عثمان وقتل عثمان ولم يتسن له أن يولي أحداً من قريش على الحكم عندئذ ملك المسلمون زمام أمرهم فتهافتوا على الإمام علي (ع) يبايعونه يتقدمهم سروات قريش من الصحابة بعد فقدهم زمام المبادرة، وبعد أربعة أشهر من ذلك للملت قريش أطرافها وأقامت على الإمام عليّ حرب الجمل بقيادة أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير لعلها تسلب الحكم من الإمام علي (ع)^{٨٦}، وثنت بإقامة حرب صفين عليه للسبب نفسه ولكي تتمكن من إقامة الحربين عليه أشاعت بين المسلمين خارج المدينة بأن الإمام قتل الخليفة عثمان وأستولى على الحكم^{٨٧}؛ ولما كان المسلمون خارج المدينة يأخذون معالم دينهم وأخبار سيرة الرسول (ص) وسيرة أهل بيته وأصحابه تمن يلبهم من الصحابة، وولاتهم من رجالات قريش وحلفائها ومواليها، ولا يعلمون ما عدا القرآن من الإسلام وسيرة أهله غير ما يذيعه فيهم أولئك الرجال، ولا يملكون سبيلاً للمعرفة غير ذلك؛ فقد استطاعت قريش أن تشوّش على المسلمين رؤيتهم للإمام علي (ع)، وزاد في الطين بلة رفع جيش معاوية المصاحف



المدرستين (وراجع خبر ابن مسعود في كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة فصل (على عهد الصهرين) .

(٨٤) راجع ٢/٢٦ من هذا الكتاب .

(٨٥) مضى ذكر مصدره .

(٨٦) راجع خبر الجمل في كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة فصل على عهد الصهرين .

(٨٧) راجع أخبار صفين في تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير .

عندما ضعفوا عن القتال في صفين ودعوتهم الإمام علياً (ع) وجيشه إلى تحكيم القرآن ثم إلى تحكيم الحكّمين، وعندما أصرّ القراء في جيش الإمام علي (ع) ومن تبعهم على قبول التحكيم وخدع الصحابي عمرو بن العاص القرشي الأموي الصحابي أبا موسى الأشعري في مقام الحكم، وانتشر خبر الخدعة؛ كبر ذلك على جمع تمنّ قبلوا التحكيم من قراء أهل الكوفة فكفّروا عامّة المسلمين، وخرجوا على الإمام علي (ع) وحاربوه في النهروان فقتلهم الإمام علي (ع)، ثم اغتال أحدهم الإمام في محرابه بمسجد الكوفة^{٨٨}. إنّ كلّ ذلك شوش على المسلمين خارج المدينة الرّؤية الصحيحة للإمام عليّ (ع) وسبّب قبولهم ما ينشر عن الإمام علي (ع) خلافاً للواقع والحق.

ومن جانب آخر تبدّل كره قريش أن يستولي على الحكم أحد من بني هاشم - والمقصود في هذه الكراهية استيلاء الإمام علي على الحكم إذ لم يكن غيره في بني هاشم مرشحاً للحكم غيره - ، تبدّل ذلك الكره في الحريين التي أقامتها قريش على الإمام علي (ع) إلى الحقد والعداء على الإمام علي (ع) وقام حكم قريش على المسلمين بعد ذلك على أساس الحقد والعداء للإمام عليّ (ع)، وظهر ذلك جليّاً في حكم بني أميّة على المسلمين كما نشير إليه في ما يأتي:

(٨٨) راجع أخبار صفّين والنهروان في تاريخ الطبري وآبن الأثير وآبن كثير وغيرها.

عداوة الخلافة الأموية للإمام علي و آثارها

أولاً - في خلافة آل أبي سفيان و على عهد معاوية

عندما استولى معاوية على الحكم بنى سياسة الحكم على أساسين :

١ - الادلاء بالخلافة لابنه يزيد بعد أن كانت سياسة الخلفاء قائمة على أساس تداول الخلافة في قريش وكان شعارهم في ذلك (وسعوها في قريش تتسع)^{٨٩}.

٢ - سياسة العدا لآل الرسول (ص) و لسيدهم الإمام علي (ع) خاصة .

لم نعلم في التاريخ مثيلاً لعداء معاوية للإمام علي (ع) خاصة بالإضافة إلى عداوته لعامة بني هاشم ، ولذلك شيد حكمه على ذمهم و اختلاق المثالب في حقهم و المناقب لغيرهم ، و نشر ذلك بين الناس في البلاد ، و أمر بلعن الإمام علي (ع) في كل ناد و خاصة في خطب صلاة الجمعة في المساجد من أقصى بلاد الشرق إلى أقصى بلاد الغرب الإسلامية ، و آلى ألا يتركه حتى يهرم عليه الصغير ويفنى الكبير ، و قتل من أمتنع عن ذلك من أفاضل المسلمين بأنواع القتل ، و أربى على ذلك أبنة يزيد حين قتل آل الرسول (ص) في كربلاء و قطع رؤوسهم و سبى ذرية الرسول و طاف بالرؤوس و بالسبايا في البلاد ، و بذلك أنهت أفعال الخلافة الأموية من آل أبي سفيان ، و انتهى الحكم إلى بني

٨٩) لست أدري الآن أين رأيت خبر رفع قريش هذا الشعار بعد وفاة الرسول (ص) و إن عملهم في تولية القرشيين على الحكم من بطون مختلفة من قريش يدل على ذلك .

مروان من آل أمية .

سياسة حكم الخلافة المروانية من آل أمية

تبع الخلفاء من آل مروان سياسة معاوية في تداول الحكم في أسرهم وفي لعن الإمام علي (ع) و التنقيص من قدره إلى زمان عمر بن عبدالعزيز الذي أمر بترك لعن الإمام . غير أن الناس كانوا قد اعتادوا على لعن الإمام و رآه بعضهم فريضة لا يصح تركها ولا تقبل صلاة الجمعة دونها كما كان شأن أهل حرّان الذين قالوا : (لا صلاة دون لعن أبي تراب) ، ولم يدم حكم أبن عبدالعزيز أكثر من سنتين و أشهر^{٩٠} إذسمّه آل أبيه^{٩١} و عادت آل أمية بعده إلى عاداتها القديمة في لعن الإمام إلى أن جاء إلى الحكم بعدهم بنو العباس ، وكانت سياستهم كالآتي .

سياسة حكم الخلافة العباسية :

كان في خلفاء بني العباس من زاد على بني أمية في قتل آل الرسول و الحط من مكانتهم بين المسلمين مثل أبي جعفر المنصور و هارون الرشيد و المتوكل ، و فيهم من خالف أولئك و مال إلى أهل البيت^{٩٢} .

٩٠) مروج الذهب للمسعودي ، ٣/٣٥ ، وغيره .

٩١) تاريخ أبن كثير ، ٢٠٩/٩ .

٩٢) مثل الناصر لدين الله الذي كان من أتباع مدرسة أهل البيت و قد شاهدت من آثاره في سامراء في مصل الأئمة تحت مسجد المهدي و المسمى بسرّاداب الغيبة كتابة خشبية في صُفّتها نصبت في ارتفاع أكثر من متر من قاع الصفة كتب عليها أسماء الأئمة الاثني عشر و أنها شيدت بأمر الخليفة الناصر لدين الله .

غير أن الناس كانوا قد تربوا تسعين عاماً مدة الخلافة الأموية^{٩٣} كما خطط معاوية تربيتهم على التبّري من الإمام علي (ع) ولعنه وتنقيصه، وبقي أثر تلكم التربية إلى عهد العباسيين، فقد كان على عهدهم من العلماء والمحدثين حريز بن عثمان (ت: ١٦٢ هـ) الذي كان يلعن الإمام بالغداة سبعين مرّة وبالعشي سبعين مرّة ووضع الأحاديث في ذم الإمام ورواها في بغداد وغيرها من عواصم البلاد الإسلامية.

وكان في عامة بلادهم أناس مثل أهالي واسط الذين اتفق لعالمهم ومحدث بلدهم عبدالله بن محمد بن عثمان (ت: ٣٧١ هـ) أن أملئ حديث الطير، فأقاموه وغسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته.

اتفق لمحدث البلد مرّة واحدة أن يحدث بحديث واحد فيه فضيلة للإمام علي (ع) فأقامه أهل البلد وغسلوا الموضع الذي جلس فيه وحادث ذلك الحديث.

* * *

لم يقتصر الأمر على ما ذكرنا ومن ذكرنا، ولا على تلك العصور، بل امتد الأمر إلى غيرهم وإلى عصرنا الحاضر وإنما أقتصرنا في ما سبق على ذكر أمثلة من عمل الحكام طوال القرون في إخفاء ذكر أهل بيت الرسول (ص) ونشر الكراهية لهم والانتقاص من قدرهم كي لا يتجه المسلمون إليهم، و يدبروا عنهم. فينتقض حكمهم - حكم الخلافة القرشية - ويشاد على انقاضه حكم لآل الرسول (ص)، وأنتجت سياسة الخلافة القرشية قادة وأتباعاً مع أهل البيت، أموية وعباسية، وغير أموية وغير عباسية إجراء عشرة أنواع من

٩٣) راجع مروج الذهب للمسعودي، ٢٣٥/٣

الكتمان والتحريف في مدرسة الخلفاء على سنة الرسول (ص) وأخبار سيرة أهل بيته وأصحابه في ما يخص منها أهل البيت، كما سندرسها في بحث : (دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) وسيرة أهل بيته وأصحابه) الآتي بإذنه تعالى .

عشرة أنواع من الكتان و التحريف
لسنة الرسول (ص)
و أخبار سيرة أهل بيته و أصحابه

دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) المخالفة لاتّجاهها

في هذه العجالة نضرب - مثلاً - لما فعلته مدرسة الخلفاء بالنصوص التي تخالف آتّجاهها بعملها مع النصوص التي فيها ذكر صفة الوصي للإمام عليّ (ع) في سنة الرسول (ص) وأقوال الصّحابة ونقول:

روت الصّحابة روايات متعددة موثوقة ومعتبرة أنّ رسول الله (ص) قال: عليّ وصيّ ووزير ووارثي. وفي بعضها: وخليفتي؛ وأشتهر الإمام عليّ بلقب الوصي من بين هذه الألقاب، وأصبح علماً له، ولم يعرف غيره بهذا اللقب، كما كنّاه رسول الله (ص) بأبي تراب، فأختصّ به وأشتهر وأصبح علماً له، ولم تعرف لغيره هذه الكنية. ثمّ أكثر الصّحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من الشعراء ذكره بالوصي في أشعارهم كما ورد ذكره عند علماء أهل الكتاب وأخبروا الناس بذلك.

إنكار الوصية

لما كانت شهرة لقب (الوصي) للإمام عليّ تخالف سياسة مدرسة الخلفاء، فقد سعوا في مقابلة هذه الشهرة بإنكارها وكتمان النصوص الدالة عليها.

بدأت أم المؤمنين عائشة بحملة دعاية قوية ضدَّ شهرة الإمام عليّ بلقب الوصيِّ وأنكرته، ثمَّ استمرَّت حملاتهم ضدَّ هذه الشَّهرة بأشكال أخرى مدى القرون.

ومن أهمَّ ما فعلته مدرسة الخلفاء في هذا المقام كتمان النصوص الواردة في شأن الوصية، ويجد الباحث المتتبع من كتمان النصوص التي تخالف سياسة الخلفاء بمدرستهم سواء ما كان منها في شأن الوصية أو في غيرها، أمراً هائلاً خطيراً.

ومن أمثلة الكتمان لدى مدرسة الخلفاء، الأصناف العشرة الآتية، نذكرها بحسب أهميتها في كتمان سنة الرسول (ص) بدءاً بالمهمّ فالأهمّ:

أ- حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديله بكلمة مبهمة.

ب- حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الإشارة إلى الحذف.

ج- تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص).

د- حذف بعض أقوال الصحابة مع عدم الإشارة إليه.

هـ- حذف تمام الرواية من سنة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليه.

و- النهي عن كتابة سنة الرسول (ص).

ز- تضعيف الروايات ورواية سنة الرسول (ص) والكتب التي تنتقص السلطان.

ح- إحراق الكتب و المكتبات.

ط- حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة وتحريفه.

ي- وضع الروايات المختلقة بدلاً من روايات سنة الرسول (ص) الصحيحة وسيرة الصحابة الصحيحة.

أ - حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديلها بكلمة مبهمة

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء، حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديلها بكلمة مبهمة بدل ما حذف، مثل ما فعله الطبري وأبن كثير بخبر دعوة بني هاشم في تفسير الآية: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ حيث حذفوا قول رسول الله (ص): « وَوَصَّيْتُ وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ » وأبدلوه بقولهما: [وكذا وكذا].

ومن هذا النوع من الكتمان ما فعله البخاري في صحيحه مع سيرة الصحابة في خبر عبد الرحمن الذي مرّ بنا سابقاً، حيث حذف قول عبد الرحمن لمروان وقال: [فقال عبد الرحمن شيئاً] بدّل كلام عبد الرحمن بقول مبهم وأضاف إلى ذلك حذف ما روته أمّ المؤمنين عائشة عن رسول الله (ص) من الحديث في حقّ الحَكَم والد الخليفة مروان.

ومن هذا النوع من الكتمان - أيضاً - ما فعلوه بخبر استشارة رسول الله (ص) أصحابه في شأن غزوة بدر وجواب أصحابه له؛ فقد روى ابن هشام والطبري وقالوا:

(وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن. ثمّ قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن. ثمّ قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله أمض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ولكن، أذهب أنت وربك فقاتلا إِنَّا معكما مقاتلون - إلى قوله: - فقال رسول الله (ص) خيراً ودعا له به).

وجاء في جواب سعد بن معاذ الأنصاري قوله :

(فأمض يا رسول الله (ص) لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل . . . فُسِّرَ رسول الله (ص) بقول سعد ونشطه ذلك) .

تري ماذا كان جواب الصحابيَّين أبي بكر وعمر لرسول الله (ص) الذي حُذِفَ من هذه الرواية وأبدل بقول مبهم وهو : [وأحسن] ؟ ولو كان القول حسناً فلم حذف ذلك القول الحسن ؟! بينا أثبت قول المقداد المهاجري وسعد بن معاذ الأنصاري ، نرجع إلى صحيح مسلم فنجد في روايته :
أن رسول الله (ص) شاور أصحابه حين بلغه إقبال أبي سفيان قال :
(فتكلّم أبو بكر ، فأعرض عنه . ثم تكلم عمر فأعرض عنه
الحديث) .

تري لماذا أعرض الرسول (ص) عن الصحابيَّين ، لو كان قولهما حسناً ؟
ونبحث عن قولهما لدى الواقدي والمقرئزي فنجدهما يقولان هكذا ، واللفظ
للأول :

(قال عمر : يا رسول الله إنها والله قريش وعزّها ، والله ما ذلت منذ عزّت ، والله ما آمنت منذ كفرت ، والله لا تسلم عزّها أبداً ، ولتقاتلنك ، فاتّهب لذلك أهبتة وأعدّ لذلك عدّته . . .)^١ .

عرفنا من رواية ابن هشام والطبري ومسلم أنّ الصحابيَّ عمر تكلم بعد الصحابيَّ أبي بكر ، ووصف الطبري وابن هشام قول كلّ منهما بـ [فأحسن] وفي رواية مسلم أنّ الرسول (ص) أعرض عن أبي بكر ، ثم عن عمر ، ومن ثمّ نعرف أنّ قولهما كان أمراً واحداً ، وعندما صرّح الواقدي والمقرئزي بقول عمر وكتما قول أبي بكر ، كشف لنا قول عمر - أيضاً - عن

(١) مرّ بنا ذكر مصادر الخبر في بحث مناقشة الاستدلال بالشورى بهذا الكتاب .

قول أبي بكر.

ولمّا كان قول الصحابيّين يسوء ذكره بعض الناس حُذف قولهما من رواية ابن هشام والطبري ومسلم، ومن أجل هذا النوع من الكتمان، أصبحت هذه الكتب من أوثق الكتب بمدرسة الخلفاء. وأصبح صحيح البخاري الذي لم يذكر شيئاً من هذا الخبر؛ مبهماً وغير مبهم أكثر أشتهاراً بالصحة والوثاقة من جميع الكتب.

* * *

إنّ الطبري وابن كثير أبدلا من حديث الرسول (ص) « وصيّني وخليفتي » بـ [كذا وكذا] لأنّ هذا الخبر ينهّ العامة إلى حقّ الإمام عليّ في الحكم، ولا يحسن أنتشاره.

وأبدل البخاري قول عبد الرحمن بـ (شيئاً)، لأنّ قول عبد الرحمن كان يسوء الخلفاء: معاوية ويزيد مروان، وينهّ العامة على ما لا ينبغي أن يتنبهوا إليه.

وأبدل قول أبي بكر وعمر في جواب رسول الله (ص) في كلّ من سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري، وحذف من رواية صحيح مسلم، لما فيه ما لا يزين الخليفين أبا بكر وعمر، وكلّهم حذف بعض الخبر وأبهم في القول. وهذا النوع من الكتمان كثير عند علماء مدرسة الخلافة.

ب - حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الإشارة إلى الحذف

ومن أنواع الكتمان عندهم ما فعلوه بمكاتبات جرت بين محمّد بن أبي بكر ومعاوية، فقد وجدنا في كتاب صفّين لنصر بن مزاحم (ت: ٢١٢ هـ) ومروج الذهب للمسعودي (ت: ٣٤٦ هـ) تفصيل كتاب محمّد بن أبي بكر لمعاوية وفيه ذكر فضائل الإمام عليّ بما فيها أنه وصيّ النبيّ، وأعترف لمعاوية

في جوابه بها، وفي الكتابين ذكر ما لا يزين الخلفاء نشره، فحذفهما الطبري (ت: ٣١٠ هـ) مع ذكره لسنده إلى الكتابين، واعتذر عن ذلك بعدم احتمال العامة لسماح ما فيهما، أي أنه أخفى الحقائق عن الناس. وجاء بعده ابن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ) وفعل كذلك واعتذر بالعدر نفسه.

وجاء بعدهما ابن كثير وأشار إلى كتاب محمد بن أبي بكر في موسوعته التاريخية الكبرى^٢ وأقتصر بقوله: (وفيه غلظة).

* * *

قصد الطبري وابن الأثير من قولهما: (عدم احتمال العامة لسماح ما فيهما) : أن العامة لا تبقى على عقيدتها بالخلفاء بعد سماع الكتابين. وهذا الصنف من الكتابان، أي: حذف تمام الخبر مع الإشارة إلى الخبر المحذوف، نادر عند علماء مدرسة الخلفاء.

ج - تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص)

من أنواع الكتابان بمدرسة الخلفاء تأويل معنى الرواية كما فعل الذهبي^٣ بترجمة النسائي صاحب السنن؛ فإنه قال: سئل النسائي أن يخرج فضائل معاوية، قال: أي شيء أخرج؟ حديث: اللهم لا تشبع بطنه؟ فقال الذهبي:

(قلت: لعل هذه منقبة لمعاوية لقول النبي (ص): اللهم من لعنته أو شتمته، فأجعل ذلك له زكاة ورحمة).

(٢) البداية و النهاية ٣١٤/٧. وقد أوردنا الكتابين مع تعليقنا عليهما، وعلى ما فعله الطبري في ما سبق.

(٣) تذكرة الحفاظ ص ٦٩٨ - ٧٠١

قال الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) [لعل...]. وجاء بعده ابن كثير
(ت: ٧٧٤ هـ) وقال:

(وقد أنتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه).
وهذا نص كلامه في الرواية التي وردت في شأن معاوية، في صحيح
مسلم، باب (من لعنه النبي أو سبه، جعله الله له زكاة وطهوراً) من كتاب
البر والصلة، عن ابن عباس قال:
كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله (ص) فتواريت خلف باب،
قال: فجاء فخطاني خطاة وقال: « اذهب وأدع لي معاوية ». قال: فجئت
فقلت: هو يأكل. قال: ثم قال لي: « اذهب فأدع لي معاوية ». قال: فجئت
فقلت: هو يأكل، فقال: « لا أشبع الله بطنه »^٥. كان هذا لفظ مسلم.
وأورد الحديث ابن كثير في تاريخه وزاد على كلام رسول الله (ص) بعد
قوله: « اذهب وأدع لي معاوية » جملة: (وكان يكتب الوحي) وهذا لفظ
ابن كثير:

(عن ابن عباس، قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله (ص)
قد جاء، فقلت: ما جاء إلا إليّ، فأختبأت على باب فجاءني فخطاني خطاة
أو حطّاتين، ثم قال: اذهب فأدع لي معاوية - وكان يكتب الوحي - قال:
فذهبت فدعوته له، فقليل: إنه يأكل. فأتيت رسول الله (ص) فقلت: إنه
يأكل، فقال: اذهب فأدعه، فأتيته الثانية فقليل: إنه يأكل، فأخبرته، فقال في
الثالثة: لا أشبع الله بطنه. قال: فما شبع بعدها. وقد أنتفع معاوية بهذه
الدعوة في دنياه وأخراه، أمّا في دنياه، فإنه لما صار إلى الشام أميراً كان يأكل

(٤) البداية والنهاية، ١١٩/٨.

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، ح ٩٦، ص ٢٠١٠.
وسخطاني: ضربني باليد المبسوطة بين الكتفين.

(٦) وهذه الإضافة إلى آخرها من كلام ابن كثير.

في اليوم سبع مرّات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكالات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول: واللّه ما أشبع وإنّما أعيأ، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كلّ المملوك. وأمّا في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصّحابة، أنّ رسول الله (ص) قال:

اللهمّ إنّما أنا بشر فأيسأ عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه، وليس لذلك أهلاً، فأجعل ذلك كفّارة وقربة تقربّه بها عندك يوم القيامة. فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك^٧. انتهى كلام آبن كثير. وأراد بما قال أنّ دعاء الرسول على معاوية دعاء له في الدنيا والآخرة؛ أمّا في الدنيا فبما ذكره من مزيّة كثرة الأكل للمملوك، وأمّا الآخرة فأعتمد الأحاديث التي نسبت إلى رسول الله (ص) أنّه كان يلعن المؤمنين - معاذ الله - ودعا أن يكون لهم زكاة وطهوراً، وأنّ مسلماً حين أورد هذا الحديث في آخر هذا الباب أثبت لمعاوية رضواناً وتقرباً إلى الله يوم القيامة. وهكذا يؤوّلون الأحاديث والأخبار التي فيها ذمّ لذوي السلطة من الخلفاء والولاة إلى ما فيه مدحهم والثناء عليهم.

ولنا هنا نظرة تأمل في ما رووا أنّ النبيّ لعن المؤمنين - معاذ الله -.

نظرة تأمل في ما رووا في باب من لعنه النبيّ (ص)

رووا واللفظ هنا لمسلم في صحيحه، باب من لعنه النبيّ: أنّ رسول

الله (ص) قال:

«اللهمّ إنّني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه فإنّما أنا بشر فأبّي المؤمنين أذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فأجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك

(٧) البداية والنهاية، ١١٩/٨.

يوم القيامة .

أشعر - وأنا أكتب هذا - بمثل طعن المدى في قلبي لعظم ما نسب إلى رسول الله (ص)!! يروون هذا الحديث في مقابل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾ وينبغي دراسة هذا الحديث في الصنف الثامن من أنواع الكتمان: (وضع الروايات المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة)، فإنها نسبت إلى رسول الله (ص) في مقابل ما تواتر عند جميع المسلمين من سيرة رسول الله الصحيحة في باب سمو أخلاقه الكريمة، وإنما رويت أمثال هذه الرواية عن رسول الله (ص) لكتمان ما مرّ بنا من رواية أم المؤمنين عائشة أن رسول الله (ص) لعن الحكم بن أبي العاص والد الخليفة الأموي مروان، وكتمان ما تواترت روايته عن رسول الله (ص) في حق الخليفة معاوية التي أولها ابن كثير إلى ما فيه مدح معاوية؛ وبما أننا قد ناقشنا هذه الأحاديث في الجزء الثاني من كتاب (أحاديث أم المؤمنين عائشة) والثالث من (قيام الأئمة في إحياء السنة)، فلا نعيد تلك البحوث في هذا الكتاب.

* * *

عزود على بدء

نعود إلى بحث تأويل معنى الرواية من أصناف الكتمان ونقول: وكان من هذا الباب من التأويل وما يأتي بحثه^٨ في خبر درء سعد بن أبي وقاص حدّ شرب الخمر عن أبي محجن، وتمحل ابن فتحون وابن حجر في تأويل قول سعد لأبي محجن: (والله لا نجلدك على الخمر). وسيأتي في بحث نصّ رسول الله (ص) على أن عدد الأئمة الخلفاء بعده اثنا عشر، كيف آرتبكوا في تأويله عندما رأوا أنه لا يصدق على غير الأئمة الاثني

٨) في بحث انتشار أحاديث سيف . . في الصنف العاشر من أصناف الكتمان.

عشر من آل رسول الله (ص). وأول كل واحد من العلماء الحديث على غير الأئمة الاثني عشر من آل الرسول (ص) بما لم يرض به العالم الآخر ونقضه. ومن هذا الباب من الكتبان ما فعله الطبراني بالحديث الآتي كما في مجمع الزوائد^٩.

(عن سلمان، قال: قلت: يا رسول الله، إن لكل نبي وصياً، فمن وصيك؟ فسكت عني، فلما كان بعد رأني فقال: يا سلمان فأسرعت إليه قلت: لبيك، قال: «تعلم من وصي موسى؟» قلت: نعم: يوشع بن نون، قال: «لم؟» قلت: لأنه كان أعلمهم يومئذ، قال: «فإن وصي وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب». رواء الطبراني وقال: وصي: أنه أوصاه بأهله لا بالخلافة). انتهى ما نقله الهيثمي عن الطبراني في مجمع الزوائد.

دراسة للحديث النبوي الشريف و نظرة تأمل في تأويل الطبراني إياه

لمعرفة مدى صحة تأويل الطبراني للحديث الشريف ندرس ثلاثة جوانب من الحديث: السائل، والسؤال، وحكمة النبي في الجواب. السائل هو: سلمان الفارسي نسباً، ولم يكن من بني عبد المطلب أو أقرباء أزواج الرسول أو أصهاره ليعنيه من يخلفه الرسول على أهله وإنما كان ممنّا عاشر رهبان النصارى وعلماءهم قبل أن يسلم على يدي الرسول (ص)، وأخذ منهم علم الأمم السابقة وأخبار أنبيائها وأوصيائها، ومن ثم قال للرسول (ص): (إن لكل نبي وصياً فمن وصيك؟). فهو إذن يسأل عن وصي النبي على شريعته وولي عهده في أمته، ولم يقل له أن رب كل عائلة يعين وصياً فمن وصيك من بعدك؟ ليفهم منه أنه يسأل عن خليفته على أهله.

(٩) مجمع الزوائد، ٩/ ١١٣ - ١١٤.

أمّا جواب النبيّ (ص) وتأخّره عن الإجابة فقد كان هذا شأن النبيّ (ص) في الأمور المهمّة. ينتظر أمر السّماء مثل أنتظاره في المدينة: أمر السّماء في تحويل القبلة إلى الكعبة وهو يعلم أنّها قبلته، حتّى نزلت عليه: ﴿قد نرى تقلّب وجهك في السّماء فلننوّليّنك قبله نرضاه﴾ البقرة/ ١٤٤. ولمّا كان رسول الله (ص) يعلم تنافس الإنسان العربي على الإمرة كما مرّ بنا بعض أخباره^١ فيما سبق، وكان المجتمع الإسلاميّ الصغير في المدينة الذي بدأ النبيّ (ص) بتأسيسه لا يتحمّل نشر خبر ولاية عهد الإمام علي بعد النبيّ (ص)، تأخّر النبيّ (ص) في جواب سلمان، ولعلّه أجاب سلمان حين أذن له بذلك، وعندئذ فاتح سلمان وأعدّه لاستماع الجواب بالسؤال منه عن وصيّ موسى وهو يعلم أن سلمان يعلم ذلك بما عنده من علماء أهل الكتاب، فلمّا أجابه بأنّ يوشع بن نون كان وصيّ موسى، سأله النبيّ (ص) وقال له: «لم؟» فلمّا قال سلمان في جوابه: (لأنّه كان أعلمهم يومئذ) قال النبيّ (ص): «فإنّ وصيّى و... عليّ بن أبي طالب».

والحكمة في جواب النبيّ لسلمان بهذا الأسلوب ما يأتي:
أولاً: ضرب النبيّ (ص) المثل بيوشع بن نون لأنّه كان أشهر أوصياء الأنبياء، ولأنّ موسى بن عمران (ع) كان قد استخلفه على أمّته من بعده، فقاد بني إسرائيل ومارس الحروب، كما فعل الإمام عليّ بعد النبيّ (ص) في مدّة حكمه.

ثانياً: سأل عن سبب كون يوشع وصيّاً لموسى وأجاب سلمان أنه كان أعلمهم.

بهذه المحاورّة بين رسول الله (ص) أنّ عليّاً وصيّّه. ليس لكونه ابن عمّ الرسول (ص) أو لأنّه دافع عن الإسلام في حروب النبيّ (ص) ببسالة فائقة،
(١) في فصل مصطلحات بحث الإمامة والخلافة.

بل لأنه أعلمهم ، أي أنه كشف عن قابلية الإمام عليّ للوصاية على الإسلام والمسلمين وأكد ذلك بقوله (ص): « موضع سبّري وخير من أترك بعدي » . وهذا الكلام - أيضاً - أوله الطبراني وقال : « خير من أترك بعدي من أهل بيتي » . كان هذا تأويل الطبراني في حديث لم يجد فيه مغمزاً من ضعف وما شاكله من القول .

حيرة عالم آخر في تأويل معنى الوصية

قال ابن أبي الحديد الشافعي في شرح الوصية في كلام الإمام عليّ (ع) .

(لا يقاس بآل محمّد (ص) من هذه الأمة أحد . . . هم أساس الدين . . . ولهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصية والوراثة) ما يأتي :
(أمّا الوصية فلا ريب عندنا أن عليّاً (ع) كان وصيّ رسول الله (ص) وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد ، ولسنا نعني بالوصية النصّ على الخلافة ولكن أموراً أخرى لعلّها إذا لمحت أشرف وأجلّ) . انتهى كلام ابن أبي الحديد .

ونقول في جوابه :

إنّ الإمام عليّاً (ع) لم يقل : لي حقّ الولاية والوصية والوراثة ، كي يمكن تأويل قوله إنّ له حقّ الولاية والوصية على أهل رسول الله (ص) ، بل قال : (آل محمّد هم أساس الدين . . . وفيهم الوصية) . أثبت الإمام الصفات المذكورة لآل رسول الله (ص) بما فيها الوصية ، ولا معنى للقول بأنّ آل رسول الله (ص) لهم حقّ الوصية على آل رسول الله (ص) ، أثبتها الإمام لآل رسول الله (ص) وهو أحدهم وسائرهم الأئمة الأحد عشر من بنيه . ومن ثمّ حار العلامة الشافعي في تأويل الوصية هنا ولم يستطع أن يردد تأويل

الطبراني، وإنما قال: (لسنا نعني بالوصية النصّ على الخلافة ولكن أموراً أخرى)، فما هي الأمور الأخرى التي لم تذكرها أيّها العالم المحتر في تأويل الحديث؟

وخلاصة القول إنّ العلماء في هذا الصّنف من الكتان يؤوّلون من سنّة رسول الله (ص) حديثه وسيرته وسيرة أهل بيته وأصحابه ما يخالف مصلحة السلطة الحاكمة على المسلمين من خلفاء وولاة وما فيه نقدهم إلى ما فيه مصلحتهم ومدحهم والثناء عليهم.

د - حذف بعض من أقوال الصّحابة مع عدم الإشارة إليه

من أنواع الكتان بمدرسة الخلفاء؛ حذف بعض الخبر الذي ينقلونه دونها إشارة إلى المحذوف؛ مثل ما فعلوه مع قصيدة الصّحابيّ الأنصاريّ النعمان بن عجلان التي آستشهدنا بيّتين منها في باب الأشعار التي قيلت في الوصيّة، وقد رواها الزبير بن بكار بتمامها ضمن إيراد أخبار السقيفة وما وقع بين المهاجرين والأنصار من خصومة ومحاججات، منها أقوال عمرو بن العاص ضدّهم، فأجابهم النعمان بقصيدة ذكر فيها مواقف الأنصار في حروب رسول الله (ص) مع قريش، ثمّ إيواءهم مهاجرة قريش ومقاسمتهم الأموال، ثمّ ذكر حوادث السقيفة وقال:

وَقَلْتُمْ: حَرَامٌ نَصَبَ سَعْدٌ وَنَصَبَكُمْ	عَتِيقُ بْنُ عَثْمَانَ حَلَالٌ أَبَابَكْرُ
وَأَهْلُ أَبِي بَكْرٍ لَهَا خَيْرٌ قَائِمٌ	وَإِنَّ عَلِيًّا كَانَ أَخْلَقُ بِالْأَمْرِ
وَكَانَ هَوَانًا فِي عَلِيٍّ وَإِنَّهُ	لَأَهْلٌ لَهَا يَاعَمْرُو مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي
فَذَاكَ يَبْعُونَ اللَّهَ يَدْعُو إِلَى الْهَدْيِ	وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْبَغْيِ وَالنَّكَرِ
وَصَيِّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَأَبْنُ عَمِّهِ	وَقَاتِلُ فِرْسَانَ الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ
وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ يَهْدِي مِنَ الْعَمَى	وَيَفْتَحُ آذَانًا ثَقُلْنَ مِنَ الْوَقْرِ

نجي رسول الله في الغار وحده وصاحبه الصديق في سالف الدهر
- الأبيات ١١ .

وأورد ابن عبد البر تمام القصيدة بترجمة النعمان بن عجلان من
الاستيعاب غير أنه حذف منها البيتين الآتين :

فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى وينهى عن الفحشاء والبغي والنكر
وصي النبي المصطفى وابن عمه وقاتل فرسان الضلالة والكفر
حذف هذين البيتين لما فيهما من ثناء على ابن عم الرسول (ص) أنه
وصي الرسول (ص) وأبقى البيتين اللذين فيهما مدح أبي بكر .

وجاء بعده ابن الأثير وقال بترجمة النعمان من أسد الغابة :

ومن شعره يذكر أيام الأنصار ويذكر الخلافة بعد النبي (ص) ، ثم ذكر
من أول القصيدة أبياته في أيام الأنصار فحسب وحذف من القصيدة الأبيات
التي يشير فيها إلى الخلاف الذي وقع يوم ذاك في أمر الخلافة والبيتين اللذين
مدح فيهما الإمام علياً وخاصة أنه كان وصي النبي .

وجاء ابن حجر بعده فقال في ترجمته :

(وهو القائل يفخر بقومه من أبيات) ثم أورد أبياته في المفاخرة بأيام
الأنصار ولم يذكر من أبيات هذه القصيدة ما فيه ذكر الخلافة .
وهكذا كلما تأخر الزمن حذف العلماء من الروايات ما لم يرق لهم ذكره ،
فأبتعدنا عن فهم الواقع التاريخي .

إذا نرى أن الزبير بن بكار (ت : ٢٥٦ هـ) غفل وذكر في كتابه الموفقيات
ما وقع من الاختلاف في أمر الخلافة بعد رسول الله (ص) وما تناولوا فيه من
خطب وشعر ، ومن ضمنها قصيدة النعمان بن عجلان التي فيها بيتان ذكر

(١١) راجع مصادر ترجمته وشعره في الهامش رقم ٣٢ ص ٢٩٢ ، في باب : شهرة لقب وصي
النبي (ص) للإمام عليّ وانتشار ذكره في أشعار الصحابة والتابعين من هذا الكتاب .

فيهما فضائل الإمام علي وخاصة أنه وصي النبي، وتنبه لها ابن عبد البر
(ت: ٤٦٣ هـ) فحذف البيتين.

وجاء بعده ابن الأثير (ت: ٦٣٨ هـ) وتنبه إلى أن ذكر ما وقع من
الخلاف في الخلافة - أيضاً - لا يصلح، فحذف من القصيدة ما فيه ذكر
الاختلاف في أمر الخلافة وقال: (ويذكر الخلافة). هذا إضافة إلى حذفه
ما فيه وصف الإمام علي.

وجاء بعدهما ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) فحذفها كذلك ولم يقل إن في
القصيدة ذكراً للخلافة.

وهكذا كلما تأخر الزمن زاد العلماء من حذف الحقائق ما لا يصلح ذكره
لمدرسة الخلفاء.

* * *

إذا راجعنا ما سبق إيراده في بحث الوصية وما يأتي في بحث أصناف
الكتبان، وما كتموه من خبر الوصية، يتضح جلياً، أن انتشار تعيين الرسول
علياً وصياً له كان يسوء مدرسة الخلفاء، فحذفوا من القصيدة والخبر هذا القسم
دون أن يشيروا إلى أنهم حذفوا منها شيئاً، وهذا النوع من الكتبان من أكثر
أصناف الكتبان بمدرسة الخلفاء سواء في حديث الرسول (ص) أو سيرته أو سيرة
صحابته، ويطول بنا المقام لو أردنا أن نأتي بأمثلة منها في غير شأن الوصية من
سنة الرسول (ص) في هذا المقام.

هـ - حذف تمام الرواية من سنة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليه

إنّ ابن هشام^{١٢} أخذ من سيرة ابن إسحاق برواية البكائي ما أورد في

(١٢) ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري.

قال ابن خلكان: (جمع سيرة رسول الله (ص) من المغازي والسير لابن إسحاق

←

سيرته من روايات سيرة الرسول (ص) وقال في ذكر منهجه بأول الكتاب :
(وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب . . . وأشياء يشنع
الحديث به وبعض يسوء الناس ذكره . . .) .

وكان ممّا حذفه ابن هشام من سيرة ابن إسحاق (ممّا يسوء الناس
ذكره) خبر دعوة الرسول بني عبد المطلب عندما أوحى الله اليه : ﴿ وأندّر
عشيرتك الأقربين ﴾ فقد روى الطبري في تاريخه عن ابن إسحاق بسنده أنّ
رسول الله (ص) قال في دعوته لبني عبد المطلب :

« فأنيكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي
فيكم ؟ » فأحجم القوم عنها جميعاً . وقال عليّ بن أبي طالب :
أنا يا نبيّ الله ، أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي - رقبة عليّ بن أبي
طالب - ثم قال :

« إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم ، فآسمعوا له وأطيعوا » .
قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع



وهذبها . . .) .
وقال السيوطي في بغية الوعاة ، ص ٣١٥ : (مذهب السيرة النبوية ، سمعها من زياد البكائي
صاحب ابن إسحاق ونقحها . . .) .
قصّدا من هذبها ونقحها ؛ أنه حذف من سيرة ابن إسحاق ما كان مخالفاً لمصلحة السلطة
الحاكمة .

توفي بمصر سنة ٢١٨ أو ٢١٣ هـ .
والبكائي : هو زياد بن عبد الله بن طفيل البكائي العامري (ت : ١٨٣ هـ) .
وآبن إسحاق : هو أبو عبد الله أو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار الملقب بـ « ولاء » صاحب
السيرة بأمر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور لابنه الخليفة المهديّ . توفي سنة ١٥١ أو ١٥٢ هـ .
أوردنا هذه التراجم من مقدمة محمد حسين هيكل على سيرة ابن هشام ، ط . القاهرة سنة
١٣٥٦ هـ ، ورجعنا إلى هذه الطبعة في ما أوردناه في المتن .

لابنك وتطيع) ١٣.

حذف ابن هشام هذا الخبر وأخباراً كثيرة أخرى كان يرى أن ذكرها يسوء الناس وهم عصابة الخلافة^{١٤}. ولهذا السبب أهملت سيرة ابن إسحاق لأن فيها أخباراً لا يرغبون في نشرها حتى فقدت نسخها^{١٥}. واشتهرت سيرة ابن هشام وأصبحت أوثق سيرة عند الناس.

وقد أدرك الطبري أهمية هذا النص في حق الإمام عليّ بعد أن أثبتته في تاريخه فتدارك في تفسيره ما غفل عنه في تاريخه، فإنه لما أورد الخبر بالسند نفسه في تفسيره آية ﴿وأنذر عشيرتک الأقربين﴾ قال:

فأيكم يؤازرنی علی هذا الأمر علی أن يكون أخی وكذا وكذا. . . . ثم قال:

إن هذا أخی وكذا وكذا فآسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب. . . الحديث^{١٦}.

وكذلك فعل - أيضاً - ابن كثير في تاريخه^{١٧} وتفسير الآية من تفسيره.

وهذا ما نُسِمَ به حذف بعض الخبر مع الإبهام في القول.

وأكثر من هذا ما فعله محمد حسين هيكل حيث أورد الخبر في

ص ١٠٤ من الطبعة الأولى من كتابه (حياة محمد) ولفظه:

«فأيكم يؤازرنی علی هذا الأمر وأن يكون أخی ووصيّي وخليفتي

فيكم».

(١٣) أوردتها ملخصة من تاريخ الطبري، ط. مهر الأدب، ٢/٢١٦ - ٢١٧.

(١٤) ذكرنا بعضها في كتابنا المخطوط: (من تاريخ الحديث).

(١٥) طبع أخيراً قسم من سيرة ابن إسحاق في الرباط بالمغرب سنة ١٣٩٦ هـ.

(١٦) تفسير الطبري، ط. الأولى، بولاق، سنة ١٣٢٣ - ١٣٣٠ هـ، ١٩/٧٢ - ٧٥.

(١٧) البداية والنهاية ٣/٤٠.

وحذفه في الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ ص ١٣٩ من كتابه^{١٨}.
وهذا الصنف من الكتان أي كتان تمام الخبر دونما إشارة إليه كثير عند
علماء مدرسة الخلفاء.

و- النهي عن كتابة سنة الرسول (ص)

من أهم أصناف كتان سنة الرسول (ص) بمدرسة الخلفاء نهي الخلفاء
عن كتابة سنة الرسول (ص). وكان بدء النهي في عصر رسول الله (ص)
حيث نهت قريش عبد الله بن عمرو بن العاص عن كتابة حديث
الرسول (ص) وقالت له: تكتب كل ما سمعته من رسول الله (ص) ورسول
الله (ص) بشر يتكلم في الرضا والغضب. وقريش هنا هم المهاجرون من
أصحاب رسول الله (ص) وهم الذين منعوا الرسول عن كتابة وصيته في آخر
ساعة من حياته، ثم لما ولوا الحكم بعد رسول الله (ص) نهوا عن كتابة
حديث الرسول (ص) وبقي منع كتابة الحديث سارياً حتى عصر الخليفة
الأموي عمر بن عبد العزيز حيث رفع الحظر وأمر بتدوين حديث
الرسول (ص). وسيأتي تفصيل أخبار النهي عن كتابة حديث رسول
الله (ص) في الجزء الثاني من الكتاب في بحث مصادر الشريعة الإسلامية لدى
المدرستين، ومضى ذكر خبر منع الرسول (ص) من كتابة وصيته في خبر
السقيفة.

والله أعلم كم من حديث لرسول الله (ص) في أمر الوصية، نسي مع
ما نسي من سنة الرسول (ص) بسبب عدم كتابتها طيلة هذه القرون.

* * *

١٨) نقلناه من كتاب الغدير للجبر الحجة الأميني، ط طهران، سنة ١٣٧٢ هـ،
٢٨٩-٨٨/٢.

ويلحق بهذا الصنف من الكتان الخبران الآتيان :
 أولاً - خبر الأنصار مع معاوية وعمرو بن العاص، كما رواه صاحب
 الأغاني وقال ما موجزه :

حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه
 سعد أبودرة، فقالوا له : استأذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن
 العاص، وقال : الأنصار بالباب. فقال عمرو : ما هذا اللقب الذي قد جعلوه
 نسباً يا أمير المؤمنين؟ أردد القوم إلى أنسابهم، فقال [له معاوية : إنني أخاف من
 ذلك الشنعة، فقال] : هي كلمة تقولها إن مضت عرثهم ونقصتهم وإلا فهذا
 الاسم راجع إليهم. فقال له : اخرج فقل : من كان هاهنا من ولد عمرو بن
 عامر فليدخل، فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار،
 فنظر معاوية إلى عمرو ونظر منكر، فقال له : باعدت جداً، فقال : اخرج فقل :
 من كان هاهنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فقالها [فلم يدخل أحد،
 فقال معاوية : أخرج فقل : من كان هاهنا من الأنصار فليدخل، فخرج فقالها]
 فدخلوا يقدمهم النعمان بن بشير، وهو يقول :

ياسعد لا تُعِد الدُّعَاءَ فإلنا نسبٌ نجيب به سوى الأنصار
 نسبٌ تخيره الإله لقومنا أثقل به نسباً على الكفار
 إن الذين ثووا ببذر منكم يوم القليب هم وقود النار
 وقام مغضباً فأنصرف. فبعث معاوية فردّه وترضاه، وقضى حوائجه
 وحوائج من كان معه من الأنصار.

فقال معاوية لعمرو: كنّا أغنياء عن هذا^{١٩}.

١٩) الأغاني، ط . ساسي ١٢٠/١٤ و ١٢٢، وط . بيروت ١٣/١٦ و ١٧.

نرى السلطة الحاكمة في هذا الخبر تنهى عن نشر لقب الأنصار الذي هو من سنة الرسول (ص) لما فيه ثناء على الأنصار اليمانيين؛ وليسوا من عصابة الخلافة، والجامع بين هذه الموارد التي أوردناها هو نهى السلطة عن نشر سنة الرسول، حنقاً على خصومها.

ثانياً - ما رواه - أيضاً - بسنده عن ابن شهاب، قال: قال لي خالد بن عبد الله القسري: أكتب لي النسب، فبدأت بنسب مضر، [فمكثت فيه أياماً، ثم أتيت، فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: بدأت بنسب مضر] وما أتممت، فقال: اقطعه قطعه الله مع أصولهم، وأكتب لي السيرة. فقلت له: فإنه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب أفأذكره؟ فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم^{٢٠}.

نرى أن السلطة الحاكمة تمنع من كتابة اسم الإمام علي (ع) إلا إذا ما كان فيه ذم له. فكيف إذا تسمح بكتابة سنة الرسول (ص) التي تنص على أن الرسول (ص) عينه وصياً من بعده؟!

نهى الخلفاء عن نشر سنة الرسول (ص) وكان مصير من يخالفهم ويروي أو يكتب ما يخالف آتجاههم مدى القرون القتل المعنوي أو الجسدي كما سنشير إلى أمثلة منه في ما يأتي إن شاء الله.

(٢٠) الأغاني، ط. ساسي ٥٩/١٩ وط. بيروت ٢٣/٢٢.
وابن شهاب: هو محمد بن مسعود القرشي الزهري. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ١٢٥ هـ أو بعده بسنة أو ستين). تقريب التهذيب ٢٠٧/٢.
وخالد بن عبد الله: ولي مكة سنة ٨٩ هـ للوليد، والعراقيين البصرة والكوفة سنة ١٠٥ لهشام بن عبد الملك، ثم عزله سنة ١٢٠. وقتله والي العراق من بعده. وقد رمي في نسبه ودينه.
راجع ترجمته في الأغاني وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦٧/٥ - ٨٠ وغيره.

ز - تضعيف الروايات و رواية سنة الرسول (ص)
والكتب التي تنتقص السلطان و قتل المخالفين أحياناً
لا يستطيع الباحث أن يحصي عمل العلماء في تضعيف الراوي والكتاب
اللذين ينتقصان السلطان، وكذلك تضعيفهم الروايات التي فيها انتقاص
لمقام السلطة من خليفة ووالٍ وأمير وأحياناً تقتل العامة العالم المخالف لهذا
الاتجاه، وكى لا يطول البحث في هذا الصنف من الكتان نقتصر على ذكر
أربعة أمثلة منه في ما يأتي :

١ - انتقاص من يذكر الوصية

قال ابن كثير ما موجهه :

(وأما ما يغتر به كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء، من أنه أوصى
إلى عليّ بالخلافة، فكذبٌ وبهتٌ وافتراءٌ، يلزم منه خطأ كبير من تخوين
الصحابه وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته - إلى قوله - : وما قد يقصه بعض
القصاص من العوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصية لعليّ في الآداب
والأخلاق . . . كل ذلك من الهذيان، فلا أصل لشيء منه بل هو اختلاق بعض
السفلة الجهلة ولا يعول على ذلك ولا يغتر به إلا غيبي عبي)^{٢١}.

هكذا تكلم ابن كثير بتوتر عصبي شديد من عناء هذه المشكلة، ولنر
من هم الذين آغتر بهم جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء. إنهم كل من
الأشخاص الآتية أسماؤهم :

أولاً - من الصحابة :

أ - الإمام علي بن أبي طالب المهاجري .

(٢١) البداية والنهاية ٢٢٤/٧ .

- ب - سلمان المحمّدي (الفارسي) .
ج - أبو أيّوب الأنصاري .
د - أبو سعيد الخدري الأنصاري .
هـ - أنس بن مالك الأنصاري .
و - بريدة بن الحصيب الأسلمي المهاجري .
ز - عمرو بن العاص القرشي .
ح - أبو ذرّ الغفاري .
ط - الإمام الحسن سبط الرسول الأكبر .
ي - الإمام الحسين السبط الشهيد .
ك - حسان بن ثابت الأنصاري .
ل - الفضل بن العباس بن عبدالمطلب .
م - النعمان بن عجلان الأنصاري .
ن - عبد الله بن أبي سفيان الحرث بن عبد المطلب .
س - أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري
ع - سعيد بن قيس الأنصاري .
ف - حجر بن عديّ الكندي .
ص - خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين .
ق - عمرو بن الحمق الخزاعي .
ر - عبد الله بن عباس
ش - المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب .
ت - الأشعث بن قيس الكندي وهو من خصوم الإمام علي .

ثانياً - من التابعين :

١ - جرير بن عبد الله البجلي .

ب - النجاشي الشاعر قيس بن عمرو .

ج - محمد بن أبي بكر (الخليفة الأول) .

د - المنذر بن حميضة الوادعي .

هـ - عبد الرحمن بن جعيل .

و - النضر بن عجلان .

ز - مالك الأشتر .

ح - عمر بن حارثة الأنصاري .

ط - عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي .

ثالثاً - من حكام مدرسة الخلفاء وأئمة مذاهبهم :

أ - الأمير علي بن عبد الله عمّ الخليفة العباسي السفاح .

ب - الخليفة العباسي هارون الرشيد .

ج - الخليفة العباسي المأمون .

د - إمام الشافعية محمد بن إدريس الشافعي .

رابعاً - من المؤلفين الذين أخرجوا أحاديث الوصية عن رسول

الله (ص) :

أ - إمام الحنابلة أحمد بن حنبل (ت : ٢٤١ هـ) في كتابه : مناقب علي .

ب - الدينوري (ت : ٢٨٢ هـ) في الأخبار الطوال .

ج - إمام المؤرخين الطبري (ت : ٣١٠ هـ) في تاريخه .

د - البيهقي (كان حياً قبل ٣٢٠ هـ) في المحاسن والمساوئ .

هـ - مسند الدنيا، الطبراني إمام المحدثين في عصره (ت : ٣٦٠ هـ) في

معاجمه .

و - أبو نعيم الإصبهاني (ت : ٤٣٠ هـ) في حلية الأولياء .

ز - الحافظ ابن عساكر الشافعي (ت : ٥٧١ هـ) في تاريخ مدينة دمشق .

ح - ابن الأثير (ت : ٦٣٠ هـ) في تاريخه .

ط - ابن أبي الحديد الشافعي (ت : ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة .

ي - المتقي الهندي (ت : ٩٧٥ هـ) في كنز العمال .

هؤلاء هم جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء على حسب تعبير ابن كثير الذين أغتروا بروايات الوصية ورووها وأخرجوها في كتبهم ، إلى كثير من نظرائهم من الصحابة والتابعين الذين أغتروا بها واحتجوا بها في أشعارهم وخطبهم ورواها عنهم أمثال :

الزبير بن بكار في الموفقيات ، والطبري وابن الأثير في تاريخيهما ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد . والمسعودي الشافعي في مروج الذهب ، والإمام المقدم في الحديث الحاكم في المستدرک ، والذهبي في تذكرة الحفاظ ، وأمثالهم .

كتم ابن كثير كل ما ذكرناه آنفاً ، وكتم أكثر ممّا أشرنا إليه ممّا كان في متناول أيدي علماء ذلك العصر ، وذهبت عنا لتكتمهم الشديد عليها وإخفائها عن الناس ، كتمها جميعاً ولم يخرج منها شيئاً في موسوعته التاريخية .
و كتمها - أيضاً - بتضعيف الرواة والروايات والكتب التي خرجتها ، وتسخيف المحتجين بها كي لا يصدق من يصل إليه شيء مما كتمها من كتاب آخر وقال : (ما يغترّ به جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء) .
وهذا النوع من الكتمان كثير عند علماء مدرسة الخلفاء .

٢ - الطعن في رواية الحديث

نقل ابن عبد البر عن الشعبي أنّه قال في الحارث الهمداني :

(حدثني الحارث وكان أحد الكذابين) . قال ابن عبد البر :

(ولم بين من الحارث كذب ، وإنما نقم عليه إفراطه في حبّ عليّ

وتفضيله له على غيره، ومن هاهنا والله أعلم كذبته الشعبي لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر وإلى أنه أول من أسلم^{٢٢}. انتهى قول أبين عبد البر.

٣- الطعن في أئمة الحديث

في مدرسة الخلفاء يطعنون أحياناً في أئمة الحديث الذين يروون حديثاً يخالف اتجاهها، مثل ما جرى للحاكم الشافعي كما رواه الذهبي بترجمته^{٢٣} وفي ما يلي ما أورده بإيجاز:

الحافظ الكبير إمام المحدثين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بأبن البيع. ولد سنة ٣١٢ هـ، وتوفي سنة ٤٠٥ هـ. طلب الحديث من الصغر ورحل إلى العراق وحجّ وجال في خراسان وما وراء النهر وسمع من ألفي شيخ أو نحو ذلك، بلغت تصانيفه قريباً من خمسمائة جزء ومن تأليفه فضائل الشافعي، ونقل أن مشايخ الحديث كانوا يذكرون أيامه وأن الأئمة من مقدّمي عصره كانوا يقدّمونه على أنفسهم ويراعون حقّ فضله ويعرفون له الحرمة الأكيدة.

قال الذهبي: وسئل الحاكم عن حديث الطير فقال: (لا يصحّ، ولو صحّ لما كان أحد أفضل من علي (رض) بعد النبي (ص)).

وقال: ثمّ تغيّر رأي الحاكم وأخرج حديث الطير في مستدركه.

ونقل الذهبي عن العلماء أنهم قالوا عن مستدركه: إنّه جمع فيه أحاديث وزعم أنها على شرط البخاري ومسلم، منها حديث الطير، ومن كنت مولاة فعليّ مولاة، فأنكرها عليه أصحاب الحديث فلم يلتفتوا إلى قوله.

(٢٢) جامع بيان العلم، باب حكم العلماء بعضهم في بعض ١٨٩/٢.

(٢٣) تذكرة الحفاظ ص ١٠٣٩ - ١٠٤٥.

وقال الذهبي :

أما حديث الطير، فله طرق كثيرة جداً قد أفردتها بمصنّف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل .

وأما حديث « من كنت مولاة فعليّ مولاة »، فله طرق جيّدة، وقد أفردت ذلك أيضاً. يعني الذهبي أنّه أَلَفَ في حديث « من كنت مولاة فعليّ مولاة »، كتاباً خاصّاً.

قال المؤلف :

أما حديث « من كنت مولاة » فسيأتي بحثه في ذكر النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ (ع) إن شاء الله تعالى .

وحديث الطير برواية الصحابيّ أنس وغيره من الصّحابة، أنّه أُهدي إلى رسول الله طير مشويّ فدعا أن يأتيه الله بأحبّ الخلق إليه - أي بعد الرسول (ص) - فيأكل معه، فجاء عليّ وأكل معه وبما أنّ الحديث يدلّ على أنّ الامام عليّاً أفضل الناس بعد رسول الله (ص) فقد أنكروا على الحاكم وغيره رواية هذا الحديث، ولم نُخرجها نحن في باب النصوص، لأننا لسنا بصدد إيراد فضائل الإمام عليّ (ع) وإنما نورد النصوص الصّريحة في حقّ آل الرسول (ص) في الحكم .

نقل الذهبي فضل الحاكم الشافعيّ في علم الحديث بمدرسة الخلفاء، وبما أنّه خرّج في مستدركه أحاديث في فضل الإمام عليّ (ع) وما فيه انتقاص لمعاوية، طعنوا فيه وقالوا ما نقله الذهبي :

(ثقة في الحديث، رافضيّ حبيث) .

(كان يظهر التسنّن في التقديم والخلافة وكان منحرفاً عن معاوية وآله

- يعني يزيد - متظاهراً بذلك ولا يعتذر منه) .

قال الذهبي :

(قلت : أما أنحرافه عن خصوم عليّ فظاهر ، وأما أمر الشيخين فمعظم
لهما بكلّ حال فهو شيعيّ لا رافضيّ ، وليته لم يصنّف المستدرک فأنّه غضّ من
فضائله بسوء تصرّفه) . انتهت أقوال الذهبي .
ولإمام المحدثين بمدرسة الخلفاء أسوة بإمام المذهب الشافعي محمد بن
إدريس (ت : ٢٠٤ هـ) حيث رمي بالرفض كما رواه البيهقي ، فقال الشافعي
في ذلك :

قالوا ترفضت ، قلت كلّاً ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن تولّيت غير شكّ خير إمام وخير هادي
إن كان حبّ الوصي^{٢٤} رفضاً فلإنني أرفض العباد
ومتّما قال أيضاً :

إن كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أنّي رافضي
ويظهر أنه كان يضطر إلى الكتان أحياناً فقد قال :

ما زال كتماً منك حتّى كأنني برّد جواب السائلين لأعجم
وأكتم ودي مع صفاء مودتي لتسلم من قول الوشاة وأسلم^{٢٥}
غير أنّه لم ينفعه الكتان ورمي بالرفض كغيره من العلماء الذين
لا يكتمون رأيهم في ما ورد عن سنّة الرسول (ص) وسيرة الصّحابة ، وإنّ

(٢٤) ورد في ديوان الشافعي ط . بيروت ١٤٠٣ هـ ، وكذلك في (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية)
لمحمد بن يحيى العلوي (ت : ١٣٥٠ هـ) وذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٣١ : (الولي) بدلاً
من (الوصي) . ولنا أن نعد هذا التبديل في الصواعق من موارد الكتان لدى أتباع مدرسة الخلفاء .

(٢٥) هذا موجز ما أورده الهيتمي (ت : ٩٧٤ هـ) في الصواعق ، ط . مصر الثانية ، سنة
١٣٧٥ هـ ، ص ١٣١ ، مع قول البيهقي أورد جميعها مفصلاً والبيت : إن كان رفضاً . . مع
بيتين آخرين رواها أيضاً ابن الصباغ المالكي المكي (ت : ٨٥٥ هـ) في كتابه الفصول حسب نقل
صاحب الكنى والألقاب بترجمة الشافعي .

أغلب علماء المذهب الشافعي بمدرسة الخلفاء لا يكتمون الحديث كما يفعله علماء المذاهب الأخرى في تلك المدرسة ولذلك يرمون بالرفض .

* * *

في هذا الباب لاحظنا أنواعاً من الإنكار بدءاً بتضعيف الراوي والرواية إلى طعنهم بالتشيع والرفض والذي كان يؤدي إلى إسقاط الحديث عن الاعتبار. وكل أنواع الإنكار من أسهل الأمور في باب الاحتجاج للمُنكر ومن أصعب الأمور عندئذ إثبات الحق، فإنَّ المُنكر يسهل عليه أن يقول: الحديث ضعيف، باطل، كذب. وعلى صاحب الحق أن يأتي بالدليل تلو الدليل وليس للمُنكر في مقابله أكثر من الإنكار وعدم القبول، وهو في حقيقته قتلٌ معنوي للرواية، وأحياناً يقتل الراوي الذي يروي ما يخالف مصلحة مدرسة الخلفاء جسدياً، كما نذكر في ما يأتي مثلاً واحداً منه لما جرى لأحد أصحاب الصحاح الستة بمدرسة الخلفاء.

٤ - النسائي أحد مؤلفي الصحاح الستة وقصة قتله.

ننقل خبره وقصة قتله من كتابي الذهبي وآبن خلكان فقد قالاً بترجمته^{٢٦} ما موجزه:

الحافظ، الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، كان إمام أهل عصره في الحديث وله كتاب السنن تفرّد بالمعرفة وعلو الإسناد، وأستوطن مصر. وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويجتهد في العبادة ليلاً. وخرج مع أمير مصر إلى الغزو، وكان يحترز عن مجالسه والانبساط في المأكّل، وخرج آخر عمره حاجاً وبلغ دمشق، وصنّف في دمشق كتاب الخصائص في فضل عليّ بن أبي طالب (رض) وأهل البيت، وأكثر رواياته

(٢٦) تذكرة الحفاظ ص ٦٩٨. ووفيات الأعيان ١/ ٥٩.

فيه عن أحمد بن حنبل، فأنكروا عليه ذلك، فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن عليّ بها كثير، فصنفتُ كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم الله بهذا الكتاب، فقيل له: ألا تُخرج فضائل معاوية؟ فقال: أي شيء أُخرج؟ حديث اللهم لا تشيع بعنه؟ فسكت السائل، وسئل - أيضاً - عن معاوية وما جاء من فضائله، فقال: ألا يرضى رأساً برأس حتى يُفضل، فما زالوا يدفعون في خصيبه وداسوه حتى أُخرج من المسجد وحمل إلى الرملة.

قال الحافظ أبو نعيم: مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول.
وقال الدارقطني: أمتحن بدمشق وأدرك الشهادة. كان ذلك سنة ٣٠٣ هـ.

* * *

ولا ينحصر من أُوذي وقُتل في سبيل نشر سنة الرسول (ص) بالنسائي وحده، فقد لاقى الصحابي أبو ذر أيضاً كما سيأتي ذكره بعيد هذا في بقية بحوث كتمان سنة الرسول (ص) وقتل عدد غير قليل من العلماء، ترجم بعضهم العلامة الخبر الأميني في كتابه، شهداء الفضيلة.

ومن يجروء مع هذه الحالة أن يروي النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في فضائل آله فضلاً عن ذكر النصوص الواردة في حقّ آله في الحكم. ألا يحقّ لابن كثير، إذا كان يريد أن يداري من يطالب العلماء بإيراد فضائل معاوية أن يؤوّل ما فيه أنتقاص لمعاوية إلى ما فيه له فضيلة في الدنيا والآخرة!!!

وكيف يتيسر نشر سنة الرسول (ص) مع هذه الحالة؟!

* * *

ذكرنا شيئاً من مصير من يخالف مدرسة الخلفاء ويروي أو يكتب من سنة الرسول (ص) ما يخالف مصلحة الخلفاء، وفي ما يأتي نُشير إلى مصير

الكتب التي حوت من سنة الرسول (ص) ما يخالف سياسة هذه المدرسة .

ح - إحراق الكتب و المكتبات

من أصناف الكتان بمدرسة الخلفاء ، إحراق الكتب التي فيها سنة الرسول (ص) سيرة وحديثاً مما لا ترغب في نشره . وقد بدأ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب كما سيأتي ذكره في باب بحوث مدرسة الخلفاء من مصادر الشريعة الإسلامية .

عن طبقات ابن سعد ، قال : إن الأحاديث كثرت على عهد عمر ، فأنشد الناس أن يأتوه بها ، فلمّا أتوه بها ، أمر بتحريقها .

وروى الزبير بن بكار^{٢٧} : أن سليمان بن عبد الملك في زمان ولايته للعهد مرّ بالمدينة حاجّاً ، وأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبي (ص) ومغازيه ، فقال أبان : هي عندي أخذتها مصحّحة ممّن أثق به ، فأمر عشرة من الكتاب بنسخها ، فكتبوها في رقّ ، فلمّا صارت إليه ، نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين - يقصد بيعة الأنصار في العقبتين الأولى والثانية - وذكر الأنصار في بدر ، فقال سليمان : ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل فلمّا أن يكون أهل بيتي - أي الخلفاء الأمويين - غمصوا عليهم ، وإمّا أن يكونوا ليس هكذا ، فقال أبان بن عثمان : أيّها الأمير ! لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم - يقصد الخليفة عثمان - من خذلانه ، أن نقول الحقّ . هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا . قال سليمان : ما حاجتي إلى أن أنسخ ذلك حتّى أذكره لأمر المؤمنين - يقصد والده عبد الملك - لعلّه يخالفه ، فأمر بذلك الكتاب فحرق ، ولمّا رجع أخبر أباه بما كان ، فقال عبد الملك : وما حاجتك أن تقدم

(٢٧) الموفقيات ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

بكتاب ليس لنا فيه فضل تعرّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها، قال سليمان: فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته حتى أستطلع رأي أمير المؤمنين، فصوّب رأيه.

* * *

هكذا يأمر خلفاء المسلمين وأولياء عهدهم بإحراق كتب سنة الرسول (ص) لئلا يعرف المسلمون ما يخالف مصالح السلّطة، وقد فعلت أكثر من ذلك حين أحرقت مكنتات فيها من كتب سنة الرسول (ص) ما يخالف اتّجاهها نظير ما يأتي بيانه:

إحراق مكتبة إسلاميّة ببغداد

قال ابن كثير^{٢٨} في ذكر حوادث سنة ٤١٦ هـ بترجمة سابور بن أردشير: كان كثير الخير سليم الخاطر إذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصّلاة، وقد وقّف داراً للعلم في سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها كتباً كثيرة جداً، ووقّف عليها غلّة كبيرة، فبقيت سبعين سنة ثمّ أحرقت عند مجيء طغرل في سنة ٤٥٠ هـ وكانت في محلّة بين السورين.

وقال الحموي بترجمة بين السورين في معجم البلدان:

بين السورين، اسم لمحلّة كبيرة كانت بالكرخ وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها وزير بهاء الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها كانت كلّها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحرّرة وأحترقت في ما أحرّق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية إلى بغداد. وقال ابن كثير^{٢٩} - أيضاً - بترجمة الشيخ أبي جعفر الطوسي، من

(٢٨) البداية والنهاية ١٢/١٩.

(٢٩) نفس المصدر ١٢/٩٧.

حوادث سنة ٤٦٠ هـ:

أُحرقت داره بالكرك وكتبه سنة ٤٤٨ هـ.

وفُعل أكثر من ذلك مع مخازن كتب الخلفاء الفاطميين بمصر كما ذكره المقرئزي^{٣٠} (ت: ٨٤٨ هـ) في ذكر الخزانات التي كانت في قصر الفاطميين وقال عن خزانة الكتب:

وكانت من عجائب الدنيا ويقال: إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر. ويقال: إنها كانت تشتمل على ألفٍ وستمائة ألف كتاب، وقال قبلها: (أخذ جلودها عبيدهم وإماؤهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق ورقها تأولاً منهم أنها خرجت من قصر السلطان وأن فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالاً باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب).

* * *

أسس مكتبة الكرخ وزير البويهيين من أتباع مدرسة أهل البيت (ع). فلما استولى السلجوقيون من أتباع مدرسة الخلفاء أحرقوها وأحرقوا مكتبة الشيخ الطوسي بالكرك، وفعل أكثر من ذلك بخزائن كتب الخلفاء الفاطميين بمصر عند استيلاء صلاح الدين على الحكم.

يا ترى كم كتم عنا من سنة الرسول (ص) بسبب تحريق الكتب والمكتبات التي كان أصحابها من مخالفي مدرسة الخلفاء؟ وكم كان فيها أحاديث صحيحة مسلسلّة عن رسول الله (ص) في حق آل الرسول من ضمنها أحاديثه في الوصية ذهبنا عنها بسبب هذا النوع من الكتمان؟ الله أعلم بذلك.

(٣٠) خطط المقرئزي ٢/ ٢٥٥ و ٢٥٤.

وأهم من كل ما ذكرنا من أصناف كتمان سنة الرسول (ص) تحريف سنة الرسول وسيرة الصحابة الآتي ذكره في البحثين التاليين :

ط - حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة و تحريفه

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء حذف بعض الخبر وتحريفه، كما فعل ذلك آبن كثير في خطبة الإمام الحسين في تاريخه، فقد أورد الخطبة الطبري وآبن الأثير في تاريخيهما وفي لفظهما :

(أما بعد فأنسبوني ، فأنظروا من أنا، ثم أرجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، هل يجوز لكم قتلي وأنتهاك حرمتي ؟ ألسنت آبن بنت نبيكم (ص) وآبن وصيه وآبن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بها جاء من عند ربه ؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أو ليس جعفر الطيار ذو الجناحين عمي ...)^{٣١}.

حرّف آبن كثير هذا الخبر في تاريخه ونقل أنّ الإمام الحسين قال :
(راجعوا أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي، وأنا آبن بنت نبيكم، وليس على وجه الأرض آبن بنت نبيّ غيري، وعليّ أبي، وجعفر ذو الجناحين عمي، وحمزة سيد الشهداء عم أبي)^{٣٢}.

* * *

إنّ آبن كثير حذف ذكر الوصية من خطبة الإمام الحسين، لأنّ ذكرها كما قلنا ينبّه العامة على حقّ الإمام عليّ وسبطي الرسول (ص) في الحكم وهو ما يسوء السلطة نشر خبره، ثمّ حرّف الخطبة. وهذا نوع من أنواع الكتمان

(٣١) تاريخ الطبري ط . أوربا ٣٢٩/٢ وتاريخ آبن الاثير، ط . أوربا ٥٢/٤ وط . مصر الأولى ٢٥/٤ .

(٣٢) ابن كثير ١٧٩/٧ .

بمدرسة الخلفاء، ويوجد نظير هذا الحذف في سيرة الرسول (ص) وسنشير إلى شيء منه في الصنف العاشر من أصناف الكتان الآتي بحثه بعد هذا.

ي - وضع الروايات والأخبار المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة

من أنواع الكتان بمدرسة الخلفاء، وضع الأخبار المختلفة ونشر الروايات المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة. وإليك مثلاً واحداً منها: روى الطبري في تاريخه خبر أبي ذر وقال:

(وفي هذه السنة أعني سنة ثلاثين كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ ومعاوية وإشخاص معاوية إتياء من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها. فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك قصة كتب إليّ بها السريّ يذكر أنّ شعيباً حدّثه سيف) الحديث.

وتبعه ابن الأثير وقال - أيضاً - في ذكره حوادث سنة ٣٠ من الهجرة: (وفي هذه السنة كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ وإشخاص معاوية إتياء من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة من سبب معاوية إتياء وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به . . .).

فمن هو سيف هذا الذي أورد الطبري القصة التي رواها في خبر أبي ذرّ، وتمسك بها العاذرون معاوية؟ وما هو نوع أخباره ورواياته؟ هو سيف بن عمر التميمي (توفي حدود سنة ١٧٠ هـ) روى أخباراً عن عصر الرسول (ص) والسقيفة وبيعة أبي بكر وحروب الردة والفتوح وحرب الجمل.

وصفه علماء الرجال وقالوا في نعتة:

ضعيف، متروك الحديث، ليس بشيء، كذاب، كان يضع الأحاديث،
اتهم بالزندقة^{٣٣}.

نوع أخباره وروايته

إختلف في رواياته أكثر من خمسين ومائة صحابي لرسول الله (ص)
نشرنا دراسات مفصلة عن ثلاثة وتسعين منهم في المجلدين الأول والثاني من
كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلف) جعل سيف تسعة وعشرين منهم
من قبيلته تميم، إختلف لهم أخباراً في الفتوح وكثيراً من المعجزات والشعر
ورواية الحديث، غير أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق أشخاصهم ولا شيئاً من
أخبارهم، بل اختلقهم سيف جميعاً، كما آخلى عشرات الرواة وروى عنهم
أخباره، وقد نشرنا، في جزأي (عبدالله بن سبأ) و(خمسون ومائة صحابي
مختلف) دراسات عن نيف وسبعين راوياً منهم، تتبّعنا في حدود قدرتنا روايات
سيف عنهم فوجدنا لراي واحد منهم والذي سماه محمد بن سواد بن نيرة ٢١٦
رواية، ومنهم من روى عنه أقل من ذلك، إلى رواية واحدة.

وكذلك اختلف شعراء للعرب وقادة للفرس والرومان وأراضي في البلاد
الإسلامية وغيرها، وحرف سبني الحوادث التاريخية، كما حرف أسماء
أشخاص ذكروا في التاريخ الإسلامي، ونشر الخرافات بين المسلمين في
ما اختلف منها في أحاديثه، وآخلى حروباً في الردّة والفتوح لم تقع، وذكر
مئات الألوف ممن قتلهم المسلمون قتلاً فظيعاً في تلك الحروب ممّا لم يكن

(٣٣) كان ما ذكرناه بعض ما ذكره في وصفه علماء أمثال: يحيى بن معين (ت: ٢٣٣ هـ)، أبي
داود (ت: ٢٧٥ هـ)، النسائي صاحب الصحيح (ت: ٣٠٣ هـ)، ابن أبي حاتم الرازي
(ت: ٣٢٧ هـ)، ابن حبان (ت: ٣٥٤ هـ)، الحاكم (ت: ٤٠٥ هـ) وتفصيل ما ذكرناه في حق
سيف ومصادر ترجمة سيف بكتاب (عبدالله بن سبأ) الجزء الأول.

شيء منها، وأشاع في ما وضع وأخترق أن الإسلام أنتشر بحدّ السيف، وقد بيّنّا زيفها في أوّل الجزء الثاني من كتابنا (عبد الله بن ساء).

انتشرت رواياته الموضوعة في أكثر من سبعين مصدراً^{٣٤} من كتب الحديث والتاريخ والأدب وغيرها من مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة الخلفاء انتشر فيها ما روى سيف وأخترق منذ عصر الرسول (ص) حتّى عصر معاوية، وكان أكثر من أخذ عنه الطبريّ في تاريخه وروى عنه أمثال الأخبار^{٣٥} الآتية:

أ - مسير الجيش على ماء البحر من الساحل إلى دارين مسيرة يوم وليلة لسفن البحر، يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل.

ب - تكليم الأبقار لعاصم بن عمرو التميمي الصحابي المخلّقى في حرب القادسية بلسان عربيّ فصيح. وإن بكيراً قال لفرسه أطلال عند نهر أراد أن يعبره يومئذ: (ثبي أطلال). فنطقت وقالت: (وثباً وسورة البقرة) أي أنها أقسمت بسورة البقرة، ثم وثبت !!!

ج - إنشاد الجنّ الشعر في فتح القادسية وثنائهم على موقف تميم في الحرب.

د - فتح السوس بضرب الدجال باب السوس برجله وقوله: (انفتح بظار).

هـ - تكلم الملائكة على لسان الأسود بن قطبة التميمي في فتح بهرسير.

(٣٤) ذكرنا أسماء أكثرها في أوّل الجزء الأول من كتاب (خمسون ومائة صحابيّ مخلّقى).
(٣٥) راجع أخبارها في ذكر فتح دارين والقادسية و السوس و بهرسير و دراسة مقارنة لأخبار سيف هذه بروايات صحيحة لغيره في كتاب (خمسون ومائة صحابيّ مخلّقى) الجزء الأول بترجم عفيف بن المنذر وعاصم بن عمرو والأسود بن قطبة من الصحابة الذين اختلقهم سيف بن عمر التميمي من قبيلة تميم.

ومن تاريخ الطبري أنتشرت أكاذيب سيف في كتب التاريخ الإسلامي
التي ألقت بعده إلى عصرنا الحاضر كما سنشير إلى بعض ذلك فيما يأتي .

انتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب التاريخ و سببه

قال ابن الأثير في مقدمة تاريخه الكامل :

لّني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، فأبتدأت
بالتاريخ الكبير الذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعول عند
الكافة عليه والمرجوع عند الاختلاف إليه فلما فرغت منه أخذت غيره
من التواريخ المشهورة فطالعت وأضفت إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس
فيه إلّا ما يتعلّق بما جرى بين أصحاب رسول الله (ص) فلّني لم أضف
إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً إلّا ما فيه زيادة بيان أو أسم إنسان، أو ما لا يطعن
على أحد منهم في نقله، على أنّي لم أنقل إلّا من التواريخ المذكورة والكتب
المشهورة ممّن يعلم صدقهم في ما نقلوه وصحّة ما دونوه . . . ٣٦ .

وقال ابن كثير بعد أنتهائه من ذكر أخبار الصحابة في الردّة والفتوح

والفتن :

هذا ملخص ما ذكره ابن جرير الطبري - رحمه الله - عن أئمة هذا
الشأن، وليس في ما ذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث
المختلقة على الصحابة والأخبار الموضوعة التي ينقلونها بها فيها ٣٧ .

وقال ابن خلدون :

هذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردّة والفتوحات

٣٦) تاريخ ابن الأثير ط . مصر سنة ١٣٤٨ هـ ٥/١ .

٣٧) تاريخ ابن كثير ٢٤٦/٧ .

والحروب ثم الاتفاق والجماعة، أوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتب محمد بن جرير الطبري وهو تاريخه الكبير فإنه أوثق ما رأيناه في ذلك وأبعد عن المطاعن والشبه في كبار الأمة من خيار الأمة وعدوهم من الصحابة والتابعين^{٣٨}.

نظرة تأمل في سبب اختيار كبار العلماء الأفاضل

روايات سيف في أخبار صدر الاسلام

قال الطبري في خبر أبي ذر الصحابي الفقير - مثلاً - مع معاوية الأمير: (كرهت ذكر أكثرها، فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك قصة عن سيف).

وقال ابن الأثير:

(. . . من سب معاوية إياه وهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به). ثم أورد قصة سيف ووصفهم كذلك بالعاذرين.

إن العالمين الكبيرين لم يتركا روايات غير سيف لعدم اعتمادهما عليها، بل لأنهما لم يجدا فيها العذر للسلطة الحاكمة، ووجدا العذر عند العاذرين معاوية الأمير وعثمان الخليفة، وهم سيف الزنديق وسلسلة روايته المختلقين، فحشى الطبري تاريخه الكبير بروايات سيف، وللسبب نفسه أخذ ابن الأثير روايات سيف من تاريخ الطبري، وكذلك فعل ابن كثير حيث قال في آخر ذكره خرواقة الجمل من أخبار سنة ست وثلاثين هجرية عما نقله من أخبار سيف في حوادث ما بعد وفاة رسول الله (ص) إلى واقعة الجمل:

(٣٨) تاريخ ابن خلدون ٢/٤٥٧.

(هذا ملخص ما ذكره ابن جرير الطبري - رحمه الله - عن أئمة هذا الشأن) وقصد من أئمة هذا الشأن الذين ذكر ابن جرير الطبري الأخبار عنهم سيف الزنديق ورواته المختلفين .

وقد أفصح العلامة ابن خلدون أكثر منهم في سبب اختيارهم روايات سيف المنتشرة في تاريخ الطبري عن أخبار الخلافة أي بيعة الخلفاء والردة والفتوح والجماعة أي الاجتماع على بيعة معاوية وقال :

(إنه أوثق ما رأيته في ذلك وأبعد عن المطاعن والشبهة في كبار الأئمة) .
إذاً فإن روايات سيف في تاريخ الطبري عن تلك الأخبار أوثق عندهم ، لأنها أبعد عن المطاعن والشبهة في كبار الأئمة من الصحابة والتابعين ، وهم الخلفاء والولاة وذوهم ، وإليكم دليلاً آخر على أنه من المعيب أن يذكر ما يورد النقد على الكبراء وينبغي البحث عن العذر لهم في ما يوجه النقد إليهم كيف ما كان ؛ في خبر درة سعد بن أبي وقاص الحدّ عن أبي محجن والبحث عن العذر لسعد الأمير .

كان أبو محجن الثقفي كما في ترجمته من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ، مدمناً للخمر وحده الخليفة عمر سبع مرّات لذلك ، وأخيراً نفاه من المدينة ، والتحق بسعد بن أبي وقاص في حرب القادسية فقيده لشربه الخمر وأطلقت زوجة سعد سراحه وكانت له مواقف مشهورة في الحرب ، فدرأ سعد الحدّ عنه لموقفه وقال : والله لا نجلدك على الخمر أبداً . قال أبو محجن : وإذن لا أشربها أبداً .

كان هذا خبر درة سعد الحدّ عن أبي محجن ، وفي هذا الشأن نقل ابن حجر في ترجمة أبي محجن في كتابه الإصابة عن كتاب ابن فتحون (ت : ٥١٩ هـ) : (التذييل على استيعاب أبي عمر بن عبد البر) وقال : (وقد عاب ابن فتحون أبا عمر على ما ذكره في قصة أبي محجن ، أنه

كان منهمكاً في الشراب - إلى قوله - : وأنكر ابن فتحون على من روى أن سعداً أبطل عنه الحدّ وقال : [لا يظنّ هذا بسعد] ثمّ قال : [لكن له وجه حسن] ولم يذكره وكأنّه أراد بقوله لا يجلده في الخمر بشرط أضمره وهو : إن ثبت عليه أنه يشربها ، فوفقه الله أن تاب توبة نصوحاً فلم يعد إليها . . . (٣٩) .

* * *

هكذا يبحث أتباع مدرسة الخلفاء عمّا يرفع النقد عن الكبراء وهم الخلفاء والولاة وذووهم من الخلفاء الأوائل حتّى معاوية ومروان بن الحكم ويزيد بن معاوية وولاتهم الذين يسمّونهم الكبراء أو كبراء الصحابة والتابعين . وبما أنّ سيف بن عمر الزنديق عرف من أين تؤكل الكتف ، فقد وضع روايات موافقة لرغبات جميع الطبقات بمدرسة الخلفاء مدى العصور ، وطلا رواياته بطلاء الدفّاع عن الخلفاء وذوئهم في ما أنتقدوا عليه ونشر فضائلهم .

وتحت هذا الغطاء السميّك استطاع أن يخفي أهدافه في الطعن بالإسلام والإضرار به ونشر الخرافات الضارّة بالعقائد الإسلامية بين المسلمين ، وكذلك استطاع أن ينشر ويذيع بين الناس أنّ الإسلام أنتشر بحدّ السيف .

استطاع سيف أن يصل إلى كلّ أهدافه في ما اختلق بدافع زندقته . وسنورد أمثلة ممّا ذكرنا في ما يأتي .

ومن أمثلة نشره الخرافات الضارّة بالعقيدة الإسلامية ما رواه في خبر الأسود العنسي المتنبّي وخبر مناجاة كسرى مع الرسول (ص) عند الله كالآتي .

٣٩ (الإصابة ١٧٣/٤ - ١٧٥ .

أولاً - قصّة الأسود العنسي في روايات سيف

روى الطبري في قصة الأسود العنسي^{٤٠} عدة روايات عن سيف تتلخّص في ما يلي:

إنّ الأسود لمّا أدعى النبوة وتغلّب على اليمن وقتل ملكها شهر بن باذان وتزوَّج أمراته وأسند أمر الجيش إلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء - وهم أبناء الفرس باليمن - إلى فيروز وداذويه، كتب النبيّ (ص) إلى هؤلاء بقتال الأسود إمّا مصادمة أو غيلة. فأتفقوا على آغتياله، فأنخبره شيطانه فأرسل إلى قيس وقال: يا قيس! ما يقول الملك؟ قال قيس: وما يقول؟ قال: يقول: (عمدت إلى قيس فأكرمته حتّى إذا دخل منك كلّ مدخل، وصار في العزّ مثلك، مال ميل عدوك؛ وحاول ملكك وأضمر على الغدرا! إنّه يقول: يا أسود، يا أسود، يا سوءة! يا سوءة! إقطف قُتته^{٤١} وخذ من قيس أعلاه وإلّا سلبك أو أخذ قُتتك!)، فقال قيس: فحلف به وكذب: (وذي الخمار^{٤٢} لأنّ أعظم في نفسي وأجلّ عندي من أن أحذّث بك نفسي)، قال الأسود: (ما أجفاك! أتكذب الملك؟! وعرفت الآن أنّك تائب ممّا أطلع عليه منك) يعني ما أطلع عليه شيطانه الذي يسمّيه الملك.

وقال سيف: ثمّ خرج قيس وأنخبر جماعته بما جرى له مع الأسود وتواطؤوا على إنفاذ ما اتفقوا عليه من قتله، فدعا الأسود قيساً ثانية، وقال له: (ألم أخبرك الحقّ وتخبرني الكذابة إنّه يقول - يعني شيطانه الذي يسمّيه

٤٠) نسبة إلى عنس بن مذحج وهم حيّ من زيد بن كهلان بن سبأ، ترجمتهم في أنساب ابن حزم ص ٣٨١.

٤١) إقطف قُتته أي أقطع رأسه، وقُتة كل شيء أعلاه مثل القلّة.

٤٢) كان الأسود يلقب ذا الخمار أو ذا الخمار.

الملك - : يا سوءة ! يا سوءة ! إلا تقطع من قيس يده يقطع قُنتك العليا) . فقال له قيس : (ليس من الحق أن أقتلك وأنت رسول الله فمر بي بما أحببت ، فإما الخوف والفرع فأنا فيها مخافة ! اقتلني ! فموتة أهون علي من موتات أموتها كل يوم) ، قال سيف : فرق له فأخرجه ! وقال : دعا الأسود بمائة جزور بين بقرة وبعير ، وخط خطأ فأقيمت من وراء الخط ، وقام من دونها ، فنحراها غير محبسة ولا معقولة ، ما يقتحم الخط منها شيء ، ثم خلاها فجالت إلى أن زهقت . ونقل سيف عن الراوي أنه قال : (ما رأيت أمراً كان أفضع منه ، ولا يوماً أوحش منه) .

قال سيف : وتواطؤوا مع زوجته على اغتياله - ليلاً - فلما دخلوا عليه ليقتلوه بادره فيروز ، فأنذره شيطانه بمكان فيروز وأيقظه . فلما أبطأ تكلم الشيطان على لسانه وهو يغط في نومه وينظر إلى فيروز قال له : (مالي ولك يا فيروز ؟) . فدق فيروز رقبته وقتله .

قال : (ثم دخل الباقون ليحتزوا رأسه ، فحرّكه شيطانه فأضطرب فلم يضبطوا أمره حتى جلس أثنان على ظهره وأخذت المرأة شعره ، فجعل يبربر بلسانه فأحتز الآخر رقبته فخار كأشد خوار ثور سمع قط ، فأبتدر الحرس الباب ، وقالوا : ما هذا ؟ فقالت المرأة : النبي يوحى إليه ، فخمد . . .) الحديث .

* * *

روى هذا الخبر عن سيف كل من الطبري والذهبي في تاريخيهما ، وأخذ من الطبري كل من ابن الأثير وابن كثير وابن خلدون ، غير أن الأخير أورده بإيجاز .

دراسة خبر الأسود العنسي

أ - رواية الخبر:

روى سيف هذا الخبر في إحدى عشرة رواية رواها عن أربعة رواة
أختلقهم وهم كل من:

١ - سهل بن يوسف الخزرجي السلمي .

٢ - عبيد بن صخر الخزرجي السلمي .

٣ - المستنير بن يزيد النخعي .

٤ - عروة بن غزية الدثيني .

هكذا تخيلهم سيف الزنديق غير أن الله لم يخلق رواية بهذه الأسماء
وإنما أختلقهم سيف بن عمر لرواياته .

ب - دراسة متن الخبر:

قد قارنّا روايات سيف المختلفة في خبر الأسود العنسي بالروايات
الصحيحة وبينا أختلافه الروايات والرواة في هذا الخبر في الجزء الثاني من
(عبد الله بن سبأ .)

ثانياً - خبر مناجاة كسرى مع الرسول عند الله في رواية سيف

روى سيف في قصة مسير يزديجرد إلى خراسان بعد واقعة جلولاء وقال :
(كان يزديجرد بن شهريار بن كسرى وهو يومئذ ملك فارس ، لما أنهزم
أهل جلولاء خرج يريد الري وكان ينام في محمله والبعير يسير به ولا
يعرسون ، فأنتهوا به إلى مخاضة وهو نائم في محمله فأنبهوه ليعلم ولثلاً يفزع
إذا خاض البعير ، فعنف وقال : بشما صنعتم ، والله لو تركتموني لعلمت
ما مدة هذه الأمة ، إني رأيت : أني ومحمداً تناجين عند الله ، فقال له :

- إملكهم مائة سنة .

فقال : - زدني .

فقال : - عشرين ومائة سنة .

فقال : - زدني .

فقال : - عشرين ومائة سنة .

فقال : - لك .

وأنبهتموني ، فلو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمة . . .)^{٤٣} .

دراسة خبر مناجاة كسرى والرسول (ص)

أ - دراسة رواية الخبر:

روى سيف أسطورة مناجاة كسرى والرسول (ص) عند الله عن

مختلفاته من الرواة الآتية أسماؤهم :

١ - محمّد ، وقد تخيّل : محمّد بن عبد الله بن سواد بن نويرة .

٢ - المهلب ، وهو عنده : المهلب بن عقبة الأسدي .

٣ - عمرو ، وقد اختلق سيف راويين باسم عمرو ، تخيّل أحدهما :

عمرو بن ريان والآخر : عمر بن ربيع ، وبينا اختلاقه هذه الأسماء في الجزء

الأول من (عبد الله بن سبأ) و (خمسون ومائة صحابيّ مختلق)

ب - دراسة متن الخبر :

درسنا متن هذا الخبر في أول الجزء الأول من (خمسون ومائة صحابيّ

مختلق) وبينا زيفه ولا حاجة لإعادة البحث في هذه العجالة .

ماذا أستهدف الزنديق من وضع هذين الخبرين ؟

(٤٣) راجع مصادره في البحث الأوّل من البحوث التمهيدية في الجزء الأول من (خمسون ومائة صحابيّ مختلق) .

زعم سيف أن الأسود الذي ادّعى النبوة كان يخبر قيساً بكل ما ينويه مرة بعد أخرى ويقول:

(قال الملك !) وكان الملك الذي يخبره هو الشيطان ! وظهرت من الأسود مدّعي النبوة معجزة باهرة حين خطّ خطاً أوقف وراءه مائة جزور بين بقرة وبعير وقام من دونها ونحرها جميعاً غير محبسة ولا معقولة ما يقتحم الخط منها شيء ، ثم خلاها فجالت إلى أن زهقت ، وإن الراوي استعظم هذا الأمر ! وقال في الخبر الثاني : (إن كسرى رأى في المنام أنه آت جمع مع الله ورسوله في مؤتمر ثلاثي . . .) الحديث .

أليس مغزى الأسطورة الأولى أن نبي المسلمين ادّعى النبوة وكان من يسمّيه (الملك) يخبره بالغيب ، وتصدر منه المعجزات .

والأسود العنسي أيضاً ادّعى النبوة وكان من يسمّيه (الملك) يخبره بالغيب وتظهر منه المعجزات ؟ هل نشر الزنديق هذه الأسطورة دون أن يقصد إلقاء الشبهات في أذهان المسلمين ؟

وفي الأسطورة الثانية ، ألم يقصد الزنديق الاستهزاء برّب المسلمين ونبّيهم حين جمعهما في مؤتمر واحد مع عدوّهما يزدجرد ملك الفرس في ما رآه !! ؟

هكذا نقل كبار العلماء عن سيف أساطير الخرافة وحشوا بها كتب التاريخ الإسلامي وأصبحت تلك الأساطير جزءاً من مصادر الدراسات الإسلامية ، وكذلك نشروا في كتب التاريخ الإسلامي ما أشاعه سيف الزنديق بأن الإسلام أنتشر بحدّ السيف ، نظير الأخبار الآتية .

إشاعة الزنديق أن الإسلام أنتشر بالسيف وإراقة الدماء
أشاع سيف في ما اختلق من أخبار حروب الردّة والفتوح بأن الإسلام

أنتشر على وجه الأرض بحدّ السيف وإراقة الدماء ؛ وممّا أختلق بأسم حروب الردّة، الأكاذيب و التهويلات الآتية :

تهويلات و أكاذيب في ما رواه سيف من أخبار حروب الردّة
مهّد سيف لما أراد أن يذكر في حروب الردّة من تهويلات بما روى في روايات قصيرة له أوردها الطبري في أول أخبار الردّة، قال سيف فيها :
(كفرت الأرض وتضرّمت ناراً، و ارتدّت العرب من كلّ قبيلة خاصّتها أو عامّتها إلّا قريشاً وثقيفاً). ثمّ ذكر ارتداداً في غطفان، و امتناع هوازن من دفع الصدقة، و اجتماع عوام طيء و أسد على طليحة، و ارتداد خواصّ بني سليم، وقال : (وكذلك سائر الناس بكّل مكان) وقال : (وقدمت كتب أمراء النّبّي من كلّ مكان بأنّ تقاض القبائل خاصّتها، أو عامّتها).
ونقل الخبر كذلك أبن الأثير و أبن خلدون بتاريخيهما، ونقله أبن كثير بالمعنى حيث قال في تاريخه^{٤٤} :
(ارتدّت العرب عند وفاة رسول الله (ص) ما خلا أهل المسجدين مكّة والمدينة).

ثمّ ذكر سيف في ما اختلقه من حروب الردّة كيف أرجع المرتدّون إلى الإسلام بحدّ السيف كما زعمه الزنديق في رواياته. ومن أمثلة ما روى في حروب الردّة ما سمّاها بحرب الأخابث كالآتي :

ردّة عكّ و الأشعرين و خبر طاهر ربيب رسول الله (ص) في روايات سيف
وقال سيف في خبر الأخابث من عكّ :
كان أوّل من أنتفض بتهماسة العكّ و الأشعرين لسمّ بلغهم نبأ وفاة

النبي (ص) تجمعوا وأقاموا على الأعلاّب (طريق الساحل) فكتب بذلك طاهر إلى أبي بكر، ثم سار إليهم مع مسروق العكي حتى التقى بهم، فأقتلوا، فهزّمهم الله وقتلهم كلّ قتلّة، وأنتنت السّبل لقتلهم، وكان مقتلهم فتحاً عظيماً.

وأجاب أبو بكر طاهراً - من قبل أن يأتيه كتابه بالفتح - : (بلغني كتابك تخبرني فيه مسيرك وأستفارك مسروقاً وقومه إلى الأخابث بالأعلاّب، فقد أصبت، فعاجلوا هذا الضرب ولا ترفهوا عنهم، وأقيموا بالأعلاّب حتى يأتيكم أمري). فسمّيت تلك الجموع ومن تأشب إليهم إلى اليوم الأخابث، وسمّي ذلك الطريق طريق الأخابث، وقال في ذلك طاهر بن أبي هالة :
 والله لولا الله لاشيء غيره لما فضّ بالأجرّاج جمع العثااث
 فلم تر عيني مثل يوم رأيته بجنب صحارٍ في جموع الأخابث
 قتلناهم ما بين قنّة خامر إلى القيعه الحمراء ذات النبائث
 وفننا بأموال الأخابث عنوة جهاراً ولم نحفل بتلك الهثااث
 قال : وعسكر طاهر على طريق الأخابث، ومعه مسروق في عكّ ينتظر أمر أبي بكر.

* * *

أدار سيف خبردّة عكّ والأشعرين على من تخيّل طاهر بن أبي هالة، فمن هو طاهر في أحاديث سيف ؟

طاهر في أحاديث سيف

تخيّل سيف طاهر بن أبي هالة التميمي من أمّ المؤمنين خديجة وريب رسول الله (ص) وعامله في حياته، وذكر من أخباره في عصر أبي بكر إبادته للمرتدّين من عكّ والأشعرين، ومن أحاديث سيف أستخرجوا ترجمته وذكره في عداد الصّحابة في كلّ من الاستيعاب ومعجم الصّحابة وأسد

الغابة وتجريد أسماء الصّحابة والإصابة وغيرها، وكذلك ترجم في معجم الشعراء وسير النبلاء.

وذكر خبره في تواريخ الطبري وآبن الأثير وآبن كثير وآبن خلدون وميرخواند.

وآتمد (شرف الدين) على هذه المصادر وذكر أسم طاهر في عداد أسماء الشيعة من أصحاب عليّ في كتابه (الفصول المهمة).
وآتماداً على أخبار سيف ترجم البلدانون الأعلام والأخبار في عداد الأماكن مثل الحموي في معجم البلدان وعبد المؤمن في مراصد الاطلاع.

مناقشة الخبر

روى سيف أخبار طاهر في خمس من رواياته في أسانيدنا خمس رواة اختلقهم بأسم سهل عن أبيه يوسف السلمي وعبيد بن صخر بن لوزان وجريز بن يزيد الجعفي وأبي عمرو مولى طلحة.
ولم يكن وجود لردة عكّ والأشعرين.

ولم يخلق الله أرضاً بأسم الأعلام والأخبار.
ولا صحابياً شيعياً ربيعاً لرسول الله (ص) من أمّ المؤمنين خديجة أسمه طاهر بن أبي هالة.

ولم تقع حرب الإبادة لعكّ والأشعرين المرتدين كما تخيلها سيف، ولا الرواة الذين روى عنهم أخبار طاهر وردة عكّ والأشعرين والأخبار.

اختلق سيف الردة، وحربها، والأراضي، والشعر، وكتاب أبي بكر، والصحابي، والرواة، ووصل من خلالها إلى هدفه أن الناس آرتدوا بعد رسول الله (ص) عامة عدا قريش وثقيف، وهكذا حاربهم المسلمون حرب إبادة، وقد ناقشنا كلّ هذه الأخبار وأسانيدنا في ترجمة من

سمّاه بطاهر بن أبي هالة في الجزء الأول من كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق) .

كانت هذه إحدى حروب الردّة التي اختلقها سيف، وسمّا اختلق من حروب الردّة و اختلق أخبارها، ما سمّاه برّدّة طيّء و ردّة أم زمل و ردّة أهل عمان والمهرة و ردّة اليمن الأولى و ردّة اليمن الثانية .

اختلق آررداد تلك القبائل والبلاد وحروبها وحروب ردّة أخرى زعم أنها وقعت في عصر أبي بكر، كذب فيها جميعاً . وكذب و أفترى في ذكر عدد من قتل في تلك المعارك و ذكر تماويل مزعومة سوّد بها وجه التاريخ الإسلامي الناصع، وكذلك فعل في أخبار الفتوح حيث ذكر معارك لم تقع، وقتلاً وإبادة من قبل جيوش المسلمين لم يكن لهما وجود في التاريخ بتاتاً كالآتي ذكرهما .

فتح أليس وتخريب مدينة أمغيشيا في أحاديث سيف
روى الطبري عن سيف في خبر أليس وأمغيشيا من فتوح سواد العراق
وقال في خبر أليس :

فأقتلوا قتلاً شديداً والمشركون يزيدهم كلباً وشدة ما يتوقعون من قدوم بهمن جاذويه، فصابروا المسلمين للذي كان في علم الله أن يصيرهم إليه وخرب المسلمون عليهم، وقال خالد: اللهم إن لك عليّ إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحداً قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم، ثم إن الله عز وجل كشفهم للمسلمين ومنحهم أكتافهم، فأمر خالد مناديه فنادى في الناس: الأسر الأسر، لا تقتلوا إلا من أمتنع فأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين يساقون سوقاً وقد وكلّ بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة، وطلبوهم الغد وبعد الغد حتّى أنتهوا إلى النهرين ومقدار ذلك من كلّ جوانب أليس، فضرب أعناقهم وقال له القعقاع وأشباه

له : لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم إنَّ الدماء لا تزيد على أن تفرق منذ نهيت عن السيلان ونُهِيت الأرض عن نشف الدماء، فأرسل عليها الماء، تبرأً بيمينك، وقد كان صد الماء عن النهر فأعاده فجرى دماً عبيطاً فسَمي نهر السدم لذلك الشأن إلى اليوم. وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصية وبلغنا أنَّ الأرض لما نشفت دم ابن آدم نُهِيت عن نشف الدماء ونُهي الدم عن السيلان إلا مقدار برده.

وقال: كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر قوت العسكر ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام . . .

وقال بعده في خبر هدم مدينة أمغيشيا:

لَمَّا فرغ خالد من وقعة أليس، نهض فأتى أمغيشيا وقد أعجلهم عمّا فيها وقد جلا أهلها وتفرقوا في السواد، فأمر خالد بهدم أمغيشيا وكلّ شيء كان في حيزها، وكانت مصرأ كالحيرة، وكانت أليس من مسالحها، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قط.

إِخْتَلَقَ سيف جميع هذه الأخبار بتفاصيلها مع روايتها ولتأمل في ما وضع وَاخْتَلَقَ في الخبرين.

نظرة تأمل في رواية سيف عن أليس ومدينة أمغيشيا

قال سيف:

في وقعة أليس آلى خالد أن يجري نهرهم بدمائهم، فلَمَّا غلب غير مجرى الماء من نهرهم وأستأسر فلول الجيش الفارسي والمدنيين من أهل الأرياف من كلّ جوانب أليس مسافة يومين وأقبلت الخيول بهم أفواجا مستأسرين ووكّل بهم رجالاً يضربون أعناقهم على النهر يوماً وليلة، والدم ينشف فقال له القعقاع - الصحابي الذي آخذه سيف - وأشباه له: لو قتلت

أهل الأرض لم تجر دماؤهم ، أرسل عليها الماء تبرّ يمينك ، فأرسل عليها الماء فأعاده فجرى النهر دماً عبيطاً فسمي نهر الدم لذلك إلى اليوم . ثم قال : ذهب خالد إلى أمغيثيا وكانت مصرأ كالحيرة فأمر بهدم أمغيثيا وكل شيء كان في حيزها وبلغ عدد قتلاهم سبعين ألفاً .

* * *

أما هدم مدينة أمغيثيا التي اختلق سيف المدينة وحيزها وخبر هدمها ، فقد كان له نظير في التاريخ من قبل طغاة مثل هولاءكو وجنكيز وكذلك قتل الأسرى ، غير أن سيفاً نسب إلى خالد ما لم يجز له نظير في تاريخ الحروب وهو أنه أجرى نهرهم بدمائهم ، وأنه لذلك سمي نهرهم بنهر الدم إلى اليوم .

إختلق سيف كل هذه الأخبار وأختلق أخبار معارك الشني والمذار والمقر وفم فرات بادقلى وحرب المصيخ وقتلهم الكفار يومذاك حتى أمتلأ الفضاء من قتلاهم ، فما شبهوهم إلا بغنم مصرّعة وكذلك معركة الزميل والفراض وقتل مائة ألف من الروم فيها .

إختلق سيف جميع أخبار هذه الحروب ونظائرها وانتشرت في تواريخ الطبري وآبن الأثير وآبن كثير وآبن خلدون وغيرهم ، ولا حقيقة لواحدة منها ، وقد ناقشنا أخبارها وأسانيدھا في بحث (انتشار الإسلام بالسيف والدم في حديث سيف) من كتاب (عبد الله بن سبأ) الجزء الثاني .

ألا يحقّ لخصوم الإسلام مع هذا التاريخ المزيف أن يقولوا : (إن الإسلام انتشر بحدّ السيف) ؟ !

وهل يشكّ أحد بعد هذا في هدف سيف من وضع هذا التاريخ وما نواه من سوء للإسلام ؟ ! وما الدافع لسيف إلى كل هذا الدّس والوضع إن لم تكن الزندقة التي وصفه العلماء بها ؟ !

وأخيراً هل خفي كل هذا الكذب والافتراء على إمام المؤرخين الطبري ؟

وعلاّمتهم آبن الأثير ؟ ومكثرهم ابن كثير ؟ وفيلسوفهم آبن خلدون ؟ وعلى
عشرات من أمثالهم ، كآبن عبد البرّ وآبن عساكر والذهبي وآبن حجر ؟
كلّاً فإنّهم هم الذين وصفوه بالكذب ورموه بالزندقة ! وقد ذكر الطبري
وآبن الأثير وآبن خلدون في تواريخهم في وقعة ذات السلاسل : أنّ ما ذكره
سيف فيها خلاف ما يعرفه أهل السير !

إذاً فما الذي دعاهم إلى اعتماد رواياته دون غيرها مع علمهم بكذبه
وزندقته ، إنّ هو إلّا أنّ سيفاً حلّى مفترياته بإطارٍ من نشر مناقب ذوي السلطة
من الصحابة ، فبذل العلماء وسعهم في نشرها وترويجها ، مع علمهم بكذبها ؟
ففي فتوح العراق - مثلاً - أورد مفترياته تحت شعار مناقب خالد بن الوليد ،
فقد وضع على لسان أبي بكر أنّه قال بعد معركة أليس وهدم مدينة أمغيشيا :
(يامعشر قريش عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله ، أعجزت النساء
أن ينشئن مثل خالد) .

كما زيّن ما أختلق في معارك الرّدة بإطار من مناقب الخليفة أبي بكر ،
وكذلك فعل في ما روى وأختلق عن فتوح الشام وإيران على عهد عمر ،
والفتن في عصر عثمان ، وواقعة الجمل في عصر عليّ ، فإنّّه زيّن جميعها بإطارٍ
من مناقب ذوي السلطة والدفاع عنهم في ما أنتقدوا عليه وبذلك راجت
روايات سيف وشاعت أكاذيبه ونسيت الروايات الصحيحة وأهملت ، على أنّه
ليس في ما وضعه سيف وأختلق - على الأغلب - فضيلة للمصحابة بل فيه مذمّة
لهم .

ولست أدري كيف خفي على هؤلاء أنّ جلب خالد عشرات الألوف من
البشر وذبحهم على النهر ليجري نهرهم بدمائهم ليست فضيلة له ، ولا هدمه
مدينة أمغيشيا ولا نظائرها إلّا على رأي الزنادقة في الحياة من أنّها سجن للنور ،

وأنه ينبغي السعي في إنهاء الحياة لإنقاذ النور من سجنه^{٤٥}.
ومهما يكن من أمر، فإن بضاعة سيف المزجاة إنشأ راجت لأنه طلالها
بطلاء من مناقب الكبراء، وإن حرص هؤلاء على نشر فضائل ذوي السلطة
والدفاع عنهم أدى بهم إلى نشر ما في ظاهره فضيلة لهم وإن لم تكن لهم في
واقعه فضيلة !

والأنكى من ذلك أن سيفاً لم يكتف بأختلاق روايات في ظاهرها مناقب
للصحابية من ذوي السلطة ويدس فيها ما شاء لهدم الإسلام، بل أختلق
صحابية للرسول (ص) لم يخلقهم الله ! ووضع لهم ما شاء من كرامات وفتوح
وشعر ومناقب كما شاء ! وذلك معرفة منه بأن هؤلاء يتمسكون بكل ما فيه
مناقب لأصحاب الحكم كيف ما كان، فوضع وأختلق ما شاء لهدم الإسلام !
اعتماداً منه على هذا الخلق عند هؤلاء ! وضحكاً منه على ذقون المسلمين ! ولم
يخيب هؤلاء ظن سيف، وإنشأ روجوا مفترياته زهاء ثلاثة عشر قرناً !

* * *

أوردنا إلى هنا أمثلة مما أختلقه سيف للطعن بالإسلام وأطره بإطار
مناقب كبراء الصحابة والتابعين أي ذوي السلطة منهم، وفي ما يأتي ندرس
أمثلة أخرى منها مما أطره بإطار حلّ معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون،
كما سيأتي بيانها.

كانت شهرة الإمام عليّ (ع) بالوصيّ

معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون

رأينا في ما مرّ بنا كيف دارت المعركة الكلامية بين المدرستين حول نصّ

٤٥ راجع بحث الزندقة والزنادقة من البحوث التمهيدية في الجزء الأول من (خمسون ومائة
صحابي مختلق).

الوصية مدى سبعمائة سنة منذ عهد أم المؤمنين عائشة حتى عصر ابن كثير، لأن نصّ الوصية كان يُشخص قصد الرسول (ص) في سائر النصوص التي نصّ بها على حقّ آله في الحكم بدءاً بالإمام عليّ و انتهاءً بالإمام المهدي، مثل حديث الغدير وحديث أنّ عليّاً ولي الأمر بعد الرسول (ص) و وارثه، إلى غيرهما. بينما كانت مدرسة الخلفاء تؤوّل تلك النصوص إلى مدلول الفضيلة لآل الرسول (ص). و ممّا يوضّح ذلك أنّ علماء أهل الكتاب - مثلاً - عندما كانوا يتكلّمون عن وصيّ خاتم الأنبياء، ما كانوا يعنون غير وليّ عهده من بعده.

و أنّ أنصار الإمام عليّ (ع) عندما كانوا يذكرون الوصية في خطبهم وأشعارهم. يحتجّون بها على حقّ الإمام عليّ (ع) في الحكم مثل أبي ذرّ على عهد عثمان و مالك الأشرقيوم بيعة الإمام عليّ (ع) و محمّد بن أبي بكر في كتابه لمعاوية و المهاجرين و الأنصار في أشعارهم في الجمل و صفين، و الإمام الحسن (ع) عندما خطب ليبايع له، و الإمام الحسين عندما خطب على جيش الخلافة بكر بلاء، كلّهم كانوا يحتجّون بالوصية، لأنّها كانت تشير إلى جميع النصوص التي وردت بحقّهم و تشملها، فكأنّهم في احتجاجهم بالوصية يدلّون بجميع تلك النصوص.

و إنّ قيام العلويّين المطالبين بالحكم لم ينته باستشهاد الإمام الحسين (ع) و إنّما استمرّت ثوراتهم على الخلفاء حتى عصر العباسيين، و كان في مقدمة ما يضايق مدرسة الخلفاء في كلّ تلك القرون في المعركة السياسية شهرة الإمام عليّ (ع) بأنّه وصيّ النبيّ (ص) لما كان يحتجّ بها المطالبون بالحكم من العلويّين باعتبار أنّها تدلّ كما ذكرنا آنفاً على نصّ النبيّ (ص) بحقّ الإمام عليّ (ع) و ولده في الحكم.

و من ثمّ لَمّا أراد المأمون تهدئة ثورات العلويّين تظاهر بالاستدلال بالوصية و وليّ الإمام الرضا العهد من بعده، و بذلك هدأ العلويّين في كلّ مكان

وجلب رؤوسهم إلى عاصمته وقضى على جُلّهم بالسّم و انتصر عليهم .

إذاً كانت شهرة الإمام عليّ (ع) بالوصيّة هي معضلة مدرسة الخلفاء
مدى القرون ، فكيف حلّ سيف هذه المعضلة ؟

سيف يضع حلّاً لمعضلة مدرسة الخلفاء

مرّ بنا كيف كانت مدرسة الخلفاء تعتمد إلى كتمان كلّ ما فيه ذكر للوصيّة
حذفاً وتحريفاً وطعناً على رواة الحديث والمحتجّين به ، وتأويلاً للنصوص
الصريحة للوصيّة ، ولم يبلغ أحدهم شأو سيف في ما وضع من حلّ لهذه
المشكلة العويصة بتحريفه الحقائق إلى ما يناقضها في ما اختلقه من روايات
نذكرها في ما يأتي :

أ - روى الطبري^{٤٦} في أول أخبار سنة خمس وثلاثين للهجرة الرواية
الآتية :

(عن سيف ، عن عطية ، عن يزيد الفقعسي ، قال : كان عبد الله بن سبأ
يهودياً من أهل صنعاء ، أمّه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ، ثمّ تنقّل في بلدان
المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثمّ البصرة ثمّ الكوفة ثمّ الشام . فلم
يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتّى أتى مصر فاعتمر
فيهم ، فقال لهم في ما يقول : لَعَجَبٌ مِمَّن يزعم أنّ عيسى يرجع ويكذب بأنّ
محمّداً يرجع وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ
إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ فمحمّد أحقّ بالرجوع من عيسى ، قال : فقبل ذلك عنه فوضع لهم
الرجعة فتكلّموا فيها ، ثمّ قال لهم بعد ذلك : إنّّه كان ألف نبيّ ولكلّ نبيّ
وصيّ ، وكان عليّ وصيّ محمّد . ثمّ قال : محمّد خاتم الأنبياء ، وعليّ خاتم

٤٦) تاريخ الطبري ، ط . أوروبا ١/٢٩٤١ - ٢٩٤٢ .

الأوصياء. ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله (ص) وثب على وصي رسول الله (ص) وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله (ص) فأنهضوا في هذا الأمر فحركوه وأبدأوا بالظعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وأدعوهم إلى هذا الأمر.

فبث دعائه وكاتب من كان آستفسد في الأمصار، وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولائهم ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة. وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يُبدون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء، إلا أهل المدينة، فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان، قالوا: فأتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيايتك عن الناس الذي يأتينا، قال: لا والله ما جاءني إلا السلامة، قالوا: فإننا قد أتانا وأخبروه بالذي أسخطوا إليهم، قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا عليّ، قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام وفرّق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمار فقالوا: أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم، وآستبطا الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد آغتيل، فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن

سعد بن أبي سرح يخبرهم أنّ عماراً قد آستماله قوم بمصر وقد أنقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر).

ب - روى الذهبي^{٤٧} في أوائل ذكره أخبار سنة خمس وثلاثين هجرية الحديثين الآتين:

أولاً - (قال سيف بن عمر عن عطية، عن يزيد الفقعي، قال: لما خرج ابن السوداء إلى مصر نزل على كنانة بن بشر مرة وعلى سودان بن حمران مرة، وأنقطع إلى الغافقي، فشجّه الغافقي فكلمه، وأطاف به خالد بن ملجم وعبد الله بن رزين وأشباه لهم فصرف لهم القول فلم يجدهم يُجيبون إلى الوصية . . .) إلى آخر الحديث الطويل.

ثانياً - روى بعد هذا الحديث خبر عمار في مصر كالآتي:

(قال سيف: عن مبشر وسهل بن يوسف، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم عمار بن ياسر من مصر وأبي يسأل، فبلغه فبعثني إليه أدعوه، فقام معي وعليه عمامة وسخة وجبة فراء، فلما دخل على سعد قال له: ويحك يا أبا اليقظان، إن كنت فينا لمن أهل الخير فما الذي بلغني عنك من سعيك في فساد بين المسلمين والتألب على أمير المؤمنين أمعك عقلك أم لا؟ فأهوى عمار إلى عمامته وغضب فنزعها وقال: خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه. فقال سعد: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويحك حين كبرت سنك ورق عظمك ونفد عمرك، خلعت ربقة الإسلام من عنقك وخرجت من الدين عرياناً. فقام عمار مغضباً مولياً وهو يقول: أعوذُ برُبِّي من فتنة سعد. فقال

(٤٧) تاريخ الإسلام ١٢٢/٢ - ١٢٨.

سعد: ألا في الفتنة سقطوا، اللهم زد عثمان بعفوه وحلمه عندك درجات، حتى خرج عمار من الباب. فأقبل عليّ سعد يبكي حتى أنخضل لحيته وقال: من يأمن الفتنة، يا بُني لا يخرجنّ منك ما سمعت منه فإنه من الأمانة وإنّي أكره أن يتعلّق به الناس عليه يتناولونه، وقد قال رسول الله (ص): الحقّ مع عمار ما لم تغلب عليه ولهة الكبر، فقد وله وخرف. وممنّ قام على عثمان، محمّد بن أبي بكر الصديق، فسأل سالم بن عبد الله في ما قيل عن سبب خروج محمّد، قال: الغضب والطمع وكان من الإسلام بمكان، وغرّه أقوام فطمع وكانت له دالة ولزمه حتّى فأخذته عثمان من ظهره.

ج - روى الطبري^{٤٨} في أخبار سنة ثلاثين أمر أبي ذرّ كالاتي:
(عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعي، قال: لما ورد آبن السوداء الشام لقي أبا ذرّ فقال: يا أبا ذرّ ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال مال الله، ألا إنّ كلّ شيء لله كأنه يريد أن يحتججه دون المسلمين ويمحو أسم المسلمين، فأتاه أبو ذرّ فقال: ما يدعوك إلى أن تُسمّي مال المسلمين مال الله؟ قال: يرحمك الله يا أبا ذر، ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره، قال: فلا تقله. قال: فإنّي لا أقول إنّه ليس لله، ولكن سأقول مال المسلمين. قال: وأتى آبن السوداء أبا الدرداء فقال له: من أنت؟ أظنك والله يهودياً. فأتى عبادة بن الصامت فتعلّق به فأتى به معاوية فقال: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذرّ. وقام أبو ذرّ بالشام وجعل يقول: يا معشر الأغنياء واسأوا الفقراء، بشرّ الذين يَكْنِزون الذهب والفضّة ولا يُنْفِقونها في سبيل الله بمكاي من نار تُكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، فما زال حتّى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبه على الأغنياء حتّى شكوا الأغنياء ما يلقون من الناس. فكتب معاوية

(٤٨) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١/٢٨٥٨ - ٢٨٥٩.

إلى عثمان: إِنَّ أبا ذرٍّ قد أعضل بي وقد كان من أمره كيت وكيت. فكتب إليه عثمان: إِنَّ الفتنة قد أخرجت خطمها وعينها فلم يبق إلّا أنْ تشب فلا تنكأ القرح وجهز أبا ذرٍّ إليّ وأبعث معه دليلاً وزوده وأرفق به وكفكف الناس ونفسك ما أستطعت فإنّهما تمسك ما آستمسكت، فبعث بأبي ذرٍّ ومعه دليل، فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سلع قال: بشّر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكّار. ودخل على عثمان فقال: يا أبا ذرٍّ ما لأهل الشام يشكون ذرّبك؟ فأخبره أنّه لا ينبغي أنْ يقال مال الله ولا ينبغي للأغنياء أنْ يقتنوا مالاً، فقال: يا أبا ذرٍّ عليّ أنْ أقضي ما عليّ وأخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزّهد وأنْ أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد، قال: فتأذّن لي في الخروج؟ فإنّ المدينة ليست لي بدار. فقال: أو تستبدل بها إلّا شراً منها، قال: أمرني رسول الله (ص) أنْ أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً. قال: فأنفذ بما أمرك به. قال: فخرج حتى نزل الرّبذة فخطّ بها مسجداً وأقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين وأرسل إليه أنْ تعاهد المدينة حتّى لا ترتد أعرابياً، ففعل).

دراسة روايات سيف في أخبار الفتن

إختلف سيف هذه الاخبار ونظائرها في الدفاع عن الخلفاء الامويين: عثمان، ومعاوية، ومروان، والولادة: الوليد، وسعد بن أبي سرح، وغيرهم من كبراء بني أميّة، فراجعت قصصه المختلقة في أخبار تلك الفتن، وانتشرت في مصادر الدراسات الإسلاميّة أنتشار النّار في المهشيم، كما برهنّا على ذلك في أوّل الجزء الأوّل من (عبد الله بن سبأ)، وأثبتنا الصحيح من أخبار تلك الفتن في فصل (في عصر الصّهرين) وفصل (مع معاوية) من كتابنا (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) الجزء الأوّل، ونشير في ما يأتي إلى أمثلة من أنواع الاختلاق والتحريف في روايات سيف السابقة.

الاختلاق والتحريف في روايات سيف الأنفة الذكر

أولاً - أمثلة من الاختلاق في الروايات السابقة :

أ - إختلق سيف رواة الحديث : عطية ومبشر وسهل بن يوسف ويزيد الفقعسي وهذا بيانه :

أما عطية ، فقد تخيَّله سيف : آبن بلال بن أبي بلال ، هلال الضَّبِّي وأختلق له أبناً سمَّاه الصَّعب ، وأسند إليهم رواية بعض مختلقاته من الروايات ؛ تارة يروي الابن منهم عن أبيه ، وتارة يروي عن غيره ، وهؤلاء درسناهم وأحصينا الروايات التي أسندها سيف إليهم في كتابنا (رواية مختلقون) ، وقارنا بين بعض ما أسند إليهم سيف من روايات في ترجمة القعقاع الصحابي المختلق بكتابنا (خمسون ومائة صحابي مختلق) الجزء الأول ، وفي خبر العلاء الحضرمي بكتابنا (عبد الله بن سبأ) الجزء الأول .

وسهل بن يوسف تخيَّل سيف نسبه هكذا : سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري ، وقد ترجمناهم وأحصينا روايات سيف عنهم في كتاب (رواية مختلقون) ودرسنا روايات سيف عنهم في ترجمة القعقاع بكتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق) .

ومبشر تخيَّله : مبشر بن فضيل وقد درسناه ودرسنا رواية سيف عنه في خبر السقيفة بكتابنا (عبد الله بن سبأ) الجزء الأول .

ويزيد الفقعسي ، لم نجد له ذكراً في ما بحثنا من كتب الحديث والسير والتاريخ والأدب والأنساب والطبقات وتراجم الرجال عدا خمس روايات لسيف في تاريخ الطبري ورواية واحدة له في تاريخ الإسلام للذهبي ، وكأنَّ الله لم يخلقه إلاَّ ليروي سيف عنه ، ولذلك اعتبرناه من مختلقات سيف من الرواة .

ب - اختلق سيف، الغافقي وغيره، في متون الأحاديث السابقة وترك إحصاء ما آخترك فيها و البرهنة عليها، لئلا يطول بنا الكلام.

و آخترك في متون الأحاديث السابقة أيضاً الأخبار الآتية :

أ - قصة عبد الله بن سبأ في تلك الفتن ويكفي لمعرفة ما آخترتة مقارنتها بالأخبار الصحيحة التي أوردناها في فصلي (في عصر الصهرين) و (مع معاوية) من كتاب (أحاديث عائشة) الجزء الأول.

ب - من ضمن هذه الأخبار المختلقة متابعة الصحابين عمار وأبي ذر لعبد الله بن سبأ الذي تخيله يهودياً من أهل اليمن . . . وألحق بهما في متابعتهم عبد الله بن سبأ، صحابة وتابعين آخرين وسمى جميعهم بالسبائية.

ج - إخترك خبر إرسال الخليفة عثمان رجالاً إلى الأمصار لتحقيق ما تصل إليه من الشكاوي، وتخيلهم هكذا: محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسماء بن زيد إلى البصرة، وعمار بن ياسر إلى مصر، وعبد الله بن عمر إلى الشام، وأن جميعهم رجعوا يخبرون عن رضا الناس عن ولايتهم ما عدا عمار بن ياسر الذي تبع عبد الله بن سبأ اليهودي وبقي في أرض مصر يفسد فيها.

إخترك سيف جميع تلك الأخبار بتفاصيلها، ولم يرد ذكر شيء منها عند أي واحد من المؤرخين غيره. والخبر الصحيح في ذلك ما ذكرناه في كتاب (أحاديث عائشة) عن أنساب الأشراف للبلاذري وغيره.

د - إخترك خبر أبي ذر مع معاوية وحرّفه والروايات الصحيحة في خبره - أيضاً - ما أوردناه في كتاب (أحاديث عائشة).

هـ - إخترك غيرها مثل المكاتبات التي تخيل أنها جرت بين الخليفة عثمان و عماله وغير ذلك.

ثانياً - أمثلة من التحريف في الروايات السابقة :

أ - تحريف في الأسماء :

حرف اسم عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي وعبد الله بن وهب السبائي من رؤساء الخوارج في حرب النهروان وسماه خالداً بن ملجم وعبد الله بن سبأ كما برهننا على ذلك في فصل (تصحيح) وتحريف من كتاب (عبد الله بن سبأ) الجزء الثاني .

ب - تحريف في الأخبار مثل :

تحريفه خبر عبادة بن الصامت ومعاوية . والصحيح منه ما أوردناه في فصل (مع معاوية) من كتاب (أحاديث عائشة) .

وتحريفه خبر القول بالرجعة وقوله : إنَّ أبين سباً اخترعه ، ويطول بنا البحث عن أدلته في الكتاب والسنة ، ونقتصر على إيراد خبر واحد كالاتي :
لما توفي رسول الله (ص) كان الصحابي أبو بكر بمنزله في السنع ، وأخذ الصحابي عمر يقول : إنَّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنَّ رسول الله توفي . وأنَّ رسول الله مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثمَّ رجع بعد أن قيل مات ، والله ليرجعن رسول الله^{١٩} .

وتحريفه خبر القول بالوصية ونسبته إلى أبين سباً اليهودي وقد مرَّ بنا البحوث عنها في ما سبق .

وتحريفه رواية رسول الله (ص) في حقِّ عمار بقوله : (الحقُّ مع عمار ما لم تغلب عليه ولهة الكبر) وأنَّ سعداً قال : إنَّ عماراً وله وخرف ، بينما قال

١٩ (راجع تفصيل الخبر في فصل وفاة الرسول (ص) من كتاب (عبد الله بن سبأ) ، الجزء الأول .

رسول الله (ص) في حق الحديث الآتي :

عن عبد الله بن مسعود، قال قال رسول الله :

« إذا اختلف الناس، كان ابن سمية مع الحق »^{٥٠}.

وفي طبقات ابن سعد^{٥١} : قال الإمام علي في رثاء عمار :

(إنَّ عماراً مع الحقَّ والحقَّ معه، يدور عمار مع الحقَّ أينما دار).

إنَّ سيف بن عمر حَرَفَ هذه الأحاديث في حقَّ عمار وزاد فيها : (ما لم

تغلب عليه ولهة الكبر).

ومن حديث رسول الله في عمار ما رواه ابن هشام في خبر بناء مسجد

الرسول (ص) أنَّ رجلاً تعرَّض لعمار، فقال رسول الله (ص) :

« ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إنَّ عماراً جلدة ما

بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فأجنبوه ». روى

الحديث ابن هشام ولم يذكر اسم الرجل الذي تعرَّض لعمار. وذكر أبو ذر في

شرح سيرة ابن هشام أنَّ هذا الرجل هو عثمان بن عفان، وتفصيل الخبر بكتاب

(أحاديث عائشة)، فصل (في عصر الصهرين).

أمَّا أبو ذر فقد قال رسول الله (ص) فيه :

« ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي

ذر »^{٥٢}

مقارنة خبر سيف في الفتن بأخبار غيره

قال الذهبي في تاريخه^{٥٣} في خبر الفتن على عهد عثمان :

٥٠) راجع تاريخ الذهبي ١٧٩/٢ . وتاريخ ابن كثير ٢٧٠/٧ .

٥١) ط . بيرت ٢٦٢/٣ .

٥٢) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب ١١ ح ١٥٦ . وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب

أبي ذر (رض). ومسنند أحمد ١٦٣/٢ و ١٧٥ و ٢٢٣ و ٣٥١/٥ و ٣٥٦ و ٤٤٢/٦ . وطبقات

ابن سعد، ط . أوربا ٤/١ ق ١٦٨ .

٥٣) ١٢٢/٢ .

(عن الزهري قال: ولي عثمان فعمل ست سنين لا ينقم عليه الناس شيئاً. وإنه لأحب إليهم من عمر، لأن عمر كان شديداً عليهم. فلما وليهم عثمان لأن لهم ووصلهم، ثم إنه توانى في أمرهم وأستعمل أقباءه وأهل بيته في الست الأواخر، وكتب لمروان بخمس مصر أو بخمس أفريقية، وأثر أقباءه بالمال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، وأتخذ الأموال وأستسلف من بيت المال، وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإني أخذته فقسمته في أقربائي. فأنكر الناس عليه ذلك.

قلت: ومما نقموا عليه أنه عزل عمير بن سعد عن حمص وكان صالحاً زاهداً، وجمع الشام لمعاوية، ونزع عمرو بن العاص عن مصر، وأمر ابن أبي سرح عليها، ونزع أبا موسى الأشعري عن البصرة وأمر عليها عبد الله بن عامر، ونزع المغيرة بن شعبة^{٥٤} عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص.

وقال: دعا عثمان ناساً من الصحابة فيهم عمار فقال: إني سائلكم وأحب أن تصدقوني. نشدتكم الله أتعلمون أن رسول الله (ص) كان يؤثر قريشاً على سائر الناس ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكتوا، فقال: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية حتى يدخلوها^{٥٥}.

* * *

لا يتسع المجال لذكر ما فعله الولاة والأمراء من بني أمية في السنوات الست التي ذكرها المؤرخون في مصر والشام والكوفة والبصرة والمدينة، وما جرى بينهم وبين أبرار الصحابة والتابعين، وإنما نقتصر على ذكر بعض ما كان من أمر أبي ذر خاصة معهم.

٥٤) في السخة: المغيرة بن شعبة خطأ، وإنما نزع سعد بن أبي وقاص.

٥٥) قال المؤلف: ولكن مفاتيح بيوت أموال المسلمين كانت بيده.

أبو ذرّ في موسم الحجّ بمنى

عن أبي كثير عن أبيه ، (قال : أتيت أبا ذرّ وهو جالس عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه ، فاتاه رجل فوقف عليه ثمّ قال : أو لم تُنه عن الفتيا ؟ فرفع رأسه إليه فقال : أرقب أنت عليّ ؟ لو وضعتم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثمّ ظننت أنّي أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله (ص) قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها)^{٥٦}.

اختزل هذا الخبر البخاري في صحيحه وقال :

(قال أبو ذرّ : لو وضعتم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثمّ ظننت أنّي أنفذ كلمة سمعتها من النبيّ (ص) قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها)^{٥٧}.

وفي شرحه من فتح الباري قال ابن حجر :

(إنّ الذي خاطبه رجل من قريش والذي نهاه عثمان (رض))^{٥٨}.

وقال : (ونكر (كلمة) ليشمل القليل والكثير ، والمراد به يبلغ ما تحمله في كلّ حال ، ولا ينتهي عن ذلك ولو أشرف على القتل) . انتهى كلام شارح البخاري وفسّر في ما قال كلام أبي ذرّ بأنّه أراد أنّه سيُبَلِّغ ما سمعه عن رسول الله (ص) وإنّ كان كلمة واحدة ولا ينتهي عن ذلك ولو أشرف على القتل .

وفي تذكرة الحفاظ للذهبي :

(وعلى رأسه فتى من قريش ، فقال : أما نهاك أمير المؤمنين عن

٥٦) سنن الدارمي ١/ ١١٧ . وعلقات ابن سعد ٢/ ٣٥٤ .

٥٧) كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل ١/ ١٦ .

٥٨) ١/ ١٧٠ - ١٧١

الفتيا . . .) الحديث^{٥٩}.

أبو ذرّ في بيت الله الحرام

في مستدرك الحاكم^{٦٠} بسنده عن حنش الكناني^{٦١}، قال : سمعت أبا ذرّ يقول وهو آخذ بباب الكعبة :

أيها النَّاس من عرفني فأنا من عرفتم ، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ، سمعت رسول الله يقول :

« مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » .
قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

أبو ذرّ في مسجد الرسول (ص) وغيره

أورد اليعقوبي تفصيل خبر أبي ذرّ مع السلطة في تاريخه^{٦٢} وقال :

(وبلغ عثمان أنّ أبا ذرّ يقعد في مسجد رسول الله ، ويجتمع إليه

النَّاس^{٦٣} ، فيحدث بما فيه الطعن عليه . وأنه وقف بباب المسجد فقال :

أيها النَّاس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذرّ الغفاري ،
أنا جندب بن جنادة الرّبذي ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ
وآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ مُحَمَّد
الصفوة من نوح ، فالآل^{٦٤} من إبراهيم ، والسلالة من إسماعيل ، والعتره الهادية

. ١٨/١ (٥٩)

. ٣٤٣/٢ (٦٠)

(٦١) حنش في الإصابة، رجل من غفار.

. ١٧١/٢ (٦٢)

(٦٣) يظهر من سياق الخبر أنّ أبا ذرّ كان يفعل ذلك في مسجد الرسول في موسم الحجّ كفعله في منى وباب الكعبة ، فإنّه لو كان في غير موسم الحجّ لم يكن بحاجة إلى أن يُعرّف نفسه لإخوته الذين كانوا يعاشرونه في المدينة .

(٦٤) في النسخة المطبوعة : (فالأول) ، خطأ مطبعي .

من محمّد إنّه شرف شريفهم، واستحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسمااء المرفوعة وكالكعبة المستورة، أو كالقبة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونيّة أضواء زيتها، وبورك زبدها، ومحمّد وارث علم آدم وما فضل به النبيون، وعليّ بن أبي طالب وصيّ محمّد، ووارث علمه. أيّتها الأمة المتحيرة بعد نبيّها! أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخرتم من أخر الله، وأقرّتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال وليّ الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف آئنان في حكم الله، إلّا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنّة نبيّه، فأما إذ فعلتم ما فعلتم، فذوقوا وبال أمركم، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون).

وقال اليعقوبي بعده:

(وبلغ عثمان أيضاً أنّ أبا ذرّ يقع فيه، ويذكر ما غير و بدّل من سنن رسول الله وسنن أبي بكر وعمر، فسّيره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المسجد، فيقول كما كان يقول ويجتمع إليه الناس حتّى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه . . .) الحديث.

وقال اليعقوبي بعد ذلك ما موجزه:

(إنّ معاوية كتب إلى عثمان أنّك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذرّ، فكتب إليه أن أحمله على قتب بغير وطاء. فقدم به المدينة وقد ذهب لحم فخذه وجرى له مع عثمان ما أدّى بعثمان أن ينفيه إلى الرّبذة، وجرى للوليد والي الكوفة مع ابن مسعود نظير ذلك، فجلبه الخليفة إلى المدينة وأمر به، فضرب به الأرض وتوفّي على أثر ذلك، وفعل نظير ذلك بعمّار^{٦٥}).

٦٥) راجع تفصيل أخبارهما بكتاب أحاديث عائشة.

خلاصة خبر الفتن في أخريات عهد عثمان

أطلق الخليفة عثمان يد السيادة على المسلمين وفي بيوت أموالهم، وكلما اشتكى المسلمون إلى الخليفة من ظلم ولائه لم يبال بهم، فثاروا عليه وأصبحت بنوتيم عندئذ تعارض عثمان وتطمح بالخلافة لطلحة وآل الزبير للزبير، وكان ماعداهم وما عدا بني أمية جل الأنصار وسائر أصحاب رسول الله (ص) يدعون للإمام عليّ. وأخيراً قتل الثائرون عثمان ولم ينصره الأنصار وغيرهم، ثم تجمهر المهاجرون والأنصار على الإمام عليّ فبايعوه وخضع طلحة والزبير للرأي العام وبايعا علياً في مقدمة من بايعه من صحابة رسول الله (ص). ولما قسم الإمام عليّ بيوت الأموال بالسوية ثارت ثائرة الطبقة المتميزة وعلى رأسهم طلحة والزبير، فاجتمعوا مع أم المؤمنين عائشة بمكة، وجمعوا حولهم بني أمية، وأظهروا الطلب بدم عثمان، وساروا إلى البصرة وتغلبوا عليها، وجهّزوا جيشاً لقتال الإمام عليّ، فخرج الإمام من المدينة وألتقى بهم خارج البصرة، وركبت أم المؤمنين عائشة جملًا، وقادت العسكر، وقاتلوا جيش الإمام عليّ، فقتل في المعركة منهم من قتل وأستسلم الباقون، فعفا عنهم الإمام عليّ.

هذه خلاصة خبر الفتن في عصر عثمان وبيعة الإمام عليّ وحرب الجمل بالبصرة، ذكرنا أخبارها ومصادر الأخبار في كتاب (أحاديث عائشة).

نتيجة البحث المقارن بين روايات سيف المختلة

في الفتن والروايات الصحيحة

روى سيف أن يهوديًا من صنعاء اليمن أسمه عبد الله بن سبأ أبى الأمة

السوداء تظاهر على عهد عثمان بالإسلام وسار في عواصم البلاد الإسلامية ومدنها: المدينة والشَّام والكوفة ومصر يدعو إلى القول برجعة الرسول بعد وفاته وأنَّ علياً وصيه وأنَّ عثمان غاصب حقَّ هذا الوصيِّ، فيجب الوثوب عليه لإرجاع الحقِّ إلى أهله، فأمن به أبرار صحابة رسول الله (ص) نظراء أبي ذرٍّ وعمَّار وحجر بن عدي إلى عشرات أمثالهم ممَّن سبَّاهم بالسبائية وأنَّ ابن سبأ اليهودي علَّم هؤلاء أن يدعو الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكتبوا في عيب ولائهم ويثيروا الناس عليهم، ففعلوا، وأنَّ عمَّاراً كان قد خرف كما أخبر عنه الرسول، وكذلك أبو ذرٍّ، فأمتثل السبائيون الصَّحابة والتابعون تعليمات ابن سبأ، وجلبوا النَّاس إلى المدينة، وقتلوا عثمان في داره وبايعوا علياً، وسار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة للطلب بدم عثمان، وسار خلفهم الإمام عليٌّ وألتقوا خارج البصرة وتذاكروا في الصلح وقرَّ رأيهم على الصلح، فتخوَّف السبائيون^{٦٦} من سوء عاقبتهم وأندسوا في الجيشين ليلاً وتراموا بالسهم من الجانبين وأثاروا الحرب بين الجيشين، فقامت الحرب بين الطرفين دون أن يتنبَّه إلى مكيدتهم من الجيشين أحد، لم يتنبَّهوا هم وقادتهم إلى من يرمي السهم مع أنَّ رماة السهم كانوا مندسين بين صفوفهم.

قال سيف: هكذا وقعت الحرب وآنهت بنصرة جيش الإمام عليٍّ.

روى سيف هذه الأخبار في مشات من رواياته المختلقة ورواها عمَّن اختلقهم من الرواة من ضمنهم من ذكر أسماءهم في الروايات السابقة، وقد أشرنا إلى الصحيح من أخبارها في ما مضى، ولم يخف على فطاحل العلم أمثال

(٦٦) السبائيون في روايات سيف هم عمَّار وحجر بن عدي وصعصعة بن صوحان ومحمَّد بن أبي بكر ومالك الأشتر ونظراؤهم. راجع عبد الله بن سبأ الجزء الثاني، فصل (حقيقة ابن سبأ والسبئية).

الطبري وآبن الأثير وآبن عساكر وآبن كثير وآبن خلدون وغيرهم أن سيف بن عمر متهم بالزندقة وأن علماء الرجال أجمعوا على نعتة بالكذب ولم يوثقه أحد منهم، بل رأينا هؤلاء بأنفسهم يضعفون حديثه كما نقلنا عنهم في كتابنا (عبد الله بن سبأ)، وكذلك لم تخف عليهم الروايات الصحيحة في تلك الأخبار وإنما كرهوا ذكرها كما نصوا على ذلك، فكتموا الأخبار الصحيحة لما قالوا إن العامة لا تحتمل سماعها، وليتهم أكتفوا بكتان الأخبار الصحيحة في هذا الشأن كما فعلوا بكثير من الأخبار الأخرى ولم ينقلوا الأخبار المكذوبة بدلاً من الأخبار الصحيحة ولم ينشروا الأخبار المختلفة بين الناس مع علمهم بكذبها، فإنهم كانوا يعلمون بكذب ما نسبته سيف إلى عمار وأبي ذر وآبن مسعود وحجر بن عدي إلى عشرات غيرهم من الصحابة والتابعين في ما أفتراه عليهم من أنهم اتبعوا يهودياً أمرهم بالإفساد بين المسلمين وإيقاع الفتنة والفساد بينهم حتى قتل بعضهم البعض الآخر وهم لا يدركون ما يعملون! على عقول من صدق هذه الخرافات، العفا! كيف يصدقون أن الخليفة عثمان لم ينتبه إلى هذا اليهودي على حدّ زعم سيف في إثارتة الفتن! وكيف لم يسأل عمار وأبو ذر الإمام علياً عما يدعوله هذا اليهودي من أنه وصي رسول الله (ص)؟ وكيف لم يسأله ربيبه محمد بن أبي بكر عن صدق مزعمة هذا اليهودي؟!

لست أدري كيف يصدقون هذه الأكاذيب؟! ولست أزعّم أن العلماء صدّقوا بحديث سيف، كلاً، فإنهم يعلمون كذب ما اختلقه وأفتراه وإنما عجبني من عامة الناس كيف يصدقون هذه الأساطير الخرافية؟ فإن العلماء الذين نشروا أكاذيب سيف كانوا يعلمون كذبه وإنما تقبلوها لأن الزنديق طلائها بطلاء الدفاع عن ذوي السلطة في ما آتقدوا عليه، مثل ما فعل في

ما أُنْتُقِدَ عليه خالد على قتله مالك بن نويرة ونكاحه زوجته في ليلته، وفي ما رُمي به المغيرة بن شعبه زمان إمارته على البصرة، وفي خبر دره سعد بن أبي وقاص حدّ شرب الخمر عن أبي محجن، وفي خبر الوليد وحدّه على شرب الخمر. إنّ سيف بن عمر عالج جميع ما أُنْتُقِدَ عليه هؤلاء وغيرهم من الخلفاء والولاة وذويهم، فلم يهتمّ كبار العلماء عندئذ أن ينشروا ما آفتراه هذا الزنديق على أبرار الصحابة الفقراء، أمثال ابن مسعود وأبي ذرّ وعُمّار تحت غطاء الدفّاع عن أولئك، لأنّ المهمّ عندهم كتمان ما يعاب عليه الخلفاء والولاة وذوهم عن عامّة الناس. وبنشر أكاذيب سيف بلغوا غايتهم وبلغ سيف - أيضاً - غايته من تسخيف صحابة النّبّي الأبرار ونشر الأراجيف السخيفة في التاريخ الإسلامي بدافع الزندقة.

ويظهر من قول الطبري في ذكر سبب قتل عثمان: (فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعل دعوت إلى الإعراض عنها)^{٦٧} أنّ العلل التي دعت إلى كتمان الأخبار الصحيحة، هي كتمان الأخبار التي تعاب بها سلطة الخلافة عن عامّة الناس، كما سبق لنا أن نقلنا منه أنّه قال: (ممّا لا يتحمّله عامّة الناس).

وخلاصة القول: إنهم في هذا الصنف من الكتمان، يحرقون حديث الرسول (ص) وسيرته وسيرة أهل بيته وأصحابه وأخبارهم الصحيحة ويسدّلونها بأخبار مختلقة، كما فعل سيف ذلك بدافع زندقته. وأنّ العلماء يروّجون هذه الروايات المختلقة بدلاً من الروايات الصحيحة مع علمهم بأنّها غير صحيحة لما يجدون فيها دفاعاً عن السلطة الحاكمة وذويهم من خلفاء وولاة وأمرء !!!

وهذا النوع من الكتمان غير قليل عند علماء مدرسة الخلفاء.

٦٧ تاريخ الطبري، ط. اوربا ١/ ٢٩٨٠.

خلاصة بحث أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء

قد رأينا العلماء بمدرسة الخلفاء مجمعين على كتمان كل رواية أو خبر يسبب توجيه النقد إلى ذوي السلطة في صدر الإسلام، وولاتهم وذويهم، محتجين في ذلك بأن أولئك كانوا من صحابة الرسول (ص). ولا يصح ذكر ما يسبب انتقادهم، بينما هم نشروا من الروايات المكذوبة ما فيه طعن على أبرار صحابة رسول الله (ص) الفقراء أمثال عمار وأبي ذر وآبن مسعود.

وفي سبيل الدفاع عن ذوي السلطة، تارة يكتمون كل الرواية والخبر، وأحياناً يحذفون من الخبر والرواية بعضها الذي يُوجّه النقد إلى ذوي السلطة بسببها، ويأتون بباقي الرواية ممّالاً ليجب النقد عليهم، وتارة أخرى يبدّلون من الرواية والخبر ما يسبب النقد على الولاة بكلمة مبهمّة لا يفهم منها شيء من المراد، وأخرى يُحرّف بعضهم الخبر والرواية بأنواع التحريف حتّى يبلغ الأمر أن يجعل الحليم البارّ ظالماً سفيهاً، والظالم الممتنع باراً حليماً؛ أي يبدّل الشيء إلى نقيضه تماماً ثمّ يتسابق الآخرون إلى نشر ذلك الخبر المحرّف والرواية المختلفة وتوثيقهما وإشاعتها في المجتمعات الإسلامية بدّل الخبر الصحيح والرواية الصحيحة التي تُسبّب النقد على الحكّام والأمرء، ويتسابقون كذلك ويتعاونون في تضعيف الرواية التي تسبّب النقد لذوي السلطة والطعن على راويها وعلى مؤلّف الكتاب الذي أورد الرواية فيه بأنواع الطعون والتضعيف والتسخيف، وإن لم يستطيعوا كلّ ذلك أولوا تلك الرواية والخبر إلى ما فيه مصلحة ذوي السلطة ويبدّل النقد الموجّه إليهم إلى مدحهم والثناء عليهم.

ويحترمون من ألزم هذا الاتجاه ويجلّونه على قدر ألزامه الأسلوب المذكور، يوثّقون الراوي الملتزم بذلك ويصفون خبره بالصحيح، ويصفون تأليف المؤلّف الملتزم بهذا النهج بالوثاقة والصحة على قدر ألزامها المسلك

المتفق عليه، ويشهرونهما ويذكرونهما بكلّ تجلّة واحترام. ومن ثمّ اشتهرت سيرة ابن هشام في مدرسة الخلفاء ومن تابعهم بالوثاقة لالتزامه ما اتفقوا عليه، وأهملت سيرة ابن إسحاق لعدم التزامه الأسلوب المقبول عندهم، وتركوا تدارسها واستنساخها حتّى أدّى ذلك إلى فقدان سيرة ابن إسحاق في حين أنّ ابن هشام أخذ جميع ما حوته سيرته من سيرة ابن إسحاق مع إسقاط (ما يسوء الناس ذكره) من سيرة ابن إسحاق بحسب تعبيره.

ومن ثمّ - أيضاً - أصبح تاريخ الطبري أوثق مصادر التاريخ الإسلامي وأكثرها شهرة واعتباراً وأصبح مؤلفه الطبري إمام المؤرخين بمدرسة الخلفاء، لأنّه باتباعه المنهج المذكور بثّ روايات سيف التي كان يعلم كذبها ومخالفتها للحقّ والواقع التاريخي في أخبار عصر الصحابة أو بالأحرى الخلفاء الأوائل، ثمّ تهافت العلماء على أخذ ما ورد منها في تاريخ الطبري ونشرها في مصادر الدراسات الإسلامية وأهمّلوا الأخبار الصحيحة في مقابلها حتّى نسيت وفقدت من المجتمعات الإسلامية.

ومن ثمّ - أيضاً - أصبح البخاري إمام المحدثين بمدرسة الخلفاء، وأصبح صحيحه أصحّ كتاب بعد كتاب الله عندهم، وأصبحت الأحاديث الصحيحة في غير صحيحه أو صحيح مسلم غير معتبرة.

منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات الإسلامية

إذا أمعنا النظر في بحوثنا السابقة وما يأتي في بحوث أجهادات الخلفاء من الجزء الثاني لهذا الكتاب، عرفنا منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات الإسلامية، فقد وجدنا في الموردين أحاديث وضعت موافقة لسياسة السلطات الحاكمة ومصالحها، مقابل الروايات الصحيحة التي كانت تخالف سياستهم ومصالحهم، ومن ثمّ أنكشف لنا ميزان ثابت لتمييز الحديث القوي

من الضعيف، فإنَّ الضعيف من الأحاديث المتعارضة في صحيح البخاري في شأن البكاء على الميت - مثلاً - ما وافق سياسة السلطة الحاكمة التي تنهى عن البكاء على الميت وتنسب النهي إلى الرسول (ص)، والحديث القويّ ما خالفها مثل حديث أم المؤمنين عائشة وحديث غيرها التي أخبرت عن جواز البكاء على الميت وأنه من سنة الرسول (ص). وكذلك الضعيف في حديثي أم المؤمنين عائشة المتعارضين في بيان من كان إلى جنب رسول الله (ص) في آخر ساعات حياته ما فيه: (متى أوصى إليه وقد آنخت ومات في صدري)، والقويّ منهما حديثها الآخر الذي ورد فيه أنَّ الإمام عليّاً كان إلى جنب الرسول في آخر ساعات حياته لموافقة الأول منهما لرغبات الحُكَّام ومخالفة الثاني لسياستهم. هذا هو الميزان الثابت لمعرفة القويّ من الضعيف في أحاديث سنة الرسول (ص) وسيرة الصحابة والتابعين وسيرة الأنبياء السابقين والأحكام التي اجتهد فيها الخلفاء وفقاً لرأيهم وأمثالها.

نتيجة البحوث و حقيقة الأمر

يرى الباحث المتتبع أنَّ الميزان الثابت لمعرفة الحق من الباطل بمدرسة الخلفاء إنَّها هو مصلحة ذوي السلطة، وأنَّ كلَّ رواية أو خبر يوجّه النّقد لهم أو يشينهم فهو ضعيف وغير صحيح وباطل، وكلَّ كتاب وكلَّ راوٍ أو مؤلّف يروي شيئاً من ذلك فهو ضعيف وغير ثقة، ويُرمى بأنواع الطعون، وإذا ورد الحديث أو الخبر من راوٍ لا يستطيعون الطعن عليه وعلى مؤلّف الكتاب، فإنَّهم حينئذٍ يُؤوّلون الحديث إلى ما يرغبون فيه. ومن جهة أخرى كلَّ مؤلّف أو راوٍ يذكر مناقب ذوي السلطة ويترك ما يوجّه النّقد إليهم، فهو ثقة وصدوق، فإذا استطاع أن يُدافع عنهم في ما يروي ويؤلّف، فهو الثقة المأمون المصدق، وتنتشر رواياته في الكتب وتذاع. ومن هذا الباب الواسع أدخل سيف الزنديق

في سنة رسول الله (ص) وسيرته وحديثه بمقتضى زندقته ما شاء، ولذلك - أيضاً - أنتشرت رواياته في أكثر من سبعين مصدراً من مصادر الدراسات الإسلامية زهاء ثلاثة عشر قرناً.

إن سيف بن عمر أدخل في سنة رسول الله (ص) حديثاً وسيرة ما أختلقه ودرسناه في أبواب « رسل النبي (ص) » و « عمال رسول الله (ص) » و « الوافدون على رسول الله (ص) » و « ريب رسول الله (ص) » من كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق) وكتابنا (رواية مختلقون) وقد مرّ بنا في ما سبق كيف حرّف سيف حديث رسول الله (ص) في حقّ عمار.

كان هذا رأينا في سيف ونظائره مثل أبي الحسن البكري مؤلف كتاب « الأنوار » الذي أدخل أحاديث خرافية في كتاب: سيرة النبي (ص) المختار وغيره من كتبه، ومثل كعب الأخبار الذي أدخل الإسرائيليات في مصادر الدراسات الإسلامية، وقد درسنا أخبارهم وآثارهم في سلسلة (أثر الائمة في إحياء السنة). كان هذا شأن هؤلاء عندنا.

أما البخاري وصحيحه، وآبن هشام وسيرته، والطبري وتاريخه، وأمثالهم من العلماء الذين ناقشنا أسلوبهم، فلهم عندنا شأن آخر فإنهم وإن كانوا ينتقدون في شيء من أسلوبهم، فإنهم مع ذلك قد أوردوا في كتبهم الكثير من سنة رسول الله (ص) الصحيحة سيرة وحديثاً ممّا نعتمدها ونرويها عنهم، وكذلك دأب علماء مدرسة أهل البيت مع من يرون خطأ في عمله العلمي، فإنهم عندئذ ينتقدون أسلوبه أشدّ الانتقاد رغم أنهم يُجلّونه ويحترمونه يأخذون منه غير الذي آتقدوه فيه، وهذا معنى عدم تقليدهم لمن تقدّمهم من العلماء لا في الأحكام الفقهية ولا في دراية الحديث، إن علماء مدرسة أهل البيت يُضعفون الحديث الضعيف في أصول الكافي وصحيح

البخاري معاً، يأخذون - أيضاً - الحديث الصحيح من كليهما، وإنَّ المجلسي الكبير (ت: ١١١١ هـ) عندما شرح كتاب الكافي في كتابه مرآة العقول نبّه فيه على آلاف الأحاديث الضعيفة الواردة في أبواب كتاب الكافي، وهو أشهر كتاب حديث في مدرسة أهل البيت، وهذا الأمر بمدرسة أهل البيت مخالف لما عليه أتباع مدرسة الخلفاء الذين يرون لصحيح البخاري ما يرونه لكتاب الله، ويعتقدون أنه ليس فيه حديث غير صحيح، بل يرون أكثر من ذلك حيث يرون صحّة ما ورد في صحيح البخاري ومسلم من سنّة الرسول (ص) مما لم يرد في كتاب الله، ويصعب عليهم أن يتقبلوا صحّة سنّة الرسول (ص) التي وردت في غير صحيحي مسلم والبخاري، والكتب الأربعة الأخرى التي سمّيت جميعها بالصحيح السّنّة. على أنّ الكثير من حفظة الحديث بمدرسة الخلفاء غير أولئك الذين ذكرناهم ألفوا في الحديث: الصحيح والمسانيد والسنن والمصنّفات والزوائد وغيرها أمثال:

صحيح ابن خزيمة (ت: ٣١١ هـ).

صحيح ابن حبان (ت: ٣٥٤ هـ).

الصحيح المأثورة عن رسول الله (ص) للحافظ أبي عليّ ابن

السكن (ت: ٣٥٣ هـ).

مسند الطيالسي (ت: ٢٠٤ هـ).

مسند أحمد (ت: ٢٤١ هـ).

سنن البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ).

السنن لأبي بكر الشافعي (ت: ٣٤٧ هـ).

المعاجم الثلاثة للطبراني (ت: ٣٦٠ هـ).

المصنّف لعبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١ هـ).

مصنّف ابن أبي شيبة (ت: ٢٣٥ هـ).

مجمع الزوائد للهيتمي (ت : ٨٠٧ هـ) .

المستدرک للحاکم (ت : ٤٠٥ هـ) .

وعشرات الموسوعات الحديثية الأخرى لمحدثين آخرين .

وفي سيرة النبيّ والصحابه والفتوح ألف أمثال :

خليفة بن خياط (ت : ٢٤٠ هـ) الطبقات والتاريخ .

البلاذري (ت : ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان وأنساب الأشراف .

المسعودي (ت : ٣٤٥ هـ) التنبيه والإشراف ومروج الذهب .

الواقدي (ت : ٢٠٧ هـ) المغازي .

ابن سعد (ت : ٢٣٠ هـ) الطبقات .

وعشرات المؤلفات المعتمدة الأخرى لمؤلفين آخرين .

لماذا اختص بالاهتمام الصحاح الستة في الحديث إلى حدّ إهمال غيرها ،

وفي السير والمغازي : سيرة ابن هشام ، وفي التاريخ : تاريخ الطبري ، مع عدم العناية بغيرهما .

و خلاصة القول : إنّ علماء مدرسة الخلفاء يوجّه إليهم النقد في عملهم

العلمي لأمرين :

أولاً - إنهم يكتمون من سنّة رسول الله (ص) سيرةً وحديثاً ومن سائر

الأخبار ما يخالف سياسة السلطات الحاكمة مدى القرون سواء أكان ذلك ممّا

يخصّ سيرة الأنبياء السلف أو سيرة خاتم الأنبياء وأهل بيته وصحابته ، أو في

العقائد الإسلامية أو تفسير القرآن ، كما شاهدنا ذلك من الطبري وابن كثير في

تفسير آية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ في كتبهم لفظ (ووصيّتي

وخليفتي) في حقّ الإمام عليّ وتبديلها بـ (كذا وكذا) ، وكذلك فعلوا

بالنصوص التي تُبيّن سنّة الرسول (ص) في الأحكام الإسلامية التي تخالف

أجتهادات الخلفاء، كما سيأتي بيانه في بحث مصادر الشريعة الإسلامية لدى مدرسة الخلفاء في الجزء الثاني من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

ثانياً - لا ينبغي للمسلمين في هذا اليوم وهم على أبواب نهضة إسلامية شاملة أن يبقوا على تقليد أئمة المذاهب الأربعة في الفقه ولا على تقليد أصحاب الصحاح الستة في تصحيح الحديث وتضعيفه وخاصة البخاري ومسلم، وكذلك في الأحكام الإسلامية التي آجتهد الخلفاء فيها في مقابل نصوص سنة رسول الله (ص) بحسب ما رأوه من المصلحة في عصرهم، بل ينبغي أن يبحثوا عن سنة رسول الله (ص) الصحيحة ويظهرها ما أخفي منها بحسب سياسة الخلفاء مدى القرون، ثم يجاهدوا في سبيل الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين والعمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص) الصحيحة، وبذلك يتيسر توحيد كلمة المسلمين حول كتاب الله وسنة رسوله (ص) المجمع عليها وما ذلك من لطف الله على المسلمين ببعيد.

عود على بدء في بحث الوصية

لما كانت النصوص الدالة على حق الإمام علي في الحكم بعد النبي (ص) وحق الأئمة من ولده فيها من أهم ما يوجّه النقذ لمن ولي الحكم دونهم، لم يأل العلماء بمدرسة الخلفاء جهداً في كتمان تلكم النصوص، وكان من أهمها بحث علماء أهل الكتاب بعد وفاة رسول الله (ص) عن وصيه وأقوالهم فيه، مثل خبر الراهبين اللذين مرّ عليهما الإمام علي في طريق صفين. بينما حفظ نظير تلك الأخبار علماء مدرسة أهل البيت في كتبهم^{٦٨}، مثل خبر مجيء يهوديين في عصر أبي بكر وسؤالهما عن وصي النبي وبعد أن أشار

٦٨ راجع أخبارهم في البحار. ط. طهران، الثانية ١٠/١٠ - ٥٠.

الناس إلى أبي بكر، ولم يجدوا أجوبة أسألتهما عنده، أرسلوا إلى الإمام علي، فحضر وأجاب عن أسألتهما، فقالا: أنت وصي خاتم الأنبياء، وأسلمنا. وخبر آخرين من أهل الكتاب جاؤوا على عهد عمر وجرى لهم مع عمر وعلي مثل ما سبق ذكره على عهد أبي بكر، وقد مرّ بنا في ما سبق سؤال كعب الأحبار من الخليفة عمر عن أشياء من أحوال رسول الله (ص) وإحالة عمر إياه إلى علي بن أبي طالب، واستمرت أمثال هذه المراجعات من أهل الكتاب وإسلامهم إلى عصور متأخرة، فقد قال ابن كثير في تاريخه^{٦٩} بعد ما نقل من التوراة: أن الله بشر إبراهيم بإسماعيل وأنه يُنميه ويجعل من ذريته أنبياء عظماء، ونقل عن ابن تيمية أنه قال: (وهؤلاء المبشرون بهم في حديث جابر بن سمرة، ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا).

قال: وغلط كثير ممن تشرف بالإسلام من اليهود، فظنوا أنهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتبعوهم).

يا ترى ما هي أخبار الكثير من اليهود الذين تشرفوا بالإسلام وآتبعوا

الرافضة

إن العلماء آرتأوا ما قاله الطبري: (لا يحتمل سماعها العامة) فأسقطوا أخبار أهل الكتاب الذين أسلموا وآتبعوا الرافضة جملةً وتفصيلاً.

عدد الأخبار و الروايات و النصوص التي أسقطوها

إذا قارنا ما رواه ابن كثير في تاريخه من الحديث عن رسول الله (ص) في أمر الخوارج الذين قاتلهم الإمام علي (ع) في النهروان والذي بلغ سبع عشرة صفحة من كتابه مع النزر اليسير من روايات رسول الله (ص) التي بقيت في

الكتب في أمر الجمل و صفين أو غيرهما ممّا فيه فضيلة للإمام عليّ، يمكننا أن نقدّر عظم الخسارة في ما أخفي عن الناس من حديث رسول الله (ص) وإنّما أبقوا الروايات التي وردت في شأن الخوارج الذين خرجوا على الإمام عليّ، لأنّ الخوارج استمرّ خروجهم على السلطة بعد الإمام عليّ أيضاً، وكان في نشر تلكم الأحاديث مصلحة للسلطة، فرووها في جميع كتب الأحاديث وبقيت سالمة إلى يومنا هذا.

ومن أحاديث الرسول (ص) التي كانت تخالف سياسة مدرسة الخلفاء وسعوا في كتبها، أحاديث الرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ بأنّه وصيّ، وكذلك فعلوا بما ورد في شأنه في شعر الصحابة أو نثرهم، كما رأينا أمّ المؤمنين عائشة أنكرت الوصية، وناقشنا الخبر الذي روي عنها في ذلك؛ وكذلك رأينا:

أ - حذف بعضهم من الكلام ما فيه ذكر الوصية دون أن يشير إلى ذلك، كما فعلوه مع قصيدة النعمان بن عجلان الأنصاري.

ب - حذف بعضهم بعض الخبر مع الإبهام في القول، كما فعله الطبري، وآبن كثير في تفسيريهما بلفظ (وصيّ وخليفتي) في حديث رسول الله (ص).

ج - حذف بعضهم من الخبر لفظ الوصية وحرف الخبر كما فعله آبن كثير مع خطبة الإمام الحسين (ع).

د - حذف بعضهم تمام الخبر الذي فيه ذكر الوصية مع الإشارة إليه، كما فعل ذلك الطبري وآبن الأثير وآبن كثير مع كتاب محمد بن أبي بكر.

هـ - حذف بعضهم تمام الخبر الذي فيه ذكر الوصية مع عدم الإشارة إليه كما فعل ذلك آبن هشام في خبر دعوة الرسول (ص) لبني هاشم لما فيه قوله في علي: «ووصيّتي وخليفتي فيكم».

- و - أول بعضهم معنى الوصية، كما فعل ذلك الطبراني في حديث الرسول (ص) وابن أبي الحديد في كلام الإمام عليّ.
- ز - غفل بعضهم عنها وأثبتها في كتاب له، وحذفها وأبدلها بقول مبهم في كتاب آخر له، كما فعله الطبري في تاريخه وتفسيره.
- ح - أثبتها بعضهم في الطبعة الأولى من كتابه، وحذفها في الطبعة الثانية منها، كما فعله محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد (ص).

ما بقي من النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّ آله في الحكم

كنا في صدد إيراد النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في حقّ الأئمة من آل الرسول (ص) وكان لا بدّ لنا في هذا السبيل من تقديم البحوث السابقة ليعرف أنّ النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّهم مُنيّة بأنواع من الكتمان الذي ذكرناه لأنّها كانت مخالفة لسياسة الخلفاء مدى القرون، ولم يبق منها في كتب مدرسة الخلفاء سوى النزر اليسير الذي غفل العلماء عنها وأوردوها في كتبهم ووقفنا الله تعالى للعشور عليها، وما نحن نوردّها في ما يأتي بحوله تعالى، مضافاً إلى ما سبق إيراده من النصوص.

تعيين الوصيّ بالفاظ مختلفة

ذكرنا في تعريف الوصيّ والوصيّة في بحث المصطلحات أنّ تعيين الوصيّ يكون تارة بلفظ الوصيّة ومشتقاتها، مثل أن يقول الموصي لوصيّه: أوصيك بعدي بكذا وكذا، وأخرى بلفظ يؤدّي معنى الوصيّة، مثل أن يقول الموصي لوصيّه: أطلب منك أن تفعل كذا وكذا، وكذلك الشأن في إخباره الآخرين بذلك فإنّه يقول تارة - مثلاً -: عهدت إلى فلان، أو أوكلت إليه بأمر كذا وكذا. وقلنا: إنّ جميع هذه الألفاظ ونظائرها تدلّ على أنّ الشخص

القائل أوصى إلى الشخص الثاني بما أهمته، بعده. وكذلك شأن رسول الله (ص) في تعيين وصيه من بعده. ومن تلكم الألفاظ، ما ورد في اتخاذ الرسول (ص) ابن عمه وزيراً له، كما يرد في بحث وزير النبي الآتي:

وزير النبي (ص)

أ - في القرآن الكريم مع بيانه من سنة الرسول: سيأتي إن شاء الله قول الرسول (ص) للإمام علي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟».

وقد ذكر الله منزلة هارون من موسى في ما حكاه من أمرهما؛ قال سبحانه في ما حكاه من طلب موسى من ربه: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي، أَشَدَّ بِهِ أَزْرِي﴾ طه/ ٢٩ - ٣١.

وقال سبحانه في استجابة طلبه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزيراً﴾ الفرقان/ ٣٥.

ب - متى اتخذ الرسول (ص) علياً وزيراً. يوم دعا رسول الله (ص) بني عبد المطلب وقال لهم: «أيكم يؤازرنِي على هذا الأمر...» وأجابه من بينهم الإمام علي وحده، اتخذهُ رسول الله (ص) يومئذ وزيراً في أمره.

وروت أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: ﴿اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِ﴾، دعا رسول الله (ص) ربه وقال:

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي مُوسَى : اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي أَخِي عَلِيّاً ، أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي »^١ .

وبتفسير آية ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي ﴾ من تفسير السيوطي :
لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ رَبَّهُ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَشَدُّ أَزْرِي بِأَخِي عَلِيٍّ » فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ .

وروى ابن عمر عن رسول الله (ص) أَنَّهُ قَالَ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ :
« أَنْتَ أَخِي وَوَزِيرِي تَقْضِي دِينِي وَتَنْجِزُ مَوْعِدِي . . . » إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ فِي فَضْلِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ^٢ .

وَأَثَبَتْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ (ع) بِقَوْلِهِ لَهُ : « أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » جَمِيعَ مَا كَانَ هَارُونَ مِنْ مُوسَى عِدا النَّبُوَّةِ وَفِي مَقْدَمَةِ مَا كَانَ هَارُونَ أَنَّهُ كَانَ وَزِيرَ مُوسَى ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ مَصَادِرِهِ وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ^٣ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ :
« وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ » .

وَجَاءَ فِي مَانِظَمٍ عَلَى لِسَانِ الْأَشْعَثِ فِي جَوَابِهِ لِكِتَابِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ إِلَيْهِ :
« وَزِيرَ النَّبِيِّ وَذَوْ صَهْرِهِ . . . » .

يَتَضَحَّ جَلِيّاً مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ (ص) لِابْنِ عَمِّهِ : أَنْتَ أَخِي وَوَزِيرِي ، تَقْضِي دِينِي وَتَنْجِزُ مَوْعِدِي ، أَنَّهُ عَيْنُهُ وَصِيّاً مِنْ بَعْدِهِ .
وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي قَوْلِهِ : خَلِيفَتِي ، الْآتِي :

(١) الرياض النضرة ١٦٣/٢ ، عن مناقب أحمد بن حنبل .
(٢) معجم الزوائد ١٢١/٩ . وكنت العمال ، ط . الأولى ١٥٥/٦ ، عن الطبراني .
(٣) الخطبة ١٩٠ .

خليفة النبي (ص)

ذكرنا في باب من أستخلف النبي (ص) على المدينة في غزواته عن صحيح البخاري، باب غزوة تبوك: أن رسول الله (ص) لما خرج إلى تبوك وأستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال:

«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي».

وقد حكى الله عن خبر هارون في ذلك وقال: ﴿وقال موسى لأخيه هارون آخلفني في قومي وأصلح...﴾ الأعراف/١٤٢. وفي لفظ لإحدى روايتي أحمد بن حنبل بمسنده^٤ عن خبر دعوة الرسول (ص) بني عبد المطلب ورد قول الرسول (ص) في حق علي: «وخليفتي».

* * *

هذا ما أمكننا إirاده في الوصي والوزير والخليفة في هذه العجالة. وفي ما يأتي ما تبقى من النصوص بعد الكتان بمدرسة الخلفاء. ومنها قوله (ص) في حق ابن عمه، أنه ولي المسلمين بعده، كما يأتي:

ولي المسلمين بعد الرسول (ص)

نص رسول الله (ص) على أن الإمام علياً ولي أمر المسلمين في أماكن متعددة، منها ما في الأحاديث الآتية.

١١١/١ (٤)

أولاً - حديث الشكوى

في مسند أحمد وخصائص النسائي، ومستدرک الحاکم، وغيرها،
واللفظ للأول:

(عن بريدة، قال: بعث رسول الله (ص) بعشرين إلى اليمن، على أحدهما علي بن أبي طالب (ع)، وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال: إذا التقيتم فعلي على الناس، وإن أفرقتما فكل واحد منكما على جنده، قال: فلقينا بني زيد من أهل اليمن، فأقتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية، فأصطفى علي (ع) امرأة من السبي لنفسه. قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله (ص) يخبره بذلك، فلما أتيت النبي (ص) رفعت الكتاب فقرأ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله، هذا مكان العائد، بعثني مع رجل وأمرني أن أطيعه، ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله (ص): «لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي، وإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي»^٥ وفي رواية:

(فقلت: يا رسول الله، بالصحبة إلا بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً. قال: فما فارقت حتى بايعته على الإسلام)^٦.

٥) مسند أحمد ٣٥٦/٥، وخصائص النسائي ص ٢٤، باختلاف يسير. ومستدرک الصحيحين ١١٠/٣ مع اختلاف في اللفظ. ومجمع الزوائد ١٢٧/٩. وفي كنز العمال ٢٠٧/١٢ مختصراً عن ابن أبي شيبة، وفي ٢١٠/١٢ منه عن الديلمي، وراجع كنوز الحقائق للمناوي ص ١٨٦.

٦) مسند أحمد ٣٥٠/٥ و٣٥٨ و٣٦١. ومجمع الزوائد ١٢٨/٩، عن الطبراني في الأوسط

وفي صحيح الترمذي، ومسندي أحمد والطيالسي، وغيرها، واللفظ للأول، عن عمران بن حصين:

(إن أربعة من أصحاب رسول الله (ص) تعاقبوا - في هذه الغزوة - أن يشكوا علياً إذا لقوا رسول الله (ص). فلما قدموا عليه، قام أحدهم فقال: يا رسول الله، ألم تر إلى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه رسول الله (ص).

وفعل الثاني منهم والثالث والرابع مثل أولهم، وفي كل مرة يعرض الرسول عن الشاكي. قال:

فأقبل رسول الله (ص) والغضب يعرف في وجهه، فقال:

« ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إن علياً مني وأنا منه، إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي »^٧.

شكوى ثانية

في أسد الغابة، ومجمع الزوائد، وغيرها واللفظ للأول:

(عن وهب بن حمزة: صحبت علياً (رض) من المدينة إلى مكة فرأيت منه بعض ما أكره فقلت: لئن رجعت إلى رسول الله (ص) لأشكونك إليه. فلما قدمت لقيت رسول الله (ص) فقلت: رأيت من علي كذا وكذا. فقال: « لا تقل هذا فهو أولى الناس بكم بعدي »^٨.

→

عن بريدة ولفظه: « من كنت وليه فعلي وليه ».

(٧) سنن الترمذي ١٦٥/١٣ باب مناقب علي بن أبي طالب. ومسنند أحمد ٤/٣٣٧. ومسنند الطيالسي ١١١/٣ ح ٨٢٩. ومستدرك الحاكم ١١٠/٣. وخصائص النسائي ص: ١٩ و ١٦، وحلية أبي نعيم ٢٩٤/٦. والرياض النضرة ١٧١/٢. وكنز العمال ٢٠٧/١٢ و ١٢٥/١٥.
(٨) أسد الغابة ٩٤/٥. ومجمع الزوائد ١٠٩/٩.

زمان الشكوى

ذكر المؤرخون وكتاب السير خُرُجَتَيْن للإمام عليّ إلى اليمن، ونراها ثلاث خرجات كما يأتي بيانها إن شاء الله تعالى في باب الاجتهاد، وعلى كلا التقديرين، فإن آخرها كانت في السنة العاشرة للهجرة، حيث التحق الإمام برسول الله (ص) في حجة الوداع قبل يوم التروية. والشكوى المذكورة في خرجاته لليمن إن كانت قدّمت لرسول الله (ص) مرتين فإن أولاهما وقعت في المدينة قبل العام العاشر، والثانية في مكة وبعد وصول صحب الإمام إلى النبي (ص) قبل يوم التروية، حيث وصلوا مكة قبل أيام الحج. وعلى هذا، فقد توهّم من العلماء من قال: إن قصة الغدير وقعت من أجل هذه الشكوى، وذلك لأن قصة الغدير وقعت بعد الحج، وفي الجحفة وبمحضر من جماهير المسلمين، وحديث الرسول (ص) هنا كان مع الشاكين خاصّة وفي نفس المجلس وبعد إظهارهم الشكوى مباشرة. أما الشكوى الثانية، فصريح الحديث أنها كانت بعد رجوعها إلى المدينة.

ثانياً - نصوص أخرى لم يعين زمانها

عن ابن عباس:

«إن النبي قال لعليّ: أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي»^٩.

وعن عليّ:

«أن النبي قال له: «إنك وليّ المؤمنين بعدي»^{١٠}.

(٩) مسند الطيالسي ١١/٣٦٠ ح ٢٧٥٢. والرياض النضرة ٢/٢٠٣.
(١٠) تاريخ بغداد للخطيب ٤/٢٣٩. وكنز العمال ١٥/١١٤ و ١٢/٢٢١.

الاحتفال بتنصيب الإمام عليّ ولياً للعهد بعد الرسول (ص) ووصياً على الإسلام والمسلمين

إحتفال عظيم يقيمه الرسول (ص) لتعيين وليّ عهده من بعده ووصيّه على الإسلام والمسلمين، فقد روى الحاكم الحسكاني:

(عن ابن عباس وجابر قالوا: أمر الله محمداً (ص) أن ينصب عليّاً للناس ليخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله (ص) أن يقولوا حابئ ابن عمّه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿يا أيّها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ المائدة/٦٧. فقال رسول الله (ص) بولايته يوم غدیر خمّ^{١١}.

وروى عن زياد بن المنذر أنّه كان يقول:

(كنت عند أبي جعفر محمد بن عليّ (ع) وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى. - كان يروي عن الحسن

(١١) الحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، الحذاء الحنفي السيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، ترجمته في تذكرة الحفاظ ط. الهند ٣٩٠/٤، وط. مصر ١٢٠٠/٣، بآخر الطبعة ١٤. وقد رجعنا إلى كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفصيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمودي ط. بيروت عام ١٣٩٣ هـ. والحديث في ١٩٢/١ ورقم الحديث ٢٤٩.

البصري - فقال له : يا ابن رسول الله ، جعلني الله فداك ، إن الحسن يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل ، ولا يخبرنا من الرجل ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . . . ﴾ . فقال : لو أراد أن يخبر به لأخبر به ، ولكنه يخاف . إن جبرئيل هبط إلى النبي (ص) - إلى قوله :- فقال : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على وليهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم ، ليلزمهم الحجة من جميع ذلك ، فقال رسول الله (ص) : يا رب إن قومي قريبو عهد بالجاهلية ، وفيهم تنافس وفخر ، وما منهم رجل إلا وقد وتروهم ، وإني أخاف - أي من تكذيبهم - . فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته - يريد فما بلغت رسالته - والله يعصمك من الناس ﴾ فلما ضمن الله له بالعصمة وخوفه أخذ بيد علي . . . (١٢) .

وروى الحاكم الحسكاني :

عن ابن عباس في حديث المعراج ، أن الله عز اسمه قال لنبيه في ما قال : « وإني لم أبعث نبياً إلا وجعلت له وزيراً ، وإنك رسول الله (ص) وإن علياً وزيرك » .

قال ابن عباس : [فهبط ١٣] رسول الله (ص) فكره أن يحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية - إلى قوله :- فأحتمل رسول الله حتى إذا كان اليوم الثامن عشر أنزل الله عليه : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك . . . ﴾ - إلى قوله :- فقال :

(١٢) شواهد التنزيل ١/١٩١ ، وراجع تفسير الآية في أسباب النزول للواحدي ، ونزول القرآن لأبي نعيم .
(١٣) كذا وردت .

« يا أيها الناس، إنَّ الله أرسلني إليكم برسالة، وإني ضقت بها ذرعا، مخافة أن تتهموني وتكذبوني، حتى عاتبني ربِّي فيها بوعيد أنزله عليّ... »^{١٤}.

وروى الحسكاني وأبن عساكر:

عن أبي هريرة: أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك - في عليّ بن أبي طالب - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته... ﴾^{١٥}.
قصد أبو هريرة أنَّ المقصود أن يبلِّغ ما نزل في عليّ.
روى الحسكاني:

(عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول يوم غدير خمّ وتلا هذه الآية: ﴿ يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك... ﴾ ثم رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، ثم قال: « ألا من كنت مولاه... »)^{١٦}.
وروى الواحدى في أسباب النزول والسيوطي في الدر المنثور عن أبي سعيد الخدري قال:

نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب:
﴿ يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربِّك... ﴾^{١٧}.

(١٤) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٩٢ - ١٩٣، وفي ص ١٨٩ منه نزول الآية فقط.
(١٥) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٨٧، ورواها ابن عساكر بترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق بطرق كثيرة في الحديث ٤٥٢.
(١٦) الحسكاني ١/١٩٠.
وعبد الله بن أبي أوفى: علقمة بن خالد الخارث الأسلمي. صحابي شهد الحديبية، وعمر بعد النبي (ص)، مات سنة ست أو سبع وثلاثين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. وأخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. ترجمته بتقريب التهذيب ١/٤٠٢. وأسد الغابة ٣/١٢١.

(١٧) أسباب النزول ص: ١٣٥. والدر المنثور ٢/٢٩٨، وأراه هو الحديث المرقم ٢٤٤ من

وفي تفسير السيوطي :

(عن ابن مسعود قال : كنّا نقرأ على عهد رسول الله (ص) يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - أنّ علياً مولى المؤمنين - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته . . . ١٨) .

قصد ابن مسعود أنهم كانوا على عهد رسول الله يقرؤون في تفسير الآية هكذا .

وكان نزول هذه الآية في غدير خمّ ، وفي ما يلي تفصيل الخبر .

خبر يوم الغدير

لما صدر رسول الله من حجة الوداع^{١٩} نزلت عليه في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة^{٢٠} آية ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك . . . ﴾^{٢١} . فنزل غدير خمّ من الجحفة^{٢٢} وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام^{٢٣} ووقف هناك حتى لحقه من بعده وردّ من كان تقدّم^{٢٤} ونهى أصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهم ، ثم بعث إليهم فقّم ما تحتهم من



شواهد التنزيل ، وراجع فتح القدير ٥٧/٢ ، وتفسير النيسابوري ١٩٤/٦ .
الواحدى ، هو أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابوري (ت : ٤٦٨ هـ) ، ورجعنا إلى كتابه أسباب النزول ط . بيروت سنة ١٣٩٥ هـ .
١٨ (الدرّ المشور ٢٩٨/٢ .

١٩ (مجمع الزوائد ١٠٥/٩ و ١٦٣ - ١٦٥ . وأنقل عن هذه الصفحات في ما يأتي من هذا البحث .

٢٠ (رواه الحاكم الحسكاني في ١٩٢/١ - ١٩٣ .

٢١ سبق ذكر مصادره .

٢٢ (مجمع الزوائد ١٦٣/٩ - ١٦٥ . وأبن كثير ٢٠٩/٥ - ٢١٣ .

٢٣ (مادة (الجحفة) من معجم البلدان .

٢٤ (في تاريخ ابن كثير ٢١٣/٥ .

الشوك^{٢٥} ونادى بالصلاة جامعة^{٢٦} وعمد إليهن^{٢٧} وظلل لرسول الله (ص) بشوب على شجرة سمرة من الشمس^{٢٨}، فصلى الظهر بهجير^{٢٩} ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟» قالوا:

نشهد أنك بلغت ونصحت فجزاك الله خيراً؛ قال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق؟» قالوا: بلى نشهد ذلك.

قال: «اللهم أشهد». ثم قال: «ألا تسمعون؟» قالوا: نعم.

قال: «يا أيها الناس إني فرط وأنتم واردون عليّ الحوض وإن عرضه ما بين بصري إلى صنعاء^{٣٠} فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم عن الثقلين، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما». فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: «كتاب الله، طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به،

(٢٥) مجمع الزوائد ١٠٥/٩ والسمر: نوع من الشجر، وقُم: كُنِس. وقريب منه لفظ ابن كثير ٢٠٩/٥.

(٢٦) مسند أحمد ٢٨١/٤. وسنن ابن ماجه باب فضل علي، وتاريخ ابن كثير ٢٠٩/٥، و٢١٠/٥.

(٢٧) مجمع الزوائد ١٦٣/٩ - ١٦٥.

(٢٨) مسند أحمد ٣٧٢/٤. وابن كثير ٢١٢/٥.

(٢٩) مسند أحمد ٢٨١/٤، سنن ابن ماجه باب فضل علي. وابن كثير ٢١٢/٥.

(٣٠) كانت بصري أسماً لقرية بالقرب من دمشق، وأخرى بالقرب من بغداد.

لا تَضَلُّوا ولا تَبْذُلُوا؛ وعترتي أهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلکوا، ولا تقصروا عنهما فتهلکوا، ولا تعلّموهما فهم أعلم منكم»^{٣١}

ثم قال: «أستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»

قالوا: بلى يا رسول الله^{٣٢}

قال: «أستم تعلمون - أو تشهدون - أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟»

قالوا: بلى يا رسول الله^{٣٣}

ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب بضبعيه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما^{٣٤}، ثم قال:

«أيها الناس! الله مولاي وأنا مولاكم»^{٣٥}؛ فمن كنت مولاه، فهذا عليّ مولاه^{٣٦}. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه^{٣٧}، وأنصر من نصره، وأخذل

(٣١) مجمع الزوائد ١٦٢/٩ - ١٦٣ و ١٦٥، وبعض ألفاظه في روايات الحاكم (١٠٩/٣ - ١١٠، وآبن كثير ٢٠٩/٥).

(٣٢) مسند أحمد ١١٨/١ و ١١٩، ٢٨١/٤. وسنن أبن ماجه ٤٣/١ ح ١١٦، وورد (نعم) في مسند أحمد ٢٨١/٤ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢. وآبن كثير ٢٠٩/٥، ولدى أبن كثير ٢١٠/٥: (أست أولى بكلّ امرئ من نفسه).

(٣٣) مسند أحمد ٢٨١/٤ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢، وآبن كثير ٢٠٩/٥ و ٢١٢.

(٣٤) في رواية الحاكم الحسكاني ١٩٠/١، فرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه. وفي ص ١٩٣ منه: حتى بان بياض إبطيهما. وضُبعاه: الضُبع بسكون الباء: وسط العضد بلحمه. لسان العرب مادة: (ضبع).

(٣٥) الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١٩١/١، وعند أبن كثير ٢٠٩/٥: وأنا مولى كلّ مؤمن.

(٣٦) في جميع المصادر التي ذكرناها إلى هنا في جميع روايات الباب.

(٣٧) مسند أحمد ١١٨/١ و ١١٩ و ٢٨١/٤ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٤٧/٥ و ٣٧٠. ومستدرك الحاكم ١٠٩/٣. وسنن أبن ماجه، باب فضل عليّ. والحاكم الحسكاني ١٩٠/١ و ١٩١. وتاريخ أبن كثير ٢٠٩/٥ و ٢١٠ - ٢١٣، وقال أبن كثير في ٢٠٩/٥: فقلت لزيد: هل سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلّا رآه بعينه وسمعه بأذنيه. ثم قال

من خذله^{٣٨}، وأحبّ من أحبه، وأبغض من أبغضه^{٣٩}.
ثم قال: «اللهم أشهد»^{٤٠}.
ثم لم يتفرقا - رسول الله وعليّ - حتى نزلت هذه الآية:
﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام ديناً﴾ المائدة/٣.
فقال رسول الله (ص):
الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالي والولاية
لعلي^{٤١}.

وفي باب ما نزل من القرآن بالمدينة من تاريخ اليعقوبي:
(إنّ آخر ما نزل عليه: ﴿اليوم أكملت...﴾ وهي الرواية الصحيحة
الشابتة، وكان نزولها يوم النصّ على أمير المؤمنين عليّ بن أبي
طالب - صلوات الله عليه - بغدير خمّ^{٤٢}.
فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال له:
هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كلّ مؤمن
ومؤمنة^{٤٣}.



ابن كثير: قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح.
٣٨) مسند أحمد ١١٨/١ و ١١٩. ومجمع الزوائد ١٠٤/٩ و ١٠٥ و ١٠٧. وشواهد
التنزيل ١٩٣/١. وتاريخ ابن كثير ٢١٠/٥ و ٢١١.
٣٩) شواهد التنزيل للحسكاني ١٩١/١. وتاريخ ابن كثير ٢١٠/٥.
٤٠) شواهد التنزيل ١٩٠/١.
٤١) رواه الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري ١٥٧/١ - ١٥٨ ح ٢١١ و ٢١٢، وعن
أبي هريرة ص ١٥٨ ح ٢١٣، وفي تاريخ ابن كثير ٢١٤/٥ بإيجاز.
٤٢) اليعقوبي ٤٣/٢.
٤٣) مسند أحمد ٢٨١/٤. ولفظ (بعد ذلك) من تاريخ ابن كثير ٢١٠/٥.

وفي رواية قال له :
 بخ بخ لك يا ابن أبي طالب^{٤٤}.
 وفي رواية أخرى :
 هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كل مؤمن
 ومؤمنة^{٤٥}.

تتويج الإمام
 وكانت لرسول الله عمامة، تسمى السحاب كساها علياً^{٤٦} وكانت
 سوداء اللون^{٤٧} وكان الرسول يلبسها في أيام خاصة^{٤٨} مثل يوم فتح مكة^{٤٩} ورووا
 في كيفية تتويج الإمام بها يوم الغدير كما يلي :
 عن عبد الأعلى بن عدي البهراني قال :
 دعا رسول الله (ص) علياً يوم غدير خم فعممه وأرخى عذبة العمامة
 من خلفه^{٥٠}.
 وعن عليّ (ع) قال :

- ٤٤ (شواهد التنزيل ١/ ١٥٧ و ١٥٨ .
 ٤٥ (مسند أحمد ٤/ ٢٨١ ، وسنن ابن ماجه باب فضائل عليّ ، والرياض النضرة ٢/ ١٦٩ ،
 ولفظ (بعد ذلك) في تاريخ ابن كثير ٥/ ٢١٠ .
 ٤٦ (في زاد المعاد لابن القيم ، (فصل في ملابسه) : أي الرسول (ص) ، بهامش شرح الزرقاني
 على المواهب اللدنية ١/ ١٢١ .
 ٤٧ (ورد ذكر لون العمامة التي توج بها الإمام في رواية عبد الله بن بشر الآتية والإمام نفسه .
 ٤٨ (أشير إلى ذلك في كتب الحديث .
 ٤٩ (صحيح مسلم كتاب الحجّ ح ٤٥١ - ٤٥٢ . وسنن أبي داود ٤/ ٥٤ باب في العمام ،
 وشرح المواهب ٥/ ١٠ ، عن معرفة الصحابة لأبي نعيم .
 ٥٠ (الرياض النضرة ٢/ ٢٨٩ في ذكر تعميمه إياه (ص) بيده ، وأسد الغابة ٣/ ١١٤ .

عَمَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ بِعِمَامَةِ سُودَاءِ طَرَفِهَا عَلَى مَنْكَبِي^{٥١}.

وَفِي مَسْنَدِ الطَّيَالِسِيِّ وَسَنَنِ الْبَيْهَقِيِّ قَالَ:
عَمَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ بِعِمَامَةِ سُدِّهَا خَلْفِي، ثُمَّ قَالَ:
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَدَّنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَحَنِينَ بِمَلَائِكَةِ يَعْتَمُونَ هَذِهِ الْعِمَّةُ...
وَقَالَ: إِنَّ الْعِمَامَةَ حَاجِزَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ...^{٥٢}.

وَعَنْ عَلِيِّ (ع): أَنَّ النَّبِيَّ (ص) عَمَّمَهُ بِيَدِهِ، فَذَنَّبَ الْعِمَامَةَ مِنْ وَرَائِهِ
وَمِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ (ص): «أَدْبِرْ»، فَأَدْبَرَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ:
«أَقْبِلْ»، فَأَقْبَلَ. وَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ (ص): «هَكَذَا تَكُونُ
تِيْجَانُ الْمَلَائِكَةِ»^{٥٣}.

وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ قَالَ:
لَمَّا عَمَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلِيًّا بِالسَّحَابِ قَالَ لَهُ: «يَا عَلِيُّ، الْعِمَامَةُ
تِيْجَانُ الْعَرَبِ...»^{٥٤}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشْرٍ قَالَ:
بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ إِلَى عَلِيٍّ فَعَمَّمَهُ وَأَسَدَلَ الْعِمَامَةَ
بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَقَالَ: «وَهَكَذَا أَمَدَّنِي رَبِّي يَوْمَ حَنِينَ بِالْمَلَائِكَةِ مَعَمِّمِينَ وَقَدْ
أَسَدَلُوا الْعِمَامَةَ، وَذَلِكَ حَجَزَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ»^{٥٥}.

٥١) فِي تَرْجُمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشْرٍ مِنَ الْإِصَابَةِ ٢/٢٧٤، قَالَ: أَخْرَجَهُ الْبَغُوي.

٥٢) كُنْزُ الْعَمَالِ ٢٠/٤٥. وَمَسْنَدُ الطَّيَالِسِيِّ ١/٢٣. وَالْبَيْهَقِيُّ ١٠/١٤.

٥٣) كُنْزُ الْعَمَالِ ٢٠/٤٥ عَنْ مَشِيخَةِ أَبِي بَازَانَ.

٥٤) كُنْزُ الْعَمَالِ عَنْ الدِّيلَمِيِّ.

٥٥) هَكَذَا رَوَاهُ أَبُو طَاوُوسٍ فِي أَمَانَ الْأَخْطَارِ، غَيْرَ أَنَّهَا فِي تَرْجُمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشْرٍ بِالْإِصَابَةِ
٢/٢٧٤، رَقْمُ التَّرْجُمَةِ ٤٥٦٦، لَيْسَ فِيهَا لَفْظُ (يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ).

المناشدة

جمع عليّ الناس في رحبة مسجد الكوفة^{٥٦}، ثمّ قال لهم:
 أنشد الله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدِير خَمّ ما سمع
 إلا قام^{٥٧} ولا يقوم إلا من قد رآه^{٥٨}، فقام ثلاثون من الناس. - وفي رواية - فقام
 ناس كثير^{٥٩}. وقال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بدرية، كأنّي أنظر إلى
 أحدهم^{٦٠} فشهدوا حين أخذ بيده، فقال للناس: «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين
 من أنفسهم» قالوا: نعم يا رسول الله^{٦١}. قال: «من كنت مولاه، فهذا مولاه
 اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^{٦٢}، وأنصر من نصره وأخذل من

(٥٦) تاريخ ابن كثير ٢١١/٥.

(٥٧) رواه أبو الطفيل، عامر أو عمرو بن وائلة الليثي، ولد عام أحد، ورأى النبيّ وعمر إلى
 أن مات سنة عشر ومائة، وهو آخر من مات من الصحابة، روى عنه جميع أصحاب الصحاح.
 التهذيب ٣٨٩/١.

وروايته بمسند أحمد ٣٧٠/٤، وفي ١١٨/١ منه بثلاثة أسانيد:

أ- عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم.

ب- عن سعيد بن وهب الهمداني الجنواني، وهو كوفي، ثقة، مخضرم، مات سنة خمس أو
 ست وسبعين، ترجمته في تهذيب التهذيب وقد رواها أحمد عنه مختصراً في ٣٦٦/٥.

ج- عن زيد بن شريح الهمداني الكوفي، ثقة، مخضرم، من الطبقة الثانية من الرواة، ترجمته
 بتهذيب التهذيب ٢٧٧/١.

(٥٨) في رواية عبد الرحمن بن أبي ليل الأنصاري المدني، الكوفي، ثقة من الثانية روى عنه
 جميع أصحاب الصحاح، ومات سنة نيف وثمانين، ترجمته بتقريب التهذيب ٤٩٦/١، والرواية
 في مسند أحمد ١١٩/١ ح ٩٦٤.

(٥٩) مسند أحمد ٣٧٠/٤ في حديث أبي الطفيل. وأبن كثير ٢١٢/٥.

(٦٠) حديث عبد الرحمن بمسند أحمد ٩٦١/١، وفي ٣٧٠/٥. وأبن كثير ٢١١/٥.

(٦١) في مسند أحمد ١١٨/١ و ٣٧٠/٤. وأبن كثير ٢١١/٥. ومجمع الزوائد ١٠٥/٩.

(٦٢) في مسند أحمد ١١٨/١ و ١١٩، و ٣٧٠/٤، و ٣٧٠/٥، وأبن كثير ٢١١/٥.

خذه « ٦٣ .

قال عبد الرحمن : فقام إلا ثلاثة لم يقوموا ، فدعا عليهم فأصابتهم
دعوته ٦٤ .

قال أبو الطفيل : فخرجت وكأن في نفسي شيئاً ، فلقيت زيد بن أرقم
فقلت له : إني سمعت علياً (رض) يقول كذا وكذا . قال : فما تنكره قد
سمعت رسول الله يقول ذلك له ٦٥ .
وفي رواية : فقام ثلاثون من الناس ٦٦ .

وفي رواية : جاء رهط من الأنصار إلى علي في الرحبة فقالوا : السلام
عليك يا مولانا . قال : كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب . قالوا : سمعنا
رسول الله (ص) يوم حتم يقول : « من كنت مولاه فإن هذا مولاه » . قال
الراوي : فلما مضوا تبعهم فسألت : من هؤلاء ؟ قالوا : نفر من الأنصار منهم
أبو أيوب .

وفي رواية : فقال : من القوم ؟ قالوا : مواليك يا أمير المؤمنين ٦٧ .

ما أشبه تعيين الوصي في هذه الأمة

بتعيين الوصي في أمة موسى (ع)

رأينا في التوراة يقول في صدد تعيين الوصي لموسى بن عمران (ع)
ما موجه :

٦٣) مسند أحمد ١/١١٨ . وتاريخ ابن كثير ٥/٢١٠ .

٦٤) مسند أحمد ١/١١٩ ح ٩٤٤ .

٦٥) مسند أحمد ٤/٣٧٠ .

٦٦) مسند أحمد ٤/٢٧٠ . والرياض النضرة ٢/١٦٢ . وابن كثير ٥/٢١٢ .

٦٧) مسند أحمد ٥/٢١٩ . وابن كثير ٥/٢١٢ .

فقال الرب لموسى : خذ يشوع بن نون رجلاً فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه قدام كل الجماعة وأوصه أمام أعينهم وأجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل حسب قوله يدخلون وحسب قوله يخرجون . ففعل موسى ما أمره الرب ، أخذ يشوع وأوقفه قدام كل الجماعة ووضع يديه عليه وأوصاه كما تكلم الرب

ورأينا في القرآن الكريم بعد ما أوحى الله إلى خاتم أنبيائه (ص) في شأن الإمام عليّ ما أوحى ، رأيناه يقول : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ ورأينا النبي (ص) بعد ذلك يأمر بالحجيج أن يجتمعوا في غدير خم ، يرجع إليه من تقدم عليه ويلتحق به من تأخر عنه ، ثم يوقف الإمام عليّاً ويرفعه أمام كل الجماعة وهم ينوفون على سبعين ألف ويخاطب الجمع ويقول لهم : « أستم تشهدون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » ولما قال الجمع : اللهم بلى ، جعل الرسول من هيبته هذا على الإمام عليّ وقال : « من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . . . »

* * *

كان ما أوردناه بعض النصوص الواردة في السنة النبوية في تعيين إمام الأمة وولي الأمر من بعده . ونذكر في ما يأتي بعض ما ورد في كتاب الله في هذا الصدد .

الولاية و أولو الأمر في القرآن الكريم

أ - ولاية عليّ في القرآن الكريم

نصّت الأحاديث السابقة على ولاية الإمام عليّ على المؤمنين بعد رسول الله (ص) وهذا بعينه ما عنته الآية الكريمة: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ المائدة/ ٥٥.

ويؤيد ذلك الروايات الآتية :

في تفسير الطبري ، وأسباب النزول للواحدي وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني وأنساب الأشراف للبلاذري وغيرها^١ :
عن ابن عباس وأبي ذرّ وأنس بن مالك والإمام عليّ وغيرهم ما خلاصته :

(١) تفسير الطبري ١٨٦/٦ . وأسباب النزول للواحدي ص ١٣٣ - ١٣٤ ، وفي شواهد التنزيل ١/١٦١-١٦٤ خمس روايات عن ابن عباس وفي ص ١٦٥ - ١٦٦ روايتان عن أنس بن مالك ، وست روايات أخرى في ص ١٦٧ - ١٦٩ . وأنساب الأشراف للبلاذري ح ١٥١ من ترجمة الإمام ١/ الورقة ٢٢٥ . وغرائب القرآن للنيسابوري بهامش الطبري ١٦٧/٦ - ١٦٨ . وأخرج السيوطي كثيراً من رواياتها في تفسيره ٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤ ، وقال في لباب النقول في أسباب النزول ص ٩٠ - ٩١ بعد إيراد الروايات : (فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضاً) .

(إِنَّ فقيراً من فقراء المسلمين دخل مسجد الرسول (ص) وسأل، وكان عليّ راکعاً في صلاة غير فريضة^٢، فأوجع قلب عليّ كلام السائل، فأومأ بيده اليمنى إلى خلف ظهره، وكان في إصبعه خاتم عقيق يانبي أحمر يلبسه في الصلاة، وأشار إلى السائل بنزعه، فنزعه ودعاه ومضى فما خرج أحد من المسجد حتّى نزل جبرئيل (ع) بقول الله عزّ وجل: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ... ﴾ الآية^٣، فأنشأ حسان بن ثابت يقول أبياتاً منها قوله:

أباحسن تفديك نفسي ومهجتي وكلّ بطيء في الهدى ومسارع
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راکع فدتك نفوس القوم يا خير راکع
فأنزل فيك الله خير ولاية فأثبتها في محكمات الشرائع^٤

إيراد على دلالة الآية

أورد بعضهم على مفاد الروايات السابقة أنّ لفظ الآية: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة وهم راکعون ﴾ جمع، فكيف يعبر بلفظ الجمع ويراد به الواحد وهو الإمام عليّ (ع) ؟
قال المؤلف: توهم من قال ذلك، فإنّ الذي لا يجوز إنشأ هو استعمال اللفظ المفرد وإرادة الجمع منه، أمّا العكس فجائز وشائع في المحاورات، وقد ورد نظائره في موارد متعدّدة في القرآن الكريم، مثل التعابير التي وردت في سورة المنافقين:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم، إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك

(٢) يستفاد ذلك من رواية أنس حيث قال: خرج النبيّ إلى صلاة الظهر فإذا هو بعلي يركع. ونظيرها رواية ابن عباس، وكلتاها في شواهد التنزيل ١٦٣/١ - ١٦٤.

(٣) إلى هنا أوردنا ملخصه من شواهد التنزيل.

(٤) نقلاً عن كفاية الطالب الباب ٦١ ص ٢٢٨، وبقيّة مصادر الحديث في تاريخ ابن كثير

لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴿ إلى قوله تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوأو رؤوسهم وأرأيهم يصعدون وهم مستكبرون ﴾ إلى قوله: ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّا الأعزّ منها الأذلّ والله العزّة واللمؤمنين ولكنّ المنافقين لا يعلمون ﴾ المنافقون ١ - ٨ .

الطبري في تفسير السورة:

إنما عني بهذه الآيات كلّها عبد الله بن أبي سلول . . . وأنزل الله فيه هذه السورة من أولها إلى آخرها، وبالنحو الذي قلنا، قال أهل التأويل وجاءت الأخبار^٥.

وروى السيوطي بتفسير الآيات عن ابن عباس أنّه قال:
وكلّ شيء أنزله في المنافقين - في هذه السورة - فإنما أراد عبد الله بن أبي^٦.

وموجز القصة كما نقلها أهل السير وورد في التفاسير:

(أن أجير عمر بن الخطاب، جهجاه الغفاري، أزدحم بعد غزوة بني المصطلق مع سنان الجهني حليف بني الخزرج على الماء فأقتتلا فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار! وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبد الله بن أبيّ ومعه رهط من قومه وفيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السنّ فقال: أ قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش هذه إلّا كما قال القائل: سمنّ كلبك يأكلك! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّا الأعزّ منها الأذلّ، ثمّ أقبل على من حضره من قومه، فقال: هذا

(٥) تفسير الطبري ٢٨ / ٢٧٠ .

(٦) تفسير السيوطي ٦ / ٢٢٣ .

ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم، فسمع ذلك زيد بن أرقم ومشى به إلى رسول الله وأخبره وعنده عمر بن الخطاب^٧.

فقال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه يا رسول الله. فقال: إذا ترد له أنف كثيرة بيثرب. قال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين، فمر به سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة فيقتلانه. فقال: إنني أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه^٨.

فذهب عبد الله إلى رسول الله، وحلف أنه لم يكن شيء من ذلك، فلام الأنصار زيدا على قوله. وقالوا لعبد الله: لو رأيت رسول الله يستغفر لك. فلوى رأسه وقال: أمرتوني أن أومن فأمنت، وأمرتوني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت، فما بقي لي إلا أن أسجد لمحمد، فنزلت السورة فيه وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا﴾^٩.

وهو المقصود من قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوآؤا رؤوسهم...﴾^٩.

* * *

في هذه السورة عبر الله عن عبد الله بن أبي القائل الواحد، بقوله تعالى: ﴿هم الذين يقولون﴾ وبقوله عز اسمه: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوآؤا رؤوسهم﴾. القائل والفاعل واحد كما أجمع على ذلك المفسرون، وأطبقت الروايات على ذلك، وإنما أوردنا هذا على سبيل المثال

(٧) تفسير الطبري ٧٥/٢٨.

(٨) تفسير الطبري ٧٤/٢٨.

(٩) لخصنا روايات متعددة وردت في تفسير الطبري ٧١/٢٨ فما بعدها، وتفسير السيوطي ٢٢٢/٦ فما بعدها إلى غير ذلك مما ورد في التفاسير والسير.

وإلا فنظائرها متعدّدة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

﴿ ومنهم الذين يؤذون النبيّ ويقولون هو أذن ﴾ التوبة/ ٦١ .

﴿ الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم ﴾ آل عمران/ ١٧٣ .

﴿ يقولون هل لنا من الأمر من شيء ﴾ آل عمران/ ١٥٤ .

هذه إلى غيرها ممّا عبّر فيها بلفظ الجمع وأريد بها الواحد، تعدّد نظائرها في القرآن الكريم .

ب - أولو الأمر: عليّ و الأئمة من ولده

أثبتت الروايات المتظافرة المتواترة السابقة أنّ عليّاً هو مولى المؤمنين ووليّ أمرهم بعد رسول الله (ص)، كما أنّها تفسّر المراد من أولي الأمر في الآية الكريمة:

﴿ يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ النساء/ ٥٩ .

ودلّت على ذلك أيضاً الأحاديث الآتية:

أ - في شواهد التنزيل عن عليّ أنّه سأل رسول الله عن الآية وقال: يا نبيّ الله من هم؟ قال: أنت أولهم .

ب - وعن مجاهد: ﴿ وأولي الأمر منكم ﴾ .

قال: علي بن أبي طالب ولآه الله الأمر بعد محمّد في حياته حين خلفه رسول الله بالمدينة فأمر الله العباد بطاعته وترك الخلاف عليه .

ج - وعن أبي بصير، عن أبي جعفر:

أنّه سأل عن قول الله: ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر

منكم ﴿ .

قال : نزلت في عليّ بن أبي طالب .

قلت : إنّ الناس يقولون : فما منعه أن يسمّي عليّاً وأهل بيته في كتابه

فقال أبو جعفر :

قولوا لهم ؛ إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ ثلاثاً ولا أربعاً حتّى كان رسول الله هو الذي يفسّر ذلك ، وأنزل الحجّ فلم ينزل طوفوا أسبوعاً حتّى فسّر لهم ذلك رسول الله . وأنزل : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ فنزلت في عليّ والحسن والحسين وقال رسول الله (ص) أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي إنّني سألت الله أن لا يفرق بينها حتّى يردها عليّ الخوض ، فأعطاني ذلك .^{١٠}

ج - قول النبيّ (ص) : مثل أهل بيتي كسفينة نوح (ع)

ومثل باب (حطّة) في بني إسرائيل

روى من الصحابة و أهل البيت كلّ من الإمام علي وأبي ذرّ وأبي

سعيد الخدري وأبن عباس وأنس بن مالك :

أنّ رسول الله (ص) قال :

« مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » .

وفي ألفاظ بعضهم :

« ومثل باب حطّة في بني إسرائيل » .

المصادر :

ذخائر العقبى للمحبّ الطبري ص : ٢٠ .

١٠) الأحاديث : أ ، ب ، ج وردت متواليات في شواهد التنزيل ١/١٤٨ - ١٥٠ .

مستدرك الحاكم ٣٢٣/٢، و ١٥٠/٣ .
 حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٠٦/٤ .
 تاريخ بغداد للخطيب ١٩/١٢ .
 مجمع الزوائد للهيثمى ١٦٨/٩ .
 الدر المنثور للسيوطي بتفسير الآية: ﴿وَأَدْخِلُوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا
 حطة نغفر لكم خطاياكم﴾ البقرة/ ٥٨ .
 وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي ص: ٢٧٠ بترجمة المنصور: عن المأمون عن
 الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس عن
 النبي (ص):
 « مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك » .
 كنز العمال، ط . الأولى ١٥٣/٦ و ٢١٦ .
 الصواعق لابن حجر ص: ٧٥، رواها عن الدارقطني والطبراني وابن
 جرير وأحمد بن حنبل وغيرهم .
 كل ما ذكرناه في ما سبق نصوص من الكتاب والسنة تدل على تعيين الله
 ورسوله (ص) ولي الأمر بعد الرسول (ص). وفي ما يأتي نصوص أخرى
 بالفاظ أخرى كما ترد في البحوث الآتية .

الأئمة: علي وبنوه عليهم السلام مبلغون عن رسول الله صلى الله عليه وآله

حصر القرآن الكريم في عدة آيات وظيفة الرسل في التبليغ مثل قوله تعالى:

﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾ المائدة/ ٩٩ .
وقوله: ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ النور/ ٥٤ ،
والعنكبوت/ ١٨ .
وقوله: ﴿ إنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ المائدة/ ٩٢ ، والتغابن/ ١٢ .
وقوله: ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ النحل/ ٣٥ .
وحصر كذلك وظيفة خاتم الرسل خاصة في التبليغ بقوله تعالى:
﴿ فإنا علىك البلاغ ﴾ آل عمران/ ٢٠ ، والنحل/ ٣٥ ،
والرعد/ ١٣ .

وقوله: ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ الشورى/ ٤٨ .
وينقسم التبليغ إلى تبليغ مباشر وتبليغ بواسطة، وإلى تبليغ ما حان
وقت عمله وما لم يحن، مثل حكم الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين وواجب
المسلمين تجاه الحاكم الجائر، وينقسم ما يبلغه الرسول إلى قسمين:
أ - ما أوحى إلى الرسول لفظه ومعناه وهو كتاب الله ويسمى في هذه

الأمة بالقرآن الكريم .

قال سبحانه: ﴿وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾
الأنعام/ ١٩ .

ب - ما أوحى إلى الرسول معناه دون لفظه . وبلغه الرسول بلفظه
الشريف، مثل تبليغه تفصيل أحكام الشرع .

وقال الله سبحانه: ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي
أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا
فيه﴾ الشورى/ ١٣ .

إنّ الرسول (ص) عندما يعيّن عدد ركعات الصلاة وأذكارها، ويبيّن
سائر أحكامها وسائر أحكام الشرع الإسلاميّ، أو يبلغ أبناء الأمم السابقة
والغيوب الآتية في هذه الدنيا أو العالم الآخر، إنّما يبلغ ما أوحى إليه في غير
القرآن الكريم ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى﴾ ويسمّى هذا
النوع من التبليغ في هذه الأمة بالحديث النبويّ الشريف .

* * *

حصرت الآيات السابقة وظيفة الرسول بالتبليغ، وعلى هذا فإنّ الصفة
المميّزة للرسول هي التبليغ، وإذا قال الرسول عن شخص: «إنّه منّي» يعني
إنّه منه في أمر التبليغ ولا نقول هذا اعتباطاً، بل قد وجدنا الرسول يصّرح
بذلك في قسم من تلك الأحاديث، مثل ما ورد في قصّة تبليغ آيات البراءة
التالية:

قصّة تبليغ آيات البراءة

وردت قصّة تبليغ سورة البراءة في صحيح الترمذي وتفسير الطبري
وخصائص النسائي ومستدرک الصحيحين وغيرها، عن أنس وأبن عباس

وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعمر بن ميمون وعلي بن أبي طالب^١، وأبي بكر. ونختار هنا ذكر موجز رواية الامام عليّ الواردة في مسند أحمد، قال:

دعا النبيّ أبابكر فبعثه ببراءة لأهل مكّة، لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلّا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله (ص) مدّة فأجله إلى مدّته، والله بريء من المشركين ورسوله.

قال: فسار بها ثلاثاً ثمّ قال لعليّ: «إلحقه فردّ عليّ أبا بكر وبلغها أنت».

قال: ففعل. فلمّا قدم على النبيّ (ص) أبوبكر بكى وقال: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟

قال: «ما حدث فيك إلّا خير، ولكنّي أمرت أن لا يبلغه إلّا أنا أو رجل منّي»^٢.

وفي رواية عبد الله بن عمر:

«ولكن قيل لي: أنّه لا يبلغ عنك إلّا أنت أو رجل منك»^٣.

وفي رواية أبي سعيد الخدري:

«لا يبلغ عني غيري أو رجل منّي»^٤.

(١) سنن الترمذي ١٣/١٦٤ - ١٦٥. ومسند أحمد ١/١٥١ و ٣/٢٨٣، وراجع ١/١٥٠. وخصائص النسائي ص ٢٨ - ٢٩. وتفسير الطبري ١٠/٤٦. ومستدرك الصحيحين ٣/٥١ و ٥٢. ومجمع الزوائد ٧/٢٩، و ٩/١١٩.

(٢) مسند أحمد ١/٣، ح ٤ من مسند أبي بكر وقال أحمد شاكر: (استاده صحيح). وراجع كنز العمال وذخائر العقبى.

(٣) في مستدرك الصحيحين ٣/٥١.

(٤) في الدرّ المشهور بتفسير: ﴿براءة من الله﴾.

تدلنا القرائن الحالية والمقالية في المقام، أن القصد من التبليغ في هذه الروايات وما شابهها تبليغ ما أوحى الله إلى رسوله من أحكام إلى المكلفين بها في بادئ الأمر، وهذا ما لا يقوم به إلا الرسول أو رجل من الرسول. ويقابل هذا التبليغ الذي يقوم به المكلفون بتلك الأحكام بعد ما بلغوا بها بواسطة الرسول أو رجل من الرسول، فإن لهم عند ذلك أن يقوموا بتبليغها إلى غيرهم، ويُطرد جواز هذا التبليغ ورجحانه ويتسلسل مع كل من بلغه الحكم إلى أبد الدهر.

وواضح أن الرسول (ص) عنى بقوله: « لا يبلغ عني غيري أو رجل مني » التبليغ من النوع الأول. ويفسر أيضاً لفظ « مني » في أحاديث الرسول (ص) حديث المنزلة الآتي:

عليّ من النبيّ (ص) بمنزلة هارون من موسى
في صحيح البخاري، ومسلم، ومسنّد الطيالسي، وأحمد، وسنن الترمذي، وابن ماجه وغيرها* واللفظ للأول: أن رسول الله (ص) قال لعلّي:
« أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبيّ بعدي ».
ولفظ مسلم وغيره:

(٥) صحيح البخاري ٢٠٠/٢ باب مناقب علي بن أبي طالب. وصحيح مسلم ١٢٠/٧ باب من فضائل علي بن أبي طالب. والترمذي ١٧١/١٣ باب مناقب علي. والطيالسي ٢٨/١ و ٢٩ وح ٢٠٥ و ٢٠٩ و ٢١٣. وابن ماجه باب فضل علي بن أبي طالب ح ١١٥. ومسنّد أحمد ١٧٠/١ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٣٠، و ٣٢/٣ و ٣٣٨، و ٣٦٩/٦ و ٣٣٨. ومسنّد الحاكم ٣٣٧/٢. وطبقات ابن سعد ١٤/١/٣ و ١٥. ومجمع الزوائد ١٠٩/٩ - ١١١. ومصادر أخرى كثيرة.

« إلا أنه لا نبي بعدي » .

وفي رواية ابن سعد في الطبقات عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم

قالا :

لما كان عند غزوة جيش العسرة وهي تبوك قال رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب : إنه لا بد من أن أقيم أو تقيم ، فخلّفه ، فلما فصل رسول الله (ص) غزياً قال ناس : ما خلّف علياً إلا لشيء كرهه منه فبلغ ذلك علياً فاتبع رسول الله (ص) حتى انتهى إليه فقال له : ما جاء بك يا علي ؟ قال : لا يا رسول الله إلا أنني سمعت ناساً يزعمون أنك إنما خلّفتني لشيء كرهته مني ، فتضاحك رسول الله (ص) ، وقال : يا علي ، أما ترضى أن تكون مني كهارون من موسى غير أنك لست بنبي ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : فإنه كذلك^٦.

وقد مرّ بعض ألفاظ الحديث في باب من استخلفه النبي (ص) على المدينة في غزواته .

المراد من لفظ « مني » في أحاديث الرسول (ص) :

إنّ لفظ « مني » في حديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » يوضح المراد من هذا اللفظ في أحاديث الرسول (ص) الأخرى ، وذلك أنّ هارون لما كان شريك موسى في النبوة ووزيره في التبليغ ، وكان علي من خاتم الأنبياء بمنزلة هارون من موسى باستثناء النبوة ، يبقى لعلي الوزارة في التبليغ . وكذلك بئس الرسول (ص) المراد من لفظ « مني » في حديثه يوم عرفات في حجة الوداع حيث قال :

(٦) طبقات ابن سعد ٣/١٥١ ق ١٥١/١ . ومجمع الزوائد للهيتمي ١١١/٩ باختلاف يسير.

« عليّ منّي وأنا من عليّ . لا يؤدي عني إلا أنا أو عليّ »^٧، وعلى هذا فإنّ الرسول (ص) فسّر لفظ « منّي » في هذه الأحاديث بكلّ وضوح وجلاء، وصرّح (ص) أنّ القصد منه؛ أنّه منه في مقام التبليغ عن الله إلى المكلفين بلا واسطة. ومن ثمّ يتّضح معنى « منّي » في أحاديث أخرى للرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ والذي ورد فيها غير مفسّرة. مثل ما ورد في رواية بريدة في خبر الشكوى أنّ الرسول (ص) قال له: « لا تقع في علي فإنّه منّي و... »^٨.
ورواية عمران بن حصين: « إنّ عليّاً منّي... »^٩.

* * *

في كل هذه الروايات قصد الرسول (ص) أنّ عليّاً والأئمة (ع) من ولده، من رسول الله (ص) في حمل أعباء التبليغ إلى المكلفين مباشرة ووظيفتهم من نوع وظيفته، وعلى هذا فهم منه وهو منهم، يشتركون في التبليغ ويختلفون في أنّه يأخذ الأحكام التي يبلغها من الله عن طريق الوحي، وهم يأخذونها عن طريق رسول الله (ص) فهم مبلغون عن رسول الله (ص) إلى الأئمة وقد أعدّهم الله ورسوله (ص) لحمل أعباء التبليغ، وذلك بما عصمهم الله من الرجس وطهرهم تطهيراً، كما أخبر سبحانه عن ذلك في آية التطهير، وبما أفاض الرسول (ص) على الإمام عليّ خاصّة ممّا أوحى الله إليه، ثمّ ورث الأئمة من أبيهم الإمام عليّ ذلك واحداً بعد الآخر، كما نصّت على ذلك الروايات الآتية.

(٧) أخرجه ابن ماجة في كتاب المقدمة، باب فضائل الصحابة ص ٩٢ من الجزء الأوّل من سننه، والترمذي، كتاب المناقب، ١٣/١٦٩ وهو الحديث: ٢٥٣١ في ص ١٥٣ من الجزء السادس من الكنز في طبعته الأولى، وقد أخرجه الامام أحمد في ص ١٦٤ و ١٦٥ من الجزء الرابع من مسنده من حديث حبشي بن جنادة بطرق متعددة.
٨ و ٩ مضي ذكر سندهما في باب: وليّ أمر المسلمين.

حامل علوم الرسول (ص)

في تفسير الرازي وكنز العمال قال عليّ :

(علّمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم وتشعب لي من كلّ باب

ألف باب)^{١٠}.

وفي تفسير الطبري وطبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب وكنز العمال

وفتح الباري واللفظ للأخير:

عن أبي الطفيل قال : شهدت عليّاً وهو يخطب ويقول :

(سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم

به ، و سلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليّل نزلت أم

بنهار أم في سهل أم في جبل . . .)^{١١}.

ومن هنا قال في حقّه رسول الله (ص) كما رواه جابر بن عبد الله :

« أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب » . قال

الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد^{١٢}.

وفي رواية :

« فمن أراد العلم فليأت الباب »^{١٣}.

(١٠) بتفسير الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى آدَمَ . . . ﴾ وكنز العمال ٣٩٢/٦ و ٤٠٥.

(١١) تفسير ابن جرير ١١٦/٢٦ . وطبقات ابن سعد ٢/٢ ق ١٠١/٢ . وتهذيب التهذيب

٣٣٧/٧ . وفتح الباري ٢٢١/١٠ . وحلية الأولياء ٦٧/١ - ٦٨ ، وكنز العمال ٢٢٨/١ .

(١٢) مستدرک الصحيحين ١٢٦/٣ . وفي ص ١٢٧ منه بطريق آخر ، وفي تاريخ بغداد ٣٤٨/٤

و ١٧٢/٧ ، وفي ض ٤٩ منه عن يحيى بن معين أنّه صحيح . وفي أسد الغابة ٢٢/٤ .

ومجمع الزوائد ١١٤/٩ . وتهذيب التهذيب ٣٢٠/٦ و ٤٢٧/٧ . وفي متر فيض القدير

٤٦/٣ . وكنز العمال ط . الثانية ، ٢٠١/١٢ ، ح ١١٣٠ . والصواعق المحرقة ص ٧٣ .

(١٣) مستدرک الصحيحين ١٢٧/٣ - ١٢٩ .

وفي رواية :

سمعتُ رسول الله (ص) يوم الحديبية وهو آخذ بيد عليّ يقول :
« هذا أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من
خذله، - يمدّ بها صوته - أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد البيت فليأت
الباب »^{١٤}.

ولفظه في رواية ابن عباس :

« أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها »^{١٥}.
وفي رواية الإمام علي، قال رسول الله (ص) :
« أنا دار العلم وعليّ بابها »^{١٦}.
وقال في حقّه - أيضاً - كما رواه ابن عباس :
« أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب »^{١٧}.
وفي رواية الإمام عليّ، قال رسول الله (ص) :
« أنا دار الحكمة وعليّ بابها »^{١٨}.
وقال في حقّه كما في رواية أبي ذر:
« عليّ باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به بعدي . . . »^{١٩}.
وقال كما في رواية أنس بن مالك :
أن النبي (ص) قال لعليّ (ع) :

(١٤) تاريخ بغداد للخطيب ٣٧٧/٢.

(١٥) كنز العمال ط . الثانية، ٢١٢/١٢، وح ١٢١٩. وراجع كنوز الحقائق للمناوي.

(١٦) الرياض النضرة ١٩٣/٢.

(١٧) تاريخ بغداد للخطيب ٢٠٤/١١، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عليّ بن
أبي طالب.

(١٨) سنن الترمذي ١٧١/١٣ باب مناقب علي بن أبي طالب، قال: وفي الباب عن ابن
عباس. وحلية الأولياء لأبي نعيم ٦٤/١. وكنز العمال ط . الأولى، ١٥٦/٦.

(١٩) كنز العمال ط . الأولى، ١٥٦/٦.

« أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي ». قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين^{٢٠}.

وفي رواية قال له :

« أنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي »^{٢١}.

وقد يسر الله لخاتم أنبيائه أن يزق أبن عمه العلم فيما هيا لهما من الاجتماع في بيت واحد منذ أن كان الإمام عليّ طفلاً كما رواه الحاكم :
(كان من نعم الله على عليّ بن أبي طالب (ع) ما صنع الله وأراد به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب في عيال كثير فقال رسول الله (ص) لعمه العباس وكان من أيسر بني هاشم :

يا أبا الفضل إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه نخفف عنه من عياله آخذ أنا من بينه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفلهما عنه، فقال العباس : نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى تنكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله (ص) علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه، فلم يزل عليّ (ع) مع رسول الله (ص) حتى بعثه الله نبياً فأتبعه وصدقته، وأخذ العباس جعفرأ وضمه إليه ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم وأستغنى عنه^{٢٢}.

(٢٠) مستدرک الصحيحین ١٢٢/٣ . وکنز العمال ط . الأولى، ١٥٦/٦ . وراجع المناوي في كنوز الحقائق ص ١٨٨ .

(٢١) حلية الأولياء ١/٦٣ .

(٢٢) مستدرک الصحيحین ٥٧٦/٣ .

وروي عن زيد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جده (ع) قال :
(أشرف رسول الله (ص) من بيت ومعه عمّاه العباس وحزمة ، وعليّ
وجعفر وعقيل في أرض يعملون فيها ، فقال رسول الله (ص) لعمّيه : اختارا
من هؤلاء . فقال أحدهما : اخترت جعفرأ . وقال الآخر : اخترت عقيلأ .
فقال : خيرتكما فأخترتما ، فأختار الله لي عليأ)^{٢٣} .

وقد أخبر الإمام بنفسه عن ذلك وقال .

(وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة
القريبة ، والمنزلة الخصيصة ؛ وضعني في حجره وأنا ولد ، يضمّني إلى صدره ،
ويكفّني في فراشه ويمسّني جسده ، ويشمّني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثمّ
يلقمّني به ، وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به صلى
الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق
المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل
إثر أمّه ، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان
يجاور في كلّ سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في
الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة ، وأنا ثالثهما ، أرى نور
الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوة .

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله ،
فقلت : يا رسول الله ، ما هذه الرنة؟^{٢٤} فقال :

« هذا الشيطان أيس من عبادته ، إنك تسمع ما أسمع ، وترى ما أرى ،
إلا إنك لست بنبيّ ، ولكنّك لوزير ، وإنك لعلّ خير » .

ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لسمّا أتاه الملائكة من قريش ، فقالوا له :

(٢٣) مستدرک الصحيحين ٣/ ٥٧٦ - ٥٧٧ .

(٢٤) الرنة : الصيحة الحزينة .

يا محمد، إنك قد ادّعت عظيمًا لم يدّعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أنت أحببتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبيّ ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب. فقال صلى الله عليه وآله: وما تسألون؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال صلى الله عليه وآله: إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم، قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير^{٢٥}، وإن فيكم من يطرح في القلب^{٢٦}، ومن يحزب الأحزاب. ثم قال صلى الله عليه وآله: يا أيّها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله. والذي بعث بالحق لا نقلعت بعروقها وجاءت ولها دويّ شديد، وقصف كقصف أجنحة الطير^{٢٧}، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وبيعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه صلى الله عليه وآله فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علواً وأستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها، فامرأها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً، فكادت تلتفت برسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا كفرا وعتوا فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره صلى الله عليه وآله فرجع، فقلت أنا: لا إله إلا الله، إني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقرّ بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك وإجلالاً لكلمتك، فقال القوم

(٢٥) لا تفيئون: لا ترجعون.

(٢٦) القلب - كأمير - البئر، والمراد منه قلب بدر طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش، والأحزاب: طوائف متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه (ص) في وقعة الخندق.
(٢٧) القصف: الصوت الشديد. و (ريح قاصف) أي: شديدة. و (رعد قاصف) أي: شديد الصوت.

كلّهم: بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدّقك في أمرك
إلا مثل هذا؟ - يعنوني - « ٢٨ » .

هكذا كان رسول الله (ص) يرفع للإمام في صغره كلّ يوم من أخلاقه
علماً ويأمره بالاعتداء به، ويزقه العلم زقاً في كبره، ويخصّه بمناجاته .
وقد ورد في صحيح الترمذي وغيره واللفظ للترمذي عن جابر قال:
(دعا رسول الله (ص) علياً (ع) يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس:
لقد طال نجواه مع ابن عمّه! فقال رسول الله (ص):
« ما أنتجيته ولكنّ الله أنتجاه ») ٢٩ .

وفي رواية:

(لما كان يوم الطائف دعا رسول الله (ص) علياً فناجاه طويلاً فقال
بعض أصحابه . . .) الحديث ٣٠ .

وفي رواية جندب بن ناجية أو ناجية بن جندب:

(لما كان يوم غزوة الطائف قام النبي (ص) مع عليّ (ع) ملياً ثم مرّ،
فقال له أبو بكر: يا رسول الله لقد طالت مناجاتك علياً منذ اليوم! فقال:
« ما أنا أنتجيته ولكنّ الله أنتجاه ») ٣١ .

وكان الإمام عليّ حريصاً على أن يتلقى من رسول الله (ص). ولما
نزلت: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة ﴾ المجادلة/ ٣٢ .

(٢٨) الخطبة ١٩٠ من نهج البلاغة، ١٨٢/٢ - ١٨٤ .

(٢٩) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب ١٣/١٧٣ . وتاريخ بغداد
للخطيب ٤٠٢/٧ .

(٣٠) أسد الغابة ٢٧/٤ .

(٣١) كنز العمال ط . الثانية، ٢٠٠/١٢، ح ١١٢٢ . والرياض النضرة ٢/٢٦٥ .

(٣٢) تفسير السيوطي ١٨٥/٦ .

قال الطبري :

(نهوا عن مناجات النبي (ص) حتى يتصدقوا، فلم يناجه أحد إلا عليّ بن أبي طالب)^{٣٣}.

وفي أسباب النزول للواحدوي وغيره عن الإمام عليّ :
(كان لي دينار فبعته وكنت إذا ناجيت الرسول (ص) تصدّقت بدرهم حتى نفد)^{٣٤}.

وفي رواية :

(كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا جئت إلى النبي (ص) . . .)^{٣٥}.

وروى الزمخشري في تفسير الآية :

(أنه تصدق في عشر كلمات سألن رسول الله (ص)).

وفي رواية عن الإمام :

إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي :
آية النجوى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم . . . ﴾ الآية، كان عندي دينار - إلى قوله - ثمّ نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت : ﴿ أشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات . . . ﴾ المجادلة/١٣^{٣٦}
هكذا كان مع رسول الله (ص) ولم يفارقه حتى آخر لحظة من حياته.
قالت عائشة :

(قال رسول الله (ص) لَمّا حضرته الوفاة :

« أدعوا لي حبيبي » ، فدعوا له أبابكر، فنظر إليه، ثمّ وضع رأسه .

٣٣) تفسير الطبري ١٤/٢٨ - ١٥ . و الدرّ المشثور ١٨٥/٦ .

٣٤) أسباب النزول للواحدوي ص ٣٠٨ ، والطبري في تفسير الآية .

٣٥) تفسير الآية في الدرّ المشثور ١٨٥/٦ . والرياض النضرة ٢/٢٦٥ .

٣٦) تفسير السيوطي ١٨٥/٦ . والرياض النضرة ٢/٢٦٥ . والكشاف ٧٦/٤ .

ثم قال: « أدعوا لي حبيبي »، فدعوا له عمر، فلما نظر إليه، وضع رأسه.

ثم قال: « أدعوا لي حبيبي » فدعوا له علياً (ع)، فلما رآه أدخله في الثوب الذي كان عليه فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه (٣٧).
وعن ابن عباس:

(إن النبي ثقل وعنده عائشة وحفصة إذ دخل عليّ (ع) فلما رآه النبي (ص) رفع رأسه ثم قال: « أدن مني، أدن مني »، فأسنده فلم يزل عنده حتى توفي (٣٨).

وعن أم سلمة قالت:

(وألذي أحلف به أن كان عليّ (ع) لأقرب الناس عهداً برسول الله (ص). عدنا رسول الله (ص) غداً وهو يقول: جاء عليّ؟ جاء عليّ؟ مراراً، فقالت فاطمة: كأنك بعثته في حاجة، قالت. فجاء بعد، قالت أم سلمة: فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدا عند الباب وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكب عليّ رسول الله (ص) وجعل يسأره ويناجيه، ثم قبض رسول الله من يومه ذلك، فكان عليّ أقرب الناس عهداً).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد (٣٩).

* * *

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ص):

« من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها

(٣٧) الرياض النضرة ٢/٢٣٧، ط. الثانية، مطبعة دار التأليف مصر، وذخائر العقبى ص ٧٢.

(٣٨) مجمع الزوائد ٩/٣٦.

(٣٩) مسند أحمد ٦/٣٠٠. وخصائص النسائي ص ٤٠. ومستدرك الصحيحين

١٣٨/٣ - ١٣٩.

رَبِّي ، فليوال عليّاً من بعدي ، وليوال وليّه ، وليقتد بالأئمة من بعدي فإنّهم
عترتي خلّقوا من طينتي ، رزقوا فهماً وعلماً ، وويل للمكذّبين بفضلهم من
أمّتي ، القاطعين فيهم صلّتي ، لا أنا لهم الله شفّاعتي «^{٤٠} .

إلى هنا ذكرنا ما ورد في حقّ الوصيّ الأوّل بعد الرسول (ص) ، وفي
ما يأتي نذكر ما ورد في شأن أوصياء الرسول بعد الوصيّ الأوّل .

٤٠ (حلية الأولياء لأبي نعيم ٨٦/١ .

ما ورد في حقّ سبطي رسول الله (ص)

ذكرنا في ما سبق شيئاً ممّا ورد في حقّ الإمام الأوّل عليّ بن أبي طالب .
وفي ما يأتي نذكر ما ورد في حقّ سبطي رسول الله (ص)، منه قوله لكلّ
منهما: « هذا منّي »، وقد عرفنا معنى (منّي) في البحث السابق .

الحسن والحسين من رسول الله و سبطاه

في مسند أحمد عن المقدم بن معدي كرب :
أنّ رسول الله وضع الحسن في حجره وقال : « هذا منّي ... »^١ .
وعن البراء بن عازب قال :
قال النبيّ (ص) للحسن أو الحسين : « هذا منّي »^٢ .
وروى البخاري والترمذي وأبن ماجة وأحمد والحاكم عن يعلى بن
مرة أنّ رسول الله (ص) قال :
« حسين منّي وأنا من حسين ، أحبّ الله من أحبّ حسين ، حسين سبط
من الأسباط »^٣ .

(١) مسند أحمد ١٣٢/٤ . وكنز العمال ٩٩/١٣ و ١٠٠ و ٢٦٢/١٦ . ومنتخب الكنز
١٠٦/٥ . والجامع الصغير بشرح فيض القدير ١٤٥/٣ .
(٢) كنز العمال ٢٧٠/١٦ .

(٣) البخاري في الأدب المفرد باب معانقة الصبي ح ٣٦٤ . والترمذي ١٩٥/١٣ في باب مناقب
الحسن والحسين . وأبن ماجة ، كتاب المقدمة ، باب ١١ ، ح ١٤٤ . ومسند أحمد ١٧٢/٤ .

وفي رواية :

« الحسن والحسين سبطان من الأسباط »^٤.

وعن أبي رمثة قال ، قال رسول الله (ص) :

« حسين مني وأنا منه هو سبط من الأسباط »^٥.

وفي رواية :

« الحسن والحسين سبطان من الأسباط »^٦.

وعن البراء بن عازب قال : قال رسول الله (ص) :

« حسين مني وأنا منه أحب الله من أحبه ، الحسن والحسين سبطان من

الأسباط »^٧.

إن قول رسول الله (ص) : « مني » في هذه الروايات بحق الحسينين نظير قوله بحق أبيهما الإمام عليّ ، أراد في جميعها ، أنهم منه في مقام تبليغ أحكام الإسلام.

وكذلك نرى أن قوله في حقهما أنهما سبطان من الأسباط ، لا يعني أنهما حفيدان كما أن جميع البشر ما عداهما حفدة ، فهذا هذر من القول حاشا رسول الله (ص) منه ، بل إن الألف واللام في الأسباط للعهد الذهني من القرآن الكريم ، أي : أنهما من الأسباط المذكورين في كتاب الله في قوله تعالى :

﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من

→
ومستدرك الحاكم ١٧٧/٣ . ووصف هو والذهبي الحديث بأنه صحيح ، وأسد الغابة ١٩/٢ و ١٣٠/٥ .

٤) كنز العمال ٢٧٠/١٦ .

٥) كنز العمال ١٠٦/١٣ .

٦) كنز العمال ١٠١/١٣ و ١٠٥ .

٧) كنز العمال ٢٧٠/١٦ .

رَبِّهِمْ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة/ ١٣٦ .

وقوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى . . . ﴾ البقرة/ ١٤٠ .

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ . . . ﴾ آل عمران/ ٨٤ .

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ . . . ﴾ النساء/ ١٦٣ .

وعليه فإنَّ الألف واللام في « الأسباط » في حديث رسول الله (ص) بحقَّ الحسينين للعهد الذهني عند المسلمين من هذه الآيات ، وإنَّ قول رسول الله (ص) في حقِّهما نظير قوله في حقِّ أبيهما : أَنَّهُ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، وقد شرح الله سبحانه تلك المنزلة فيما حكى عن موسى أَنَّهُ قَالَ :

﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي كَيْ نَسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى . . . ﴾ طه/ ٢٩ - ٣٦ .

وقوله تعالى :

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِءْءً أَنْ يَصَدِّقَنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ . . . ﴾ القصص/ ٣٤ - ٣٥ .

وقوله تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

المفسدين... ﴿الأعراف/١٤٢﴾.

وفيا أخبر سبحانه عنهما وقال:

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً...﴾ الفرقان/٣٥.

وقال:

﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين...﴾ المؤمنون/٤٥.

في هذه الآيات جعل الله هارون رداءً لموسى ووزيراً وشريكاً في النبوة استخلفه موسى في قومه، فلما نصّ خاتم الأنبياء على أن علياً منه بمنزلة هارون من موسى وأستثنى من كلّ ذلك النبوة وأنه لا نبي بعده، بقي منها للإمام علي رداء ووزارة ومشاركة في التبليغ على عهد الرسول (ص)، ومن بعده الخلافة في قومه وحمل أعباء التبليغ. وكذلك الأمر مع ولديه الحسين. ونستثني النبوة مما كان للأسباط لأنه لا نبي بعد خاتم الأنبياء، ويبقى لهما حمل مسؤولية تبليغ الأحكام الإسلامية عن الله.

أوردنا في ما سبق ما ورد في حقّ الأوصياء الثلاثة الأول بعد رسول الله (ص) وفي ما يأتي نذكر ما ورد في شأن آخر أوصياء الرسول (ص) في السنة النبوية.

بشارات النبي (ص) بظهور المهدي (ع) في آخر الزمان

المهدي يواطئ اسمه اسم النبي (ص)

سنن الترمذي في باب ما جاء في المهدي (ع)، وأبو داود في كتاب المهدي وغيرهما قال رسول الله (ص):

« لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي »^١.

في مستدرک الصحيحين ومسنّد أحمد وغيرهما، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله (ص):

« لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً »^٢.

(١) سنن الترمذي ٧٤/٩. ورواه أبو داود في صحيحه في كتاب المهدي ٧/٢، وطبعة دار إحياء السنة النبوية (د. ت) ١٠٦/٤ - ١٠٧، ح ٤٢٨٢، وأبو نعيم في حليته ٧٥/٥. وأحمد بن حنبل في مسنده ٣٧٦/١. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٨٨/٤. وكنز العمال ط. الأولى ١٨٨/٧ بزيادة: (وخلق خلقه). والسيوطي في تفسير سورة محمد (ص) في تفسير الآية: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة...﴾، الدر المنثور ٥٨/٦.

(٢) مستدرک الصحيحين ٥٥٧/٤. ورواه أبو نعيم في حليته ١٠١/٣ باختلاف يسير في اللفظ، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣٦/٣، وغيرهم. والسيوطي في تفسير الآية: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة...﴾ من سورة محمد (ص) ٥٨/٦.

إن المهدي (ع) من أهل بيت النبي (ص)

في سنن أبن ماجة في أبواب الجهاد عن أبي هريرة، قال :
قال رسول الله (ص) : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّله الله عزّ وجلّ
حتى يملك رجل من أهل بيتي ، يملك جبل الديلم والقسطنطينية » .
وفي سنن أبن ماجة - أيضاً - في أبواب الفتن في باب خروج المهدي ،
ومسند أحمد وغيرهما ، عن عليّ (ع) قال :
قال رسول الله (ص) : « المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة » .
ورواه آخرون أيضاً^٣ .

وفي مستدرك الصحيحين قال : عن أبي سعيد الخدري عن رسول
الله (ص) :

أنّه قال : « المهديّ منا أهل البيت ، أشمّ الأنف ، أفنى ، أجلى ، يملأ
الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، يعيش هكذا - وبسط يساره
وإصبعين يمينه المسبّحة والإبهام وعقد ثلاثة - » .
قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ورواه أبو داود
أيضاً .

المهديّ (ع) من ولد فاطمة (ع)

وفي سنن أبي داود عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله (ص)

٣) رواه أبو نعيم في حليته ١٧٧/٣ ، وزاد فقال : في يومين ، ورواه أحمد بن حنبل أيضاً
٨٤/١ . وذكر السيوطي في الدر المنثور ٥٨/٦ في تفسير سورة محمد (ص) الآية : ﴿ فهل ينظرون
إلا الساعة ﴾ وقال : أخرجه أبى أبي شيبة وأحمد وأبن ماجة عن عليّ (ع) . كتاب الفتن ،
باب خروج المهدي ح ٤٠٨٥ .

٤) مستدرك الصحيحين ٥٥٧/٤ . ورواه أبو داود في صحيحه ١٣٦/٦ ، كتاب المهدي من
سنن أبي داود ١٠٧/٤ ، ح ٤٢٨٥ .

يقول: « المهديّ من عترتي من ولد فاطمة »^٥.

وفي كنز العمال قال: عن عليّ (ع).

قال: « المهديّ رجل منّا من ولد فاطمة »^٦.

المهدي (ع) من ولد الحسين (ع)

وفي ذخائر العقبى عن أبي أيّوب الأنصاري قال:

قال رسول الله (ص): « يولد منهما - يعني الحسن والحسين (ع) -

مهديّ هذه الأمة »^٧.

وفي ذخائر العقبى - أيضاً - قال: عن حذيفة أنّ النبيّ (ص).

قال: « لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل ذلك اليوم حتّى يبعث

الله رجلاً من ولدي أسمه كآسمي ، فقال سلمان: من أيّ ولدك يا رسول الله ؟

قال: من ولّدي هذا ، وضرب بيده على الحسين (ع).

* * *

أكد رسول الله (ص) في رواياته على إمامة الإمام الأوّل عليّ بن أبي

طالب (ع) أكثر من سائر الأئمة ، وعلى البشارة بآخريهم المهديّ ، وعلى أنّ

٥) كتاب المهدي ٧/٤، ح ٢٢٨٤ باب خروج المهدي من كتاب الفتن ٢/١٣٦٨. وسنن أبي داود ١٣٤/٧. ورواه ابن ماجه في صحيحه في أبواب الفتن في باب خروج المهدي وقال: المهديّ من ولد فاطمة. ورواه الحاكم أيضاً في مستدرک الصحيحين ٤/٥٥٧ وقال: هو حقّ - يعني المهدي عليه السلام - وهو من بني فاطمة. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/٢٤ وقال: المهدي من ولد فاطمة. وذكره السيوطي في الدرّ المنثور في تفسير سورة محمد (ص) من تفسير الآية ﴿فهل ينظرون إلّا الساعة﴾ ٥٨/٦ وقال: أخرجه أبو داود وابن ماجه والطبراني والحاكم عن أمّ سلمة.

٦) كنز العمال ط. الأولى ٢٦١/٧.

٧) ذخائر العقبى ص ١٣٦.

عددهم اثنا عشر، لأنه إذا ثبت الأول والآخر والعدد، لا يبقى أدنى شك في
من هم الأئمة الذين عددهم اثنا عشر وأولهم الإمام عليّ وآخرهم المهدي،
سلام الله عليهم أجمعين.

نصوص على إمامة أئمة أهل البيت (ع)

النصوص الواردة عن رسول الله (ص) على إمامة أهل البيت (ع) على الأئمة من بعده كثيرة، منها ما ورد في حق جميع أئمة أهل البيت، وأخرى تخص بعضهم. ومما ورد في عامتهم حديث الثقلين.

حديث الثقلين

أ - في حجة الوداع

روى الترمذي عن جابر، قال:

رأيت رسول الله في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول:

« يا أيها الناس إنني قد تركت فيكم، ما إن أخذتم به لن تضلوا؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ».

قال الترمذي: وفي الباب عن أبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد^١.

(١) الترمذي ١٣/١٩٩ باب مناقب أهل بيت النبي. وراجع كنز العمال ١/٤٨.

ب - في غدیر خمّ

في صحيح مسلم ومسنند أحمد وسنن الدارمي والبيهقي وغيرها
واللفظ للأول، عن زيد بن أرقم، قال:
(إنّ رسول الله قام خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة . . . ثمّ
قال:

« ألا يا أيّها الناس فإنّنا أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيّب،
وإنّي تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله
وأستمسكوا به . . . وأهل بيتي . . . »^٢.

وفي سنن الترمذي ومسنند أحمد واللفظ للأول:
« إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكنم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من
الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن
يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »^٣.
وفي مستدرك الصحيحين:

« كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من
الآخر: كتاب الله، وعترتي؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفتّرا
حتّى يردا عليّ الحوض . . . »^٤.
وفي رواية:

(٢) صحيح مسلم باب فضائل علي بن أبي طالب. ومسنند أحمد ٣٦٦/٤. وسنن الدارمي
٣٣١/٢ باختصار. وسنن البيهقي ١٤٨/٢ و ٣٠/٧ منه باختلاف يسير في اللفظ. وراجع
الطحاوي في مشكل الآثار ٣٦٨/٤.
(٣) الترمذي ٢٠١/١٣. وأسد الغابة ١٢/٢ في ترجمة الإمام الحسن. والدر المنثور في تفسير
آية المودة من سورة الشورى.

(٤) مستدرك الصحيحين وتلخيصه ١٠٩/٣. وخصائص النسائي ص ٣٠، وفي مسند أحمد
١٧/٣: « إنّي أوشك أن أدعى فأجيّب » وفي ص ١٤ و ٢٦ و ٥٩ منه أكثر تفصيلاً. وطبقات ابن
سعد ٢/٢ ق ٢. وكنز العمال ١/٤٧ و ٤٨ وفي ٩٧ موجزاً.

« أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن آتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي . . . » .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين^٥.
وقد ورد هذا الحديث بالفاظ أخرى في مسند أحمد وحلية الأولياء وغيرهما^٦ عن زيد بن ثابت.

* * *

في الحديث السابق أخبر الرسول في آخر سنة من حياته: أنه بشر، يوشك أن يأتيه رسول ربّه، ويدعى فيجيب ويلتحق برّبّه، وقال: « إني تارك فيكم، ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتّى يردا عليّ الخوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » .

قاله مرّة في عرفة، وأخرى في غدير خمّ، وهذا النصّ من رسول الله في تعيين مرجع الأئمة من بعده، عمّ جميع الأئمة من عترته.
وفي الروايات التالية:

نصّ الرسول (ص) على عددهم:

حديث عدد الأئمة

أخبر الرسول أنّ عدد الأئمة الذين يلون من بعده اثنا عشر، كما روى عنه ذلك أصحاب الصحاح والمسانيد الآتية.

أ- روى مسلم عن جابر بن سمرة أنّه سمع النبيّ يقول:

(٥) مستدرک الصحيحین ١٠٩/٣ بطريقين، وقريب منه ما في ١٤٨/٣.

(٦) مسند أحمد ٣٦٧/٤ و ٣٧١ و ١٨١/٥. وتاريخ بغداد للخطيب ٤٤٢/٨. وحلية الأولياء ٣٥٥/١ و ٦٤/٩. وأسد الغابة ١٤٧/٣. ومجمع الزوائد للهيتمي ١٦٣/٩ و ١٦٤.

« لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم آثنا عشر خليفة، كلهم من قريش ».

وفي رواية:

« لا يزال أمر الناس ماضياً . . . ».

وفي حديثين منهما:

« إلى آثني عشر خليفة . . . ».

وفي سنن أبي داود:

« حتى يكون عليكم آثنا عشر خليفة ».

وفي حديث:

« إلى آثني عشر »^٧.

وفي البخاري، قال: سمعت النبي (ص) يقول:

« يكون آثنا عشر أميراً »، فقال كلمة لم أسمعها. فقال أبي: قال:

« كلهم من قريش ».

وفي رواية:

ثم تكلم النبي (ص) بكلمة خفيت عليّ فسألت أبي: ماذا قال رسول

الله (ص)؟ فقال: « كلهم من قريش »^٨.

(٧) صحيح مسلم ٣/٦ - ٤ باب الناس تبع لقريش من كتاب الإمامة. وأخترنا هذا اللفظ من الرواية لأن جابراً كان قد كتبها. وفي صحيح البخاري ١٦٥/٤، كتاب الأحكام. وسنن الترمذي باب ما جاء في الخلفاء من أبواب الفتن. وسنن أبي داود ١٠٦/٣، كتاب المهدي. ومسند الطيالسي ح ٧٦٧ و ١٢٧٨. ومسند أحمد ٨٦/٥ - ٩٠ و ٩٢ - ١٠١ و ١٠٦ - ١٠٨ و كنز العمال ٢٦/١٣ - ٢٧. وحلية أبي نعيم ٣٣٣/٤.

وجابر بن سمرة بن جنادة العامري ثم السوائي، ابن أخت سعد بن أبي وقاص، وحليفهم، مات في الكوفة بعد السبعين، وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٦ حديثاً، ترجمته بأسد الغابة. وتقريب التهذيب. وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

(٨) فتح الباري ٣٣٨/١٦. ومستدرک الصحيحين ٦١٧/٣.

وفي رواية:

« لا تضرهم عداوة من عاداهم »^٩.

ب - وفي رواية:

« لاتزال هذه الأئمة مستقيماً أمرها، ظاهرة على عدوها، حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، ثم يكون المرج أو الهرج »^{١٠}.

ج - وفي رواية:

« يكون لهذه الأئمة اثنا عشر قيماً لا يضرهم من خذلهم كلهم من قريش »^{١١}.

د - « لا يزال أمر الناس ماضياً ما يليهم اثنا عشر رجلاً »^{١٢}.

هـ - وعن أنس:

« لن يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها »^{١٣}.

و - وفي رواية:

« لا يزال أمر هذه الأئمة ظاهراً حتى يقوم اثنا عشر كلهم من قريش »^{١٤}.

ز - وروى أحمد والحاكم وغيرهم واللفظ للأول عن مسروق قال:

(كنّا جلوساً ليلة عند عبد الله (ابن مسعود) يقرئنا القرآن ، فسأله رجل

فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سألتكم رسول الله (ص) كم يملك هذه الأئمة من

٩ فتح الباري ٣٣٨/١٦.

١٠ منتخب الكنز ٣٢١/٥. وتاريخ ابن كثير ٢٣٩/٦. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠.

ونكر العمال ٢٦/١٣. والصواعق المحرقة ص ٢٨.

١١ كنز العمال ٢٧/١٣، ومنتخبه ٣١٢/٥.

١٢ صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٢/١٢. والصواعق المحرقة ص ١٨، وتاريخ الخلفاء

للسيوطي ص ١٠.

١٣ كنز العمال ٢٧/١٣.

١٤ كنز العمال ٢٧/١٣ عن ابن النجار.

خليفة ؟ فقال عبد الله : ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك ، قال : سأله فقال : أثنا عشر عدة نقباء بني إسرائيل (١٥).

ح - وفي رواية قال ابن مسعود : قال رسول الله :

« يكون بعدي من الخلفاء عدة أصحاب موسى » (١٦).

قال ابن كثير : (وقد روي مثل هذا عن عبد الله بن عمر وحذيفة وابن عباس) (١٧). ولست أدري هل قصد من رواية ابن عباس ما رواه الحاكم الحسكاني عن ابن عباس أو غيره.

نصت الروايات الأنفة أن عدد الولاة اثنا عشر وأنهم من قريش ، وقد بين الإمام علي في كلامه المقصود من قريش وقال :

(إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ولا يصلح الولاة من غيرهم) (١٨). وقال :

(اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيئاته . . .) (١٩).

(١٥) مسند أحمد ٣٩٨/١ و ٤٠٦.

قال أحمد شاكر في هامش الأول : اسناده صحيح .

ومستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ٥٠١/٤ . وفتح الباري ٣٣٩/١٦ مختصراً . ومجمع الزوائد ١٩٠/٥ . والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢ . وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص : ١٠ . والجامع الصغير ٧٥/١ . وكنز العمال للمفتي ٢٧/١٣ .

وقال : أخرجه الطبراني ونعيم بن حماد في الفتن .

وفيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ٤٥٨/٢ . وأورد الخبرين ابن كثير في تاريخه عن ابن مسعود باب ذكر الأئمة الاثني عشر الذين كلهم من قريش ٢٤٨/٦ - ٢٥٠ .

(١٦) ابن كثير ٢٤٨/٦ . وكنز العمال ٢٧/١٣ . وراجع شواهد التنزيل للحسكاني ٤٥٥/١ ، ح ٦٢٦ .

(١٧) ابن كثير ٢٤٨/٦ .

(١٨) نهج البلاغة الخطبة ١٤٢ .

(١٩) ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفى في الباب المائة ، ص ٥٢٣ . وراجع إحياء علوم الدين للغزالي ٥٤/١ . وفي حلية الأولياء ٨٠/١ بإيجاز .

وقال آبن كثير:

(وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه: أن الله تعالى بَشَّرَ إبراهيم بإسماعيل وأنه ينميه ويكثره ويجعل من ذرّيته آثني عشر عظيماً).
وقال:

(قال آبن تيمية: وهؤلاء المبشّر بهم في حديث جابر بن سمرة وقرّر أنهم يكونون مفرّقين في الأمة ولا تقوم الساعة حتّى يوجدوا).
وغلط كثير ممّن تشرف بالإسلام من اليهود فظنّوا أنهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتّبعوهم^{٢٠}.
قال المؤلف:

و البشارة المذكورة، أعلاه في سفر التكوين، الإصحاح (١٧) / الرقم:
(١٨ - ٢٠) من التوراة المتداولة في عصرنا. وقد جاءت هذه البشارة في الأصل
العبري كالآتي :

جاء في سفر التكوين قول (الرب) لإبراهيم (ع) ما نصّه بالعبرية:

«في إيشماعيل يبرّختي أونوا في هفرتي أونو
في هزبرتي يمينود يشوداه شنيح عساريسينيم يوليد
في يتتيف لگوي گدول»^{٢١}.

و تعني حرفياً: «و إسماعيل أباركه، وأثمره، وأكثّره جداً جداً، اثنا
عشر إماماً يلد، وأجعله أمةً كبيرة».

^{٢٠} تاريخ آبن كثير ٢٣٩/٦ - ٢٥٠.

^{٢١} «العهد القديم» سفر التكوين ١٧ : ٢٠، ص ٢٢ - ٢٣.

וְלִישָׁמְעֵאל שְׁמִעְיָהּ ד'

יְהוָה בְּרַבְתִּי אִתּוֹ וְהַפְרִיתִי אִתּוֹ וְהַרְבֵּיתִי אִתּוֹ
שְׁמִים-עֶשְׂרִי נִשְׂאֵם יוֹלִיד מִתְחַדֵּד לְנִי וְדוּל:

«بشارات يفر التكوين ١٧: ٢٠ (الأصل العبري) بالرسول (ص) وبالأئمة (ع)»

أشارت هذه الفقرة إلى أن المباركة، والأثمار، والتكثير إنما يكون في صلب
إسماعيل (ع) و«شليم عسار» تعني «اثنا عشر»، ولفظة «عسار» تأتي في «العدد التركيبي
إذا كان المعدود مذكراً»^{٢٢}، والمعدود هنا «نسيثيم» وهو مذكر وبصيغة الجمع لاضافة
الـ (يم) في آخر الاسم، والمفرد «ناسي» وتعني: إمام، زعيم، رئيس»^{٢٣}.

و أما قول (الرب) لإبراهيم (ع) في الفقرة نفسها أيضاً:
«في نيتيف كوي كدول»، نلاحظ أن «في نيتيف» مكونة من حرف
العطف (في)، والفعل (ناتن) بمعنى: (أجعل، أذهب)^{٢٤}، والضمير «يف»
في آخر الفعل «نيتيف» يعود على إسماعيل (ع)، أي «وأجعله»، وأما كلمة
(كوي) فتعني: «أمة، شعب»^{٢٥}، و«كدول» تعني: «كبير، عظيم»^{٢٦}،
فتصبح (وأجعله أمة كبيرة)، فيتضح من هذه الفقرة أن التكثير والمباركة إنما هما
في صلب إسماعيل (ع)، مما يجعل القصد واضحاً في الرسول محمد (ص)
وأهل بيته (ع) باعتبارهم امتداداً لنسل إسماعيل (ع)، ذلك لأن الله (تعالى)
أمر إبراهيم بالخروج من بلاد «نمرود» إلى الشام، فخرج ومعه امرأته «سارة»
و«لوط»، مهاجرين إلى حيث أمرهم الله (تعالى)، فنزلوا أرض فلسطين.
ووسّع الله (تعالى) على إبراهيم (ع) في كثرة المال، فقال: «ربّ ما أصنع بالمال
ولا ولد لي»، فأوحى الله (عزّ وجلّ) إليه «إني مكثّر ولدك حتى يكونوا عدد
النجوم». وكانت «هاجر» جارية لسارة، فوهبتها لإبراهيم (ع)، فحملت منه،

٢٢) والمعجم الحديث، عربي - عجمي، ص ٣١٦. ٢٣) المصدر السابق، ص ٣٦٠.

٢٤) المصدر السابق، ص ٣١٧. ٢٥) المصدر السابق، ص ٨٤.

٢٦) المصدر السابق، ص ٨٢.

وولدت له إسماعيل (ع)، وإبراهيم (ع) يومئذ ابن «ست وثمانين سنة»^{٢٧}.
و القرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة من خلال توجّه إبراهيم (ع)
بالدعاء إلى الله تعالى: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ
الْمَحْرُومِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ»^{٢٨}. فالآية الكريمة تؤكد أن إبراهيم (ع) قد أسكن
بعضاً من ذريته وهو إسماعيل (ع) ومن ولد منه في مكة ودعا الله تعالى أن
يجعل في ذريته الرحمة والهداية للبشرية ما بقي الدهر، فاستجاب الله لدعوته
بأن جعل في ذريته محمداً (ص) وأثنى عشر إماماً من بعده. وقد قال الإمام
الباقر (ع): «نحن بقية تلك العترة وكانت دعوة إبراهيم لنا»^{٢٩}.

خلاصة الأحاديث الأئمة

نستخلص ممّا سبق ونستنتج: أن عدد الأئمة في هذه الأمة اثنا عشر
على التوالي، وأن بعد الثاني عشر منهم ينتهي عمر هذه الدنيا.
فقد ورد في الحديث الأول:

« لا يزال هذا الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر
خليفة... ».

فإنّ هذا الحديث يعيّن مدّة قيام الدين ويحدّدها بقيام الساعة، ويعيّن
عدد الأئمة في هذه الأمة بأثنى عشر شخصاً. وفي الحديث الخامس:
« لن يزال هذا الدين قائماً إلى أثني عشر من قریش فاذا هلكوا ماجت

(٢٧) «تاريخ اليعقوبي» ج ١، ص ٢٤ - ٢٥، مؤسسة نشر ثقافة أهل البيت (قم)

(٢٨) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٢٩) نقلنا ما ورد في الأصل العربي من التوراة والتعليق عليها من مقال للاستاذ أحمد الواسطي في
مجلة التوحيد، اصدار منظمة الإعلام الإسلامي في طهران. العدد: ٥٤، ص ١٢٧ - ١٢٨

الأرض بأهلها .

ويدل هذا الحديث على تأييد وجود الدين بامتداد الاثني عشر وأن بعدهم تموج الأرض .

وفي الحديث الثامن : حصر عددهم بأثني عشر بقوله :

« يكون بعدي من الخلفاء عدّة أصحاب موسى » .

ويدلّ هذا الحديث على أنّه لا خليفة بعد الرسول عدا الاثني عشر . وأنّ ألفاظ هذه الروايات المصرّحة بحصر عدد الخلفاء بالاثني عشر وأنّ بعدهم يكون الهرج وتموج الأرض وقيام الساعة تبيّن ألفاظ الأحاديث الأخرى التي قد لا يفهم من ألفاظها هذا التصريح .

وبناءً على هذا لا بدّ أن يكون عمر أحدهم طويلاً خارقاً للعادة في أعمار البشر كما وقع فعلاً في مدّة عمر الثاني عشر من الأئمة أوصياء النبيّ (ص) .

حيرتهم في تفسير الحديث

لقد حار علماء مدرسة الخلفاء في بيان المقصود من الاثني عشر في الروايات المذكورة وتضاربت أقوالهم .

فقد قال آبن العربي في شرح سنن الترمذي :

(فعددنا بعد رسول الله (ص) آثني عشر أميراً فوجدنا أبا بكر، عمر، عثمان، عليّاً، الحسن، معاوية، يزيد، معاوية بن يزيد، مروان، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، مروان بن محمد بن مروان، السفاح . . .) .

ثمّ عدّ بعده سبعاً وعشرين خليفة من العباسيين إلى عصره، ثمّ قال :
(وإذا عددنا منهم آثني عشر، انتهى العدد بالصورة إلى سليمان وإذا عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة، الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز

ولم أعلم للحديث معنى (٣٠).

وقال القاضي عياض في جواب القول: أنه ولي أكثر من هذا العدد:
(هذا اعتراض باطل، لأنه (ص) لم يقل: لا يلي إلا اثنا عشر، وقد ولي
هذا العدد، ولا يمنع ذلك من الزيادة عليهم) (٣١).

ونقل السيوطي في الجواب:
(أن المراد: وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى القيامة
يعملون بالحق وإن لم يتوالوا) (٣٢).
وفي فتح الباري:

(وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة ولا بدّ من تمام العدة قبل قيام
الساعة) (٣٣).

وقال آبن الجوزي:
(وعلى هذا فالمراد من « ثم يكون المخرج »: الفتن المؤذنة بقيام الساعة من
خروج الدجال وما بعده) (٣٤).
قال السيوطي:

(وقد وجد من الاثني عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وآبن
الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم إليهم المهديّ
العباسي لأنه في العباسيين كعمر بن عبد العزيز في الأمويين، والطاهر العباسي
أيضاً لما أوتيه من العدل ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهديّ لأنه من أهل

(٣٠) شرح آبن العربي على سنن الترمذي ٩/٦٨ - ٦٩.

(٣١) شرح النووي على مسلم ١٢/٢٠١ - ٢٠٢. وفتح الباري ١٦/٣٣٩. واللفظ منه وكرّره
في ص ٣٤١.

(٣٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢.

(٣٣ و ٣٤) فتح الباري ١٦/٣٤١. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢.

(البيت)^{٣٥}

وقيل :

(المراد : أن يكون الاثنا عشر في مدّة عزّة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره ، ممّن يعزّ الإسلام في زمنه ، ويجتمع المسلمون عليه)^{٣٦} .

وقال البيهقي :

(وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثمّ وقع الهرج والفتنة العظيمة ثمّ ظهر ملك العباسية ، وإنّما يزيدون على العدد المذكور في الخبر ، إذا تركت الصفة المذكورة فيه ، أو عدّ منهم من كان بعد الهرج المذكور)^{٣٧} .

وقالوا :

(والذين اجتمعوا عليه : الخلفاء الثلاثة ثمّ عليّ إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين فتسمّى معاوية يومئذ بالخلافة ، ثمّ اجتمعوا على معاوية عند صلح الحسن ، ثمّ اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك ، ثمّ لما مات يزيد اختلفوا إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ، ثمّ اجتمعوا على أولاده الأربعة : الوليد ، ثمّ سليمان ، ثمّ يزيد ، ثمّ هشام ، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز ، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه بعد هشام تولى أربع سنين)^{٣٨} .

٣٥ (الصواعق المحرقة ص ١٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢ . وعلى هذا يكون لاتباع مدرسة الخلفاء ، إمامان منتظران أحدهما المهديّ ، في مقابل منتظر واحد لاتباع مدرسة أهل البيت .
٣٦ أشار إليه النووي في شرح مسلم ٢٠٢/١٢ - ٢٠٣ . وذكره ابن حجر في فتح الباري ٣٣٨/١٦ - ٣٤١ . والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٠ .
٣٧ نقله ابن كثير في تاريخه ٢٤٩/٦ عن البيهقي .
٣٨ تاريخ الخلفاء ص ١١ . والصواعق ص : ١٩ . وفتح الباري ٣٤١/١٦ .

بناءً على هذا فإن خلافة هؤلاء الاثني عشر كانت صحيحة لإجماع المسلمين عليهم وكان الرسول قد بشر المسلمين بخلافتهم له في حمل الإسلام إلى الناس .

قال ابن حجر عن هذا الوجه : (إنه أرجح الوجوه) .

وقال ابن كثير :

(إن الذي سلكه البيهقي ووافقه عليه جماعة من أن المراد هم الخلفاء المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الذي قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد فإنه مسلك فيه نظر، وبيان ذلك أن الخلفاء إلى زمن الوليد بن يزيد هذا أكثر من اثني عشر على كل تقدير، وبرهانه أن الخلفاء الأربعة، أبوبكر وعمر وعثمان وعليّ خلافتهم محققة . . . ثم بعدهم الحسن بن عليّ كما وقع لأنّ علياً أوصى إليه، وبايعه أهل العراق . . . حتى أصطلح هو ومعاوية . . . ثم أبنه يزيد بن معاوية، ثم أبنه معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم، ثم أبنه عبد الملك بن مروان، ثم أبنه الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن عبدالعزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، فهؤلاء خمسة عشر، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فإن اعتبرنا ولاية ابن الزبير قبل عبد الملك صاروا ستة عشر، وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز، وعلى هذا التقدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن معاوية ويخرج عمر بن عبدالعزيز، الذي أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه وعدّوه من الخلفاء الراشدين، وأجمع الناس قاطبة على عدله، وأنّ أيامه كانت من أعدل الأيام حتّى الرافضة يعترفون بذلك، فإن قال : أنا لا أعتبر إلا من اجتمعت الأمة عليه لزمه على هذا القول أن لا يعدّ عليّ بن أبي طالب ولا أبنه، لأنّ الناس لم يجتمعوا عليها وذلك أن أهل الشام بكماهم لم يبايعوهما .

وذكر :

أن بعضهم عدّ معاوية وأبنة يزيد وأبن أبنة معاوية بن يزيد، ولم يقيد بأيام مروان ولا ابن الزبير، لأنّ الأمة لم تجتمع على واحد منهما، فعلى هذا نقول في مسلكه هذا عاداً للخلفاء الثلاثة، ثمّ معاوية، ثمّ يزيد، ثمّ عبد الملك، ثمّ الوليد بن سليمان، ثمّ عمر بن عبد العزيز، ثمّ يزيد، ثمّ هشام، فهؤلاء عشرة، ثمّ من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، ويلزمه منه إخراج عليّ وأبنة الحسن، وهو خلاف ما نصّ عليه أئمة السنة بل الشيعة^{٣٩}.

ونقل ابن الجوزي في كشف المشكل وجهين في الجواب :
أولاً :

(أنه (ص) أشار في حديثه إلى ما يكون بعده وبعد أصحابه، وإنّ حكم أصحابه مرتبط بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم، فكأنّه أشار بذلك إلى عدد الخلفاء من بني أمية، وكأنّ قوله : « لا يزال الدين » أي الولاية إلى أن يلي أثنا عشر خليفة، ثمّ ينتقل إلى صفة أخرى أشدّ من الأولى، وأوّل بني أمية يزيد بن معاوية وآخرهم مروان الحمار، وعدّتهم ثلاثة عشر، ولا يعدّ عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير لكونهم صحابة، فإذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم للاختلاف في صحبته، أو لأنّه كان متغلباً بعد أن اجتمع الناس على عبد الله بن الزبير، صحتّ العدّة، وعند خروج الخلافة من بني أمية وقعت الفتن العظيمة والملاحم الكثيرة حتّى استقرّت دولة بني العباس فتغيّرت الأحوال عمّا كانت عليه تغييراً بيّناً^{٤٠}.

وقد ردّ ابن حجر في فتح الباري على هذا الاستدلال.

(٣٩) تاريخ ابن كثير ٢٣٩/٦ - ٢٥٠.

(٤٠) فتح الباري ٣٤٠/١٦، عن ابن الجوزي في كتابه (كشف المشكل).

ونقل ابن الجوزي الوجه الثاني عن الجزء الذي جمعه أبو الحسين بن المنادي في المهدي، وأنه قال:

(يحتمل أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، فقد وجدت في كتاب دانيال: إذا مات المهدي، ملك بعده خمسة رجال من ولد السبط الأكبر، ثم خمسة من ولد السبط الأصغر، ثم يوصي آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبط الأكبر، ثم يملك بعده ولده فيتم بذلك اثنا عشر ملكاً كل واحد منهم إمام مهدي، قال: وفي رواية... ثم يلي الأمر بعده اثنا عشر رجلاً: ستة من ولد الحسن، وخمسة من ولد الحسين، وآخر من غيرهم، ثم يموت فيفسد الزمان).

علق ابن حجر على الحديث الأخير في صواقه وقال:

(إن هذه الرواية واهية جداً فلا يعول عليها)^{٤١}.

وقال قوم:

(يغلب على الظن أنه عليه الصلاة والسلام أخبر - في هذا الحديث - بأعاجيب تكون بعده من الفتن حتى يفرق الناس في وقت واحد على اثني عشر أميراً، ولو أراد غير هذا لقال: يكون اثنا عشر أميراً يفعلون كذا، فلما أعراهم عن الخبر عرفنا أنه أراد أنهم يكونون في زمن واحد...)^{٤٢}. قالوا:

(وقد وقع في المائة الخامسة، فإنه كان في الأندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمى بالخلافة ومعهم صاحب مصر والعباسية ببغداد إلى من كان يدعي الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوارج)^{٤٣}.

٤١) فتح الباري ٣٤١/١٦. والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٩.

٤٢) فتح الباري ٣٣٨/١٦.

٤٣) شرح النووي ٢٠٢/١٢. وفتح الباري ٣٣٩/١٦. واللفظ للآخر.

قال آبن حجر :

(وهو كلام من لم يقف على شيء من طرق الحديث غير الرواية التي وقعت في البخاري هكذا مختصرة . . .)^{٤٤} . وقال :

(إن وجودهم في عصر واحد يوجد عين الافتراق فلا يصح أن يكون المراد)^{٤٥} .

* * *

قال المؤلف :

هكذا لم يتفقوا على رأي في تفسير الروايات السابقة ، ثم إنهم أهملوا إيراد الروايات التي ذكر الرسول (ص) فيها أسماء الاثني عشر لأنها كانت تخالف سياسة الحكم بمدرسة الخلفاء مدى القرون . وخرجها المحدثون بمدرسة أهل البيت في تأليفهم بسندهم إلى أبرار الصحابة عن رسول الله (ص) ونقتصر هنا على إيراد نزر يسير منها في ما يأتي مما رواه الفريقان :

أسماء الاثني عشر لدى مدرسة الخلفاء :

أ - الجويني^{٤٦} عن عبد الله بن عباس ، قال : قال رسول الله : أنا سيّد النبيين وعليّ بن أبي طالب سيّد الوصيّين ، وأنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر ، أولهم عليّ بن أبي طالب وآخرهم المهدي .

ب - الجويني - أيضاً - بسنده عن آبن عباس ، قال : قال رسول الله : إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثني عشر أولهم أخي وآخرهم ولدي .

٤٤) فتح الباري ٣٣٨/١٦ .

٤٥) فتح الباري ٣٣٩/١٦ .

٤٦) قال الذهبي في ترجمة شيوخة بتذكرة الحفاظ ص ١٥٠٥ : الإمام ، المحدث الأوحد ، الأكمل ، فخر الإسلام ، صدر الدين إبراهيم بن محمد بن حمويه الجويني الشافعي ، شيخ الصوفية . وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الأجزاء . أسلم على يده غازان الملك .

قيل : يا رسول الله ، ومن أخوك ؟

قال : علي بن أبي طالب .

قيل : فمن ولدك ؟

قال : المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً لولم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه ، وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب .

ج - الجويني - أيضاً - بسنده قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :

أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون^{٤٧} .

* * *

اقتضت سياسة الحكم لدى مدرسة الخلفاء مدى القرون إخفاء أمثال الأحاديث الأنفة عن أبناء الأمة الإسلامية وإسدال الستار عليها . وجاهد القسم الأكبر من أتباع مدرستهم في هذا السبيل كما مرّ بنا فعلهم بأمثالها في بحث دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) التي تخالف آتجاهها .

وليس هذا مجال إيراد تلکم الأحاديث ، وإنما نورد في ما يأتي تراجم الاثني عشر الذين تواترت الإشارة إليهم والتنصيب على أسمائهم في أحاديث الرسول (ص) :

تراجم الأئمة الاثني عشر بعد الرسول (ص)

الإمام الأوّل :

٤٧) الأحاديث أ ، ب ، ج وردت في فرائد السمطين نسخة مصورة مخطوطة في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقم ١١٦٤ / ١٦٩٠ - ١٦٩١ الورقة ١٦٠ .

أمير المؤمنين عليّ (ع).

أبوه: أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم.

أمّه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

كنيته: أبو الحسن والحسين، أبو تراب.

لقبه: الوصي، أمير المؤمنين.

مولده: ولد في الكعبة بيت الله الحرام^{٤٨}، سنة ثلاثين بعد عام الفيل.

وفاته: قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة في رمضان سنة

أربعين للهجرة. ودفن خارج الكوفة في النجف الأشرف.

الإمام الثاني :

الحسن بن عليّ بن أبي طالب.

أمّه: فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص).

كنيته: أبو محمد.

لقبه: السبط الأكبر، المجتبي.

مولده: ولد في المدينة في النصف من رمضان سنة ثلاث بعد الهجرة.

وفاته: توفي لخمس ليال بقين من ربيع الأول سنة خمسين للهجرة.

ودفن بالبقيع في المدينة المنورة.

الإمام الثالث :

الحسين بن علي بن أبي طالب.

أمّه: فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص).

٤٨) إن أمّه فاطمة بنت أسد كانت تطوف بالبيت وهي حامل بعليّ (ع) فضر بها الطلق ففتحت

لها باب الكعبة فدخلت فوضعت فيها، المستدرك ٣/٤٨٣. وراجع تذكرة خواصّ الأمة ص ١٠.

والمناقب لابن المغازلي ص ٧.

كنيته: أبو عبد الله.

لقبه: السبط، شهيد كربلاء.

مولده: ولد في المدينة في شعبان سنة أربع للهجرة.

وفاته: قتله جيش الخليفة يزيد مع أهل بيته وأنصاره في محرم سنة

إحدى وستين. وقبره في كربلاء من مدن العراق^{٤٩}.

الإمام الرابع :

علي بن الحسين الشهيد.

أمه: غزالة، وقيل: شاه زنان.

كنيته: أبو الحسن.

لقبه: زين العابدين، السجاد.

مولده: ولد في المدينة سنة ثمان وثلاثين أو سبع وثلاثين أو ثلاث وثلاثين.

وفاته: توفي سنة أربع وتسعين للهجرة. ودفن في البقيع إلى جانب عمه

الحسن السبط^{٥٠}.

الإمام الخامس :

محمد بن علي السجاد.

أمه: أم عبد الله بنت الحسن بن علي.

٤٩) راجع تراجم الأئمة، علي وآبنيه الحسن والحسين عليهم السلام في ذكر حوادث سنة ٤٠ و ٥٠ و ٦٠ للهجرة بتاريخ الطبري، وآبن الاثير والذهبي وآبن كثير، وفي ذكر تراجمهم بتاريخ بغداد ودمشق، والاستيعاب وأسد الغابة والإصابة، وطبقات آبن سعد، ولم يطبع في الطبعة الأوربية والبيروتية من طبقات آبن سعد ترجمة السبطين وإنما طبع بعد ذلك.

٥٠) راجع ترجمته في ذكر حوادث سنة ٩٤ هـ بتاريخ آبن الاثير وآبن كثير والذهبي، وترجمته بطبقات آبن سعد وحلية الأولياء. ووفيات الأعيان. وتاريخ البعقوبي ٣٠٣/٢. والمسعودي ١٦٠/٣.

كنيته : أبو جعفر.
لقبه : الباقر.
مولده : ولد في المدينة سنة خمس وأربعين للهجرة.
وفاته : توفي سنة سبع عشرة ومائة للهجرة . ودفن في البقيع إلى جانب أبيه^{٥١} .

الإمام السادس :
جعفر بن محمد الباقر.
أمه : أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.
كنيته : أبو عبد الله .
لقبه : الصادق .
مولده : ولد في المدينة سنة ثلاث وسبعين للهجرة .
وفاته : توفي سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة . ودفن في البقيع إلى جانب أبيه^{٥٢} .

الإمام السابع :
موسى بن جعفر الصادق .
أمه : حميدة .
كنيته : أبو الحسن .

٥١) راجع ترجمته بتذكرة الحفاظ للذهبي . ووفيات الأعيان . وصفوة الصفوة . وحلية الأولياء . وتاريخ يعقوبي ٣٢٠/٢ . وتاريخ الإسلام للذهبي . وتاريخ ابن كثير في ذكرهما حوادث سنة ١١٥ و ١١٧ و ١١٨ .
٥٢) راجع ترجمته بحلية الأولياء ووفيات الأعيان وتاريخ يعقوبي ٣٨١/٢ . والمسعودي ٣٢٦/٣ .

لقبه : الكاظم .

مولده : ولد في المدينة سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة .

وفاته : توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة للهجرة في سجن الخليفة هارون

الرشيد ببغداد . ودفن في مقابر قریش في الجانب الغربي من بغداد يومذاك ،

وفي مدينة الكاظمية في العراق اليوم^{٥٢} .

الإمام الثامن :

علي بن موسى الكاظم .

أمه : الخيزران .

كنيته : أبو الحسن .

لقبه : الرضا .

مولده : ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة في المدينة المنورة .

وفاته : توفي سنة ثلاث ومائتين . ودفن بطوس خراسان^{٥٣} .

الإمام التاسع :

محمد بن علي الرضا .

أمه : سكينه .

كنيته : أبو عبد الله .

لقبه : الجواد .

٥٢) راجع ترجمته في مقاتل الطالبين وتاريخ بغداد . ووفيات الأعيان وصفوة الصفوة ،
وتاريخ ابن كثير ١٨/٢ . وتاريخ اليعقوبي ٢/٤١٤ .

٥٤) راجع ترجمته بتاريخ الطبري . وآبن الأثير . وتاريخ الإسلام للذهبي وتاريخ ابن كثير
في ذكر حوادث سنة ٢٠٣ هـ ، ووفيات الأعيان . وتاريخ اليعقوبي ٢/٤٥٣ . والمسعودي
٣/٢٢١ .

مولده: ولد سنة خمس وتسعين ومائة للهجرة في المدينة المنورة.
وفاته: توفي سنة مائتين وعشرين للهجرة ببغداد. ودفن إلى جانب جدّه
موسى بن جعفر بمقابر قريش^{٥٥}.

الإمام العاشر :

عليّ بن محمد الجواد.

أمّه: سنانة المغربية.

كنيته: أبو الحسن العسكري.

لقبه: الهادي.

مولده: سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة في المدينة المنورة.
وفاته: توفي سنة أربع وخمسين ومائتين. ودفن بمدينة سامراء
(سرمن رأى) بالعراق^{٥٦}.

الإمام الحادي عشر :

الحسن بن عليّ الهادي.

أمّه: أمّ ولد أسمها سوسن.

كنيته: أبو محمد.

لقبه: العسكري.

مولده: ولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين في سرمن رأى.

٥٥) راجع ترجمته بتاريخ بغداد ٥٤/٣. وفيات الأعيان. وشذرات الذهب ٤٨/٢.
والمسعودي ٤٦٤/٣.
٥٦) راجع ترجمته بتاريخ بغداد ٥٦/١٢. وفيات الأعيان. وتاريخ اليعقوبي ٤٨٤/٢.
والمسعودي ٨٤/٤.

وفاته: توفي سنة ستين ومائتين. ودفن في سر من رأى^{٥٧}.
 وقبور جميع الأئمة الأحد عشر المذكورين يزورها المسلمون اليوم وعليها
 قباب عالية عدا الأئمة الأربعة المدفونين في البقيع بالمدينة المنورة، فإن الحكم
 الوهابي لما دخل المدينة هدمها مع سائر قبور أزواج الرسول (ص) وقبور
 صحابته.

الإمام الثاني عشر :
 الحجة محمد بن الحسن العسكري .
 أمه: أم ولد يقال لها نرجس، وقيل: صيقل .
 كنيته: أبو عبد الله، أبو القاسم .
 لقبه: القائم، المنتظر، الخلف، المهدي صاحب الزمان .
 مولده: ولد في سامراء سنة خمس وخمسين ومائتين .
 وهو آخر الأئمة، وهو حي يرزق^{٥٨}.

تنبيه مهم

ورد في إحدى الروايات الماضية:
 «... يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، ثم يكون المرج
 والهرج» .
 وفي أخرى :

« لن يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش، فإذا هلكوا ماجت

٥٧) راجع ترجمته في وفيات الأعيان. وتذكرة خواص الأئمة لسبط ابن الجوزي الحنفي .
 ومطالب السؤل في مناسقب آل الرسول للشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي
 (ت: ٦٥٢ هـ). وتاريخ اليعقوبي ٥٠٣/٢ .

٥٨) تذكرة خواص الأئمة لسبط ابن الجوزي . ومطالب السؤل . وفيات الأعيان .

الأرض بأهلها .

وكلا اللَّفْظَيْن يدلّان على نهاية العالم بعد الثاني عشر مَمَّن يأتون من بعد النبيّ (ص)، وعلى هذا فلا بدّ أن يطول عمر أحد الاثني عشر إلى نهاية الدنيا، وهذا ما وقع فعلاً بطول عمر الوصيّ الثاني عشر المهديّ، محمد بن الحسن العسكريّ (ع)، فإنّ مجموع الروايات يصدق على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام المذكورين ولا يصدق على من سواهم . والحمد لله .

الفصل الرابع

خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين

الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام
أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة
مناقشة مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والإمامة
الاستدلال بكلام الإمام عليّ (ع)
وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق وإعلان
المعصية
الإمامة لدى مدرسة أهل البيت عليهم السلام
أوصياء النبيّ (ص) الاثنا عشر من بعده
اتّجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً

الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام

ينبغي أن ندرس الواقع التاريخي لإقامة الخلافة قبل البدء بعرض آراء المدرستين في الخلافة والإمامة.

بداية الأمر :

عقد رسول الله في مرض وفاته لواءاً بيده لمولاه أسامة بن زيد، وأمره على جيش فيه المهاجرون والأنصار، مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص، فعسكر بالجرف وغضب عليهم لما تكلموا في تأميره أسامة عليهم وقال: إنه لخليق بالإمارة، فذهبوا إلى معسكرهم وثقل رسول الله فجاء أسامة وودّعه، وقال الرسول: أنفذوا بعث أسامة، وفي ما همّوا بالرحيل يوم الاثنين جاءهم الخبر أن الرسول قد حضر، فأقبلوا إلى المدينة، وحضروا في بيت الرسول فقال: هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقال عمر: إنَّ النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، فلمّا أكثروا اللَّغَط والاختلاف قال: قوموا عني، لا ينبغي عند نبيّ التنازع.

قال ابن عباس: فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ التنازع، فقالوا: هجر

(١) حضر: حضره الموت.

رسول الله، وبكى ابن عباس حتى خضب دمه الحصباء.

موقف الخليفة عمر :

توفي الرسول وأبو بكر غائب بالسنح فأخذ عمر يقول: ما مات رسول الله ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وغاب عن قومه أربعين ليلة، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال يزعمون أنه مات. وقال: من قال إنه مات علوت رأسه بسيفي، فتلوا عليه الآية: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل آنقلبتم على أعقابكم ﴾ آل عمران/ ١٤٤ .
وقال له العباس: إن رسول الله قد مات، هل عند أحدكم عهد من رسول الله في وفاته فليحدثنا.

لم ينته عمر من كلامه وتهديده حتى أزيده شذقه، ولما أقبل الخليفة أبو بكر وتلا الآية ﴿ وما محمد إلا رسول... ﴾، سكت عمر.

سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وجثمان رسول الله (ص) بين أهله يغسلونه، وأخرجوا سعد بن عباد - وكان مريضاً - فذكر سابقة الأنصار وقال: استبدوا بهذا الأمر، فأجابوا: قد وفق في الرأي ولن نعدو ما رأيت، نوليكم هذا الأمر. فسمع بذلك أبو بكر وعمر فأسرعا مع جماعتهما إلى السقيفة، وذكر أبو بكر سابقة المهاجرين وقال: هم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم، فإن الناس في فيثكم ولن يجترئ مجترئ على خلافتكم فإن ابن هؤلاء إلا ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن... لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم.

وهدد أحدهما الآخر بالقتل.

فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً. فتخوف عمر من الاختلاف وقال لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك. وسبقه بشير بن سعد وبايع، فناداه الحباب بن المنذر: عقلت عقاق أنفست على ابن عمك الإمارة؟ وبايع عمر وأبو عبيدة، وقالت الأوس: لئن وليتها الخزرج مرة لا زالت لهم الفضيلة عليكم وما جعلوا لكم فيها نصيباً، فبايعوا أبا بكر، فأنكر على سعد بن عباد والخزرج وكادوا يطؤون سعد بن عباد، فقال أصحابه: آتقوا سعداً لا تطؤوه.

فقال عمر: أقتلوه قتله الله.

ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطالك حتى تندرداً حُضوك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر، الرفق ههنا أبلغ. فأعرض عنه عمر. فحمل سعد إلى بيته.

وأخرج أبو بكر من السقيفة، وجاءت قبيلة أسلم فبايعت، فأنصروهم أبو بكر، وأقبلت الجماعة تزقه إلى مسجد رسول الله (ص). فصعد المنبر، وشغلوا عن دفن رسول الله حتى كان يوم الثلاثاء، فجاءوا إلى المسجد ثانية فجلس أبو بكر على منبر رسول الله ووقف عمر وقال: إن قوله بالأمس لم يكن من كتاب الله ولا عهداً من رسوله، ولكنه كان يرى أن الرسول (ص) سيدبر أمرهم ويكون آخرهم، وإن الله أبقى فيهم القرآن يهتدون به، وقد جمع (٢) تندرد عضوك: حتى تسقط أعضاؤك.

أمركم على صاحب رسول الله، قوموا فبايعوه، فبايعه الناس عندئذ بعد بيعة
السقيفة، ثم خطب أبوبكر فقال: قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن
أحسنتم فأعينوني

شغلوا عن رسول الله بقية الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء، وصلى
المسلمون على رسول الله زمراً زمراً، وخطى أصحاب رسول الله (ص) بين
جثمانه وأهله، فولوا إجماعاً^٣. ولم يشهد أبوبكر وعمر غسل الرسول (ص)
وتكفينه ودفنه.

قالت عائشة: ما علمنا بدفن الرسول حتى سمعنا صوت المساحي في
جوف الليل.

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار وبنو هاشم
ومالوا مع علي بن أبي طالب.

فذهبوا إلى العباس ليستميلوه فجابههم بالرد.

وتحصن في دار فاطمة جماعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين
والأنصار، فبعث إليهم أبوبكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة
وقال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل بقبس نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت:
يا ابن الخطاب أجتث لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه
الأمة.

وإليه أشار أبوبكر في مرض موته حين قال:

(أما إني لا آمي على شيء في الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم
أفعلن... فوددت أني لم أكشف عن بيت فاطمة ولو أغلق على
حرب...).

(٣) تولوا دفنه.

ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا حَمَلَ فَاطِمَةَ لَيْلًا إِلَى بَيْتِ الْأَنْصَارِ يَسْأَلُهُمُ النِّصْرَةَ وَتَسْأَلُهُمْ فَاطِمَةُ الْأَنْتِصَارَ لَهُ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ مَضَتْ بَيْعَتُنَا هَذَا الرَّجُلَ، وَلَوْ كَانَ أَبْنُ عَمِّكَ سَبَقَ إِلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ مَا عَدَلْنَا بِهِ، فَيَقُولُ عَلِيٌّ: أَفَكُنْتُ أَتْرَكُ رَسُولَ اللَّهِ (ص) فِي بَيْتِهِ لَمْ أَجْهِّزْهُ وَأَخْرِجْ إِلَى النَّاسِ أَنْزَعَهُمْ فِي سُلْطَانِهِ؟ وَتَقُولُ فَاطِمَةُ: مَا صَنَعَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَّا مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ، وَلَقَدْ صَنَعُوا مَا اللَّهُ حَسِبَهُمْ.

وَكَانَ مَعَاوِيَةُ يَغَيِّرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا بِهَذَا الْمَوْقِفِ وَيَقُولُ:
(وَأَعْهَدُكَ أُمْسَ تَحْمِلُ قَعِيدَةَ بَيْتِكَ لَيْلًا عَلَى حِمَارٍ وَيَدَاكَ فِي يَدَيِ ابْنِكَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ يَوْمَ بَوَيْعِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، فَلَمْ تَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَالسَّوَابِقِ إِلَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَى نَفْسِكَ وَمَشَيْتَ إِلَيْهِمْ بِأَمْرَاتِكَ وَأَدْلَلْتَ إِلَيْهِمْ بِابْنِكَ وَاسْتَنْصَرْتَهُمْ عَلَى صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ . . . فَلَمْ يَجِبْكَ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةٌ أَوْ خَمْسَةٌ . . . وَمَهْمَا نَسِيتَ فَلَا أَنْسَى قَوْلَكَ لِأَبِي سَفِيَانَ لَمَّا حَرَّكَكَ وَهَيَّجَكَ: لَوْ وَجَدْتُ أَرْبَعِينَ ذَوِي عِزٍّ لَنَا هَضْمَتَهُمْ).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مَا دَارَ بَيْنَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَأَبِي بَكْرٍ وَقَالَ:
فَهَجَرْتَهُ فَاطِمَةُ فَلَمْ تَكَلِّمْهُ حَتَّى تُوَفِّيَتْ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَدَفَنَهَا زَوْجُهَا وَلَمْ يُؤْذَنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ، وَكَانَ لِعَلِيٍّ مِنَ النَّاسِ وَجْهٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ فَلَمَّا تُوَفِّيَتْ أَنْصَرَفَتْ وَجْوهُ النَّاسِ عَنْ عَلِيٍّ فَلَمْ يَبْيَاعِ عَلِيٌّ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ حَتَّى بَايَعَهُ عَلِيٌّ، فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ أَنْصَرَافَ وَجْوهِ النَّاسِ عَنْهُ ضَرَعَ إِلَى مَصَالِحَةِ أَبِي بَكْرٍ.

وَقَالَ الْبَلَاذُورِيُّ: وَلَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ إِلَى قِتَالِ الْعَدُوِّ قَبْلَ أَنْ يَبْيَاعَ عَلِيٌّ.
وَمِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ: فِرْوَةُ بْنُ عَمْرٍو، وَخَالِدُ بْنُ أَبَانَ وَعَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ، فَلَمَّا بَايَعَ بَنُو هَاشِمٍ بَايَعُوا.
وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَمْ يَبْيَاعِ، وَأَشَارَ الْأَنْصَارُ أَنْ يَتْرَكُوهُ فَإِنَّهُ لَا يَبْيَاعُ حَتَّى

يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فتركوه، فقال له عمر في أول خلافته، من كره جوار جار تحوّل عنه. فذهب إلى الشام، فبعث عمر رجلاً فقال له: أَدْعُهُ إِلَى الْبَيْعَةِ وَأَحْتَلْ لَهُ، فَإِنْ أَبَى فَأَسْتَعِنِ اللَّهَ عَلَيْهِ، فذهب الرجل إلى الشام ووجد سعداً بحواريين من قرى حلب فدعاه إلى البيعة فأبى فرماه بسهم فقتله.

بيعة عمر

لَمَّا حَضَرَ أَبُو بَكْرٍ دَعَا عَثْمَانَ خَالِيّاً فَقَالَ: اكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا عَهَدَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ بِنَ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، أَمَّا بَعْدُ - فَأَعْمِي عَلَيْهِ - فَكُتِبَ عَثْمَانُ: فَإِنِّي أَسْتَخْلِفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَلَمْ أَلْكُمْ خَيْرًا، ثُمَّ أَفَاقَ أَبُو بَكْرٍ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ فَأَقْرَأَهَا أَبُو بَكْرٍ.

ثُمَّ جَاءَ عُمَرَ مَعَ الْكِتَابِ إِلَى مَسْجِدِ الرَّسُولِ (ص) وَقَالَ لِلنَّاسِ: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا قَوْلَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) إِنَّهُ يَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَلْكُمْ نَصْحًا. وَهَكَذَا بَايَعَ النَّاسَ عُمَرَ.

الشورى وبيعة عثمان

لَمَّا طَعَنَ عُمَرَ قِيلَ لَهُ: لَوْ أَسْتَخْلَفْتُ. قَالَ: لَوْ كَانَ سَالِمٌ حَيًّا لَأَسْتَخْلَفْتُهُ، وَلَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَيًّا لَأَسْتَخْلَفْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: لَأَجْعَلُنَّاهُ شُورَى بَيْنَ سِتَّةٍ، وَعَيْنُهُمْ مِنْ قَرِيشٍ، وَوَلَى أَبَا طَلْحَةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ الْخَزْرَجِيُّ عَلَى خَمْسِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمْرٌ صَهْبِيًّا أَنْ يَصِلَ بِالنَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِذَا أَنْتَهَتْ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ وَاتَّفَقُوا عَلَى وَاحِدٍ فَلْيَضْرِبْ أَبُو طَلْحَةَ عُنُقَ الَّذِي يَخَالِفُ، وَإِنْ أَجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ عَلَى رَجُلٍ وَثَلَاثَةٌ عَلَى رَجُلٍ كَانُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَإِنْ صَفَّقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُ وَمَنْ أَبَى

ضربوا عنقه، فلما توفي الخليفة قال عبد الرحمن: إني أخرج نفسي منها وسعداً على أن أختار أحدكم فأجابوا إلا علياً فإنه أبى من ذلك ولما أصرّوا عليه أن يقبل أحلف عبد الرحمن أن لا يميل إلى هوى وأن يؤثر الحق وأن لا يحابي ذا قرابة، فحلف له، فقال: اختر مسدداً.

ثم اجتمعوا في مسجد الرسول فمدّ يده إلى عليّ وقال: أمدد يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين. فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما أستطعت. ثم مدّ يده إلى عثمان فوافق على ذلك.

ثم مدّ يده إلى عليّ فقال مثل مقالته الأولى، فأجابه مثل الجواب الأول. ثم قال لعثمان مثل المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثم أتجه إلى عليّ فقال له مثل المقالة الأولى.

فقال الإمام عليّ: إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما إلى طريقة أحد. أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني.

فأتجه عبد الرحمن إلى عثمان وأعاد عليه القول، فأجابه مثل الجواب الأول، فصفق على يده وبايعه، فقال الإمام عليّ لعبد الرحمن: حبوته حبة دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم في شأن. وبايع أصحاب الشورى عثمان، وكان عليّ قائماً فخرج مغضباً، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلا ضربت عنقك، ولم يكن يومئذ سيف مع أحد، ولحقه أصحاب الشورى فقالوا: بايع وإلا جاهدناك، فأقبل معهم حتى بايع عثمان.

بيعة الإمام عليّ

لَمَّا قُتِلَ عِثْمَانُ وَرُجِعَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ وَأَنْحَلُوا مِنْ كُلِّ بَيْعَةٍ سَابِقَةٍ، تَهَاوَتُوا عَلَى الْإِمَامِ عَلِيٍّ، اجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فِيهِمْ طَلْحَةُ وَالزُبَيْرُ فَأَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: هَلُمَّ نَبَايَعُكَ.

فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي أَمْرِكُمْ أَنَا مَعَكُمْ، فَمَنْ أَخْتَرْتُمْ فَقَدْ رَضِيتُ بِهِ. فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَخْتَارُ غَيْرَكَ. فَأَخْتَلَفُوا إِلَيْهِ مَرَارًا ثُمَّ أَتَوْهُ فِي آخِرِ ذَلِكَ. فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ النَّاسُ إِلَّا بِأَمْرِهِ وَقَدْ طَالَ الْأَمْرُ، لَا وَاللَّهِ مَا نَحْنُ بِفَاعِلِينَ حَتَّى نَبَايَعُكَ.

قَالَ: فَفِي الْمَسْجِدِ فَبِإِنْ بَيْعَتِي لَا تَكُونُ خَفِيًّا وَلَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ رِضَى الْمُسْلِمِينَ.

فَاجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ، وَأَوَّلُ مَنْ صَعِدَ إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ طَلْحَةُ ثُمَّ تَتَابَعَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ثُمَّ سَاطَرِ النَّاسُ فَبَايَعُوا عَلِيًّا^١.

* * *

بعد هذا العرض ندرس في ما يأتي آراء المدرستين في أمر الإمامة والخلافة.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط . الأولى ٢٤٠/١ - ٢٤١ وط . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٨/٤ - ٩.

أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة

أولاً - الخليفة أبوبكر، قال يوم السقيفة: لن يعرف هذا الأمر إلا لهذا
الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقال: رضيت لكم عمر
وأبا عبيدة فبايعوا أيهما شئتم^١.

وفي رواية قال:

هم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك
إلا ظالم^٢.

ثانياً - قال عمر في السقيفة مخاطباً الأنصار:

(والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونيبها من غيركم، ولكن العرب
لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك
على من أبى الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد
وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته؟ إلا مدلّ بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في
هلكة)^٣.

(١) البخاري، كتاب الحدود، باب: رجم الحبلى ١٢٠/٤.

(٢) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١/١٨٤٠.

(٣) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١/١٨٤١.

وقال في آخر شهر من عمره عندما بلغه أن أحدهم يقول :
لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً .

فقال عمر :

(من بايع رجلاً من المسلمين على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو
ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا)^٤ .

وقال عندما طعن وعين الستة للشورى :

(لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لو ثقّت به : سالم مولى
أبي حذيفة ، وأبو عبيدة الجراح)^٥ .

وقال :

(لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى)^٦ .

ثالثاً - أتباع مدرسة الخلفاء قالوا :

تنعقد الإمامة بعهد الإمام من قبل ، لأنّ أبا بكر عهد بها لعمر ولم تتوقف
على رضا الصحابة ، وتنعقد أيضاً باختيار أهل الحلّ والعقد ، واختلفوا في
عددهم ، فمن قائل تنعقد ببيعة خمسة لأنّ الذين بايعوا أبا بكر أيضاً كانوا
خمساً ، ولأنّ عمر جعلها في ستة ليبايع خمسة منهم السادس .
وقال الأكثر منهم : تنعقد بواحد ، لأنّ العباس قال لعليّ : أمدد يدك
أبايع ، ولأنّه حكم ، وحكم حاكم واحد نافذ .

وقالوا :

(ومن غلب عليهم بالسيف حتّى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين
فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برّاً كان أو فاجراً

(٤) البخاري ، باب رجم الحبل ١٢٠ / ٤ .

(٥) طبقات ابن سعد ط . بيروت ، دارصادر ، ٣ / ٣٤٣ .

(٦) بترجمة سالم من الاستيعاب وأسد الغابة ٢ / ٢٤٦ .

فهو أمير المؤمنين^٧

وروا أنّ رسول الله (ص) قال: « تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ».

وإنّ الخليفة لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويله للأحاديث الواردة بذلك.

كانت هذه آراء أتباع مدرسة الخلافة وينبغي لنا أن ندرس المصطلحات التي تدور في هذا البحث أولاً ثم نناقش الآراء المذكورة.

تعريف المصطلحات

أولاً - الشورى

التشاور و المشاورة في لغة العرب: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر، وبهذا المعنى ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ أي يتشاورون في أمورهم فالكلمة ليست مصطلحاً شرعياً.

ثانياً - البيعة

أ - البيعة في لغة العرب: الصفقة على إيجاب البيع، و صفق يده وعلى يده بالبيعة والبيع: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، وتصافقوا: تبايعوا. وكانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة، مثل أنهم كانوا يضعون أيديهم في جفنة مملوءة طيباً ويتعاهدون على أمر، أو في جفنة مملوءة دماً.

ب - البيعة في الإسلام علامة على معاهدة المايح المايح له أن يبذل له

(٧) راجع قبله بحث الإمامة لدى مدرسة الخلافة.

الطاعة في ما تقرر بينهما ويقال: بايعه عليه مبايعة أي: عاهده عليه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ بِدِ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾ الفتح/١٠.

وأول بيعة أخذها رسول الله من المسلمين في العقبة الأولى كانت على الإسلام.

والثانية: البيعة الثانية الكبرى أيضاً بالعقبة بايعهم على الحرب لإقامة المجتمع الإسلامي.

وسميت البيعة الأولى ببيعة النساء لأن البيعة كانت على الإسلام دونها قتال.

والبيعة الثالثة: أخذها تحت الشجرة في الحديبية عندما ندب الناس إلى العمرة، فخرجوا محرمين للعمرة، ولما صدّتهم قريش عن البيت وتبيّأت للقتال، تبدّلت السفرة من العمرة إلى القتال وكلنت الحالة الثانية مخالفة لما أنتدبهم إليها فأقتضت الحالة أن يأخذ منهم البيعة على العمل الحديد وغير المعهود، وفعل ذلك وأعطت البيعة ثمرها في إرعاب أهل مكة.

وعلى ما ذكرنا قامت البيعة الأولى: على الإسلام دونها قتال، والثانية: على إقامة الدولة الإسلامية والقتال من أجلها، والثالثة: البيعة على القتال في تلك السفرة. هذا ما كان في سيرة رسول الله (ص) من أمر البيعة. وورد في حديثه (ص) أنه كان يأخذ البيعة على الطاعة في ما يستطيعون ولم يكن يبايع الغلام غير البالغ شرعاً.

ويتّضح لنا من دراسة سيرة الرسول (ص) أنّ للبيعة ثلاثة أركان:

أ- المبايع.

ب- المبايع له.

ج - المعاهدة على الطاعة .

وتقوم البيعة على تفهّم ما يطلب الطاعة بالقيام به ثمّ تنعقد المعاهدة بضرب المبايع على يد المبايع له ، والبيعة على هذا مصطلح شرعيّ وشروط تحقّق البيعة وفق الشرع الإسلامي . غير واضحة للكثير من المسلمين وهي :
أ - أن يكون المبايع مسنّ تصحّ منه البيعة فلا تصحّ من صبيّ أو من مجنون لأنهما غير مكلفين شرعاً ، وأن يكون مختاراً لأن البيعة كالبيع لا ينعقد بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له ، ولا تنعقد البيعة بأخذها بالجبر وبحدّ السيف .

ب - أن لا يكون المبايع له من المتجاهرين بالمعصية لأن الرسول (ص) قال : « لا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى »^٨ .

ج - لا تصحّ البيعة للقيام بما نهى الله عنه وخلافاً لأوامره وأوامر الرسول (ص) لأن الرسول قال : « فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »^٩

ثالثاً ورابعاً - الخليفة وأمير المؤمنين

الخلافة في لغة العرب : النيابة عن الغير ، والخليفة : من يقوم مقام الغير ويسدّ مسدّه .

وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم مثل قوله تعالى في سورة الأعراف :

﴿ وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ (٦٩) .

وفي حديث الرسول (ص) : « اللهم أرحم خلفائي » وقال في تعريف

الخلفاء : « الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي » .

إذاً فالخليفة في القرآن والحديث ليست اسماً للذي يحكم باسم النيابة

عن رسول الله (ص) ، وكذلك كان الأمر إلى زمان الخليفة عمر حيث كان يقال

٨ و ٩) راجع فصل المصطلحات ، خامساً : البيعة .

له : خليفة خليفة رسول الله ، ثم قيل له : أمير المؤمنين ، وبقي الأمر كذلك إلى عصر العباسيين وعلى عهدهم كانوا يصفونهم بخليفة الله إلى جنب تسميتهم بأمير المؤمنين وفي عصر العثمانيين سَمَوْا الحاكم الإسلامي الأعلى بالخليفة وبقيت هذه التسمية متداولة بين المسلمين حتى اليوم .
إذاً فإنَّ لفظ الخليفة من مصطلحات المسلمين وليست مصطلحاً شرعياً وكذلك أمير المؤمنين .

خامساً - الإمام

الإمام في اللغة : من يَأْتُم به الناس ، وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم غير أنه قيّد الإمامة بشروط ذكرها في قوله تعالى لإبراهيم : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ وقوله : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ .
إذاً فالإمامة جعلُ من الله وعهد لا يناله من آتصف بالظلم سواء أكان ظالماً لنفسه أو لغيره وبذلك أصبح (الإمام) مصطلحاً شرعياً وتسمية إسلامية .

سادساً - الأمر وأولو الأمر

إنَّ الأمر آستعمل في لغة العرب وعرف المسلمين والنصوص الإسلامية بمعنى الولاية على الناس والحكم .
أما أولو الأمر فيصحَّ اعتباره مصطلحاً إسلامياً لوروده في القرآن بمعنى الولاية على الناس في قوله تعالى :

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ النساء / ٥٩ .

وتختلف المدرستان في تشخيص أولي الأمر ووليّ الأمر بعد رسول الله (ص)، فإنَّ مدرسة أهل البيت ترى أنَّ تعيين الإمام ووليّ الأمر بعد

الرسول (ص) من الله، يعيّن من يشاء ويبلغ الرسول أمته بذلك . وترى مدرسة الخلافة أنه يتعيّن بالبيعة وبالاستيلاء على الحكم بالقهر والغلبة، وبعد استيلائه على الحكم كيف ما كان تجب طاعته . ومن ثمّ أطاعوا الخليفة يزيد وقتلوا وسبوا ذرية الرسول (ص) وأباحوا مدينة الرسول وقتلوا البقية من أصحابه والتابعين ورموا الكعبة بالمنجنيق، وبعد كلّ تلكم الأفعال لا يزالون يسمّونه بأمر المؤمنين إلى عصرنا الحاضر .

سابعاً - الوصيّ ووصيّ النبيّ

الوصيّ في الكتاب والسنة : هو الإنسان الذي أوصى إليه غيره أن يقوم بعد وفاته بأمر يهتمّ سواء في ذلك أن يقول الموصي لوصيّه : أوصيك أن تفعل كذا وكذا من بعدي ، أو يقول : أعهد إليك أن تفعل كذا وكذا من بعدي ، وكذلك الشأن في إخباره الآخرين بالوصيّة فإنّه سواء في ذلك أن يقول : فلان وصيّ من بعدي ، أو يقول : فلان يقوم بعدي بعمل كذا وكذا ، وما شابهها من الالفاظ الدالة على الوصيّة . ووصيّ النبيّ : هو الإنسان الذي يعهد إليه النبيّ بأمر شريعته وأمه من بعده .

مناقشة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة و الإمامة

أولاً - الشورى

إن أول من ذكر الشورى لإقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطاب، ولم يستند في ذلك إلى دليل من الكتاب والسنة بل اعتمد أجهاده الخاص فمن اتخذ سيرة الصحابة وأقوالهم في عداد كتاب الله وسنة رسوله من مصادر الشريعة الإسلامية فله أن يتخذ من السنة العمرية هذه سنداً لهذا الحكم في إقامة الخلافة. على أن سنته هذه مخالفة لسنته وسنة الخليفة الأول أبي بكر في إقامة حكم الخليفة الأول أبي بكر فإنها كانت فلتة حسب تعبير الخليفة عمر وتقييمه لها وكذلك مخالفة - أيضاً - لسنتها في إقامة حكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فإن الخليفة الأول ولّى الخليفة عمر على المسلمين من بعده، وكلاهما لم يستشيرا المسلمين في كلا المقامين، ومخالفة - أيضاً - لقول الخليفة عمر: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته، فإن هذا القول يخالف الالتزام بالشورى !

وعلى فرض صحة إقامة الخلافة على أساس الشورى العمريّة، فكيف ينبغي أن تكون الشورى؟ وكم ينبغي أن يكون عدد المشاورين؟ في الأغلب قالوا ينحصر عدد المشاورين في ستة، يبايع خمسة منهم السادس، أضف الى ما سبق السؤال عن المسوع لإعطاء عبد الرحمن بن عوف خاصة حق اتخاذ

القرار النهائي من دون الآخرين في تلك الشورى . ثم ما المسوغ لقتل من خالف قرار عبد الرحمن ورأيه ؟ ثم من الذي كان يُخشى منه المخالفة لرأي عبد الرحمن من دون الآخرين ؟ وأخيراً هل أتبعت مدرسة الخلافة الشورى العمرية مرة واحدة وأقامت الخلافة كذلك لواحد من الخلفاء طوال القرون ؟ هذه أسئلة تتوارد على الشورى العمرية .

أما ما استدلل به أتباع مدرسة الخلفاء في هذا الصدد، فما كان من استدلالهم بالآية الكريمة: ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ فإنه لا يستفاد منها أكثر من رجحان التشاور بين المؤمنين في أمورهم، فإنه سبحانه وتعالى لو أراد الوجوب في هذا الأمر لقال: كتب الله على المؤمنين أو قال: فرض عليهم، إلى ما شابههما من الألفاظ الدالة على وجوب الفعل على المؤمنين .

وما كان من استدلالهم بآية ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ فقد أوضحنا في ما سبق بأن الآية في مقام توجيه الرسول (ص) أن يدعو المسلمين إلى القتال بأسلوب المشاورة؛ وليس بأسلوب الملوك الجبابة الذين يلقون أوامرهم إلى الناس بقولهم مثلاً: أصدرنا أمراً الملوكي بكذا . وقد صرح الجليل سبحانه بعد هذه الجملة بأن رأي المسلمين ليس ملزماً لرسول الله (ص) حيث قال: ﴿ فإذا عزم فتوكل ﴾، إذا فالقيام بالعمل يكون على أساس عزم الرسول (ص) وليس على ما يرثيه المؤمنون، ويوضح ذلك بجلاء الأمثلة التي ذكرناها من مشاورة الرسول المسلمين في موارد كانت عاقبة الأمر معلومة لرسول الله مسبقاً مثل مشاورته إياهم للقتال في غزوة بدر.

ثم إن مشاوراته (ص) كانت في مقام استجلاء رأي المسلمين في كيفية تنفيذ الأحكام الإسلامية وليست في مقام استنباط الحكم الشرعي بالتشاور، أضف إلى كل ذلك أن الله تعالى قال: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد

ضَلَّ ضَلالاً مَبِيناً ﴿ الأحزاب / ٣٦ .

إذا فَإِنَّ رجحان المشاورة ينحصر بمورد لم يقض الله ورسوله (ص) فيه أمراً وفي ما قضى الله ورسوله (ص) فيه أمراً، تكون المشاورة معصية لله ورسوله (ص) وضلالاً مَبِيناً.

ثانياً - البيعة

عرفنا ممّا سبق: أَنَّ البيعة لا تنعقد للقيام بمعصية الخالق ولا لمتجاهر بمعصية الخالق ولا بالإكراه وحَدّ السيف.

أما أصحاب مدرسة الخلافة فَإِنَّهم قالوا: تنعقد الخلافة ببيعة خمسة وقال بعضهم: تنعقد ببيعة واحد وحضور شاهدين، وأستدلّوا بعمل الصحابة.

ثالثاً - عمل الصحابة

يصحّ الاستدلال بعمل الصحابة في ما إذا أعتقدنا أَنَّ سيرة الصحابة مثل كتاب الله وسنة رسوله مصدر للتشريع الإسلامي، ثمَّ إِنَّ عمل الصحابة يخالف بعضه البعض الآخر كما رأينا في ما سبق، ومن ثمَّ وقع الخلاف في آراء أتباع مدرسة الخلافة كما شاهدنا في ما سبق. وعلى هذا يعمل أيّ من الصحابة نقندي وقول من منهم ومن الأتباع نأخذ ؟!

الاستدلال بكلام الإمام عليّ

أمّا ما أستدلّوا به من كلام للإمام عليّ، فَإِنَّه كان في مقام الاحتجاج على معاوية وجماعته بما ألزموا به. على أَنَّ إجماع الصحابة بما فيهم الإمام عليّ وسبطا الرسول (ص) الحسن والحسين حجة. وهذا هو مفهوم كلام الإمام المذكور.

وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق وإعلان المعصية :
قالوا: لا ينزل الحاكم الذي سمّوه بالإمام بالفسق والفجور وإعلان المعصية .

وقالوا: على المسلم السمع والطاعة للإمام الفاسق وإن ضرب ظهره وأخذ ماله ، ولا يجوز الخروج عليه .

وقالوا: إن يزيد بن معاوية المتجاهر بالفسق والفجور بالبيعة أصبح أمير المؤمنين ، ونتيجة لاعتقادهم بصحة بيعته استطاع أن يجهز جيشاً من المعتقدين بصحة بيعته ويقتل بهم ذرية الرسول بكربلاء ويسبيهم ويسير بهم أسرى من كربلاء إلى عاصمة ملكه الشام .

وبنتيجة تلك البيعة استطاع أن يجهز جيشاً آخر من المعتقدين بصحة بيعته ويغزو بهم مدينة الرسول (ص) ويبيحها لجيشه ثلاثة أيام ، فقتلوا جمعاً من أصحاب الرسول (ص) وتابعيهم ، وأخذوا البيعة من الآخرين على أنهم عبيد أقنان ليزيد ، وهاكوا أعراضهم وفعلوا ما شاءوا من جرائم لم يشهد المسلمون نظيرها في تاريخهم الطويل ، ثم غزا بهم مكة فضربوا بيت الله الحرام والكعبة بالمنجنيق . وبعد كل تلك الجرائم يلقبونه بأمر المؤمنين حتى اليوم ويكتبون في مدحه الكتب وينشرون ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

الإمامة لدى مدرسة أهل البيت (ع)

كانت تلکم آراء مدرسة الخلفاء في الإمامة والخلافة وأدلتهم. أما مدرسة أهل البيت فإنها تستدلّ بخطاب الله لإبراهيم وقوله له: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ وجواب الله لطلب إبراهيم حين قال: ﴿ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ على أنّ الإمامة عهد من الله لا يناله الظالم لنفسه أو لغيره. وتستدلّ بقوله تعالى في حقّ أهل البيت: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ على عصمة أهل البيت محمّد وأهل بيته - صلوات الله عليهم أجمعين - من الذنوب، وكذلك تستشهد بسيرة أهل البيت، حيث لم يسجل منهم في التاريخ أمر مخالف للعصمة.

أما الأدلّة على إمامتهم فإننا إذا درسنا سيرة الرسول في أمر تعيين وليّ الأمر من بعده نجد أنّه لم يغيب عن بال الرسول (ص) ومن حوله أمر الإمامة من بعده، فإنّ بعضهم طلب من الرسول أن يكون لهم الأمر من بعده فأجابه الرسول: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» وأخذ منهم البيعة في إقامة المجتمع الإسلامي «أن لا ينازعوا الأمر أهله» وعيّن الإمام عليّاً في أوّل يوم دعا إلى الإسلام وزيراً له وخليفة من بعده، وشاهدناه - أيضاً - يستخلف على المدينة كلّما غاب عنها لأمر ما وإن كانت المسافة ميلاً أو أقلّ من ذلك.

وكذلك لم يترك أمته هملاً أبداً الدهر، وفعل (ص) كما فعل الرسل من قبله في تعيينهم الأوصياء من بعدهم وإخبارهم أمهم بذلك، وعين وصيه وولي الأمر من بعده في أماكن مختلفة وأزمنة متعددة بأقوال تواترت عنه مثل قوله (ص) لسلمان عندما سأله عن وصيه من بعده:

« إن وصيي وموضع سري . . . علي بن أبي طالب (ع) » إلى غير هذا من أحاديث النبي (ص) التي نص فيها (ص) على أن علياً ولي الأمر من بعده، ولذلك أشتهر الإمام علي بلقب الوصي مدى القرون، وورد ذكره في أشعار الشعراء وأقوال الخطباء واحتجاجات المناظرين صحابة وتابعين وعلماء وخلفاء وأمراء، كما مر بنا أمثلة منها.

ولما كان أشتهار الإمام بأنه وصي خاتم الأنبياء يخالف سياسة الخلفاء واتجاه مدرستهم، بالغوا جيلاً بعد جيل في كتمان أحاديث الرسول (ص) التي نص فيها على أن علياً (ع) وصيه سواء كان التعيين بلفظ الوصي أو بالفاظ أخرى مثل الولي وأولي الأمر. وقد أوردنا عشرة أمثلة من أنواع كتمانهم في ما سبق مثل حذفهم بعض الحديث وتبديله بكلمة مبهمة، كما فعلوا مع نص « وصيي وخليفتي فيكم » الذي ورد في سنة الرسول (ص) فلأنهم حذفوه وأبدلوه بقولهم: (وكذا وكذا).

وتأويلهم بعض النصوص من سنة الرسول في هذا الشأن.

ومثل نهيمهم عن كتابة سنة الرسول.

وقتلهم من خالفهم في ذلك مثل قتل النسائي أحد أصحاب الصحاح

السنة الذي كتب (خصائص الإمام علي).

ولم يقتصر نهيمهم عن نشر الحقائق بالنصوص الواردة في حق الأئمة

الاثني عشر، بل شمل النهي كلياً يخالف مصلحة السلطة الحاكمة، فقد قال

رسول الخليفة يزيد لعبد الله بن الزبير، عندما خلع يزيد وقد اجتمعوا في بيت

اللّٰه بمكّة :

يا ابن الزبير، أتصعد المنبر وتتكلم في أمير المؤمنين بكلّ قبيح ثمّ تشبه نفسك بحمام مكة؟! ثمّ قال: يا غلام! ائمني بقوسي وسهمي. قال: فأنتي بقوسه وسهامه، فأخذ سهماً فوضعه في كبد قوسٍ ثمّ سدّده نحو حمام مكّة. وقال: يا حمامة، أيشرب أمير المؤمنين؟ قولي: نعم! أما واللّٰه لو قلت: نعم، لَمّا أخطأك سهمي هذا. يا حمامة: أيلعب أمير المؤمنين بالقروود والفهود ويفسّق في الدين؟ قولي: نعم! أما واللّٰه لئن قلت: نعم لا أخطأك سهمي هذا...^١.

وفي شأن وصيّ الرسول (ص) خاصّة بالغوا في قلب الحقائق إلى حدّ أنهم لعنوه في خطب صلاة الجمعة زهاء تسعين عاماً في جميع بلاد المسلمين عدا سجستان (سيستان)، ومع كل ذلك الحجر والشدة المتناهية فيه - إلى حدّ قتل من روى عن الرسول (ص) في فضله حديثاً - مع كل ذلك أنتشر شيء مما يضرّ بمصلحة الخلفاء في بعض كتب الحديث والتفسير والسيرة وما شابهها فعالج ذلك أتباع مدرستهم بإحراق مكّتبات كان فيها مئات الألوف من الكتب بخطوط مؤلفيها^٢ لما فيها من شيء يضرّ مصلحة الخلفاء، وبعد كلّ تلك الشدة في منع نشر الحقائق بقي في سنة الرسول (ص) التي بأيدينا من طرق مدرسة الخلفاء النصوص الآتية في أئمة أهل البيت. مثل قوله (ص):

«عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي».

وفي غدير خمّ لَمّا أمره اللّٰه أن يعيّن وليّ الأمر من بعده ونزلت آية: ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته واللّٰه يعصمك من الناس﴾ صعد منبراً من أحداج الإبل ورفع عليّاً.

(١) تمام الخبر مع ذكر مصادره في ذكر خبر (ثورة أهل الحرمين) في ما يأتي من الجزء الثالث من هذا الكتاب.

(٢) راجع قبله بحث (إحراق الكتب والمكّتبات).

وقال: «اللَّهُ مولاي وأنا مولاكم فمن كنت مولا فهذا عليّ مولا،
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وتوجّ عليّاً بعمامته السحاب فنزلت آية:
﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام ديناً﴾.

ونزلت فيه:

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة وهم راكعون﴾.

وقال في حقّ كلّ من الحسين:

«هذا منّي».

وقال: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط».

وفي حقّ الأئمة من بعده: الإمام عليّ والأحد عشر من بنيّه. أخبر
الرسول:

أنهم أولو الأمر في آية:

﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

وفيهما قال رسول الله (ص):

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها

غرق». وجعلهم أعدال القرآن وقال:

«لأنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم

بهما لن تضلّوا من بعدي، وقد أنبأني اللطيف الخبير أنّهما لا يفترقان حتّى يردا

عليّ الحوض».

ويظهر من قول الرسول هذا: أنّ أحد الأئمة لابدّ أن يطول عمره ويبقى

مع القرآن إلى يوم القيامة.

وعيّن عددهم في قوله:

« لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم
أثنا عشر » .

وفي رواية :

« لا يزال أمر الناس ماضياً إلى أثني عشر » .

وفي رواية بعدها :

« ثم يكون المرح والهرج » .

وفي رواية :

« فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها » .

وفي رواية قال عن عددهم أنهم أثنا عشر عدّة نقباء بني إسرائيل .

ولا تصدق هذه الروايات على غير الأئمة الاثني عشر من أهل بيت

رسول الله (ص) الذين طال عمر آخرهم وبعدهم يكون فناء الدنيا . وبما أنّ

علماء مدرسة الخلافة لم يرتضوا أئمة أهل البيت ، فقد حاروا في تفسير هذه

الروايات الصحيحة ولم يستطيعوا تأويلها بما يرضون به أنفسهم .

وفي ما يأتي أسماء أولئك الاثنا عشر كما نصّ عليهم الرسول (ص) في

أحاديث أخرى له .

أوصياء النبي الاثنا عشر من بعده :

الأول . عليّ بن أبي طالب ، أمير المؤمنين ، الوصي .

الثاني : الحسن بن عليّ ، السبط الأكبر .

الثالث : الحسين بن عليّ ، السبط الأصغر ، الشهيد .

الرابع : عليّ بن الحسين ، السجاد .

الخامس : محمد بن عليّ ، الباقر .

السادس : جعفر بن محمد ، الصادق .

- السابع : موسى بن جعفر، الكاظم .
 الثامن : عليّ بن موسى ، الرضا .
 التاسع : محمد بن عليّ ، الجواد .
 العاشر : عليّ بن محمد ، الهادي .
 الحادي عشر : الحسن بن عليّ ، العسكري .
 الثاني عشر : محمد بن الحسن ، المهدي ، الحجة ، المنتظر .

اتّجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً

اقتصرنّا في ما أوردنا من الأدلّة على إمامة أئمة أهل البيت الاثني عشر (ع) في ما سبق على ما ورد في أوثق مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة الخلفاء وبالإضافة إلى ذلك فقد وردت في مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة أهل البيت النصوص الكثيرة المتواترة الواردة عن رسول الله (ص) في النصّ على إمامة الأئمة الاثني عشر (ع) بأسمائهم وصفاتهم ويقول أتباع مدرسة أهل البيت (ع): ينبغي أن لا يغرب عن بالنا أنّ صحة خلافة الخلفاء أمويّين وعباسيّين وعثمانيّين وغيرهم من الخلفاء ومن تبعهم من الأمراء والولاة والقضاة وأئمة الجمعة والجماعة في البلاد الإسلامية زهاء ثلاثة عشر قرناً كانت متوقّفة على كتمان ما ورد في إمامة الإمام عليّ بن أبي طالب والأئمة من ولده (ع) .

فإنّه مثلاً في زمن الخليفة هارون الرشيد أصبح أبو يوسف قاضي قضاة المسلمين بتعيين الخليفة هارون الرشيد ومشروعيّة منصبه متوقّفة على صحّة خلافة هارون الرشيد وصحّة خلافة الرشيد متوقّفة على عدم وجود نصّ على إمامة الأئمة الاثني عشر، وكذلك الأمر بالنسبة إلى وزارة البرامكة، فلمّا أصبحوا وزراء لخليفة المسلمين بسبب صحّة خلافة هارون، وكذلك جميع

أمراء جيوش المسلمين في عصره أصبحوا أمراء لجيوش المسلمين بتعيين خليفة المسلمين هارون الرشيد، وكذلك شأن ولاية الخليفة على البلاد، فإن أمير صنعاء وأمير مكة وأمير المدينة والكوفة والشام والإسكندرية والري وخراسان وسائر البلاد الإسلامية في جميع الأقاليم، وكذلك أئمة الجماعة والجماعة في جميع البلاد الإسلامية من أقصى بلاد أفريقيا إلى ما وراء خراسان وبلاد الحجاز واليمن والشام والعراق إلى غيرها من البلاد الإسلامية. كل أولئك أصبحوا في مناصبهم يعيشون معيشة المترفين بشرعية خلافة هارون الرشيد وشرعية خلافة هارون الرشيد متوقفة على عدم وجود إمامة معينة منصوبة من قبل الله ومنصوص عليها من قبل رسول الله (ص) في ذلك العصر وهو الإمام موسى بن جعفر (ع) ولا في إمامة سائر الأئمة (ع) قبله.

وهذا الأمر كان جارياً وسارياً في زمن يزيد ومعاوية وعثمان وغيرهم إلى آخر خلفاء العثمانيين، فإن كل أولئك المنتفعين بخلافة الخلفاء جلّ العصور إنما أنتفعوا بمناصبهم ومعاشهم لعدم وجود نصّ على إمامة أيّ إمام غير الخلفاء على حدّ زعمهم ومع كل ذلك بقيت النصوص السابقة في إمامة الأئمة من أهل البيت (ع) منتشرة في مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة الخلفاء إلى اليوم، وذلك لأنّ الله شاء أن يتمّ الحجّة على الناس مدى العصور، وما شاء الله كان.

* * *

بعد الانتهاء من دراسة رأي المدرستين في الصحابة والإمامة نستعين الله وندرس في ما يأتي رأي المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية وكيفية استفادة كل منهما منها، إن شاء الله تعالى.

الملحق

اما در روایتهای، حتی پاسخ به این پرسش را نمی‌توانیم بیابیم که در چه زمان و چگونه آن تغییر محسوس که سیر بعدی تحول تدریجی را پدید آورد، صورت گرفته است؛ یعنی چه زمانی پندار «جانشین پیامبر خدا» (خلیفه رسول الله) جای خود را به پندار «جانشین خدا در زمین» (خلیفه الله فی الارض) داده است. این تفسیر تازه واژه «خلیفه» که از پیغمبرین باسلام آغازین مغایر بود، می‌بایست رفته رفته به خواست پروردگار بخشایندۀ مهربان، خلیفه را جایگزین شهریاران آتش پرست و یاسیجی گرداند. هنوز روشن نیست که این تحول در چه زمانی و در چه شرایطی روی داده است. آیا تأثیر پیزانسی بر آن بوده است یا نه؟ تنها می‌توان گفت که لقب «خلیفه الله» در روزگار بنی‌امیه به کار رفته است. از هُزْدَق، شاعر روزگار بنی‌امیه چاه‌ای هست^{۲۷} که در آن خلیفه سلیمان (از ۷۱۵ تا ۷۱۷ م.) سلف خلیفه عمر دوم، «خلیفه الله» نامیده شده است. داستانی هست درباره خلیفه هشام (از ۷۲۴ تا ۷۴۳ م.) که چگونه یکی از چاهلوسان از او پرسیده بود: «چه کسی را گرامی‌تر می‌داری، جانشینت (خلیفه‌ات) را و یا پیامبر را؟» و، هنگامی که خلیفه پاسخ داده بود که «جانشینم را»، چاهلوس نتیجه گرفته بود که «خلیفه» نزد پروردگار از پیامبر بالاتر است.^{۲۸} اگر نوشته روی یک سکه سسین پیزانسی-تازی، درست خوانده شده باشد،^{۲۹} بایستی بپذیریم که عبدالملک پدر ولید، سلیمان و هشام، هنوز پیش از تغییر سکه‌ها یعنی در سده هفتم میلادی خود را «خلیفه الله» نامیده بوده است. اما ویژگی رفرم پولی عبدالملک-یعنی هنگامی که هنوز تلاش نداشتند نام خلیفه را کنار نام خدا و پیامبر بگذارند و روی سکه‌های زروسیم تنها آیات و احادیث می‌نوشتند و پس-بعربی نشان می‌دهد که فرمانروایان هنوز بر آن نبودند که مفهوم

۲۷. ۱، ۷، ص ۷۲.

۲۸. دینوری، ص ۳۴۰. در اثر طبری (ج ۲، ص ۱۱۹۹) درباره ولید نیز چنین داستانی هست. نیز مقابله شود با داستان همین مؤلف (ج. ۱، ۲۷۴۸) درباره اعراض عن اول به لقب «خلیفه الله».

۲۹. تیزنهاوزن، سکه‌های خلفای مشرق، ص ۲۷۵ (ش ۲۶۸۱).

Lavoix, *Catalogue des monnaies I*, p. 25 (N, 83).

«خلیفه‌الله» را از حوزه چابلوسی و خوشاسدگویی درگاهشان به حوزه شرع منتقل کنند و گسترش دهند.^{۳۰}

عباسیان در این باره باگستاخی بیشتری دست به کار شدند و در روزگار مأسون (از ۸۱۳ تا ۸۳۳ م.) برای نخستین بار پس از ولیم پولی عبدالملک، فرمانروای دولت، خودش را در روی سکه‌ها «خلیفه‌الله» نامید.

این نکته که سقوط بنی‌امیه (سال ۷۵۰ م.) برای همیشه به پگانگی جهان اسلام پایان داد، از جنبه بی‌آمد، دارای اهمیت بیشتری است. نه تنها اسپانیا که شاهزاده‌ای از بنی‌امیه، از سوریه گریخته و حکومت خود را در آنجا مستقر کرده بود، بلکه سراسر و بخش باختری الجزایر نیز پیرون از قلمرو عباسیان بود. اما عباسیان گذشته از قلمرو بهناور خویش، در برابر دشمنانشان این برتری را نیز داشتند که شهرهای مقدس اسلام در حیطه فرمانروایی آنان بود و مراسم زیارت حج هم زیر رهبری آنان و با نمایندگانشان انجام می‌گرفت. جاذبه مکه و مدینه در میان سنیان و شیعیان هنوز چنان بزرگ بود که فرمانروایی که این شهرها در قلمرو آنان نبود جسارت نمی‌کردند خودشان را «امیرالمؤمنین» و با «خلیفه» بنامند و در ضمن، آنها عباسیان را نیز با چنین عنوانهایی نمی‌پذیرفتند بزرگ بنی‌امیه اسپانیا را «پسر (نواده) خلفاء» و [بن خلیفه‌الله] و بزرگ ادرسیان شیعی سراسر را «پسر (نواده) پیامبر خدا» [بن رسول‌الله] می‌نامیدند اما خوارج از این کار شرم نداشتند و بزرگان دودمان رستمیان که در بخش باختری الجزایر فرمانروایی داشتند، خود را «خلیفه» می‌نامیدند، البته آن هم به معنی جانشین پیامبر، همچون سرور جامعه مؤمنان.^{۳۱}

۳۰. عبارت حلفاءالله در اسناد رسمی نیز دیده می‌شود، چنانچه در فرمان ولید

دو، (طبری، ج ۲، ص ۱۷۵۹، ۹).

۳۱. ابن خردادبه، ص ۸۷.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمة الطبعة الثانية	٧
مخطط بحوث الكتاب	٩
بحوث تمهيدية	
(١) توطئة	١٥
عوامل التخريب الخارجي	١٨
(٢) بعض ما شاهدت من آثار الخلاف بين أبناء الأمة الإسلامية	٢٤
(٣) بعض صفات الله جلّ اسمه ومنشأ الخلاف حولها	٣٢
حول رؤيته	٣٤
في الجنة	٣٦
الخلاف على تأويل تلکم الأحاديث	٣٧
منشأ الخلاف حول بعض صفات الله ورؤيته	٣٩
(٤) الخلاف في صفات الأنبياء وما خصّهم الله بها ومنشؤها	٤٣
أ - التبرک بآثار الأنبياء	٤٣
ب - الاستشفاع برسول الله (ص)	٤٩

الموضوع	الصفحة
التوسل بالنبي (ص)	٤٩
الاستشفاع بالعباس عم النبي (ص)	٥١
منشأ الخلاف حول صفات رسول الله (ص)	٥٢
٥) الخلاف حول الاحتفال بذكرى الأنبياء وذكرى عباد الله الصالحين ...	٦٠
انتشار البركة من آدم (ع) والاحتفال بذكره	٦٣
انتشار الشؤم إلى المكان من المكين	٦٤
منشأ الشؤم والبركة في المكان	٦٤
بركة يوم الجمعة	٦٥
٦) الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء و آتخاذها محلاً للعبادة	٦٧
أ - الحديث الأول	٦٧
ب - الحديث الثاني	٦٩
أدلة من رأى جواز آتخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة	٧٠
٧) الاختلاف في البكاء على الميت ومنشؤه	٧٥
بكاء الرسول (ص) على ابنه إبراهيم	٧٦
بكاء الرسول (ص) على حفيده	٧٦
ندب الرسول (ص) إلى البكاء على عمه حمزة	٧٦
بكى الرسول (ص) على قبر أمه وأبكى من حوله	٧٦
أمر الرسول (ص) بإرسال الطعام لأهل المصائب	٧٦
عين الرسول (ص) أيام الحداد على الميت	٧٨
منشأ الخلاف حول البكاء على الميت	٧٨
الخليفة عمر يروي أن رسول الله (ص) نهى عن البكاء وأمّ المؤمنين عائشة تستدرك عليه	٧٩
٨) آيات من كتاب الله نشأ الخلاف حول تأويلها	٨٢

الموضوع	الصفحة
دعاء غير الله وحكم غير الله	٨٢
أ - دعاء غير الله	٨٢
ب - حكم غير الله	٨٤
صفة الملك لله	٨٦
الخالق والمحيي	٨٧
الوليّ والشفيع	٨٨
من يتوفى الأنفس	٩٠
دعوة الرسول (ص) والتوسل به إلى الله	٩١
أ - الباعث الحقيقي الأول على ما نشأ من الخلاف	٩٢
أولاً - في بدء الخليقة	٩٢
ثانياً - في الأمم السابقة	٩٢
ثالثاً - في عصر خاتم الأنبياء (ص)	٩٣
رابعاً - في عصرنا	٩٤
ب - الباعث الثاني لما نشأ من الخلاف	٩٥
٩) خلاصة وخاتمة	٩٧
منهج البحث في الكتاب	٩٩

القسم الأول

بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية

توطئة	١٠٥
منشأ الخلاف	١٠٥

الصفحة

الموضوع

١٠٧ اللغة العربية و المصطلحات الإسلامية
١٠٧ أولاً : تعريف المصطلحات
١٠٧ أ - لغة العرب
١٠٨ ب - المصطلح الشرعي و المصطلح الإسلامي
١٠٩ ج - مصطلح التشريعة أو تسمية المسلمين
١١٠ د - الحقيقة و المجاز
١١١ ثانياً : كيفية تأليف مجاميع اللغة العربية
١١٣ البحث الأول : بحوث المدرستين حول الصحبة و الصحابة
١١٥ الفصل الأول : تعريف الصحابي لدى المدرستين
١١٩ ضابطتهم لمعرفة الصحابي
١٢٥ الفصل الثاني : عدالة الصحابة لدى المدرستين
١٣٣ ضابطة لمعرفة المؤمن و المنافق
١٣٧ الفصل الثالث : خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين
١٤٣ البحث الثاني : بحوث المدرستين في الإمامة
١٤٥ الفصل الأول : الواقع التاريخي للخلافة في صدر الإسلام
١٤٨ أمر كتابة وصية رسول الله (ص)
١٤٩ موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول (ص)
١٥٠ السقيفة وبيعة أبي بكر
١٦٠ دفن رسول الله (ص) و من حضر دفنه
١٦١ بعد دفن الرسول
١٦٣ التحصن بدار فاطمة عليها السلام
١٧٣ من تخلف عن بيعة الخليفة أبي بكر

الموضوع	الصفحة
استخلاف عمر وبيعه	١٧٨
الشورى وبيعة عثمان	١٧٩
بيعة الإمام علي (ع)	١٨٦
الفصل الثاني: بحوث مدرسة الخلفاء في الإمامة	١٨٩
رأي مدرسة الخلافة وما استدلوا به	١٩١
أولاً - قول الخليفة أبي بكر	١٩١
ثانياً - قول الخليفة عمر	١٩١
ثالثاً - آراء أتباع مدرسة الخلفاء	١٩٢
وجوب طاعة الإمام وإن خالف الرسول (ص)	١٩٧
استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة	١٩٩
مصطلحات بحث الإمامة والخلافة	٢٠٠
أولاً : الشورى	٢٠٠
ثانياً: البيعة	٢٠١
أ) البيعة في لغة العرب	٢٠١
ب) البيعة في الإسلام	٢٠٢
١) البيعة الأولى	٢٠٢
٢) البيعة الثانية الكبرى بالعقبة	٢٠٣
٣) بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة	٢٠٤
الخلاصة	٢٠٧
ثالثاً: الخليفة وخليفة الله في الأرض	٢٠٨
أولاً : الخليفة والخلافة	٢٠٨
أ - على عهد الخليفة الأول	٢٠٩
ب - على عهد الخليفة الثاني	٢٠٩

الموضوع	الصفحة
ثانياً: خليفة الله في الأرض	٢١٠
١- في المصطلح الإسلامي	٢١٠
جعل الله خلفاءه أئمة للناس	٢١٢
يؤتي الله خلفاءه ما يعجز عنه البشر	٢١٥
٢- الخليفة وخليفة الله في مصطلح المسلمين	٢١٧
أ- في العصر الأموي والعباسي	٢١٧
ب- في العصر العثماني	٢١٨
ج- في عصرنا	٢١٩
انتقال مصطلح الخليفة من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة	
أهل البيت (ع)	٢١٩
الخلاصة	٢٢٠
رابعاً: أمير المؤمنين	٢٢٢
خامساً: الإمام	٢٢٢
سادساً: الأمر وأولو الأمر	٢٢٣
أ) في لغة العرب	٢٢٣
ب) في عرف المسلمين	٢٢٥
ج) في النصوص الإسلامية	٢٢٦
سابعاً: الوصي والوصية	٢٢٧
دراسة رأي مدرسة الخلفاء	٢٣٠
رأي مدرسة الخلافة وما استدلوا به	٢٣٠
أولاً- رأي الخليفة أبي بكر	٢٣٠
ثانياً- رأي الخليفة عمر بن الخطاب	٢٣٠

الموضوع	الصفحة
مناقشة الاستدلالين	٢٣١
ثالثاً - آراء أتباع مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة	٢٣٢
الأول: مناقشة الاستدلال بالشورى	٢٣٢
الاستدلال للشورى بكتاب الله وسنة رسوله (ص)	٢٣٣
أولاً: الاستدلال بآية ﴿وَأمرهم شورى﴾	٢٣٣
ثانياً: الاستدلال بآية ﴿وشاورهم في الأمر﴾	٢٣٣
ثالثاً: الاستدلال بمشاورة الرسول (ص) مع أصحابه	٢٣٤
أ - غزوة بدر	٢٣٤
ب - غزوة أحد	٢٣٧
ج - غزوة الخندق	٢٤٠
الثاني: مناقشة الاستدلال بالبيعة	٢٤٣
الثالث: مناقشة الاستدلال بعمل الصحابة	٢٤٨
مناقشة الاستدلال بما ورد في نهج البلاغة على صحة الاستدلال	
بالشورى	٢٤٩
الرابع: مناقشة الاستدلال بأن الخلافة تقام بالقهر والغلبة	٢٥٧
إطاعة الإمام الجائر المخالف لسنة الرسول (ص)	٢٦٠
خلاصة البحث	٢٦١
الفصل الثالث: بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الإمامة	٢٦٥
عصمة أهل البيت (ع)	٢٦٩
شأن نزول الآية وما صنع الرسول (ص) بهذه المناسبة	٢٦٩
اهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده	٢٧٦
باب ذكر من استخلف الرسول (ص) على المدينة في غزواته	٢٨١

الموضوع

التصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين وليّ الأمر

- من بعده ٢٨٩
- الوصية في الأمم السابقة ٢٨٩
- أ - خبر وصية آدم لشيث ٢٩٠
- ب - خبر يوشع بن نون وصي موسى ٢٩١
- وجه الشبه بين وصي خاتم الأنبياء وصي موسى ٢٩٢
- ج - خبر شمعون وصي عيسى ٢٩٢
- وصي الرسول (ص) ووزيره ووليّ عهده وخليفته من بعده ٢٩٥
- الوصي في أحاديث الرسول (ص) ٢٩٥
- الوصية في كتب الأمم السابقة ٢٩٧
- الوصية في أحاديث الصحابة والتابعين ٢٩٩
- عبد الله بن علي عم الخليفة العباسي السفاح يحتج
بالوصية ٣٠٦
- محمد بن عبد الله بن الحسن يحتج على الخليفة المنصور
بالوصية ٣٠٧
- الخليفة هارون الرشيد يخبر بما بلغه من الأوصياء ٣٠٧
- شهرة لقب وصي النبي للإمام علي (ع) ٣١٠
- في صدر الإسلام ٣١٠
- الوصية في الأشعار التي قيلت في حرب الجمل ٣١٢
- الوصية في الأشعار التي قيلت في صفين ٣١٤
- الوصية في كتاب آبن عباس ٣١٩
- الوصية في شعر المأمون ٣٢٢

الموضوع	الصفحة
اشتهار لقب الوصي للإمام علي (ع) مدى القرون	٣٢٣
مدرسة الخلفاء تبذل جهوداً كبيرة	
في سبيل كتمان أخبار الوصيّة	
و تأويل ما أنتشر منها	
حديث عائشة يدل على أنّ علياً (ع) كان وصي الرسول (ص)	٣٢٩
مقارنة بين حديث أم المؤمنين عائشة وحديث الإمام علي (ع)	٣٣٧
حديثان متعارضان من أم المؤمنين عائشة	٣٣٩
موقفان مختلفان تجاه الإمام علي (ع)	٣٤٠
كتمان فضائل الإمام علي (ع)	
و نشر سبّه و لعنه و السبب فيهما	
كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم	٣٤٥
منع كتابة حديث الرسول (ص)	٣٥٦
سياسة الخلافة القرشية وسائر بني أميّة	٣٥٨
أ - على عهد معاوية	٣٥٨
تربية أهل الشام منذ زمن معاوية على بغض الإمام (ع) ولعنه	٣٧٠
أسباب حقد معاوية على بني هاشم	٣٧٢
سياسة ابن الزبير	٣٧٢
ب - على عهد عبد الملك و ابنه الوليد	٣٧٥
بعض ما فعله الحجاج تنفيذاً للسياسة القرشية	٣٧٦
بعض ما فعله أخو الحجاج محمد بن يوسف زمان ولايته	
على اليمن	٣٧٨

الموضوع	الصفحة
ج - على عهد عمر بن عبد العزيز	٣٧٩
د - على عهد هشام بن عبد الملك	٣٨٢
عمل خالد بن عبد الله القسري	٣٨٣
بنو أمية يقتلون من سُمي علياً	٣٨٥
على عهد العباسيين	٣٨٦
أولاً - من عمل طبقة العلماء	٣٨٦
ثانياً - من عمل طبقة الحكام	٣٨٧
ثالثاً - من عمل عامة الناس	٣٨٨
أ - مثال مما جرى على آل الرسول (ص) على عهد المنصور	٣٨٩
ب - بعض ما جرى على آل الرسول (ص) على عهد المتوكل	٣٨٩
نتيجة البحث	٣٩٢
عداوة الخلافة الأموية للإمام علي (ع) وآثارها	٣٩٦
أولاً - في خلافة آل أبي سفيان و على عهد معاوية	٣٩٦
سياسة حكم الخلافة المروانية من آل أمية	٣٩٧
سياسة حكم الخلافة العباسية	٣٩٧

عشرة أنواع من الكتمان و التحريف لسنة الرسول (ص) و أخبار سيرة أهل بيته و أصحابه

دراسة عمل مدرسة الخلفاء

بنصوص سنة الرسول (ص) المخالفة لاتجاهها

إنكار الوصية	٤٠٢
أ - حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) و تبديلها بكلمة	

الموضوع	الصفحة
مبهمة	٤٠٤
ب - حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الإشارة إلى الحذف	٤٠٦
ج - تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص)	٤٠٧
نظرة تأمل في ما رووا في باب من لعنه النبي (ص)	٤٠٩
حيرة عالم آخر في تأويل معنى الوصية	٤١٣
د - حذف بعض من أقوال الصحابة مع عدم الإشارة إليه	٤١٤
هـ - حذف تمام الرواية من سنة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليها	٤١٦
و - النهي عن كتابة سنة الرسول (ص)	٤١٩
ز - تضعيف الروايات ورواية سنة الرسول (ص) و الكتب التي تنتقص السلطان وقتل المخالفين أحياناً	٤٢٢
١ - انتقاص من يذكر الوصية	٤٢٢
٢ - الطعن في رواية الحديث	٤٢٥
٣ - الطعن في أئمة الحديث	٤٢٦
٤ - النسائي أحد مؤلفي الصحاح الستة وقصة قتله	٤٢٩
ح - إحراق الكتب والمكتبات	٤٣١
ط - حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة وتحريفه	٤٣٤
ي - وضع الروايات والأخبار المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة	٤٣٥

الموضوع	الصفحة
نوع أخباره ورواياته	٤٣٦
انتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب التاريخ	
وسببه	٤٣٨
نظرة تأمل في سبب اختيار كبار العلماء الأفذاذ روايات	
سيف في أخبار صدر الإسلام	٤٣٩
أولاً - قصّة الأسود العنسي	٤٤٢
ثانياً - خبر مناجاة كسرى مع الرسول (ص)	
عند الله	٤٤٤
إشاعة الزنديق أن الإسلام أنتشر بالسيف وإراقة	
الدماء	٤٤٦
تهويلات و أكاذيب فيما رواها سيف عن أخبار	
حروب الردة	٤٤٧
ردة عك و الأشعريين و حبر طاهر ربيب رسول الله (ص) في	
روايات سيف	٤٤٧
طاهر في أحاديث سيف	٤٤٨
فتح أليس و تخريب مدينة أمغيشيا	٤٥٠
كانت شهرة الإمام علي بالوصي معضلة مدرسة الخلافة	
مدى القرون	٤٥١
سيف يضع حلاً لمعضلة مدرسة الخلفاء	٤٥٦
دراسة روايات سيف في أخبار الفتن	٤٦٠
الاختلاف و التحريف في روايات سيف	٤٦١
أبوذر في موسم الحج بمنى	٤٦٦

٤٦٧	أبوذر في بيت الله الحرام
٤٦٧	أبوذر في مسجد الرسول (ص) وغيره
٤٦٩	خلاصة خبر الفتن في أخريات عهد عثمان
	نتيجة البحث المقارن بين روايات سيف المختلقة في
٤٧٩	الفتن و الروايات الصحيحة
٤٧٣	خلاصة بحث أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء
٤٧٤	منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات الإسلامية
٤٧٥	نتيجة البحوث و حقيقة الأمر
٤٧٩	عود على بدء
٤٨٠	عدد الأخبار و الروايات و النصوص التي أسقطوها

ما بقي من النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حق آله في الحكم

٤٨٣	تعيين الوصي بالفاظ مختلفة
٤٨٤	وزير النبي (ص)
٤٨٦	خليفة النبي (ص)
٤٨٦	ولي المسلمين بعد الرسول (ص)
٤٨٧	أولاً - حديث الشكوى
٤٨٩	ثانياً - نصوص أخرى لم يعين زمانها

الاحتفال بتنصيب الإمام علي ولياً للعهد بعد الرسول (ص) و وصياً على الإسلام و المسلمين

٤٩٣	خبر يوم الغدير
-----	----------------

الصفحة

الموضوع

٥٠٠	أمة موسى (ع)
٥٠٢	الولاية وأولو الأمر في القرآن الكريم
٥٠٢	أ - ولاية علي في القرآن الكريم
٥٠٤	ب - أولو الأمر عليّ و الأئمة من ولده (ع)
		ج - قول النبي (ص) مثل أهل بيتي كسفينة نوح ومثل
٥٠٧	باب حطة
٥٠٩	الأئمة عليّ و بنوه (ع) مبلغون عن رسول الله (ص)
٥١٠	قصة تبليغ آيات البراءة
٥١٢	علي من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى
		المراد من لفظ « منّي » في أحاديث
٥١٣	الرسول (ص)
٥١٥	حامل علوم الرسول (ص)
٥٢٤	ما ورد في حق سبطي رسول الله (ص)
٥٢٤	الحسن والحسين (ع) من رسول الله (ص) وسبطاه
		بشارات النبي (ص) بظهور المهدي (ع) في آخر الزمان
٥٣٢	نصوص على إمامة أئمة أهل البيت (ع)
٥٣٢	حديث الثقلين
٥٣٤	نصّ الرسول (ص) على عددهم
٥٣٤	حديث عدد الأئمة
٥٤٠	خلاصة الأحاديث الأنفة

الصفحة

الموضوع

٥٤١ حيرتهم في تفسير الحديث
٥٤٧ أسماء الاثني عشر لدى مدرسة الخلفاء
٥٤٨ تراجم الأئمة الاثني عشر بعد الرسول (ص)
٥٥٤ تنبيه هام

الفصل الرابع

خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين

٥٥٩ الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام
٥٦٠ سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر
٥٦٤ بيعة عمر
٥٦٤ الشورى وبيعة عثمان
٥٦٦ بيعة الإمام علي (ع)
٥٦٧ أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة
٥٦٩ تعريف المصطلحات
 مناقشة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والإمامة
٥٧٤ أولاً - الشورى
٥٧٦ ثانياً - البيعة
٥٧٦ ثالثاً - عمل الصحابة
٥٧٦ الاستدلال بكلام الإمام علي (ع)
 وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق وإعلان
٥٧٧ المعصية
٥٧٨ الإمامة لدى مدرسة أهل البيت (ع)

الموضوع	الصفحة
أوصياء النبيّ (ص) الإثنا عشر من بعده	٥٨٢
اتجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً	٥٨٣
المستدرك	٥٨٥
المهرس	٥٨٩

نداء ودعوة لتجديد حياة إسلامية وتوحيد كلمة المسلمين

إلى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والحوارات العلمية في النجف الأشرف والجامع الأزهر في القاهرة وجامعه الزيتونة والقيروان في تونس وجامعة القرويين بالمغرب .

إلى مفكري العالم الإسلامي وعلمائه وكُتّابه .

إلى المجاهدين المخلصين في سبيل إعادة حياة إسلامية في بلاد المسلمين .

إلى المصلحين الغيارى الساعين لتوحيد كلمة المسلمين .

إليكم جميعاً أقدم هذا النداء وهذه الدعوة (بكل تجلّة واحترام) وأقول إنّ العالم الإسلامي بدأ ينهض لتجديد حياة إسلامية . وللوصول إلى هذا الهدف الجليل ، ينبغي القيام بدراسة موضوعية لما ورثه جميع المسلمين من مصادر سنة الرسول (ص) ، سيرة وحديثاً . وعدم البقاء على تقليد السلف الصالح في استنباط الأحكام الشرعية ولا في دراية الحديث . وبذلك يتحقق الوصول في معرفة الإسلام من الكتاب والسنة ، ويتيسر توحيد كلمة المسلمين حولهما للقيام بتجديد حياة إسلامية .

وها أنا ذا أقدم إليكم جميعاً هذه البحوث التي نظمت للوصول إلى الهدف المذكور ، راجياً النظر فيها بتجرد علمي ، وتنبيهي على الأخطار التي تلازم غير المعصوم .

قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة إنا ومن آتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين .

المؤلف

عنوان المؤلف للمراسلة : بيروت - لبنان ص. ب ٥٦٥٥ - ١١٣ .

مكتبة محبولى

ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع تليمون ٧٥٦٤٢١